

صحيفة	
٥	المقصد الاول فى تشريف الله تعالى له عليه السلام
٩١	غزوة غطفان
٩١	غزوة نجران
٩٢	غزوة أحد
٩٩	غزوة حمراء الاسد
٩٩	ثم سرية أبى سلمة
١٠٠	ثم سرية عبد الله بن أنيس
١٠٠	ثم سرية عاصم بن ثابت
١٠٣	سرية المنذر بن عمرو
١٠٤	غزوة بنى النضير
١٠٥	غزوة ذات الرقاع
١٠٧	غزوة بدر الاخيرة
١٠٨	غزوة دومة الجندل
١٠٨	غزوة المريسيع
١١٠	غزوة الخندق
١١٨	سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء
١١٩	غزوة بنى لحيان
١١٩	غزوة الغابة
١٢٠	سرية عكاشة بن محصن الاسدى
١٢٠	سرية محمد بن مسلمة الى ذى القصة
١٢١	سرية زيد بن حارثة الى جهات كثيرة الخ
١٢٢	ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل الخ
١٢٢	سرية على بن أبى طالب
١٢٢	سرية عبد الله بن عتيك
١٢٣	سرية عبد الله بن رواحة
١٢٤	سرية كرز
١٢٥	سرية عمرو بن أمية الضمرى الى أبى سفيان ابن حرب بمكة ثم الى الحديبية

صحيفة	
١٣٣	غزوة خيبر
١٤٠	فتح وادى القرى
١٤٠	سرية عمر بن الخطاب
١٤٠	سرية أبى بكر الصديق الى بنى كلاب
١٤١	سرية بشير بن سعد الانصارى
١٤١	سرية غالب بن عبد الله الليثى
١٤١	سرية بشير بن سعد الانصارى
١٤١	ثم عمرة القضية
١٤٤	سرية ابن أبى العوجاء السلمى
١٤٤	سرية غالب بن عبد الله الليثى
١٤٤	سرية شجاع بن وهب الاسدى
١٤٤	سرية كعب بن عمير الغفارى
١٤٤	سرية مؤتة
١٤٦	سرية عمرو بن العاص
١٤٦	سرية أبى عبيدة بن الجراح
١٤٧	سرية أبى قتادة
١٤٨	فتح مكة زادها الله شرفا
١٦٠	سرية خالد بن الوليد
١٦٠	سرية عمرو بن العاص
١٦٠	سرية سعد بن زيد الاشهلى
١٦١	سرية خالد بن الوليد
١٦١	غزا صلى الله عليه وسلم حنينا
١٦٥	سرية أبى عامر الاشعرى
١٦٥	سرية الطفيل بن عمرو الدوسى
١٦٥	غزوة الطائف
١٦٨	بعث عليه الصلاة والسلام قيس بن سعد بن عبادة
١٦٨	بعث عيينة بن حصن الفزارى
١٦٨	بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط
١٦٩	سرية قطبة بن عامر بن حديدة
١٦٩	سرية الضحاك بن سفيان الكلابى

صحيفة

١٦٩ سرية علقمة بن مجزر المدلجي
١٧٠ سرية علي بن أبي طالب
١٧٠ سرية عكاشة بن محصن
١٧٠ قصة كعب بن زهير
١٧٢ غزوة تبوك
١٧٦ حجة أبي بكر الصديق
١٧٨ ثم بعث أبا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع
١٧٨ ثم أرسل خالد بن الوليد
١٧٨ ثم أرسل علي بن أبي طالب الى اليمن
١٧٨ ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
١٧٩ سرية أسامة بن زيد بن حارثة
١٨٠ المقصد الثاني
١٨٠ الفصل الاول في ذكر أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم
١٩٦ الفصل الثاني في ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام
٢٠١ الفصل الثالث في ذكر أزواجه الطاهرات وسراريه المطهرات
٢١١ الفصل الرابع في أعمامه وعماته وأخواته من الرضاعة وجداته
٢١٦ الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن يأذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه
٢١٨ الفصل السادس في أمرائه ورسله وكتابه وكتبه الى أهل الاسلام في الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام
٢٣٠ الفصل السابع في مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه

صحيفة

٢٣١ الفصل الثامن في آلات حروبه عليه الصلاة والسلام
٢٣٣ الفصل التاسع في ذكر خيله عليه الصلاة والسلام ولقاحه ودوابه
٢٣٤ الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه
٢٤٨ المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته
٢٤٨ الفصل الاول في كمال خلقته وجمال صورته
٢٨٨ الفصل الثاني فيما أكرمه الله تعالى به من الاخلاق
٣٠٦ الفصل الثالث فيما تدعو ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم
٣٢١ وأما شربه صلى الله عليه وسلم
٣٢٤ النوع الثاني في لباسه عليه الصلاة والسلام وفراشه
٣٣٠ وأما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم
٣٤٠ النوع الثالث في سيرته عليه الصلاة والسلام في نكاحه
٣٤٤ النوع الرابع في نومه عليه الصلاة والسلام
٣٤٦ المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته
٣٤٦ الفصل الاول في معجزاته
٣٧٩ الفصل الثاني فيما خصه الله تعالى به من المعجزات
٣٨٩ القسم الثاني ما اختص به صلى الله عليه وسلم مما حرم عليه
٣٩١ القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات
٣٩٥ القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات

﴿تمت﴾



﴿ الجزء الاول ﴾

من كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية تأليف خاتمة
المحققين وخلاصة المدققين فريد دهره
ووحيد عصره مفيد الطالبين شهاب الملة
والدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
الخطيب القسطلاني
تغمده الله برحمته
آمين

﴿ طبع ﴾

﴿ على نفقة ملتزميه حضرة الشيخ مصطفى تاج ونجله أبراهيم تاج ﴾
﴿ الكتبيين بجوار الجامع الأحمدي بطنطا ﴾

١٣٢٦ هـ ـ المطبعة الشرقية لصاحبها السيد حسين افندى شرف ـ ١٩٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أطلع فى سماء الازل شمس أنوار معارف النبوة المحمدية * وأشرق من افق أسرار الرسالة مظاهر تجلى الصفات الاحمدية * أحمده على ان وضع أساس نبوته على سوابق أزليته * ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته * وأشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له الفرد المنفرد فى فردانيته بالعظمة والجلال * الواحد المتوحد فى وحدانيته باستحقاق الكمال * وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله أشرف نوع الانسان * وانسان عيون الاعيان * المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان * الممنوح ببدائع الآيات * المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات * السر الجامع الفرقانى * والمخصص بمواهب القرب من النوع الانسانى * مورد الحقائق الازلية ومصدرها * وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها * وخطيبها اذا حضر فى حظائر قدسها ومحضرها * بيت الله المعمور الذى اتخذه لنفسه * وجعله ناظما لحقائق قدسه * مدة مداد نقطة الاكوان * ومنبع ينابيع الحكم والعرفان * المفيض من بحر مدد الوفا * على القائل من أهل المعارف والاصطفا * حيث خاطب ذاته الاقدسيه * بالمنح الانفسية * فقال

فأنت رسول الله أعظم كائن * وأنت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق اذ أنت قطبه * وأنت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه * وباب عليه منه للحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت * ففى كل حى منه لله منهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل * فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الانبياء فتاجهم * لديك بانواع الكمال مكمل
فيامدة الامداد نقطة خطه * ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك وانني * وحقك لا أسلو ولا أتحول
عليك صلاة الله منه تواصلت * صلاة اتصال عنك لا تتنصل

شخصت أبصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله * وحنت أرواح رؤساء الانبياء الى مشاهدة كماله * وتلفتت لفتات انفس الملأ الاعلى الى نفائس نفحاته * وتطاولت اعناق العقول الى أعين لمحاته ولحظاته * فعرج به الى المستوى الاقدس * وأطلعه على السر الانفس * فى احاطته الجامعه * وحضرات حظيرة قدسه الواسعه * فوقفت أشخاص الانبياء فى حرم الحرمه * على أقدام الخدمة * وقامت اشباح الملائكة فى معارج الجلال * على أرجل الاجلال * وهامت أرواح العشاق * فى مقامات الاشواق

كل اليـك بكله مشتاق * وعليك من رقبائه أحداق
يهواك ما ناح الحمام بأيكة * أو لاح برق فى الدجا خفاق
شوق اليـه لا يزال يديره * فجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق فشق مرائر الاشقياء المشاقين * وحن لمفارقته الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الاغبياء المنافقين * وبرقت من مشكاه بعثته بوارق طلائع الحقائق * وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلائق * ولم يزل يجاهد فى سبيل الله بصادق عزماته وينظم شتات الاسلام بعد افتراق جهاته * حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة * وتمت على سائر أمته الامية نعمته السابغة * وخير فاختار الرفيق الاعلى * وآثر الآخرة على الاولى * فنقله الله قائما على قدم السلامه * الى دار السلام وفردوس الكرامة * وبوأه اسنى مراقى التكريم فى دار المقامه * ومنحه أعلى مواهب الشرف فى اليوم المشهود * فهو الشاهد المشهود * والمحمود بالمحامد التى يلهمها للحامد المحمود * ذو المنزلة العلية * والدرجة السنية * فى حظائر القدس الاقدسية * والمشاهد الانسية * واصل الله عليه فواضل الصلوات * وشرائف التسليم ونوامى البركات * وعلى آله الاطهار * وأصحابه الابرار * صلاة وسلاما لاينقطع عنهما أمد الامد * ولايحصرهما العدد أبد الابد ﴿وبعد﴾ فهذه لطيمة من لطائف نفحات العواطف الرحمانية ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية تنبئ عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليم وأسنى الصلات وسبق نبوته فى الازمان الازلية وثبوت رسالته فى الغايات الاحدية والتبشير باحمديته فى الاعصر الخالية والتذكير بمحمديته فى الامم الماضية واشراق بوارق لوامع أنوار آيات ولادته التي سار ضوء فجرها فى سائر بريتـه ودار بدرها فى أقطار مائـه وعواطف لطائف رضاعه وحضانته وينابيع أسرار سر مسراه وبعثته وهجرته وعوارف معارف عبوديته السارى عرف شذاها فى آفاق قلوب أهل ولايته ونفائس أنفاس أحواله الزكية ودقائق حقائق سيرته العلية الى حين نقلته لروضة قدسه الاحدية وتشريفه بشرائف الآيات وتكريمه بكرائم المعجزات وترفيعه فى آى التنزيل برفعة ذكره وعلو خطره وتعظيم محاسن شمائله وخلائقه وتخصيصه بعموم رسالته ووجوب محبته واتباع طرائقه وسيادته الجامعة لجوامع السودد فى مشهد مشاهد المرسلين وتفضيله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الاولين والآخرين الى غير ذلك من عجائب آياته ومعجـزاته وغرائب أعلام نبوته وحججه أوردتها حججاً قاهرة على الملحدين وذكرى نافعة للموحدين وتنبيها لعزائم المهتـدين ولم أكن والله أهلا لذلك ولم أر نفسى فيما هنالك لصعوبة هذا المسلك ومشقة السير فى طريق لم يكن لمثلى يسلك وانما هو نكتة سر قراءتى كتاب الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا فى مكتب التأديب والتعليم فى مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم متجليا فى مجالى تجليات الانوار الاحمـديه محاسن صفات خلقه وعظيم اخلاقه الزكية ساريا بسر سيرته فى منهاج مناهج الى سماء هديه الاسنى راتعاً فى رياض روضة سنته النزيهة الحسنا مستمداً من فتح البارى فيض فضله السارى فمنحنى صاحب هـذه المنح من مصون حقائقه وأبرز لى مما أكنه من مكنون رقائقه فانفتحت بالفتح المحمدى عين بصيرة الاستبصار وتنزه الناظر فى رياض

ارتياض رقائق الأسرار فاستجليت من أبكار مخدرات السنة النبوية من كل صورة معناها واقتبست من تلألؤ مصباح مشكاة المعارف من كل بارقة أضواها وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها واجتنيت من أفنان لطائف تأويل آى الكتاب العزيز من كل ثمرة مشتهاها * ولازلت فى جنات لطائف هذه المنح أغدو وأروح فى غبوق وصبوح حتى انهلت غمائم المعانى على أرض رياض المبانى فاينعت ازهارها وتكللت بنفائس جواهر العلوم أوراقها وطابت لمجتنى رقائق الحقائق ثمارها وتدفقت حياض بدائع ألفاظها بزلال جوامع كلماتها وخطب خطيب قلوب أبناء الهوى على منبر الغرام الأقدس يدعو لكمال محاسن الحبيب الارأس فترنحت بسلاف راح الارتياح نفائس الارواح وتمايلت عطريات ألحان الحنين الى جمال المحبوب كرائم الأشباح وزمزم مزمزم الصفا بحضرة خلاصة أولى الوفا منشدا مرددا

حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه * حسبي نعيم زال عنه حسيبه
داوى فؤادى الوصل من أدوائه * طوبى لقلبي والحبيب طبيبه
صدق المحب حبيبه فى حبه * فحباه صدق الحب منه حبيبه
لباه لب فؤاده فأجابه * لما دعاه الى الغرام وجيبه
ولجامع الاهواء جيعل حبه * ولحسنه خطب القلوب خطيبه

فلما سمعت هذه المواهب آذان قلوب أولى الالباب تلفتت عيون أعيانهم لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب فى سفر يسفر عن وجه المنح النبوية منيع النقاب فثنيت عنان القلم الى تحصيل مآربهم وتسطير مطالبهم جانحا صوب الصواب مودعا ما كان مستودعا لى فى غيابات الغيب فى هذا الكتاب مستعينا فى ذلك بالقوى الوهاب حتى أتاح الله لى ذلك وتمم ما هنالك فاوضحت ماخفى من الدليل ومهدت ما توعر من السبيل ﴿ وسميته ﴾ المواهب اللدنية بالمنح المحمديه ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلا للسالك والقاصد

﴿ المقصد الاول ﴾ فى تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته فى سابق أزليته ونشره منشور رسالته فى مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته فى حظائر قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين اعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته وهجرته ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته

﴿ المقصد الثانى ﴾ فى ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة وأولاده الكرام الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وأعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى أهل الاسلام فى الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول

﴿ المقصد الثالث ﴾ فيما فضله الله سبحانه وتعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وما كرمه به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة فصول

﴿المقصد الرابع﴾ فى معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص آياته وبدائع كرامته وفيه فصلان

﴿المقصد الخامس﴾ فى تخصيصه عليه السلام بخصائص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطائف التكريم فى حضرة التقريب بالكالة والمشاهدة والآيات الكبرى

﴿المقصد السادس﴾ فيما ورد فى آى التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته له تعالى بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنه ان ادركوه ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه به فى الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة أنواع

﴿المقصد السابع﴾ فى وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول

﴿المقصد الثامن﴾ فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات وتعبير الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات وفيه ثلاثة فصول

﴿المقصد التاسع﴾ فى لطيفة من حقائق عباداته ويشتمل على سبعة أنواع

﴿المقصد العاشر﴾ فى اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله فى الآخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصائص الزلفى فى مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد فى مجمع مجامع الاولين والآخرين وترقيه فى جنة عدن أرقى مدارج السعاده وتعاليه فى يوم المزيد أعلى معالى الحسنى وزياده وفيه ثلاثة فصول والله تعالى جده وعز مجده أسأل بوجاهة وجه الوجيه ونبيه النبيه أن يمدنى فى هذا الكتاب العظيم بمدد الاقبال والقبول ويبلغنى ومن كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين من العواطف النبوية لطائف السول ونهاية المأمول وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿المقصد الاول * فى تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته فى سابق أزليته ونشره منشور رسالته فى مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته فى حظائر قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين اعلان آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته وهجرته ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته﴾

اعلم ياذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم وفقنى الله واياك بالهداية الى الصراط المستقيم أنه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية فى الحضرة الأحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق فى سابق ارادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح فظهر بالملا الاعلى وهو بالمنظر الاجلى فكان لهم المورد الاحلى فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس

ولما انتهى الزمان باسم الباطن فى حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ أمر الا منه ولا ينقل خير الا عنه ولله در القائل

ألا بأبى من كان ملكا وسيدا * وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الابطحى محمد * له فى العلا مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد فى آخر المدا * وكان له فى كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه * فأثنت عليه ألسن وعوارف
اذا رام أمرا لايكون خلافه * وليس لذا الامر فى الكون صارف

اخرج مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب ان محمدا خاتم النبيين وعن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته رواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد وقوله لمنجدل يعنى طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبى قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد هذا لفظ رواية الامام أحمد ورواه البخارى فى تاريخه وأبو نعيم فى الحلية وصححه الحاكم وأما ما اشتهر على الالسنة بلفظ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوى نفع الله بعلومه فى كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى ماقاله * وقال الحافظ ابن رجب فى اللطائف وبعضهم يرويه متى كتبت من الكتابة انتهى قلت وكذا رويناه فى جزء من حديث أبى عمرو واسماعيل بن نجيد ولفظه متى كتبت نبيا قال كتب نبياً وآدم بين الروح والجسد فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها فى الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب قال تعالى كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن وعن أبى هريرة انهم قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذى وقال حديث حسن وروينا فى جزء من أمالى أبى سهل القطان عن سهل ابن صالح الهمدانى قال سألت أبا جعفر محمد بن على كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث قال ان الله تعالى لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث فان قيل ان النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضا فكيف يوصف به قبل وجوده وارساله فاجاب الغزالى فى كتاب النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله أنا أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا بأن المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد فانه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود قال وهو معنى قولهم

أول الفكرة آخر العمل وآخر العمل أول الفكرة وبيانه أن المهندس المقدر للدار أول مايمثل فى نفسه صورة الدار فحصل فى تقديره دارا كاملة البناء وآخر ما يوجد من أعماله هى الدار الكاملة فالدار الكاملة هى أول الاشياء فى حقه تقديرا وآخرها وجودا لان ماقبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهى الدار فالغاية هي الدار ولاجلها تقوم الآلات و لاعمال ثم قال واما قوله عليه السلام كنت نبيا فاشارة الى ماذكرناه وأنه كان نبيا فى التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لانه لم ينشأ خلق آدم الاليتنزع من ذريته محمد صلى الله عليه وسلم ويتصفى تدريجا الى أن يبلغ كمال الصفا قال ولا تفهم هذه الحقيقة الا بأن يعلم أن للدار وجودين وجودا فى ذهن المهندس ودماغه وأنه ينظر الى صورة الدار خارج الذهن فى الاعيان والوجود الذهنى سبب الوجود الخارجي العينى فهو سابق لامحالة وكذلك فاعلم أن الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا انتهى وهو متعقب بقول الشيخ تقى الدين السبكي انه قد جاء أن الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون الاشارة بقوله كنت نبيا الى روحه الشريفة أو الى حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور الهى ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله كل حقيقة منها مايشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرمه عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة أهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لاتأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم لاجلها أخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى وعن الشعبي قال رجل يارسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ منى الميثاق رواه ابن سعد من رواية جابر الجعفى فيما ذكره ابن رجب فهذا يدل على انه من حين صور آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم ونبئ وأخذ منه الميثاق ثم أعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذى قدر الله خروجه فيه فهو أولهم خلقا لاتقال بلزم خلق آدم قبله لان آدم كان حينئذ مواتا لاروح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبئ وأخذ منه ميثاقه فهو أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فان قلت ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه أكثر الاحاديث والذى تقرر هنا انه استخرج ونبئ قبل نفخ الروح فى آدم عليه السلام أجاب بعضهم بأنه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من

ظهر آدم قبل نفخ الروح فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانسانى وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث السابقة صريحة فى ذلك والله أعلم وروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وهو مروى عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد بن كثير فى تفسيره وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمره أن ينظر الى أنوار الانبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره ماأنطقهم الله به فقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى أأشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وأنا معكم من الشاهدين قال الشيخ تقى الدين السبكى فى هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلى مالا يخفى وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك فى الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسرى صلى بهم ولو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم انتهى وسيأتى ان شاء الله تعالى مزيد لذلك فى المقصد السادس وذكر العارف الربانى عبد الله بن أبى جمرة فى كتابه بهجة النفوس ومن قبله ابن سبع فى شفاء الصدور عن كعب الاحبار قال لما أراد الله تعالى أن يخلق محمدا أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم فى معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى وفى السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل أن تعرف آدم عليهما السلام وقيل لما خاطب الله تعالى السماء والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء مايحاذيها وقد قال ابن عباس أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الارض الادرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل فى التكوين والكائنات تبع له وقيل لذلك سمى أميا لأن مكة أم القرى ودرته أم الخليقة فان قلت تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا أن يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها فقد أجاب عنه صاحب عوارف المعارف أفاض الله علينا من عوارفه وتعطف

علينا بعواطفه بأنه قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحى فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى مايحاذى تربته بالمدينة فكان صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة انتهى وفى المولد الشريف لابن طغر بك ويروى أنه لما خلق الله تعالى آدم ألهمه أن قال يارب لم كنيتنى أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم فى سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا ويشهد لهذا ما رواه الحاكم فى صحيحه أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وأن الله تعالى قال لآدم لولا محمد ماخلقتك ولله در القائل

وكان لدى الفردوس فى زمن الصبا * وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد فى عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار فى الضوء والهدى
فقال الهى ما الضياء الذى أرى * جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى * وأفضل من فى الخير راح أواغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا * وألبسته قبل النبيين سوددا

فان قلت ان مذهب الاشاعرة أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف تكون خلقة محمد علة فى خلق آدم صلى الله عليهما وسلم * أجيب بان الظاهر من الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هى غايات ومنافع لافعاله تعالى لا بواعث على اقدامه ولاعلل مقتضية لفاعليته لان ذلك محال فى حقه تعالى لما فيه من استكماله بغيره والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون أى قرنت الخلق بالعبادة أى خلقتهم وفرضت عليهم العبادة فالتعليل لفظى لاحقيقى لان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولاالى غيره لان الله قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة العمل وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى قال قلت يارسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولاقلم ولاجنة ولانار ولاملك ولاسماء ولاأرض ولاشمس ولاقمر ولاجن ولاانس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لااله الاالله محمد رسول الله الحديث وقد اختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدى فقال الحافظ ابويعلى الهمدانى الاصح أن العرش قبل القلم لما ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فهذا صريح ان

التقدير وقع بعد خلق العرش ووقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا أول ماخلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شئ رواه أحمد والترمذي وصححه ورويا أيضا من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش وروى السدي باسانيد متعددة أن الله تعالى لم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة الى ماعدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش انتهى وقيل الاولية في كل بالاضافة الى جنسه أي أول ماخلق الله من الانوار نوري وكذا في باقيها وفي أحكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام وفي الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه الله على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته وأمرهم فطافوا به في السموات ليرى عجائب ملكوته قال جعفر بن محمد مكثت الروح في رأس آدم مائة عام وفي صدره مائة عام وفي ساقيه وقدميه مائة عام ثم علمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله تعالى وأبعده وخزاه وكان السجود لآدم سجود تعظيم وتحية لاسجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وآدم كالقبلة وروى عن جعفر الصادق أنه قال كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وعن أبي الحسن النقاش أول من سجد اسرافيل قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن اليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه ياآدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا نصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وذكر ابن الجوزي في كتابه سلوة الاحزان أنه لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يارب وماذا أعطيها فقال ياآدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل ثم ان الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما ابليس فهو أول من حسد وتكبر فأتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة وأتى الى آدم وحواء فوقف وناح نياحة أحزنتهما فهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفقدان النعيم ألا أدلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح فهو أول من حلف كاذبا وأول من غش فأكلت حواء منها ثم زينت لآدم حتى أكل وظنا أن أحدا لايتجاسر أن يحلف بالله كاذبا فقال الله تعالى ياآدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ظننت أن أحدا لا يحلف بك كاذبا قال الله وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض لاتنال العيش الا كدا فأهبط من الجنة وعن ابن عباس قال الله تعالى ياآدم ماحملك على ماصنعت قال زينته لي حواء قال فاني أعقبها ان لاتحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولا دمينها في الشهر مرتين وقال وهب بن منبه لما أهبط آدم الى الارض مكث يبكي ثلثمائة سنة لا يرقأ له دمع وقال المسعودي لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت

دموع آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة وقال مجاهد بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه الى السماء وأنبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وأنواع الطيب وبكت حواء حتى أنبت الله من دموعها القرنفل والأفاوى يابنى آدم انظروا كيف بكى أبوكم على فعلة واحدة ثلاثمائة سنة فكيف بكم ياارباب الكبائر العظيمة فاعتبروا ياأولى الابصار كان كلما رأى الملائكة تصعد وتهبط ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران ياأصحاب الذنوب احذروا زلة يقول فيها الحبيب هذا فراق بينى و بينك فياذا العقل السليم انظر كيف جلس أبوك آدم على سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهى عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يابنيه عواقب المعاصى فانها من نزلت به نزلت بهوحطته عن مرتبته * فان قلت هذه الفعلة التى أهبط بها آدم من الجنة إن كانت كبيرة فالكبيرة لاتجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ماجرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك * أجاب الزمخشرى بأنها ماكانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التى هى أجل الطاعات واعظم الاعمال وانما جرى عليه ماجرى تعظيما للخطيئة وتفظيعاً لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفاله ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ياهذا انظركم لله من لطف وحكمة فى اهباط آدم من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صعدت زفرات انفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا آدم ان كنت أهبطت من دار القرب فاني قريب أجيب دعوة الداع ان كان حصل لك بالاخراج من الجنة كسر فأنا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى وان كان فاتك فى السماء زجل المسبحين فقد تعوضت فى الارض أنين المذنبين أنين المذنبين أحب الينا من تسبيحهم زجل المسبحين ربمايشوبه الافتخار وانين المذنبين يزينه الانكسار لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفرلهم سبحان من اذا لطف بعبده فى المحن قلبها منحا واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالا لقن الله آدم حجته وألقى عليه ماتقبل به توبته وطرد ابليس اللعين بعدطول خدمته فصار عمله هباء منثورا قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين اذا وضع عدله على عبد لم يبق له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم يبق له سيئه أنظر لما ظهرت فضائل آدم عليه الصلاة والسلام على الخلائق بالعلم وكان العلم لايكمل الا بالعمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة انما هى دار نعيم ومشاهدة قيل له ياآدم اهبط الى أرض الجهاد وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد وكأنك بالعيش الماضى وقد عاد على أكمل من ذلك المعتاد لما اظهر ابليس عليه اللعنة الحسد سعى فى الاذى حتى كان سببا فى اخراج السيد آدم من الجنة ومافهم الابله ان آدم اذا خرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على أكمل من الحال الاول قالوا وفيه اشارة كأنه تعالى يقول لو غفرت فى الجنة لما تبين كرمى بأن أغفر لنفس واحدة بل أخرجه الى الدنيا وآتى بألوف من العصاة حتى أغفر له ولهم ليتبين جودى وكرمى وأيضا علم الله تعالى ان فى صلبه الأولاد والجنة ليست دار توالد وأيضا ليخرج من ظهره فى الدنيا من لانصيب له فى الجنة ياهذا الجنة ان شاء الله اقطاعا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عليه الصلاة والسلام الى نبينا صلى الله عليه وسلم وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار انما يخرج

الاقطاع عمن خرج عن الطاعة نسأل الله التوفيق وقد اختلف فى الجنة التي سكنها آدم فقيل هى جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلاء لان جنة الخلد انما يدخل اليها يوم القيامة ولانها دار جزاء وثواب لادار تكليف وأمر ونهى ودار سلامة لادار ابتلاء وامتحان ودار قرار لادار انتقال واحتج القائلون بأنها جنة الخلد بأن الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة وقد دخلها نبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء وبأن ماذكروه من أن الجنة لايوجد فيها ماوجده آدم من الحزن والنصب فانما هواذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها والله أعلم انتهى وروى انه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يارب هذا محمد من هو فقال الله هذا ولدك الذى لولاه ماخلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى ياآدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسئلك بحق محمد لما غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال لانك يارب لما خلقتني بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذا سألتنى بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال تفرد به عبدالرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبرانى وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك وفى حديث سلمان عن ابن عساكر قال هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا ولله در سيدى على الرفوى حيث قال فى قصيدته التي أولها

سكن الفؤاد فعش هنيأ ياجسد * هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولاعند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد

ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن الى آدم ويسكن اليها فحين صار لديها فاضت بركاته عليها فولدت له فى تلك الاعوام الحسناء أربعين ولدا فى عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده كرامة لمن أطاع الله تعالى بالنبوة سعده ولما توفى آدم كان شيث عليه الصلاة والسلام وصيا على ولده ثم أوصى شيث ولده بوصية آدم أن لايضع هذا النور الافى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى أن أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله سبحانه هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية

كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام فى الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما رواه البيهقى فى سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الا نكاح الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به ههنا أن المرأة تسافح رجلا مدة ثم يتزوجها بعد ذلك وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولاشيأ مما كان فى أمر الجاهلية وعن على بن أبى طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وامى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ رواه الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم وابن عساكر وروى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لاتتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما وعنه فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا رواه البزار وعنه أيضا فى الآية قال مازال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب فى أصلاب الانبياء حتى ولدته أمه رواه أبو نعيم وعن جعفر بن محمد عن أبيه فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح وعن أنس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال أنا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح رواه ابن مردويه وفى الدلائل لابى نعيم عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم وكذا أخرجه الطبرانى فى الاوسط قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وفى البخارى عن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم رواه الترمذى وعن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني فى خير فرقتهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلني فى خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذى هكذا منفردا به وقال حديث حسن أى خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا أى اصلا وفى حديث رواه الطبرانى عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار الامن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم ثم اعلم انه عليه الصلاة والسلام لم يشركه فى ولادته من ابويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية وانت اذا اختبرت حال نسبه الشريف وعلمت طهارة مولده تيقنت أنه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الامى الابطحى الحرمى الهاشمى القرشى نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها فى النسب واشرفها فى الحسب وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها أرومة واعزها جرثومة وأفصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا

واصحها ايمانا واعزها نفرا وأكرمها معشرا من قبل ابيه وامه ومن أكرم بلاد الله على الله وعباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد فى قول ابن اسحاق وهو الصحيح وقيل سمى به لانه ولد وفى رأسه شيبة وقيل اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازى وكنيته ابو الحارث بابن له أكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لأخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمى عبد المطلب وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة فكان يسئل عنه فيقول هو عبدى حياء أن يقول هو ابن أخى فلما ادخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وهو اول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة وأربعين سنة ابن هاشم واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه فى الجدب ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصى بفتح الصاد تصغير قصى اى بعيد لانه بعد عن عشيرته فى بلاد قضاعة حين احتملته امه فاطمة واسمه مجمع قال الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقيل زيد وقال الشافعى كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد ابن كلاب وهو اما منقول من المصدر الذى فى معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما تسموا بسباع وسئل اعرابى لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريدون ان الابناء عدة للاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء واسم كلاب حكيم وقيل عروة ابن مرة بن كعب وهو أول من جمع يوم العروبة وكانت تجتمع اليه قريش فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه والايمان به وينشد فى ذلك أبياتا منها

ياليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

ابن لؤى تصغير اللأى بوزن العصا وهو الثور ابن غالب بن فهر واسمه قريش واليه تنسب قريش فما كان فوقه فكنانى لا قرشى على الصحيح ابن مالك بن النضر واسمه قيس ابن كنانة وقيل هو جماع قريش ابن خزيمة تصغير خزمة ابن مدركة بن الياس بكسر الهمزة فى قول ابن الانبارى وبفتحها فى قول قاسم بن ثابت ضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل قال السهيلى وهذا أصح وهو أول من أهدى البدن الى البيت الحرام ويذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو أول من سن الحداء للابل وكان من أحسن الناس صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر وهو القليل قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا وأطعم وقال ان هذا كله نزر أى قليل لحق هذا المولود فسمى نزارا لذلك ابن معد بن عدنان قال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه انتهى ولله در القائل

ونسبة عز هاشم من أصولها * ومحتدها المرضى أكرم محتد

سمت رتبة علياء أعظم بقدرها * ولم تسم الا بالنبي محمد

ويرحم الله القائل

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا رواه في مسند الفردوس لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد وروى عن عمر انه قال انما ينتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا يدرى ما هو وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وعن عروة بن الزبير ما وجدنا احدا يعرف بعد معد بن عدنان وسئل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره بذلك وكذا روى عنه في رفع نسب الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخابط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة وقد ذكر الحافظ أبو سعيد النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن عمر والانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لايدرى من فعل به ذلك فاخذه أبوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام أن يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه بعدها هندا بنت عمرو وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا أصابها قحط تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله تعالى ويسألونه ان يسقيهم الغيث فكان يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما ولما قدم أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال يامعشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة فاستاق ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يامعشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة أرسل رجلا من قومه ليهزموا الجيش فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروى انه لما حضر عبد المطلب عند ابرهة امر سايس فيله الابيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب برك ك

يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب كذا فى النطق المفهوم ولما دخل جيش ابرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوه فى رأسه ضربا شديدا ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كأمثال العدس لا تصيب احدا منهم الا أهلكته نخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهـة فى جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل السورة الى آخرها * فان قلت لم قال الله تعالى له عليه الصلاة والسلام ألم تر كيف مع أن هذه القصة كانت قبل البعثة بزمان طويل * فالجواب أن المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر وهو اشارة الى أن الخبر به متواتر فكأن العلم الحاصل به ضرورى مساو فى القوة للرؤية وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتأسيساً لنبوته وارهاصاً لها واعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس بحماية الله عز وجل لهم ودفعه عنهم مكر أبرهة الذى لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وكان ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه الصلاة والسلام قال الرازى ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام يعنى قبل بعثته وخالفه العلامة السيد فى شرح المواقف تبعا لغيره فاشترط فى المعجز ان لا يتقدم على الدعوى بل يكون مقارنا لها كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى المقصد الرابع * فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شئ من ذلك * فالجواب أن ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شئ من ذلك والله أعلم ولما فرج الله عن عبد المطلب ورجع ابرهة خائبا فبينما هو يوما نائم فى الحجر اذ رأى مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن فى الناس علما مبينا فتزوج فاطمة وحملت فى ذلك الوقت بعبد الله الذبيح وقصته فى ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة وكان سببها حفر أبيه عبد المطلب زمزم لان الجرهمى عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة فعمد عمرو ابن الحارث الى نفائس فجعلها فى زمزم وبالغ فى طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت عنها الحجب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها فنعته قريش من ذلك ثم آذاه من السفهاء من آذاه فاشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم لله قربانا ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله وقر الله عينه بهم قام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول ياعبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش

وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا واطعمه المساكين ثم نام فنودى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا أقداحهم ودخلوا على هبل اسم صنم عظيم وكان فى جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون القداح عنده فيستقسمون بها أى يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذى لها قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح وقام يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان أحب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبدالله وأخذ الشفرة ثم أقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسائك فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد أن تصنع فقال أوفى بنذرى فقالوا له لا ندعك أن تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه وتكون سنة وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة قلت قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغنى فى كتاب المبهمات وذكر ابن اسحق أن اسمها سجاح فاعلها ان تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل ثم اضربوا أيضا هكذا حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت الابل وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى كما عند الزمخشرى فى الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وعند الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن ابى سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث وتأتى تتمته قريبا ان شاء الله تعالى ويعنى بالذبيحين عبد الله واسماعيل بن ابراهيم وان كان قد ذهب بعض العلماء الى أن الذبيح اسحاق فان صح هذا فالعرب تجعل العم أبا قال الله تعالى اخبارا عن بنى يعقوب عليه السلام أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق فجعل اسماعيل أبا وهو عم وفى حديث معاوية الموعود بتتميمه قريبا قال معاوية ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنى مخزوم وقالوا أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسماعيل الذبيح الثانى قال ابن القيم ومما يدل على أن الذبيح اسماعيل أنه لا ريب أن الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل

السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمرات تذكيرا بشأن اسماعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم أن اسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وأمه ثم قال ولوكان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لابمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لاأحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحاق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وان لايشارك فيها فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى فى العزم وتوطين النفس وقدحصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى وقد انشد بعضهم فقال

ان الذبيح هدية اسماعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل

شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وروى مما ذكره المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا اسلم من علماء اليهود اى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله ياأمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون أباكم للفضل الذى ذكره الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل مافى هذه القصة من السر الجليل وهو أن الله تعالى يرى عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة صبرها جر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد آلت الى ماآلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ اقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضاء بالرضا فضلا منه قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم وقد استشكل بعض الناس أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه اذا بلغوا عشرة وقد كان تزويجه بهالة ام ابنه حمزة بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس ولدا عبد المطلب انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان أولاده عشرة بهما قال السهيلى ولا اشكال فى هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان أعمامه عليه السلام اثنى عشر فان صح هذا فلا اشكال فى الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة لايزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لامجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين أوفى بنذره ويقع أيضا فى بعض السير أن عبد الله كان أصغر بنى أبيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية أصغر بنى أمه والا فحمزة كان أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وروى عن العباس أنه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أونحوها فجىء به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لى قبل أخاك فقبلته فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواه البكائى ولروايته وجه

وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان أحسن رجل رؤى في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وقيل أجابها بقوله

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه

فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

وعند أبي نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له وذكر نحوه ثم خرج به عبد المطلب حتي أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين أيام منى في شعب أبي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ماعرضت فقال لها مالك لاتعرضين علي اليوم ماعرضت بالامس فقالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما أردت أن يكون النور في فأبى الله الا أن يجعله حيث شاء ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجائب ووجد لايجاده غرائب فذكروا أنه لما استقرت نطفته الزكيه ودرته المحمديه في صدفة آمنة القرشيه نودي في الملكوت ومعالم الجبروت أن عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين أهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لانها أفضل قومها حسبا وانجب وأزكاهم أصلا وفرعا وأطيب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما أراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمه آمنة ليلة رجب وكانت ليله جمعة أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس وينادي مناد في السموات والارض ألا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي فيه يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية كعب الاحبار أنه نودي تلك الليله في السماء وصفاحها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليله في بطن آمنة فياطوبى لها ثم ياطوبى وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج وطوبى الطيب والحق والخير و حبره

قاله فى القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعم وفى الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة أجنحتها عليها فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وغيره مما ذكر لاالجنة ولاالشجرة وفى حديث ابن اسحاق أن آمنة كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة وقالت ماشعرت بأنى حملت به ولاوجدت له ثقلا ولاوحما كما تجد النساء الأأنى أنكرت رفع حيضتي وأتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام ثم أمهلنى حتي اذا دنت ولادتى أتانى فقال لى قولى

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا وفى رواية غير ابن اسحق وعلق عليه هذه التميمة قالت فانتبهت وعند رأسى صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه الابيات

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد
وكل خالق رائد * من قائم وقاعد
عن السبيل حائد * على الفساد جاهد
من نافث أو عاقد * وكل خالق مارد
يأخذ بالمراصد * فى طرق الموارد

قال الحافظ عبد الرحيم العراقى هكذا ذكر هذه الابيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها انتهى وعن شداد بن أوس أن رجلا من بنى عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحقيقة أمرك قال بدء شأنى أنى دعوة ابي ابراهيم وبسرى أخي عيسى وأني كنت بكر أبى وامى وأنها حملت بى كأثقل ماتحمل النساء وجعلت تشتكى الى صواحباتها ثقل ماتجد ثم ان أمى رأت فى منامها أن الذى فى بطنها نور الحديث ففيه انأمه عليه السلام وجدت الثقل فى حمله وفى سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان الثقل به كان فى ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل به فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء أن ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا الحديث وهو شديد الضعف وعن غيره لم يبق فى تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت وعن أبى زكريا يحيي بن عائذ بقى صلى الله عليه وسلم فى بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء وكانت تقول والله ما رأيت من حمل هو أخف منه ولااعظم بركة منه * ولما تم لها من حملها شهران توفى عبد الله وقيل توفى وهو فى المهد قاله الدولابى

وعن ابن ابي خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الاول وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب فتخلف عند اخواله بني عدى بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه اخاه الحارث فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة وقيل دفن بالابواء وقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا فى الغماغم
دعته المنايا دعوة فاجابها * وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره اصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنايا وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس انه لما توفى عبد الله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما فقال الله انا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله عنه أبو حيان فى البحر وروى ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابى وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى لملائكته افتحوا أبواب السماء كلها وابواب الجنان وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد أذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مطعون فيه وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابورى فى كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب فى حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول اتانى آت حين مر بى من حملى ستة اشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك قالت ثم لما اخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى احد لا ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما اهالنى ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينا انا أتعجب وانا أقول واغوثاه من أين علمن بى قال فى غير هذه الرواية فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بى الامر وانا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك اذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فاذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه

ونعته وصورته ويعلمون انه سمي فيها الماحي لا يبقى شئ من الشرك الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في أسرع وقت الحديث وهو مما تكلم فيه وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى أيضا أن آمنة قالت لما وضعته عليه السلام رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضا اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في أخلاق النبيين قالت ثم انجلت عني فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه فاذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرذ أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي ورواه أبو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة وروى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في أذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد اعطيته فأنت اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له مابين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن أبي العاصي عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورايت النجوم تدنو حتي ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبدالله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا اضاء له قصور الشام حتي راتها قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن آمنة قالت لقد رايت ليلة وضعه نورا اضاءت له قصور الشام حتي رايتها واخرج ايضاً عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان آمنة قالت رايت كأنه خرج من فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام وعن همام بن يحيي عن اسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام

فولدته نظيفا مابه قذر رواه ابن سعد والى هذا أشار العباس بن عبد المطلب فى شعره حيث قال

وانت لما ولدت أشرقت الـأرض وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذاك الضياء وفى النو * ر وسبل الرشاد نخترق

قال فى اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى مايجيء به من النور الذى اهتـدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهـدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه الآية وأما اضاءة قصور بصرى بالنور الذى خرج معـه فهو اشارة الى ماخص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب أن فى الكتب السالفـة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام انتهى ملكه ولهذا أسرى به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهى أرض المحشر والمنشر وأخرج أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم فى صحيحيهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبى اليها خيرته من عباده انتهى ملخصا وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء قالت لما ولدت آمنة رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمـك الله قالت الشفاء وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم ألبسته وأضجعته فلم أنشب ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحـديث منى على بال حتى ابتعثه الله فكنت فى أول الناس إسلاما * ومن عجائب ولادته عليه السلام ما خرجه البيهقى وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال انى لغلام ابن سبع سنين أو ثمـان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع قالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمـد الذى ولد به فى هذه الليلة وعن عائشة قالت كان يهودى قد سكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى أمه فاخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يامعشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب رواه يعقوب بن سفيان باسناد حسن كما قاله فى فتح البارى * ومن عجائب ولادته أيضا ماروى من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربع عشرة شرافة من شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد كما رواه البيهقى وأبو نعيم والخرائطى فى الهواتف وابن عساكر وفى سقوط الاربع عشرة شرافة اشارة الى انه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وقد ملك منهم فى أربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر وزاد بن سيد الناس وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله عنه ومن ذلك أيضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع ولقد أحسن الشقراطيسى حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت * بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده * وانقض منكسر الارجاء ذاميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت * مد ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت * ثواقب الشهب ترمى الجن بالشعل

وولد صلى الله عليه وسلم معذورا أى مختونا مسرورا أى مقطوع السرة كما روى من حديث أبى هريرة عند ابن عساكر وروى الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتي على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى وصححه الضياء فى المختارة وعن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر وقال الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار انه عليه السلام ولد مختونا انتهى وتعقبه الحافظ الذهبي فقال ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا وأجيب باحتمال أن يكون أراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها فى السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث وقد حكى الحافظ زين الدين العراقى أن الكمال بن العديم ضعف أحاديث كونه ولد مختونا وقال انه لايثبت فى هذا شئ من ذلك وأقره عليه وبه صرح ابن القيم ثم قال ليس هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ ابن حجر أن العرب تزعم أن الغلام اذا ولد فى القمر فسخت قلفته أى اتسعت فيصير كالمختون وفى الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنى أن آدم خلق مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود وصالح صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفى هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار أنه على صفة المقطوع وقد حصل من الاختلاف فى ختانه ثلاثة أقوال أحدها انه ولد مختونا كما تقدم الثانى أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر فى التمهيد الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطى ومغلطاى وقالا ان جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه وكذا أخرجه الطبراني فى الاوسط وأبو نعيم من حديث أبى بكرة قال الذهبي وهذا منكر واعلم أن الختان هو قطع القلفة التي تغطى الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي فى أعلا الفرج من المرأة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والراء وختان المرأة خفاضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة أيضا واختلف العلماء هل هو واجب فذهب أكثرهم الى أنه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وأبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعى وذهب الشافعى الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون من المالكية وذهب بعض أصحاب الشافعى الى أنه واجب فى حق الرجال سنة فى حق النساء واحتج من قال انه سنة بحديث أبى المليح بن أسامة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء رواه احمد فى مسنده والبيهقى واجاب من أوجبه بأنه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى أن

اتبع ملة ابراهيم حنيفا وثبت فى الصحيحين من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وبما روى ابو داود من قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذى أسلم ألق عنك شعر الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بأن بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فيجب ازالتها وقال الفخر الرازى الحكمة فى الختان ان الحشفة قوية الحس فادامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللائق بشرعنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما تفعل المانوية فذلك افراط وابقاء القلفة تفريط فالعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس أنه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك وقال بعض اصحابنا يجب على الولى ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم ﴿ وقد اختلف فى عام ولادته صلى الله عليه وسلم ﴾ فالاكثرون على أنه عام الفيل وبه قال ابن عباس ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلى فى جماعة وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وحكاه الدمياطى فى آخرين وقيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل بخمسة عشر سنة وقيل غير ذلك والمشهور أنه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته والا فأصحاب الفيل كما قاله ابن القيم كانوا نصارى أهل كتاب وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذذاك لانهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذى خرج من مكة وتعظيما للبلد الحرام * واختلف أيضا فى الشهر الذي ولد فيه والمشهور أنه ولد فى شهر ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزى الاتفاق عليه وفيه نظر فقد قيل فى صفر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رجب ولا يصح وقيل فى شهر رمضان وروى عن ابن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان أمه حملت به فى أيام التشريق وأغرب من قال ولد فى عاشوراء وكذا اختلف أيضاً فى أى يوم من الشهر فقيل انه غير معين انما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور على انه يوم معين منه فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلانى وهو اختيار أكثر أهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشان واختاره الحميدى وشيخه ابن حزم وحكى القضاعى فى عيون المعارف اجماع أهل الزيج عليه ورواه الزهرى عن محمد ابن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وأيام العرب أخذ ذلك عن أبيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثنى عشر وعليه عمل أهل مكة فى زيارتهم موضع مولده فى هذا الوقت وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور أنه ولد ثانى عشر شهر ربيع الاول وهو قول ابن اسحاق وغيره وانما كان فى شهر ربيع على الصحيح ولم يكن فى المحرم ولا فى رجب ولا فى رمضان ولا غيرها من الاشهر ذوات الشرف لانه عليه السلام لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن فلو ولد فى شهر من الشهور المذكورة لتوهم أنه تشرف بها

فجعل الله تعالى مولده عليه السلام فى غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه واذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه فما بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين ولم يجعل الله تعالى فى يوم الاثنين يوم مولده عليه السلام من التكاليف بالعبادات ماجعل فى يوم الجمعة المخلوق فيه آدم من الجمعة والخطبة وغير ذلك اكراما لنبيه عليه السلام بالتخفيف عن أمته بسبب عناية وجوده قال تعالى وما أرسلناك الارحمة للعالمين ومن جملة ذلك عدم التكليف واختلف أيضا فى الوقت الذى ولد فيه والمشهور أنه يوم الاثنين فعن أبي قتادة الانصارى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت على فيه النبوة رواه مسلم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا وفى المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين وقد روى انه ولد يوم الاثنين عند طلوع الفجر فعن عبدالله ابن عمرو بن العاصى قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصى من أهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد فيكم يااهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لايولد بمكة مولود الايسأل عنه فلما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصى فناداه فأشرف عليه فقال له عيصى كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد لى الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت أشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل هذا البيت بثلاث خصال تعرف فقد أتى عليهن منها أنه طلع نجمه البارحة وأنه ولد اليوم وأن اسمه محمد رواه أبو جعفر بن أبى شيبة وخرجه أبونعيم فى الدلائل بسند فيه ضعف وقيل كان مولده عليه السلام عند طلوع الغفر وهو ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه وقيل ولد ليلا فعن عائشة قالت كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لانعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه فقالوا أخرجى لنا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودى مغشيا عليه فلما أفاق قالوا مالك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشى والصحيح أن ولادته عليه السلام كانت نهارا قال وأما ماروى من تدلى النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه أن الولادة ليلا قال وهذا لايصلح أن يكون تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا انتهى * فان قلت اذا قلنا بأنه عليه السلام ولد ليلا فأيما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده صلى الله عليه وسلم * أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة أحدها أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله اشرف مما شرف بسبب ماأعطيه ولا نزاع فى ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار

أفضل الثانى ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذى بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل فيا لها ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه كأنها لآلئ فى العقود ويا وجها ما أشرفه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى * ربيع فى ربيع فى ربيع

﴿واختلف أيضا فى مدة الحمل به﴾ فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد عليه السلام فى الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان ﴿وأرضعته صلى الله عليه وسلم﴾ ثويبة عتيقة أبى لهب أعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام وقد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار الا أنه خفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعى هاتين ماء وأشار برأس أصبعه وأن ذلك باعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال ابن الجزرى فاذا كان هذا أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من أمته عليه السلام الذى يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم لعمرى انما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال أهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون فى المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم * ومما جرب من خواصه أنه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا ليكون أشد علة على من فى قلبه مرض وأعيا داء وابعد أطنب ابن الحاج فى المدخل فى الانكار على ما أحدثه الناس من البدع والاهواء والغنى بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فانه حسبنا ونعم الوكيل * وقد ذكروا أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد مثلها قيمة فقالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة قالت الوحوش نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة أن يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب فى سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة * قالت حليمة فيما رواه ابن اسحاق وابن راهويه وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء فقدمت على أتان لى ومعى صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذلك لا نجد فى ثديى ما يغنيه ولا فى شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه

اذا قيل يتيم فوالله مابقى من صواحبي امرأة الاأخذت رضيعا غيري فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معى رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه لينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثدبي الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبي وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم أعلمه الله تعالى أن له شريكا فالهمه العدل قالت فروى وروى أخوه ثم أخذته فما هو الا أن جئت به رحلي فاقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روى فقام صاحبي تعنى زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي ياحليمة والله انى لاراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترى مابتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قال فى رواية ذكرها ابن طغر بك فى النطق المفهوم فلما نظر صاحبي الى هذا قال لى اسكتى واكتمى أمرك فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الاحبار قياما على أقدامها لايهنؤها عيش النهار ولانوم الليل قالت حليمة فودعت النساء بعضهن بعضا وودعت أنا أم النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتانى وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدى قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى ويقلن النساء لى وهن ورائى يابنت أبى ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك أخرى فاقول تالله انها هى فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا بعثنى الله بعد موتى وردلى سمنى بعد هزالى ويحكن يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولايجدها فى ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعى غنم بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح أغنامى شباعا لبنا فلله درها من بركة كثرت بها مواشى حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة

لقد بلغت بالهاشمى حليمة * مقاما علا فى ذروة العز والمجد

وزادت مواشيها وأخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

قال ابن الطراح رأيت فى كتاب الترقيص لابن عبد الله محمد بن المعلى الازدى أن من شعر حليمة ماكانت ترقص به النبى صلى الله عليه وسلم

يارب اذ أعطيته فابقه * واعله الى العلا وارقه

وأدحض أباطيل العدا بحقه

عند غيره وكانت الشماء أخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول

هذا أخ لي لم تلده أمي * وليس من نسل أبي وعمي

فديته من مخول معمي * فانمه اللهم فيما تنمي

* وأخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما وابن طغر بك السياف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث أشرت اليه مال قال اني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به أحمد بن ابراهيم الحبلي وهو مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو في المعجزات حسن ﴿والمناغاة﴾ المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم تكلم في أوائل ماولد وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها أول مافطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث * وقد روى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لاتدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشماء في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع أخته فقالت في هذا الحر قالت أخته ياأمه ماوجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لايشبه الغلمان * قالت حليمة فلما فصلناه قدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ماشأنك فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه ياحليمة لقد خشيت ان يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر به مانتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة الى أمه فقالت مارد كما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ماذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره قالت أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن فدعاه عنكما * وفي حديث شداد بن أوس عن رجل من بني عامر عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني سعد بن بكر فبينا أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان اذ أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحي فعمدوا

أحدهم فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده في جوفي فاخرج قلبي وانا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في فؤادي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا ياحبيب لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة اذا أنا بابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي ياأبت يا أماه ألحقا محمدا فما تلحقاه الاميتا أتاه رجل فاختطفه من أوساطنا وعلابه ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه أنه عليه السلام قال أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء الحديث * فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به أو فعل بغيره من الانبياء عليهم السلام * أجيب بانه ورد في خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست الذي غسلت فيها قلوب الانبياء ذكره الطبري وعزاه العماد ابن كثير في تفسيره لرواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس * فان قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس * فأجيب بانه اشارة الى ختم الرسالة به وهذا مسلم ان كان الختم خاصا به أما اذا ورد انه ليس خاصا به بل لكل نبي وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا ما في الخاتم الشريف من المباحث فتكون الحكمة انه علامة يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي ﴿والمراد بالوزن﴾ في قوله زنه بعشرة الخ الوزن الاعتباري فيكون المراد الرجحان في الفضل وهو كذلك وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقده اذ هو من الامور الاعتقادية وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ومرة اخرى عند الاسراء به وسيأتي كل في موضعه ان شاء الله تعالى وروى الشق ايضا وهو ابن عشر مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل وروى خامسة ولا تثبت والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ عليه السلام على أكمل الاحوال من العصمة وقد روى انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ينم مسكا وانه مثل زر الحجلة ذكره البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه ويروى غضروف كتفه اليسرى وفي كتاب أبي نعيم الايمن وفي مسلم أيضا كبيضة الحمام وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمائل بضعة ناشزة وفي حديث عمرو بن أخطب كشيء يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلائل البيهقي كالتفاحة وفي الروض كأثر المحجمة القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن أبي خيثمة شامة خضراء محتفرة في اللحم وفيه

أيضا شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كأنها عرف الفرس وفى تاريخ القضاعى ثلاث شعرات مجتمعات وفى كتاب الترمذى الحكيم كبيضة حمام مكتوب فى باطنها الله وحده لا شريك له وفى ظاهرها توجه حيث كنت فانك المنصور وفى كتب المولد لابن عائذ كان نورا يتلألأ وفى سيرة ابن أبى عاصم عذرة كعذرة الحمام قال أبو أيوب يعنى قرطمة الحمامة وفى تاريخ نيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن عائشة كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة وكان مما يلى الفقار قالت فلمسته حين توفى فوجدته قد رفع حكى هذا كله الحافظ مغلطاى لكن قال فى فتح البارى ماورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم أو كالشامة السوداء أو الخضراء مكتوب عليها محمد رسول الله أو سر فانك المنصور لم يثبت منها شئ قال ولا يغتر بما وقع فى صحيح ابن حبان فانه غفل حيث صحح ذلك وقال الهيثمى فى موارد الظمآن بعد ان أورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه محمد رسول الله اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى كان يختم به وبخط الحافظ ابن حجر على الهامش البعض المذكور هو اسحق بن ابراهيم قاضى سمرقند وهو ضعيف وقوله ﴿زر الحجلة﴾ بالزاى والراء ﴿والحجلة﴾ بالحاء المهملة والجيم قال النووى هى واحدة الحجال وهى بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى هذا هو الصواب وقال بعضهم المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها وأشار اليه الترمذى وانكره عليه العلماء وقوله ﴿جمع﴾ بضم الجيم واسكان الميم أى كجمع الكف وصورته ان تجمع الاصابع وتضمها وقوله ﴿خيلان﴾ بكسر الخاء المعجمة واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد وقوله ﴿نغض﴾ بالنون والغين والضاد المعجمتين قال النووى النغض والنغض والناغض أعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك وسمى ناغضا لتحركه وقوله ﴿بضعة ناشزة﴾ بالمعجمة والزاى اى قطعة لحم مرتفعة على جسده ﴿وبيضة الحمامة﴾ معروفة انتهى ﴿والثآليل﴾ بالمثلثة جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة فما دونها وفى القاموس ﴿وقرطمة﴾ الحمام بكسر القاف نقطتان على أصل منقاره وقال بعض العلماء اختلف أقوال الرواة فى خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكم عليه كما فى الرواية الاخرى وقال القرطبى الاحاديث الثابتة دالة على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة واذا كبر جمع اليد وقال القاضى عياض وهذه الروايات متقاربة متفرقة متفقة على أنه شاخص فى جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتتأول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة قال وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين كتفيه قال النووى هذا الذى قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين انما كان فى صدره وبطنه انتهى ويشهد له قول انس فى حديث عند مسلم يأتى فى ذكر قلبه الشريف من المقصد الثالث ان شاء الله تعالى فلقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره لكن أجيب بان فى حديث عتبة بن عبد السلمى عند أحمد والطبرانى ان الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت ان خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضى عياض

ذلك على ان الشق لما وقع فى صدره ثم خيط حتى التأم كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الختم وفهم النووى وغيره منه ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق بأثر الختم وحينئذ فليس ما قاله القاضى عياض بباطل انتهى وقال السهيلى والصحيح انه يعني خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر واختلف هل ولد وهو به أو وضع بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه فى حديث ابى ذر عند البزار وغيره قال قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبي وبم علمت انك نبي حتى استيقنت قال أتانى آتيان وفى رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهوهو قال هو هو قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فأخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن ووليا عنى وكأنى أرى الامر معاينة وعند أبى نعيم فى الدلائل انه صلى الله عليه وآله وسلم لما ولد ذكرت أمه ان الملك غمسه فى الماء الذى أنبعه ثلاث غمسات ثم أخرج سرقة من حرير أبيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة تضىء كالزهرة وقيل ولد به والله أعلم واخرج الحاكم فى المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة فى يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به عن سائر الانبياء والله أعلم ولما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم أربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل سبعا وقيل تسعا وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام ماتت أمه بالابواء وقيل بشعب ابى ذئب بالحجون وفى القاموس ودار رائعة بمكة فيها مدفن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهرى وعن عاصم بن عمرو بن قتادة دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى اخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن فنزلت به دار التباعة فأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وآله وسلم يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى ابن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى فقالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به أمه الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت وروى أبو نعيم من طريق الزهرى عن اسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ومحمد عليه السلام غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام * فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث الى الانام * من عند ذى الجلال والاكرام
تبعث فى الحل وفى الحرام * تبعث فى التحقيق والاسلام
دين أبيك البر ابراهاما * فالله أنهاك عن الاصنام
أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كثير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك هذه الابيات

تبكى الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * أم نبى الله ذى السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه

وقد روى أن آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبرانى بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربى فأحيالى أمى فآمنت بى ثم ردها ورواه أبو حفص بن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عائشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال ياحميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا ثم عاد الى وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر أمى فسألت ربى أن يحييها فأحياها فآمنت بى وكذا روى من حديث عائشة أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به أورده السهيلى وكذا الخطيب فى السابق واللاحق وقال السهيلى ان فى اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث موضوع يرده القرآن والاجماع انتهى وقد جزم بعض العلماء أن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا فى النار متمسكا بهذا الحديث وغيره وتعقبه عالم آخر بأنه لم ير أحدا صرح بأن الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل انتهى وقد سبقه لذلك أبو الخطاب بن دحية وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى وتعقبه القرطبي فى التذكرة بأن فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه قال وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد فى الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله تعالى على يده جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فلا يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روى فى الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره الطحاوى وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه لايتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون احياء أبوى النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم فى حديث رد الشمس

كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد أطبقت الأئمة الاشاعرة من أهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين الرازي في كتابه أسرار التنزيل مانصه قيل ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها أن آباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد قال ففيه دلالة على أن جميع آباء محمد كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على أن آباء محمد ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لايكون أحد من أجداده مشركا كذا قال وهو متعقب بأنه لادلالة في قوله وتقلبك في الساجدين على ماادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره وغيره أن معنى الآية وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بأن أبا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره قال تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وأما قوله انه كان عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام أبو حيان في البحر عند تفسير قوله وتقلبك في الساجدين أن الرافضة هم القائلون ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين وبقوله عليه السلام لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الحديث انتهى وروى ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يارسول الله انا رأينا ماصنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رؤي باكيا أكثر من يومئذ وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ماأبكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واني استأذنته في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل الله علي ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني مايأخذ الولد للوالد ورواه الطبراني من حديث ابن عباس وفي مسلم استأذنت ربي أن أستغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة قال القاضي عياض بكاؤه عليه السلام على مافاتها من ادراك أيامه والايمان به وفي مسلم أيضا أن رجلا قال يارسول الله أين أبي قال في النار فلما قفا دعاه قال ان أبي وأباك في النار قال النووي فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت

بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو فى النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل معلوما من دين الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه فى النار وأخبار عقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت وحين ولو لم يكن الا مافطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته وأنه يستحيل فى كل فطرة وعقل أن يكون معه اله آخر وان كان سبحانه لايعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد فى الارض معلومة لأهلها فالمشرك مستحق للعذاب فى النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها كخلود أهل الجنة فى الجنة انتهى وقد تعقب العلامة أبوعبد الله الابي من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووى الماضى وفيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فى النار الى آخره بما معناه تأمل مافى كلامه من التنافى فان من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة لان أهل الفترة هم الامم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا أدركوا الثانى كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى ولالحقوا النبي صلى الله عليه وسلم والفترة بهذا التفسير تشمل مابين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقهاء اذا تكلموا فى الفترة فانهم يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر البخارى عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كحديث رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ورأيت صاحب المحجن فى النار وهو الذى يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به قال انما تعلق بمحجنى أجيب بأجوبة أحدها أنها أخبار آحاد فلا تعارض القطع الثانى قصر التعذيب على هؤلاء والله أعلم بالسبب الثالث قصر التعذيب المذكور فى هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع فان أهل الفترة ثلاثة أقسام الاول من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث القسم الثاني من أهل الفترة وهم من بدل وغير فأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحى أول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى وتبعته العرب فى ذلك وغيره مما يطول ذكره القسم الثالث من أهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى عمره على حين غفلة من هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثانى لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث والله سبحانه وتعالى قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الآية * والقسم الثالث هم أهل الفترة حقيقة وهم غير

معدين وأما أهل القسم الاول كقس وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه مالم يلحق أحد منهم الاسلام الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسيأتى ماقيل فى ورقة فى حديث المبعث ان شاء الله تعالى فهذا ماتيسر من البحث فى مسئلة والديه صلى الله عليه وسلم وقد كان الاولى ترك ذلك وانما جرنا اليه ماوقع من المباحثة فيه بين علماء العصر ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى حيث قال

حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فان العرف جار بأنه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد قال عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات رواه الطبرانى فى الصغير ولا ريب ان أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وستأتى مباحث ذلك ان شاء الله تعالى فى الخصائص من مقصد المعجزات ولقد أطنب بعض العلماء فى الاستدلال لايمانهما فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل قال الحافظ ابن حجر فى بعض كتبه والظن بآله يعنى الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه وقال فى الاحكام ونحن نرجوا أن يدخل عبد المطلب الجنة فى جملة من يدخلها طائعا فينجوا الا أباطالب فانه أدرك البعثة ولم يؤمن * وقد كانت أم أيمن بركة دايته وحاضنته بعد موت أمه وكان عليه السلام يقول لها أنت أمى بعد أمى ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة أيام وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر وله عشر ومائة سنة وقيل مائة وأربعون سنة وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى قحط فقالت قريش يا أبا طالب أقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء حوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه ومافى السماء قزعة فاقبل السحاب من هاهنا وهاهنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادى وأخصب النادى والبادى وفى ذلك يقول أبو طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل

﴿ والثمال ﴾ بكسر المثلثة الملجأ والغياث وقيل المطعم فى الشدة ﴿ وعصمة للارامل ﴾ أى يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال ونساء ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده أرامل وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالا والواحد أرمل وأرملة وهذا البيت من أبيات فى قصيدة لابى طالب

ذكرها ابن اسحاق بطولها وهي أكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام وأولها

لما رأيت القوم لاود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
أعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا فى أمركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم * تكونوا كما كانت أحاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق لبر فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ﴿ونبزى﴾ بضم النون وسكون الموحدة آخره زاى أى نقهر ونغلب عليه قال ابن التين ان فى شعر أبي طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره من شأنه وتعقبه الحافظ أبو الفضل ابن حجر بان ابن اسحاق ذكر أن انشاء أبى طالب لهذا الشعر كان بعد البعثة ومعرفة أبى طالب بنبوته عليه السلام جاءت فى كثير من الاخبار وتمسك بها الشيعة فى أنه كان مسلما قال ورأيت لعلى بن حمزة البصرى جزأ جمع فيه شعر أبى طالب وزعم أنه كان مسلما وأنه مات على الاسلام وأن الحشوية تزعم أنه مات كافرا واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ﴿ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ اثنتى عشرة سنة خرج مع عمه أبى طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك فقال انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الآخر ساجدا ولا يسجد ان الا لنبي وانى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود والحديث رواه ابن أبى شيبة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله ﴿وبحيرا﴾ بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة قال الذهبي فى تجريد الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وآمن به وذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وهذا ينبنى على تعريفهم الصحابى بمن رآه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية وهو محل نظر وسيأتى البحث فيه ان شاء الله تعالى فى المقصد السابع وخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه أن فى هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال ماجاء بكم قالوا ان هذا النبي خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها بأناس فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه ورده

أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي انتهى وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالا فان أبا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا ولا اشترى بلالا قال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم أن بحيرا رآه وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه جعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وتقدم ان أخته الشماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت رواه ابو نعيم وابن عساكر ولله در القائل

ان قال يوما ظللته غمامة * هي في الحقيقة تحت ظل القائل

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وانه كان في ظل غمامة من اعتداله كذا نقله رحمه الله تعالى واخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزل منزلا فيه سدرة فقعد في ظلها وذهب ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحت ظلها بعد عيسى الا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع في قلب ابي بكر الصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه قال الحافظ ابو الفضل بن حجر في الاصابة ان صحت هذه القصة فهي سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى ثم خرج صلى الله عليه وسلم ايضا ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بن اسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطورا الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه أبو نعيم * وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما وقيل كان سنه احدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت هندا وكان لها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن

أسدفخطبها اليه فتزوجها عليه السلام وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به فان كان فى المال قلا فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذاوهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها ﴿والضئضئ﴾ الاصل ﴿وحضنة بيته﴾ أى الكافلين له والقائمين بخدمته ﴿ وسواس حرمه﴾ أى متولى أمره قال ابن اسحق وزوجه اياها خويلد وقدذكر الدولابى وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنى عشر اوقية ذهبا ونشا قالوا وكل أوقية أربعون درهما ﴿ والنش﴾ نصف أوقية ﴿ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة﴾ خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول فأمروا باقوم بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم النجار القبطى مولى سعيد بن العاصى وصانع المنبر الشريف بأن يبنى الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به بالموحدة كعنى أى سقط من قيامه كما فى القاموس ونودى عورتك فكان ذلك أول مانودى فقال له أبو طالب أو العباس يا ابن أخى اجعل ازارك على رأسك فقال ما أصابني ما أصابنى الا من التعرى ﴿ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة﴾ وقيل وأربعين يوما وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى وأربعين من الفيل وقيل فى أول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين أجمعين ويشهد لبعثه يوم الاثنين ما رواه مسلم عن أبى قتادة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل على القرآن وقال ابن القيم فى الهدى النبوى واحتج القائلون بأنه كان فى رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قالوا اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن وقال الآخرون انما نزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر الى بيت العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة وقيل كان ابتداء المبعث فى رجب وروى البخارى فى التفسير من حديث عائشة أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتي جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتي بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطني الثالثة حتي بلغ مني الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتي بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالى واخبرها الخبر ثم قال

قد خشيت على نفسى فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتي أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ماترى فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر مارای فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتني فيها جذعا ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وقد تكلم العلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة قد خشيت على نفسى فذهب الاسماعيلى الى أن هذه الخشية كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضرورى بأن الذى جاءه ملك من عند الله وكان أشق شئ عليه أن يقال عليه مجنون وقيل ان خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ولا غرو أى لاعجب فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر وقوله ما أنا بقارئ أى أنا أمى فلا أقرأ الكتب وقال القاضى عياض وغيره انما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية فبدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة انتهى فان قلت فلم كرر قوله ما انا بقارئ ثلاثا أجاب أبو شامة كما فى فتح البارى بان يحمل قوله أولا ما أنا بقارئ على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفى المحض وثالثا على الاستفهام والحكمة فى الغط ثلاثا شغله عن الالتفات لشئ آخر واظهارا للشدة والجد فى الامر تنبيها على ثقل القول الذى سيلقى عليه وقيل ابعادا لظن التخيل والوسوسة لأنهما ليسا من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه من أمر الله * فان قلت من أين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن * فالجواب من وجهين أحدهما أن الله تعالى أظهر على يد جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها كما أظهر الله تعالى على يد محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفناه بها وثانيهما ان الله تعالى خلق فى محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بأن جبريل من عند الله ملك لا جنى ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق فى جبريل علما ضروريا بأن المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له ربه تعالى لاغير وقول ورقة ياليتنى فيها جذعا الضمير للنبوة أى ليتنى كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ فى نصرتها وحمايتها واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا واخرج البيهقى من طريق العلاء بن جارية الثقفى عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة

وهي تحيه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله الحديث وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ ونظرت عن شمالى فلم ارشيأ ونظرت خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فلم أثبت له فأتيت خديجة فقلت دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر الآية وذلك قبل ان تفرض الصلاة رواه البخارى ومسلم والترمذى ولم يكن جواره صلى الله عليه وسلم لطلب النبوة لانها أجل من ان تنال بالطلب أوالاكتساب وانما هي موهبة من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه السلام فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك وأثبت جنانا وانما رجف غبطة بحاله واقباله على الله عز وجل فخشى ان يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف من ثقل أعباء النبوة وفى رواية البيهقى فى الدلائل أن خديجة قالت لابى بكر ياعتيق اذهب به الى ورقة بن نوفل فاخذه ابو بكر فقص عليه ما رأى فقال صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدى سمعت نداء يا محمد يامحمد فأنطلق هاربا فقال لا تفعل اذا قال فأثبت حتي تسمع ثم ائتني فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث واحتج به من قال باولية نزول الفاتحة والصحيح ان أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن اقرأ كما صح ذلك عن عائشة وروى ذلك عن أبي موسى الاشعرى وعبيد بن عمير قال النووى وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف ﴿ واما ﴾ ما روى عن جابر وغيره ان أول ما نزل يا أيها المدثر فقال النووى ضعيف بل باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي وأما حديث البيهقى انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقى هذا منقطع فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ باسم ربك ويا أيها المدثر وقال النووى بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر انتهى ﴿ وقد روى ﴾ ان جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما رواه الامام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق قال عبد الله هو أول سورة انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قال ﴾ الحافظ عماد الدين بن كثير بعد أن ذكره وهذا الأثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان فى أسناده ضعفا وانقطاعا والله أعلم * وقد أورد ابن أبى جمرة سؤالا وهو انه لم اختص صلى الله عليه وسلم بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع * واجاب بأن هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة أنه منزو مجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر الى البيت عبادة فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى البيت وغيره ليس فيه هذه الثلاث ولله در المرجانى حيث قال فى فضائل حراء وما اختص به

تأمل حراء فى جمال محياه * فكم من أناس من حلا حسنه تاهوا
فماحوى من جالعلياه زائرا * يفرج عنه الهم فى حال مرقاه

به خلوة الهادى الشفيع محمد * وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره * وفيه أتاه الوحى فى حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذى * به الله فى وقت البداءة سواه
وتحت تخوم الارض فى السبع أصله * ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره * لطور تشظى فهو احدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة * كذا قد أتى فى نقل تاريخ مبداه
وفى طيبة أيضا ثلاث فعدها * فعيرا وورقانا وأحدا رويناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا * به ينادى من دعانا أجبناه
وفى أحد الاقوال فى عقبة حرا * أتى ثم قابيل لهابيل غشاه
ومما حوى سراحوته صخوره * من التبر اكسيرا يقام بمعناه
سمعت به تسبيحها غير مرة * وأسمعته جمعا فقالوا سمعناه
به مركز النور الالهى مثبتا * فلله ما أحلى مقاما بأعلاه

وروى أبو نعيم أن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال اقرأ باسم ربك الآيات الحديث وفيه فقال ورقة أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل وكذا روى شق صدره الشريف هنا أيضا الطيالسى والحارث فى مسنديهما والحكمة فيه ليتلقى النبى صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الاحوال من التطهير قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له عليه السلام من الوحى مراتب عديدة احدها الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح الثانية ماكان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتي تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب الحديث رواه ابن ابى الدنيا فى القناعة وصححه الحاكم ﴿والروع﴾ بضم الراء اى نفسى وروح القدس جبريل عليه السلام الثالثة كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه مايقول له فقد كان يأتيه فى صورة دحية الكلبي رواه النسائى بسند صحيح من حديث ابن عمر قال وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه * فان قلت اذا لقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية فأين تكون روحه فان كانت فى الجسد الذى له ستمائة جناح فالذى أتى لاروح جبريل ولاجسده وان كانت فى هذا الذى هو فى صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أم يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية * اجيب كما ذكره العيني بأنه لايبعد ان لايكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا لاينقص من معارفه شئ ويكون انتقال روحه الى الجسد الثانى كانتقال ارواح الشهداء الى أجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى فى بنى آدم فلا تلزم فى غيرهم انتهى الرابعة كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به فى الارض ولقد جاءه الوحى مرة كذلك

وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها قلت وروى الطبرانى عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا انزل عليه اخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سرى عنه وكنت أكتب وهو يملى على فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل الوحى حتى اقول لا امشى على رجلى أبدا ولما نزلت سورة المائدة كدت ان تنكسر عضدنا قة من ثقل السورة ورواه احمد والبيهقى فى الشعب الخامسة ان يرى الملك فى صورته التى خلق عليها له ستمائة جناح فيوحى اليه ماشاء الله ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما فى سورة النجم السادسة مااوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها السابعة كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهى تكليم الله له كفاحا من غير حجاب انتهى، قال شيخ الاسلام الولى ابن العراقى وكأن ابن القيم أخذ ذلك من روض السهيلى لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحى قبل جبريل فقد ثبت فى الطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء ثم وكل به جبريل فجاء بالقرآن وأما قوله أعنى ابن القيم السادسة ماأوحاه الله اليه فوق السموات يعنى ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا واسطة فان أراد ما أوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم لانه اما أن يكون جبريل فى تلك الحالة على صورته الاصلية أوعلى صورة الآدمى وكلاهما قد تقدم ذكره وان أراد وحى الله بلا واسطة وهو الظاهر فهى الصورة التى بعدها وأما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهى تكليم الله له كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه تعالى وهى مسئلة خلاف يأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم رحمه الله تعالى أراد بالمرتبة السادسة وحى جبريل وغاير بينه وبين ماقبله باعتبار محل الايحاء أى كونه فوق السموات بخلاف ماتقدم فانه كان فى الارض ولا يقال يلزم عليه أن تتعدد أقسام الوحى باعتبار البقعة التى جاء فيها جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن لانا نقول الوحى الحاصل فى السماء باعتبار مافى تلك المشاهد من الغيب نوع غير نوع الارض على اختلاف بقاعها انتهى قلت ويزاد ايضا كلامه تعالى له فى المنام كما فى حديث الزهرى أتانى ربى فى أحسن صورة فقال يامحمد أتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث ثم مرتبة أخرى وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الاحكام لانه اتفق على انه عليه السلام اذا اجتهد أصاب قطعا وكان معصوما من الخطا وهذا خرق للعادة فى حقه دون سائر الامة وهو يفارق النفث فى الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة أخرى وهى مجىء جبريل فى صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عندهم ذكره ابن المنير وان كانت داخلة فى المرتبة الثالثة التى ذكرها ابن القيم وذكر الحليمى أن الوحى كان يأتيه على ستة وأربعين نوعا فذكرها أوغالبها كما قال فى فتح البارى من صفات حامل الوحى ومجموعها يدخل فيما ذكر والله أعلم وذكر ابن المنير ان الحال كان يختلف فى الوحى باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمى وخاطبه من غير م. وان نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس انتهى وقد ذكر ابن عادل فى تفسيره أن جبريل

عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ونزل على آدم اثني عشر مرة وعلى ادريس أربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات كذا قال رحمه الله ﴿ وقد روى ﴾ أن جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وأطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلى وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى أتى خديجة فأخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم ان الله أقرها فى السفر كذلك وأتمها فى الحضر وقال مقاتل كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى لقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار قال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شئ من الصلاة أم لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى قال النووى أول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره فى أول سورة المزمل ثم نسخه بما فى آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة وأما ما ذكره فى هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره فيدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء ثم فتر الوحى فترة حتى شق عليه وأحزنه وفترة الوحى عبارة عن تأخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة فترة الوحى ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحاق وفى تاريخ الامام أحمد ويعقوب ابن سفيان عن الشعبي أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقى فقد تبين أن نبوته صلى الله عليه وسلم كانت متقدمة على رسالته كما قاله أبو عمر وغيره كما حكاه أبو أمامة بن النقاش فكان فى نزول سورة اقرأ نبوته وفى نزول سورة المدثر ارساله بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متأخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرأ متضمنة لذكر أطوار الآدمى من الخلق والتعليم والافهام ناسب أن تكون أول سورة أنزلت وهذا هو الترتيب الطبيعى وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه الى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك فى معرض تعريف عباده بما أسداه اليهم من نعمة البيان الفهمى والنطقى والخطى ثم يأمره سبحانه وتعالى بأن يقوم فينذر عباده وكان أول من آمن بالله وصدق صديقة النساء خديجة فقامت بأعباء الصديقية قال لها صلى الله عليه وسلم خشيت على نفسى فقالت أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا وكان أول ذكر آمن بعدها صديق الامة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر فآزره فى الله وعن ابن

عباس أنه أول الناس اسلاما واستشهد له بقول حسان بن ثابت

اذ تذكرت شجوى من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدما صدق الرسلا

رواه أبو عمر وممن وافق ابن عباس وحسانا على أن الصديق أول الناس اسلاما أسماء بنت أبي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر والاخنس وقيل ان على بن أبي طالب أسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون أول من أسلم من الرجال أبو بكر ويكون على أول صبي أسلم لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال

سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا مابلغت أوان حلمي

وكان سن على اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبرى وقال ابن عبد البر وممن ذهب الى أن عليا أول من أسلم من الرجال سلمان وأبو ذر والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدرى وزيد بن الارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم قال واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقا وقيل أول رجل أسلم ورقة ابن نوفل ومن يمنع يدعى أنه أدرك نبوته عليه السلام لارسالته لكن جاء في السير وهو في رواية أبي نعيم المتقدمة أنه قال أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد وان أدرك ذلك لاجاهدن معك فهذا تصريح بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال البلقيني بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال وبه قال العراقي في نكتهعلى ابن الصلاح وذكره ابن منده في الصحابة وحكى العراقى كون على أول من أسلم عن أكثر الصحابة وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعى الثعلبي اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة وأن اختلافهم انما هو في أول من أسلم بعدها قال ابن الصلاح والاورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ومن الصبيان أو الاحداث على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال انتهى والله أعلم وقال الطبرى الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة وأول ذكر أسلم على بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر بن أبي قحافة وأول من أسلم من الموالى زيد قال وهذا متفق عليه لاخلاف فيه وعليه يحمل قول من قال أول من أسلم من الرجال أبو بكر أى الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ماروى عن الحسن أن على بن أبي طالب قال ان أبا بكر سبقني الى أربع لم أوتهن سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه الحديث خرجه صاحب فضائل أبي بكر وخيثمة بمعناه * وأما ماروى من صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وأنه وقع في قلب أبي بكر اليقين وقول ميمون بن مهران والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليمين بصدقه وهو ماوقر في قلبه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر

الى الشام قبل المبعث ثم أسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعاء أبي بكر الصديق فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة أنفس والارقم بن أبي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وامرأته فاطمة ابنة الخطاب وقال ابن سعد أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس وأسماء بنت أبي بكر وعائشة أختها كذا قاله ابن اسحاق وغيره وهو وهم لأن عائشة لم تكن ولدت بعد فكيف أسلمت وكان مولدها سنة أربع من النبوة قاله مغلطاى وغيره ودخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء ثم ان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بما جاء به اى يواجه به المشركين وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة وقال أبو عبيدة بن عبد الله ابن مسعود مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فجهر هو وأصحابه وقال البيضاوى فاصدع بما تؤمر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أو فرق به بين الحق والباطل وأصله الابانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أى بما تؤمر به من الشرائع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي المدة التي أخفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الى أن أمره الله تعالى باظهاره فنادى قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله تعالى ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها وكان ذلك في سنة أربع كما قاله العتقى فأجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب وبني هاشم غير أبي لهب وبني المطلب وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى أبي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوأ فقال أبو طالب حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لامحالة انه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقد كفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المستهزئين كما قال تعالى وأعرض عن المشركين أى لاتلتفت الى مايقولون انا كفيناك المستهزئين يعني بقمعهم واهلاكهم وقد قيل انهم كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وكانوا يبالغون في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أكفيكهم فأومأ الى ساق

الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومأ الى أخمص العاصى فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات وأشار الى أنف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس فى منازلهم يقول ياأيها الناس ان الله يامركم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يقول ياأيها الناس ان هذا يامركم أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش وروموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن أبى معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتي كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا فقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقال ابن عمرو كما فى البخارى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فاخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد ذكر العلماء أن أبابكر رضى الله عنه أفضل من مؤمن آل فرعون لان ذاك اقتصر حيث انتصر على اللسان وأما أبو بكر فأتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقالوا نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه بالتراب فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ولما نزلت تبت يدا أبى لهب وتب جاءت امرأة أبى لهب فقال أبو بكر يارسول الله لو تنحيت عنها فانها امرأة بذية قال سيحال بينى وبينها فقالت ياأبابكر هجانا صاحبك قال والله ماينطق بالشعر ولايقوله فاندفعت راجعة فقال أبو بكر يارسول الله مارأتك قال كان بينى وبينها ملك سترنى بجناحه حتي ذهبت رواه ابن أبى شيبة وأبو نعيم وفى رواية البيهقى فقال صلى الله عليه وسلم قل لها ترين عندى أحدا فانها لن ترانى وفى رواية البخارى أيضا كان صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى مجالسهم اذ قال قائل منهم ألاتنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتي مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهى جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتي ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط

وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة واستدل بهذا الحديث على أن من عرض له فى صلاته مايمنع انعقادها ابتداء لاتبطل صلاته فلو كانت نجاسة فازالها فى الحال ولاأثرلها صحت صلاته اتفاقا واستدل به ايضا على طهارة فرث مايؤكل لحمه وعلى أن ازالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف وأجاب النووى بأنه عليه السلام لم يعلم ماوضع على ظهره فاستمر فى سجوده استصحابا لاصل الطهارة وتعقب بأنه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة فى مثل هذه الصورة وأجيب عنه بان الاعادة انما تجب فى الفريضة فان ثبت أنها فريضة فالوقت موسع فلعله اذا أعادو تعقب بأنه لوأعاد لنقل ولم ينقل وبأن الله لايقره على صلاة فاسدة وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد فى المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازى انه مات بأرض الحبشة وله قصة مع النجاشى اذ تعرض لامرأته فأمر النجاشى ساحرا فنفخ فى احاليل عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وسار مع البهائم الى أن مات فى خلافة عمر وأجيب بأن كلام ابن مسعود أنه رآهم صرعى فى القليب محمول على الاكثر ويدل عليه ان عقبة بن أبى معيط لم يطرح فى القليب وانما قتل صبرا بعد أن رحلوا عن بدر بمرحلة وأمية بن خلف لم يطرح فى القليب كما سيأتى ان شاء الله تعالى وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع أصحاب القليب لعنة يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضى فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة ويحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد أن ألقوا فى القليب ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اعزفتى فى قريش وأشدشكيمة وكان اسلامه فيماقاله العتقى سنة ست فعزبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا وقال حمزة حين أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف

لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف

اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذى اللب الحصيف

رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف

وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف

فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

وعند مغلطاى وسألوه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا قدغلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال لهم عليه السلام مابى ماتقولون ولكن الله بعثنى رسولا وأنزل على كتابا وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم والرئى بفتح الراء وقد تكسر ثم همزة فياء مشددة جنى يرى فيحب او المكسور للمحبوب منها قاله فى القاموس ثم ان النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط ذهبا الى أحبار اليهود فسألاهم عنه صلى الله عليه وسلم فقالوا لهما سلاه عن ثلاثة

فان أخبركما بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقول سلاه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول وعن رجل طواف وعن الروح ماهو فقال لهم عليه السلام أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله تعالى فلبث الوحي أياما ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف، وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سألوه عن الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الآية وفى البخارى من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح قالوا مارابكم اليه وقال بعضهم لايستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيأ فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامى فلما نزل الوحى قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضى فيما يظهر من بادىء الرأى ان هذه آية مدنية وانها انما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل على نزولها بمكة مارواه الامام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيأ نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذى أيضا باسناد رجاله رجال مسلم فيحمل على تعدد النزول كما أشار اليه ابن كثير ويحمل سكوته فى المرة الثانية على توقع مزيد بيان فى ذلك وقد اختلف فى المراد بالروح المسؤل عنه فى هذا الخبر فقيل روح الانسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك وقال القرطبي الراجح أنهم سألوه عن روح الانسان لان اليهود لاتعترف بأن عيسى روح الله ولاتجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح وقال الامام فخر الدين المختار أنهم سألوه عن الروح الذى هو سبب الحياة وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه أن السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيتها وهل هى متحيزة أم لا وهل هى حالة فى متحيز أم لا وهل هى قديمة أو حادثة وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد أوتفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها قال وليس فى السؤال ما يخصص أحد هذه المعانى الا أن الاظهر أنهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة أو حادثة والجواب يدل على أنها شيء موجود مغاير للطبائع والاخلاط وتركيبها فهى جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن فكأنه قال هى موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه ولها تأثير فى افادة الحياة للجسد ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال ويحتمل أن يكون المراد بالامر فى قوله تعالى من أمر ربى الفعل كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد أى فعله فيكون الجواب أنها حادثة ثم قال وقد سكت السلف عن البحث فى هذه الاشياء والتعمق فيها انتهى وقال فى فتح البارى وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم فقيل هى النفس الداخل الخارج وقيل جسم لطيف يحل فى جميع البدن وقيل هى الدم وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمسة أرواح ولكل مؤمن ثلاثة وقال ابن العربى اختلفوا فى الروح والنفس فقيل متغاير ان وهو الحق وقيل هما شيء واحد وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس

وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر قال والحكمة فى ابهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم مالا يدركونه حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبى الحكمة فى ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب أولى وقال بعضهم ليس فى الآية دلالة على أن الله لم يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه الله ولم يأمره أن يطلعهم وقد قالوا فى علم الساعة نحو هذا والله أعلم انتهى ولما كثر المسلمون وظهر الايمان أقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذ امر بأحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وعن أبى ذر كان أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولد ان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد فى مسنده. وعن مجاهد مثله وزاد فى قصة بلال وجعلوا فى عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل فى عنقه فانظر كيف فعل ببلال مافعل من الاكراه على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واحزناه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در ابى محمد الشقر اصيبى حيث قال

لاقى بلال بلاء من امية قد * احله الصبر فيها أكرم النزل
اذ أجهدوه بضنك الامر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطال
ان قد ظهر ولى الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد حوزى عدو الله امية وقد قلبه ببدر لانه قتل يومئذ وكان عبد الرحمن بن عوف قد اسره يومئذ واراد استبقاء. لاخوة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته ياانصار الله راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فهبشوه بأسيافهم حتى قتلوه واخرج البيهقى عن عروة أن ابا بكر اعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم الزبيرة فذهب بصرها وكانت ممن تعذب فى الله فتابى الا الاسلام فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ماهو كذلك فرد الله عليها بصرها والزنيرة بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة كسكينة كما فى القاموس ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة وذلك فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه

وكانوا أحد عشر رجلا وقيل اثني عشر رجلا وأربع نسوة وقيل وخمس نسوة وقيل وامرأتين وأميرهم عثمان بن مظعون أنكر ذلك الزهرى وقال لم يكن فيهم أمير وخرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول الى أنس قال ابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال ان عثمان لاول من هاجر بأهله بعد لوط فلما رأت قريش استقرارهم فى الحبشة وأمنهم ارسلوا عمرو بن العاصى وعبد الله بن أبى ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشى واسمه أصحمة وكان معهما عمارة بن الوليد ليردهم الى قومهم فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام فيما قاله أبو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ﴿ وكان سبب اسلامه ﴾ فيما ذكره أسامة بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر أنه قال بلغنى اسلام اختى فدخلت عليها فقلت ياعدوة نفسها قد بلغنى عنك أنك صبوت ثم ضربتها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقلت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغضب فاذا كتاب فى ناحية البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى قال ثم رجعت اليها فاذا فيها سبح لله مافى السموات والارض حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله فقلت أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا منى فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى أسفل الصفا فدخلت وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فارسلونى فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابى فجذبنى اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه فقلت أشهد أن لااله الا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا أسلم استخفى ثم خرجت فذهبت الى رجل لم يكن يكتم السر فقلت له انى صبوت قال فرفع صوته بأعلاه ألاان ابن الخطاب قد صبأ فما زال الناس يضربونى وأضربهم فقال خالى ماهذا قالوا ابن الخطاب. فقام على الحجر وأشار بكمه فقال ألا انى قد أجرت ابن اختى قال فانكشف الناس عنى قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام قال ابن عباس لما أسلم عمر قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يامحمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر رواه ابن ماجه ولما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فاجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يتبايعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة

فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنوهاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا وقال ابن سعد سنتين حتى جهدوا وكان لايصل اليهم شيء الاسرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان فى أمنيته أى فى تلاوته تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير وفشا ذلك فى الناس وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا ان أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد أمن المسلمون بمكة فأقبلوا سراعا من الحبشة ﴿والغرانيق﴾ فى الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمى به لبياضه وقيل هو الكركى والغرنوق أيضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلوا فى السماء وترتفع ولما تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا الى أشد ما كانوا عليه وقد تكلم القاضى عياض رحمه الله فى الشفاء على هذه القصة وتوهين أصلها بما يشفى ويكفى لكن تعقب فى بعضه كما سيأتى ان شاء الله تعالى وقال الامام فخر الدين الرازى مما لخصته من تفسيره هذه القصة باطلة موضوعة لايجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال الله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم فى أن رواه هذه القصة مطعونون وأيضا فقد روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد معه المشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة أن اعظم سعيه كان فى نفى الاوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه لافرق فى الفعل بين النقصان فى الوحى وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من وضع الزنادقة لاأصل لها انتهى وليس كذلك بل لها أصل فقد خرجها ابن أبى حاتم والطبرى وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير وكذا ابن مردويه والبزار وابن اسحق فى السير وموسى بن عقبة فى المغازى وأبو معشر فى السيرة كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما سيأتى وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الاسلام والحافظ أبو الفضل العسقلانى فقال أخرج ابن أبي حاتم والطبرى وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى

الشيطان فى أمنيته الآية واخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال فى اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق الحديث وقال البزار لايروى متصلا الا بهذا الاسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور قال وانما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انتهى والكلبي متروك لايعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدى وذكرها ابن اسحاق فى السيرة مطولا وأسندها عن محمد بن كعب وكذلك عن موسى بن عقبة فى المغازى عن ابن شهاب الزهرى وكذا أبو معشر فى السيرة له عن محمد بن كعب القرظى ومحمد ابن قيس وأورده من طريقه الطبرى وأورده ابن أبى حاتم من طريق أسباط عن السدى ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب عن يحيى بن كثير عن الكلبى عن أبى صالح وعن أبى بكر الهذلى وأيوب عن عكرمة وعن سليمان التيمى عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس وأوردها الطبرى أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس ومعناهم كلهم فى ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد بن جبير اما ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ماأخرجه الطبرى من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثنى أبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه والثانى ماأخرجه أيضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة كلاهما عن داود بن أبى هند عن ابى العالية قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العربى كعادته فقال ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة لاأصل لها وهو اطلاق مردود عليه وكذا قول القاضى عياض هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولارواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولارفعها الى صاحب وأكثر الطرق عنهم فى ذلك ضعيفة واهية قال وقد بين البزار أنه لايعرف من طريق يجوز ذكره الا طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذى وقع فى وصله وأما الكلبى فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لووقع لارتد كثير ممن أسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لايتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها أصلا وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لايحتج به لاعتضاد بعضها ببعض واذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لايجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد فى القرآن عمدا ماليس فيه وكذا سهوا اذا كان مغاير الماجاء به من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء فى ذلك مسالك فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لايشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبرى عن قتادة ورده القاضى عياض بانه لايصح لكونه لايجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه فى النوم وقيل ان الشيطان ألجأه الى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربى بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لى عليكم من سلطان الآية قال فلوكان للشيطان قوة على ذلك

لما بقي لاحد قوة على طاعة وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك فعلق بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى ذلك على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فاجاد وقيل لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولاسيما وقد كان الكلام فى ذلك الوقت جائزا في الصلاة والى هذا نحا الباقلانى وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشى المشركون أن يأتى بعدها بشئ يذم آلهتهم به فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه فى تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وسب ذلك الى الشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك أوالمراد بالشيطان شيطان الانس وقيل المرادبالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا انه عظم آلهتنا ورضوا بذلك فنسخ الله تينك الكلمتين وأحكم آياته وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله وأشاعها قال وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال معنى قوله فى أمنيته أى فى تلاوته فأخبر الله تعالى فى هذه الآية أن سنة الله فى رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص فى أن الشيطان زاد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لأن النبى صلى الله عليه وسلم قاله وقد سبق الى ذلك الطبرى مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده فى النظر فصوب هذا المعنى انتهى ﴿ ثم هاجر المسلمون الثانية الى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا ﴾ ان كان عمار بن ياسر فيهم وثمان عشرة امرأة وكان معهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصر هناك ثم توفى على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهى بالحبشة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى المقصد الثانى عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع فى جوار سيد القارة مالك بن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وبضم الدال والغين وتشديد النون يعبد ربه فى داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ويعجبون منه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة انا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا ان يعلن فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك فقال أبو بكر لابن الدغنة فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله الحديث رواه البخارى * ثم قام رجال فى نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أن الارضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت لتنزق وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم وذلك فى السنة العاشرة ﴿ ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية أشهر واحد عشر يوما ﴾ مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة وقيل مات فى النصف من شوال من السنة العاشرة

وقال ابن الجزار قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته ياعم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخى لولا مخافة قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها الا لاسرك بها فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته بها فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمعه كذا فى رواية ابن اسحق انه اسلم عند الموت ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق يونس بن بكير عن أبى اسحق حدثنا العباس عن عبدالله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس فذكره وقال البيهقى انه منقطع وأجيب عنه بان شهادة العباس لابى طالب لو اداها بعد ما أسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله صلى الله عليه وسلم لم أسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه لم أسمع أخذ بقول من اثبت السماع ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الحديث قد أثبت لابى طالب الوفاة على الكفر والشرك كما روينا فى صحيح البخارى فى حديث سعيد بن المسيب حتى قال أبو طالب آخر ماكلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل الله فى أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وأجيب أيضا بأن أبا طالب لو قال كلمة التوحيد مانهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار له وفى الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفى رواية الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه وفى رواية يونس عن ابن اسحق زيادة فقال يغلى منه دماغه حتى يسيل على قدميه قال السهيلى من باب النظر فى حكمة الله ومشاكلة الجزاء للعمل ان أبا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان متثبتا بقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه ثبتنا الله على الصراط المستقيم وفى شرح التنقيح للقرافى فى الكفار أربعة أقسام فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكى عن أبى طالب انه كان يقول انى لاعلم أنما يقوله ابن أخى لحق ولولا انى أخاف ان تعيرنى نساء قريش لاتبعته وفى شعره يقول

لقد علموا ان ابننا لا مكذب * يقينا ولا يعزى لقول الا باطل

قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن انتهى وحكى عن هشام بن السائب الكلبى أو أبيه أنه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال وانى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى

أنظر الى صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره نخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الارشد ولا يأخذ أحد بهديه الاسعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك ﴿ ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح﴾ ماتت خديجة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن فيما ذكره صاعد وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة ثم خرج عليه السلام الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا أزلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشي رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتي لقد شج في رأسه شجاجا وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذعرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقدبعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك لتأمرني بامرك ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين قال صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيأ ﴿ وعبد ياليل﴾ بالتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف ﴿ وقرن الثعالب﴾ هو ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل وأفاد ابن سعد أن مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بالطائف كانت عشرة أيام ولما انصرف صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف مر على طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما رأيا مالقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك قال ذاك أخي وهو نبي مثلي فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم ﴿ ولما نزل نخلة ﴾ وهو موضع على ليلة من مكة

صرف الله اليه سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان صلى الله عليه وسلم قد قام فى جوف الليل يصلى فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن وفى الصحيح أن الذى آذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وأنهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدكم أو فر ما كان لحما وكل بعر علف لدوابكم وفى هذا رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب وذكر صاحب الروض من أسماء السبعة الذين أتوه صلى الله عليه وسلم عن ابن دريد منشى وناشى وشاصر وماضر والاحقب لم يزد تسمية على هؤلاء قال الحافظ ابن كثير * وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه السلام الى أهل الطائف ودعاءه اياهم وانه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم فى ابتداء الايحاء ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من أمر قد حدث فبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض رواه النسائى وصححه الترمذى قال وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان بعد موت عمه وروى ابن ابى شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج انتهى وفى طريقه عليه السلام هذه دعا بالدعاء المشهور اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهو انى على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أم الى صديق قريب ملكته أمرى ان لم تكن غضبانا على فلا أبالى ان عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له السموات وأشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك أو يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك أورده ابن اسحق ورواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال لما توفى أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره وقوله يتجهمنى بتقديم الجيم على الهاء أى يلقانى بالغلظة والوجه الكريه ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة فى جوار المطعم بن عدى ولما كان فى شهر ربيع الاول أسرى بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات ورأى ربه بعينى رأسه وأوحى الله اليه ما أوحى وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف فى ليلته الى مكة فاخبر بذلك وصدقه الصديق وكل من آمن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر اليه ويصفه

قال الزهرى وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين حكاه عنه القاضى عياض ورجحه القرطبى والنووى واحتج بانه لاخلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث أو بخمس ولا خلاف ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء وتعقب بأن موت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح فى رمضان وذلك قبل أن تفرض الصلاة ويؤيده اطلاق حديث عائشة ان خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلوات الخمس ويلزم منه ان يكون موتها قبل الاسراء وهو المعتمد واما التردد فى سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بانها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم وادعى فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدى وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقى فعلى هذا كان فى شوال وقيل كان فى رجب حكاه ابن عبد البر وقبله ابن قتيبة وبه جزم النووى فى الروضة وقيل كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر فعلى هذا يكون فى ذى الحجة وبه جزم ابن فارس وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير وقال الحربى انه كان فى سابع عشرى ربيع الآخر وكذا قال النووى فى فتاويه لكن قال فى شرح مسلم فى ربيع الاول وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى وأما اليوم الذى يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابن دحية يكون ان شاء الله يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه أطوار الانتقالات وجود او نبوة ومعراجا وهجرة ووفاة وسيأتى ان شاء الله تعالى فى قصة الاسراء والمعراج وما فيهما من المباحث والله الموفق والمعين ﴿ ولما أراد الله تعالى ﴾ اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه الانصار الاوس والخزرج فعرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب كما يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وكان الاوس والخزرج أكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت فقال بعضهم لبعض لا تسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله بن رياب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رياب فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا يارسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من أيامنا اقتتلنا به فان تقدم ونحن كذلك لايكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وفى الاكليل أحد عشر وهى العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين وهم أبو أمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رياب لم يحضرها والسبعة تتمة الاثنى عشر هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور وذكوان بن عبد القيس الزرقى وقيل انه رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجرى أنصارى قتل يوم أحد وعبادة بن الصامت بن قيس وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوى والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء من الخزرج ومن الاوس رجلان أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الاشهل وعويم بن ساعدة فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء أى وفق بيعتهم التى نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهى أن لانشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصى فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وأن لاننازع الامر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لانخاف فى الله لومة لائم قال صلى الله عليه وسلم فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك شيأ كان أمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يفرض يومئذ القتال ثم انصرفوا الى المدينة فأظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبى صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب ابن عمير وروى الدارقطنى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير أن يجمع بهم الحديث وكانوا أربعين رجلا فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار وأسلم فى جماعتهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير وأسلم باسلامهما جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق منهم أحد الا أسلم حاش الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فانه تأخر باسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضى الله عنهم * ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة فى العام المقبل فى ذى الحجة اوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلا وقال ابن سعد يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان وقال ابن اسحاق ثلاث وسبعون وامرأتان وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا فكان أول من ضرب على يده الشريفة عليه الصلاة والسلام البراء ابن معرور ويقال أبو الهيثم ويقال أسعد بن زراره على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وكانت أول آية نزلت فى الاذن بالقتال أذن للذين يقاتلون الآية وفى الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين الآية ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا وفى حديث جابر عند أحمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها يقول من يؤوينى من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعثنا الله اليه من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة الحديث وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ومؤكدا على أهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه قال ابن اسحاق ﴿ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج فكان أول من هاجر من مكة الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة فآذاه أهلها وبلغه اسلام من أسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم المسلمون أرسالا ثم عمر بن الخطاب وأخوه زيد وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا فى العوالى ثم خرج عثمان بن عفان حتي لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا على بن أبي طالب وأبو بكر كذا قاله ابن اسحاق قال مغلطاى وفيه نظر لما يأتي بعده وكان الصديق كثيرا مايستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول لاتعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة دار قصى بن كلاب وكانت قريش لاتقضى أمرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم تمثل الشيطان فى صورة نجدى الجواب لانهم قالوا كما ذكره بعض أهل السير لايدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل فى صورة نجدى انتهى ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاتبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فأمر صلى الله عليه وسلم عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر فكان أول من شرى نفسه وفى ذلك يقول

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لايبصرون ثم انصرف عليه السلام حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ماتنتظرون هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ماترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون مابكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفى رواية أبى حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفى هذه نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا أخرجه الترمذى وصححه الحاكم فان قلت ماالحكمة فى هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة واقامته بها الى أن انتقل الى ربه عزوجل أجيب بأن حكمة الله تعالى قد اقتضت أنه عليه السلام تتشرف به الاشياء لأنه يتشرف بها فلو بقى عليه السلام فى مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ أن شرفها قد سبق بالخليل واسماعيل فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام فأمره بالهجرة

الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتي وقع الاجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذى ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه ﴿ وذكر الحاكم ﴾ أن خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها وجزم ابن سحاق بأنه خرج أول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموى فى المغازى عن ابن اسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول قال فى فتح البارى وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا أن محمد بن موسى الخوارزمى قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج أثناء ليلة الاثنين وكانت مدة مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة ويدل عليه قول صرمة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا موافيا

وقيل غير ذلك وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر وأخبر عليه السلام عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله ماجاء به فى هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبى أنت وأمى يارسول الله قال السهيلى وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن * فان قلت لم لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل * أجيب بأنه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة الى الله وأن يكون على أتم الاحوال انتهى قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور جبل بأسفل مكة وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت وهذا من أصح مايحتج به فى تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه عليه السلام الا على وآل أبي بكر وروى أنهما خرجا من خوخة لابى بكر فى ظهر بيته ليلا الى الغار ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره فى كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع

لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الشيخ شرف الدين الابو صيرى حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصداء أى كثيرة الورق فكأنه استعاره للحمامة لكثرة ريشها وروى فى حديث الهجرة أنه عليه السلام ناداه ثبير اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فأعذب فناداه حراء الى يارسول الله وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهى شجرة معروفة وهى أم غيلان وعن أبى حنيفة تكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر أبيض تحتشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وفى مسند البزار أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وقد روى أن الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت العنكبوت فسدت باب الطالب وحاكت وجه المكان فحالت ثوب نسجها فحاكت سترا حتى عمى على القائف الطالب ولله در القائل

والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخل خلال النسج من خلل

ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا نشير اليه قول صاحب البردة

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عم
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

أى عموا عما فى الغار مع خلق الله ذلك فيهم لانهم ظنوا أن الحمام لا يحوم حوله صلى الله عليه وسلم وأن العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما أحسا بالانسان فرا منه وما علموا أن الله تعالى يسخر ماشاء من خلقه لمن شاء من عباده وأن وقاية عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهى الحصون فلله در الأبوصيرى شاعرا وما أحسن قوله فى قصيدته اللامية حيث قال

واغبرتا حين أضحى الغار وهو به * كمثل قلبي معمور ومأهول

أنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل

وجلل الغار نسج العنكبوت على * وهن فياحبذا نسج وتجليل

عناية ضل كيد المشركين بها * وما مكائدهم الا الاضاليل

اذ ينظرون وهم لايبصرونهما * كأن أبصارهم من زيغها حول

وفى الصحيح عن أنس قال أبو بكر يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما وروى أن أبا بكر قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفا والجفوة وروى أيضا أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وأنه رأى جحرا فيه فألقمه عقبه لئلا يخرج منه مايؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعى تضربنه وتلسعنه فجعلت دموعه تتحدر وفى رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر فنام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ياأبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده رواه ابن رزين وروى أيضا ان أبابكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فأنزل الله سكينته وهى أمنة تسكن عندها القلوب على أبى بكر لانه كان منزعجا وأيده يعنى النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة ليحرسوه فى الغار أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته انظر لما رأى الرسول حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لاتحزن ان الله معنا وكانت تحفة ثانى اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثانى فى الاسلام والثانى فى بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بما له ونفسه جوزى بمواراته معه فى رمسه وقام مؤذن التشريف ينادى على منائر الامصار ثانى اثنين اذهما فى الغار ولقد أحسن حسان حيث قال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدى منه الى الصديق ولم يقل معي لانه أمد أبا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على أبي بكر والا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود وأين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم قاله العارف شمس الدين بن اللبان وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكذا نسجت على الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلي بعرنة فقتله ثم حمل رأسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيأ فانصرفوا راجعين وفي تاريخ ابن عساكر أن العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما صلب عريانا في سنة احدى وعشرين ومائة وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما والاول هو المشهور وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف أي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم فلا يسمع أمرا يكاد ان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذبهم على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي ان أحلبها فقالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فقل مالبثت حتى جاء زوجها أبو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقال العسكري أكثم بن أبي الجون ويقال ابن الجون يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالا مخهن قليل فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال ما هذا ياأم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه ياأم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل احور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي

لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء وكان منطقه خرزات نظمن يتحدرن حلو المنطق فصل لانزر ولا هذر أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ربعة لاتشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لاعابس ولا مفند فقال هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته قالت أسماء بنت أبى بكر ولما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك فقلت والله لاأدرى فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى قالت ثم انصرفوا ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فأفلح من امسى رفيق محمد
فيالقصى مازوى الله عنكم * به من فعال لاتجازى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم وقوله ﴿مرملين﴾ أى نفدت أزوادهم ﴿ومسنتين﴾ أى مجدبين ويروى مشتين دخلوا فى الشتاء ﴿وكسر﴾ الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون السين جانبها ﴿وتفاجت﴾ بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ﴿ويربض الرهط﴾ بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من أربض فى المكان يربض اذا لصق به واقام واثجج السيلان وفى رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة واحده ثمالة والبهاء أى بهاء اللبن وهو وبيص رغوته ﴿وتساوك هزالا﴾ أى تمايل ويروى تشارك من المشاركة أى تساوين فى الهزال ﴿وغادره﴾ بالغين المعجمة ابقاه والشاء عازب أى بعيدة المرعى ﴿ولا بلج﴾ بالجيم مشرق الوجه المضيئه ﴿والحيال﴾ بكسر الحا المهملة جمع حائل وهى التى ليس بها حمل ﴿والوضاءة﴾ الحسن ﴿والثجلة﴾ بفتح الثاء المثلثة وسكون الجيم عظم البطن ويروى بالنون والحاء اى نحول ودقة ﴿والصعلة﴾ بفتح الصاد صغر الراس وهى ايضا الدقة والنحول فى البدن ﴿والوسيم﴾ الحسن وكذلك القسيم ﴿وفى عينيه دعج﴾ أى سواد ﴿والوطف﴾ قال فى القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين والعين ﴿وفى صوته صحل﴾ بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة أن لايكون حاد الصوت ﴿وأحور﴾ قال فى القاموس الحور بالتحريك أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها والكحل بفتحتين سواد فى أجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل . ﴿والازج﴾ الدقيق طرف الحاجبين وفى القاموس والزجج محركة دقة الحاجبين فى طول ﴿والاقرن﴾

المقـرون الحاجبين وفى عنقه ﴿ سطع ﴾ بفتحتين أى ارتفاع وطول وفى لحيته ﴿ كثاثة ﴾ الكثاثة فى اللحيـة أن تكون غـير دقيقـة ولاطويلة وفيها كثاثة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم واذا تكلم سماه وعلاه ﴿ البهاء ﴾ أى ارتفع وعلا على جلسائه ﴿ وفصل ﴾ بالصاد المهملة ولا ﴿ نزر ﴾ بسكون المعجمة ولا هذر بفتحها أى بين ظاهر يفصل بين الحق والبـاطل ولاتشنؤه من طول كذا جاء فى رواية أى لايبغض لفرط طوله ويروى ولا يشنى من طول أبدل الهمزة ياء يقال شنئته أشنؤه شـنأ وشنآنا قاله ابن الاثير ولا ﴿ تقتحمه عين من قصر ﴾ أى لاتتجاوزه الى غـيره احتقارا وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته ﴿ ومحفود ﴾ أى مخدوم ﴿ والمحشود ﴾ الذى عنده حشد وهم الجماعة ﴿ ولا عابس ﴾ من عبوس الوجـه ﴿ والمفنـد ﴾ الذى يكثر اللوم وهو التفنيد ﴿ والضرة ﴾ لحمة الضرع ﴿ وغادرها ﴾ أى خلف الشاة عنـدها مرتهنـة بأن تدر انتهى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدى حدثنى حزام بن هشام عن أبيـه عن أم معبـد قالت بقيت الشاة التى لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمـر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الارض قليل ولا كثير ثم تعرض لهما بتهديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى فبكى أبو بكر وقال يارسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الامان فقال أعلم ان قد دعوتما على فادعو الى ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما قال فوقفالى فركبت فرسى حتى جئتهـما قال ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما أخبارما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى واجتاز صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شأنه مارويناه من طريق البيهقى بسنده عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صـلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ماعندى شاة تحلب غير أن هاهنا عناقا حملت عام أول فما بقى بها لبن فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فو الله مارأيت مثلك فقال أوتراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فانى محمد رسـول الله فقال أنت الذى تزعم قريش انك صابئ قال انهـم ليقولون ذلك قال فأشـهد أنك نبى وأنما جئت به حق وأنه لا يفـعل مافعلت الانبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك أنى قد ظهرت فائتنا قال الحافظ مغلطاى بعـد ذكره لقصة أم معبـد وفى الاكليل قصة أخرى شبيهة بقصة أم معبد قال الحاكم فلا أدرى أهى هى أم غـيرها ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغـدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ماأطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صـلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى باعلى صوته يابنى قيلة هـذا جـدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف الحديث رواه البخارى وفيه أن أبا بكر قام للناس وجلس

رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وظاهر هذا أنه عليه الصلاة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثه كما هو صريح فى موضعه قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الاول أى أول يوم منه وفى رواية جرير بن حازم عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه عند أبى معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وفى شرف المصطفى من طريق أبى بكر ابن حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول وهذا يجمع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال وقيل كان حين اشتد الضحاء يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة منه وبه جزم النووى فى كتاب السير من الروضة وقال ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه وقيل لليلتين منه وعند البيهقى لثنتين وعشرين ليلة وقال ابن حزم خرجا من مكة وقد بقى من صفر ثلاث ليال وأقام على بمكة بعد مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع وكانت مدة مقامه مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أو ليلتين وأمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر أول من أرخ وجعله من المحرم وأقام صلى الله عليه وسلم بقباء فى بنى عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة وفى صحيح مسلم أقام فيهم أربع عشرة ليلة ويقال انه أقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس. وأسس مسجد قباء الذى أسس على التقوى على الصحيح وهو أول مسجد بنى فى الاسلام وأول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرا وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذى بناه ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونونين ممدودا كعاشوراء وتاسوعاء واسم المسجد الغبيب بضم الغين المعجمة تصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة والوادى ذى صاب ولذا اسمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبنى بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك الى مسجد قباء وركب صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد الجمعة متوجها الى المدينة وروى أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم أقبل الى المدينة وهو مردف أبا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبى صلى الله عليه وسلم شاب لايعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول ياأبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهدينى السبيل قال فيحسب الحاسب أنه انما يعنى الطريق وانما يعنى سبيل الخير الحديث رواه البخارى وقد روى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الـه عني الناس فكان اذا سئل من أنت قال باغى حاجة فاذا قيل من هذا معك قال هذا يهدينى السبيل وفى حديث الطبرانى من رواية أسماء فكان أبو بكر رجلا معروفا فى الناس فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهدينى يريد الهداية فى الدين ويحسبه

الآخر دليلا وانما كان أبو بكر معروفا لاهل المدينة لانه كان يمر عليهم فى سفره للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم لم يشب وكان صلى الله عليه وسلم أسن من أبى بكر وفى حديث أنس لم يكن فى الذين هاجروا اشمط غير أبى بكر وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وقد أرخى زمامها ومايحركها وهى تنظر يمينا وشمالا حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء وقال أسعد بن زرارة وهو المرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبى أيوب الانصارى ثم ثارت منه وبركت فى مبركها الاول والقت جرانها بالارض يعنى باطن عنقها أو مقدمه من المذبح وارزمت يعنى صوتت من غير أن تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هـذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله فى بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلهـا وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام وفى حديث أبى أيوب الانصارى عند أبى يوسف يعقوب فى كتاب الذكر والدعاء له قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو فلما خلوت الى أم أيوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليـه الملائكة وينزل عليه الوحى فما بت تلك الليلة لاأنا ولا أم أيوب فلما أصبحت قلت يارسول الله مابت الليلة أنا ولا ام أيوب قال لم ياأبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى لا والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا الحديث ورواه الحاكم أيضا وقد ذكر أن هذا البيت الذى لابى أيوب بناه له عليـه السلام تبع الاول لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم وكتب كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبى صلى الله عليـه وسلم فتداول الدار الملاك الى أن صارت لابى أيوب وهو من ولد ذلك العالم قال وأهل المدينة الذين نصروه صلى الله عليه وآله وسلم من ولد أولئـك العلماء فعلى هذا انما نزل فى منزل نفسه لافى منزل غيره كذا حكاه فى تحقيق النصرة وفرح أهل المدينة بقدومه صـلى الله عليه وسلم وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب قال أنس بن مالك لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أضاء منهـا كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن

طلع البـدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * مادعا لله داع

قلت انشاد هذا الشعر عنـد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينـة رواه البيهقى فى الدلائل وأبو الحسن بن المقرى فى كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكر الطبرى فى الرياض عن أبى الفضـل بن الجحى قال سمعت ابن عائشة يقول أراه عن أبيه فذكره وقال خرجه الحلوانى على شرط الشيخين انتهى وسميت ثنية الوداع لانه صلى الله عليه وسلم ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة فى بعض أسفاره وقيل لانه عليه السـلام شيع اليها بعض سراياه فودعه عندها وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع

عندها قديما وصحح القاضى عياض هذا الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين مقدمه صلى الله عليه وسلم * طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * فدل على انه اسم قديم وقال ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقى انتهى قال شيخ الاسلام الولى بن العراقى وهذا كله مردود ففى صحيح البخارى وسنن أبى داود والترمذى عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح فى أنها من جهة الشام ولهذا لما نقل والدى رحمه الله فى شرح الترمذى كلام ابن بطال قال انه وهم قال وكلام ابن عائشة معضل لاتقوم به حجة انتهى وسبقه الى ذلك ابن القيم فى الهدى النبوى فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هى من ناحية الشام لايراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك انتهى لكن قال ابن العراقى أيضا ويحتمل أن تكون الثنية التى من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى وفى شرف المصطفى وأخرجه البيهقى عن أنس لما بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوار من بنى النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحببننى قلن نعم يارسول الله وفى رواية الطبرانى فى الصغير فقال صلى الله عليه وسلم الله يعلم أن قلبى يحبكم وقال الطبرى وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ووعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما اخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعنى عائشة وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله فكان بطحان يجرى نجلا تعنى ماء آجنا وقال عمر اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك رواه البخارى وقوله يرفع عقيرته أى صوته لان العقيرة الساق كأن الذى قطعت رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك حكاه الجوهرى ﴿وشامة وطفيل﴾ عينان بقرب مكة والمراد بالوادى وادى مكة ﴿وجليل﴾ نبت ضعيف وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب سبعة أشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابى شهرا وكان يصلى حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم قالوا لانطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر رضى الله عنه وكان قد خرج من مكة بماله كله قال أنس وكان فى موضع المسجد نخل

وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار بن ياسر ينقل لبنتين لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية ورويناأنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول وهو ينقل

هـذا الحمال لاحمال خيـبر * هـذا أبرر بنا وأطهـر

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصـار والمهاجره

قال ابن شهاب ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا انتهى وقد قيل أن الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لاانشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا ﴿ وقوله هذا الحمال ﴾ بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم أي المحمول من اللبن أبر عنـد الله من حمال خيبر أي التي تحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك وفي رواية المستملي بالجيم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قيـل ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس أرديتهم وهم يقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا للعمل المضلل

﴿ وآخرون يقولون ﴾

لايستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا

* ومن يرى عن التراب حائدا *

وجعلت قبـلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبـلة الى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه وجعـل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه الى الباب الذي يلي آل عثمان ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب الى مساكنه التي بناها وكان قد أرسـل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن وخرج عبـد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه وكان في المسجد موضع مظلل تأوى اليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون أهل الصفة وكان صـلى الله عليه وسـلم يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام وفي البخاري من حديث أبي هريرة لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها مايبلغ نصف الساق ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته وهذا يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بئر معونة وكانوا من أهل الصفة أيضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام أبي هريرة وقد اعتنى بجمع أصحاب الصفة ابن الاعرابي والسلمي والحاكم وأبو نعيم وعنـد كل منهم ماليس عنـد الآخر وفيما ذكروه اعتراض

مناقشة قاله فى فتح البارى وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع فى المسجد قائما فقال ان القيام قد شق على فصنع له المنبر وكان عمله وحنين الجذع فى السنة الثامنة بالميم من الهجرة وبه جزم ابن النجار وعورض بما فى حديث الافك فى الصحيحين قالت عائشة فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وجزم ابن سعد بأن عمل المنبر كان فى السنة السابعة وعورض بذكر العباس وتميم فيه وكان قدوم العباس بعد الفتح فى آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع وعن بعض أهل السير أنه عليه السلام كان يخطب على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذى من خشب وعورض بأن الاحاديث الصحيحة أنه كان يستند الى الجذع اذا خطب وسيأتى قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى فى مقصد المعجزات ﴿ ولما كان بعد قدومه بخمسة أشهر ﴾ آخى عليه السلام بين المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة وأربعون على الحق والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى أن نزل بعد بدر وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض الآية ﴿ وبنى بعائشة على رأس تسعة أشهر ﴾ وقيل ثمان وقيل ثمانية عشر شهرا فى شوال ﴿ وكان الناس ﴾ كما فى السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة لتحين مواقيتها من غير دعوة وكان فيما قيل ذلك فى السنة الثانية وأخرج ابن سعد فى الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب أن بلالا كان ينادى للصلاة بقوله الصلاة جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة فكان ذلك فيما قيل فى السنة الثانية فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال آخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه فى منامه رجلا فعلمه الأذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى وفى رواية معاذ بن جبل عند الامام أحمد قال يارسول الله انى رأيت فيما يرى النائم ولو قلت انى لم أكن نائما لصدقت رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال الله أكبر الله أكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى قم مع بلال فألق عليه مارأيت فليؤذن به لانه أندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه يقول والذى بعثك بالحق يارسول الله لقد رأيت مثل مارأى ووقع فى الاوسط للطبرانى أن أبا بكر أيضا رأى الاذان وفى الوسيط للغزالى أنه رآه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلى فى شرح التنبيه أربعة عشر وأنكره ابن الصلاح ثم النووى وفى سيرة مغلطاى أنه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله ولا يثبت شئ من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت فى بعض الطرق انتهى قال السهيلى فان قلت ما الحكمة التى خصت الأذان بأن يراه رجل من المسلمين فى نومه ولم يكن عن وحى من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفى قوله صلى الله عليه وسلم له انها لرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحى من الله له أم لا وأجاب بأنه صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الاسراء فروى البزار عن على قال لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها

حتى أتى بها الحجاب الذى يلى عرش الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال ياجبريل من هذا قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وذكر بقية الاذان قال السهيلى وهذا أقوى من الوحى فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة وأراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحى حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت مارأى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى وعلم حينئذ أن مراد الله بما رآه فى السماء أن يكون سنة فى الارض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصارى انتهى وتعقب بأن حديث البزار فى اسناده زياد بن المنذر أبو الجارود وهو متروك وقال فى فتح البارى وقد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد فان رؤيا غير الانبياء لاينبنى عليها حكم شرعى وأجيب باحتمال مقارنة الوحى لذلك ويؤيده مارواه عبد الرزاق وأبو داود فى المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثى أحد كبار التابعين أن عمر لما رأى الاذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحى قد ورد بذلك فما راعه الا أذان بلال فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحى وهذا أصح مما حكى الداودى عن ابن اسحاق أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيام وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحاق وغيره وذلك أنه قال طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فى يده فقلت ياعبدالله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ماهو خير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استأخر عنى غير بعيد ثم قال اذا قمت الى الصلاة فقل الله أكبر الله أكبر الى آخر كلمات الاقامة ورواه أبو داود باسناد صحيح ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين رأى الندا وقد قال رأيت مثل الذى رأى وفى مسند الحارث أول من أذن بالصلاة جبريل أذن فى سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بها فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر وظاهره أن عمر وبلالا سمعا ذلك فى اليقظة وقد وردت أحاديث تدل على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبرانى من طريق سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم أوحى الله اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا وفى اسناده طلحة بن زيد وهو متروك ومنها للدار قطنى فى الأفراد من حديث أنس أن جبريل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف ومنها حديث البزار عن على المتقدم قال فى فتح البارى والحق أنه لايصح شئ من هذه الاحاديث وقد جزم ابن المنذر بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة الى أن وقع التشاور فى ذلك والله سبحانه أعلم فان قلت هل أذن صلى الله عليه وسلم بنفسه قط أجاب السهيلى بأنه قد روى الترمذى من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضى بلخ يرفعه الى أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم أذن فى سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى أنه صلى الله عليه وسلم اذن بنفسه انتهى لكن ليس هذا الحديث من حديث أبى هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا

جزم النووى بأنه عليه الصلاة والسلام أذن مرة فى السفر وعزاه للترمذى وقواه لكن روى الحديث الدارقطنى وقال فيه أمر بالاذان ولم يقل أذن قال السهيلى والمفصل يقضى على المجمل المحتمل وفى مسند أحمد من الوجه الذى أخرج منه الترمذى هذا الحديث فأمر بلالا فأذن قال فى فتح البارى فعرف أن فى رواية الترمذى اختصارا ان قوله أذن أمر كما يقال أعطى الخليفة فلانا ألفا وانما باشر العطاء غيره ونسب للخليفة لكونه أمر به انتهى نعم ثبت فى صحيح مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ولفظه عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل صلاة الفجر الحديث الى أن قال فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته أقبل عليهم ثم قال أحسنتم أو قال قد أصبتم يغبطهم أن صلوا لوقتها ورواه أبو داود فى السنن بنحوه ولفظه ووجدنا عبد الرحمن قد صلى بهم ركعة من صلاة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن فقام النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته الحديث قال النووى فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول وجواز اقتداء النبى صلى الله عليه وسلم خلف بعض أمته قال وأما بقاء عبد الرحمن فى صلاته وتأخر أبى بكر رضى الله عنه ليتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فالفرق بينهما أن عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبى صلى الله عليه وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم بخلاف صلاة أبى بكر نعم فى السيرة الهاشمية أن أبا بكر كان الامام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به لكنه كما قال السهيلى حديث مرسل فى السيرة والمعروف فى الصحاح أن أبا بكر كان يصلى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبى بكر لكن قد روى عن أنس من طريق متصل أن أبا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه خبر عائشة رضى الله عنها انتهى وفى الترمذى مصححا من حديث جابر أن آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوب واحد متوشحا به خلف أبى بكر قال ابن الملقن وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضياء وابن ناصر وقال صح وثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر مقتديا به فى مرضه الذى مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لاعلم له بالرواية وقيل انه كان مرتين جمعا بين الاحاديث وبه جزم ابن حبان وروى الدارقطنى من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامات نبي حتى يؤمه رجل من أمته ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام لاثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر قال الدولابى يوم الثلاثاء وقال السهيلى بعد الهجرة بعام أو نحوه زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لانها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وفى البخارى عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة

ففرضت أربعا وتركت صلاة السفر على الفريضة الاولى وقيل انما فرضت أربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وقيل انما فرضت فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضى الله عنه فرض الله تعالى الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه و سلم فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسيأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى أول الصلاة من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام قال ابن اسحق وغيره ﴿ ونصبت أحبار يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا ﴾ وسحره لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق فكان يخيل اليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره فى مشط ومشاطة ودفنه فى بئر ذى أروان وأكثر أهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة البئر كما ثبت فى الصحيح وليس هذا بقادح فى النبوة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبتلون فى أبدانهم بالجراحات والسموم والقتل وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم وانضاف الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أنهم قهروا بظهور الاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا فى السر منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وكان رأس المنافقين وهو الذى قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل كما سيأتى ان شاء الله فى غزوة بنى المصطلق ﴿ وأذن الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام بالقتال ﴾ قال الزهرى أول آية نزلت فى الاذن بالقتال أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائى باسناد صحيح قال فى البحر والمأذون فيه أى فى الآية محذوف أى فى القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل الاذن بأنهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأذن له بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية انتهى وقال غيره وانما شرع الله تعالى الجهاد فى الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر المسلمون وهم قليلون بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه الصلاة والسلام من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله تعالى جهاد الاعداء فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو وأصحابه حتي دخل الناس فى دين الله أفواجا أفواجا ﴿ وكان عدد مغازيه عليه الصلاة والسلام ﴾ التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين قاتل فى تسع منها بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم بدر وأحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف وهذا على قول من قال فتحت مكة عنوة وكانت سراياه التي بعث فيها سبعة وأربعين سرية وقيل انه قاتل فى بنى النضير وأفاد فى فتح البارى ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هى التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار قال وقيل سميت بذلك يعنى السرية لانه يخفى ذهابها وهذا يقتضى أنها أخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة وهى قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهى من مائة الى خمسمائة فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمانمائة سمى جيشا فان زاد على أربعة آلاف سمى جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان أول بعوثه صلى الله عليه وسلم

على رأس سبعة أشهر فى شهر رمضان وقيل فى ربيع الاول سنة اثنين * بعث عمه حمزة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين وقيل من الانصار وفيه نظر لانه لم يبعث أحدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له أن يمنعوه فى دارهم فخرجوا يعترضون عير القريش فيها أبو جهل اللعين فلقيه فى ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان عليه الصلاة والسلام قد عقد له لواء أبيض واللواء هو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن روى احمد والترمذى عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض ومثله عند الطبرانى عن بريدة وعند ابن عدى عن أبى هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر فى التغاير ولعل التفرقة بينهما عرفية وذكر ابن اسحاق وكذا أبو الاسود عن عروة أن أول ماحدثت الرايات يوم خيبر وماكانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية انتهى * ثم سرية عبيدة ابن الحارث الى بطن رابغ فى شوال على راس ثمانية أشهر فى ستين رجلا وعقد له لواء أبيض حمله مسطح ابن أثاثة يلقى أباسفيان بن حرب وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة بن أبى جهل فى مائتين ولم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبى وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمى فى الاسلام قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام وبعض الناس يقول راية حمزة قال وانما أشكل أمرهما لانه عليه الصلاة والسلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس انتهى وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر لكن يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله أعلم * ثم سرية سعد بن أبى وقاص الى الخرار بخاء معجمة وراءين مهملتين وهو واد بالحجاز يصب فى الجحفة وكان ذلك فى القعدة على رأس تسعة أشهر وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو فى عشرين رجلا يعترض عير القريش فخرجوا على أقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس * ثم غزوة ودان وهى الابواء وهى أول مغازيه كما ذكره ابن اسحاق وغيره وفى البخارى أن أولها الابواء خرج صلى الله عليه وسلم فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا فى ستين رجلا وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب فكانت الموادعة أى المصالحة على أن بنى ضمرة لايغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وليس بين ما وقع فى سيرة ابن اسحق وبين مانقله عنه البخارى اختلاف لان الابواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية * ثم غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو وآخره مهملة وهى الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور فى مائتين من أصحابه يعترض عير القريش فيهم أمية بن خلف الجمحى واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدا أى حربا قال ابن الأثير والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا * ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير آخره هاء لم يختلف أهل المغازى فى ذلك وفى البخارى

العشيراء أو العسيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلاهاء والثانية بالمهملة وبالهاء وأماغزوة العسرة بالمهملة بغير تصغير فهى غزوة تبوك وستأتى ان شاء الله تعالى ونسبت هذه الى المكان الذى وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم فى جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة فى خمسين ومائة رجل وقيل فى مائتي رجل ومعهم ثلاثون بعيرا يستعقبونها وحمل اللواء وكان أبيض حمزة يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت ووادع بنى مدلج من كنانة وكتاب نسخة الموادعة فيما ذكره غير ابن اسحاق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة فانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من وراءهم أن لايحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة وأن النبي اذادعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام واستعمل على المدينة أباسلمة بن عبد الاسد * ثم غزوة بدر الاولى قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالى وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة أيام حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفاء موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدرا الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه * ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثناعشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة فى رجب يترصد قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل زبيبا وأدما من الطائف فيها عمرو بن الحضرمى فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتالهم فقتلوا عمرا واستأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير وكانت أول غنيمة فى الاسلام فقسمها ابن جحش وعزل الخمس من ذلك قبل ان يفرض ويقال بل قدموا بالغنيمة كلها فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر قتال فيه الآية وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلافى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى ذاك راشد
صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ففاداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما الحكم فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا * ثم حولت القبلة الى الكعبة * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية عشر شهر وقال الحربى قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى ربيع الاول فصلى الى

بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنين ستة أشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها فى جمادى وقيل كان يوم الثلاثاء فى نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر حديث البراء فى البخارى انها كانت صلاة العصر ووقع عند النسائى من رواية أبي سعيد بن المعلى انها الظهر واما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثانى كما فى الصحيحين عن ابن عمر أنه قال بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى هذا دليل على ان الناسخ لايلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله أعلم وروى الطبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قال فى فتح البارى وظاهر حديث ابن عباس هذا أن استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بأن يكون أمر لما هاجر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس وأخرج الطبرى ايضا من طريق ابن جريج قال صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه المدينة بستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله فى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الاول أمره الله تعالى يرد قول من قال أنه صلى الى بيت المقدس باجتهاد وعن أبى العالية أنه صلى الى بيت المقدس يتألف أهل الكتاب وهذا لاينبغى ان يكون بتوقيف واختلفوا فى المسجد الذى كان يصلى فيه فعند ابن سعد فى الطبقات أنه صلى ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلى عليه الصلاة والسلام باصحابه ركعتين ثم أمر فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمى مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدى هذا عندنا اثبت ولما حول الله تعالى القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها أى ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا فانزل الله جوابهم فى قوله قل لله المشرق والمغرب أى الحكم والتصرف والامر كله لله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة فى امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفى تصريفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه الصلاة والسلام وبأمته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد من حديث عائشة رضى الله عنها ان اليهود لا يحسدونا على شئ كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله اليها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله اليها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام

آمين وقال بعض المؤمنين فكيف صلاتنا التي صليناها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواتنا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل قال اليهود اشتاق الى بلد أبيه وهو يريد أن يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذى ننتظر أن يأتى فأنزل الله تعالى وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى ان اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله سيوجهك اليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم ﴿ ثم فرض صيام شهر رمضان ﴾ بعدما حولت القبلة الى الكعبة بشهر فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه الصلاة والسلام وزكاة الفطر قبل العيد بيومين أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من زبيب أو صاع من شعير أو صاع من بر وذلك قبل أن تفرض زكاة الاموال وقيل ان زكاة الاموال فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله أعلم * ثم غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهى قرية مشهورة نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت لاستدارتها أو لصفائها ورؤية البدر فيها وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الاسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائدة فأعز الله تعالى رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من الابرار وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام واستخلف أبا لبابة الانصارى وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة أفراس بعزجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوى لم يكن لهم خيل يومئذ غير هذه وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون ألفا ويقال تسعمائة وخمسون رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل يوم الاثنين وقيل غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال الله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك أن أبا سفيان كان بالشام فى ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاصى فاقبلوا فى قافلة عظيمة فيها أموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير لقريش فيها أموال فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بسيره عليه الصلاة والسلام استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى أن يأتى قريشا بمكة

فيستنفرهم ويخبرهم أن محمدا قدعرض لعيرهم فى أصحابه فنهضوا فى قريب من ألف مقنع ولم يتخلف أحد من أشراف قريش الا أبو لهب وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتي بلغ الروحاء فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم الناس فى طلب العير أو حرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتي تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلاة والسلام أيها الناس أشيروا على وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وابناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلاة والسلام قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله أن يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر عليه الصلاة والسلام بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الآن الى مصارع القوم قال ثابت عن أنس رضى الله عنه قال عليه الصلاة والسلام هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض هاهنا وهاهنا قال فما ماط أحدهم أى ماتنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام ﴿ تنبيه ﴾ قال ابن سيد الناس فى عيون الاثر روينا من طريق مسلم أن الذى قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ كذا رواه ابن اسحاق وغيره واختلف فى شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحاق فى البدريين وذكره الواقدى والمدائنى وابن الكلبي منهم انتهى ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادى ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبى الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادى فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية وأطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت

عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أى من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان أى وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام حتى لاتسوخ فى الرمل بتلبيد الارض وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم فقالوا رهط من الانصار فقالوا مالنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يامحمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا فقال صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحارث قم ياحمزة قم ياعلى فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم فتسموا لهم فقالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة فقتل على الوليد هكذا ذكره ابن اسحاق وعند موسى بن عقبة كما نقله فى فتح البارى برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلى للوليد ثم اتفقا فقتل على الوليد وقتل حمزة الذى بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة فى ركبة عبيدة ومال على وحمزة على الذى بارز عبيدة فأعاناه على قتله وعند الحاكم من طريق عبد خير عن على مثل قول موسى بن عقبة وعند أبى الاسود عن عروة مثله وأورد ابن سعد من طريق عبيدة السلمانى ان شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة وأخرج أبو داود عن على قال تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه فنادى من يبارز فانتدب له شبان من الانصار فقال من أنتم فأخبروه فقال لاحاجة لنا فيكم انما أردنا بنى عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياحمزة قم ياعلى قم ياعبيدة فأقبل حمزة الى عتبة وأقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة قال الحافظ ابن حجر وهذا أصح الروايات لكن الذى فى السير من أن الذى بارزه على هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف على والوليد فكانا شابين وقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على قال أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وهذا موافق لرواية أبى داود والله أعلم انتهى قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد فى الارض أبدا وأبو بكر يقول يارسول الله خل بعض مناشدتك ربك فان الله تعالى منجز لك ما وعدك وعند سعيد بن منصور من طريق عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه فقال عليه الصلاة والسلام وهو فى صلاته اللهم لا تخذلنى اللهم أنشدك ما وعدتنى وروى النسائى والحاكم عن على قال قاتلت يوم بدر شيأ من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده ياحى ياقيوم فرجعت وقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر فى العريش مع الصديق أخذت رسول

الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت كيف جعل أبو بكر يأمره عليه الصلاة والسلام بالكف عن الاجتهاد فى الدعاء ويقوى رجاءه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل أحد أجاب السهيلى نقلا عن شيخه بأن الصديق فى تلك الساعة كان فى مقام الرجاء والنبى صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف لان لله تعالى ان يفعل مايشاء فخاف أن لا يعبد الله فى الارض فخوفه ذلك عبادة انتهى وقال الخطابى لا يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة بل الحامل للنبى صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون ان وسيلته مستجابة فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد أبو بكر فى نفسه من القوة والطمأنينة فلهذا عقبه بقوله سيهزم الجمع وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة فى مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذى يظهر وانما قال عليه الصلاة والسلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لا يبعث أحد ممن يدعو الى الايمان وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه فى الدعاء فانه رأى الملائكة تنصب فى القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام أن يكون وراء الجند لايقاتل معه فكان الكل فى جد واجتهاد ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين وأنصار الله وملائكته يجتهدون ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون انتهى وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا دخل العريش فاستقبل القبلة ومد يده وجعل يهتف بربه اللهم أنجز لى ما وعدتنى فما زال يهتف بربه مادا يده حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كذاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم مرسل اليكم مددا لكم بألف من الملائكة مردفين متتابعين بعضهم فى اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه أردف الله المسلمين وجاءهم بهم مددا وفى الآية الاخرى بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين فقيل معناه ان الالف أردفهم ثلاثة آلاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين بمن وراءهم والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين آمنوا وكانوا فى صور الرجال ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم وقال الربيع بن أنس أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف وعن عامر الشعبى أن المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم فانزل الله ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين الى قوله

مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم تمد المسلمون بالخمسة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فاما أقبل جبريل والملائكة كانت يده فى يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه فقال الرجل ياسراقة أتزعم أنك لنا جار فقال انى أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وروى أن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر وعن على كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض وكانت سيماهم ايضا فى نواصى خيولهم رواه ابن أبى حاتم وروى ابن مردويه عن ابن عباس يرفعه فى قوله تعالى مسومين قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم خضر وروى ابن ابى حاتم عن الزبير ان الملائكة نزلت وعليهم عمائم صفر قيل ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وبذلك صرح العماد ابن كثير فى تفسيره فقال المعروف من قتال الملائكة انما كان يوم بدر ثم روى عن ابن عباس قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال ابن مرزوق ولم تكن تقاتل فى غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم وفى نهاية البيان في تفسير القرآن عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وهل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا فيه قولان أحدهما وهو قول الجمهور أنها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض مارأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يقاتلان كأشد القتال قال النووى فيه بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح فى الرد عليه قال وفيه ان رؤية الملائكة لاتختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل يراهم الصحابة والاولياء انتهى قال ابن الانبارى وكانت الملائكة لاتعلم كيف تقتل الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق أى الرؤس واضربوا منهم كل بنان قال ابن عطية كل مفصل قال السهيلى جاء فى التفسير انه ماوقعت ضربة يوم بدر الا فى رأس أو مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود فى الاعناق والبنان وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتي صعدنا على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة فننهب مع من ينهب فبينما نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه فى الحال وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت رواه البيهقى وأبو نعيم ﴿والدبرة﴾ بسكون الموحدة الهزيمة فى القتال ﴿وحيزوم﴾ اسم فرس جبريل قاله فى القاموس وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف رواه الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم قال الشيخ

تقي الدين السبكي سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصور الاسباب التى أجراها الله تعالى فى عباده والله فاعل الجميع انتهى ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة فى ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقد روى عن غير واحد ان هذه الآية نزلت فى رميه عليه الصلاة والسلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا كما سيأتى ان شاء الله تعالى وقد اعتقد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عنه واضافته الى الرب تعالى وجعلوا ذلك أصلا فى الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا غلط منهم فى فهم القرآن ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كذا اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم فى أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها أو برميه وحده ناقضوا فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمى وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال فأضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته ونظير هذا فى الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاخبر أنه تعالى وحده هو الذى انفرد بايصال الحصباء الى أعينهم ولم يكن برسوله صلى الله عليه وسلم ولكن وجه الاشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصر مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدى يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ فيما ذكره القاضى عياض عن ابن وهب معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليه الصلاة والسلام عليها فلصقت قال ابن اسحاق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة بن الزبير عن عائشة لما أمر صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب فطرحوا فيه الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فلقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وانما ألقوا فى القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر عليهم وفى مختصر الروضة لا يجزى وتحرم الصلاة على الكافر ولا

يجب على المسلم غسله ويجوز وقريبه الكافر أولى ويجب علينا تكفين الذمي ودفنه لاحربي ومرتد بل يجوز اغراء الكلاب عليه فان دفن فائلا يتأذى بريحه وفى الطبرانى عن أنس بن مالك قال أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن أهل بدر فيقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر فو الذى بعثه بالحق ماأخطأ الحدود التى حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يافلان بن فلان ويافلان ابن فلان ويافلان بن فلان هل وجدتم ماوعدكم الله ورسوله حقا فانى وجدت ماوعدنى الله حقا وفى رواية فنادى ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويأمية بن خلف وياأباجهل بن هشام وفى بعضه نظر لان أمية بن خلف لم يكن فى القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ماغيبه لكن يجمع بينهما بأنه كان قريبا من القليب فنودى فيمن نودى لكونه كان من جملة رؤسائهم وقال ابن اسحاق حدثنى بعض أهل العلم أنه عليه الصلاة والسلام قال ياأهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لاأرواح فيها فقال ماأنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لايستطيعون أن يردوا شيأ وتأولت عائشة ذلك فقالت انما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أنهم الآن ليعلمون ان الذى أقول لهم الحق ثم قرأت انك لاتسمع الموتى الآية فتأويلها يدل على أنها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم الآن ليعلمون وقال قتادة أحياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من أنكر انهم يسمعون كما روى عن عائشة رضى الله عنها ومن الغريب أن فى المغازى لابن اسحاق من رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عائشة حديثا وفيه ماأنتم بأسمع لما أقول منهم وأخرجه الامام أحمد باسناد حسن فان كان محفوظا فكأنها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة وقال الاسماعيلى كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا مزيد عليه لكن لاسبيل الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته فكيف والجمع بين الذى أنكرته وأثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى انك لاتسمع الموتى لاينافى قوله عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى أذن السامع فالله تعالى هو الذى أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأما جوابها بأنه انما قال انهم ليعلمون فان كانت سمعت ذلك فلا ينافى رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلى مامحصله ان فى نفس الخبر مايدل على خرق العادة بذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له أتخاطب أقواما قد جيفوا فأجابهم بما أجابهم قال واذا جاز أن يكونوا فى تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين وذلك اما بآذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد أو الى بعضه عند المسئلة وهو قول أكثر أهل السنة واما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول يتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد أو الى بعضه قال وقد روى عن عائشة أنها احتجت بقوله تعالى وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير وهذه الآية كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أوتهدى العمى أى ان الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لاأنت وجعل الكفار أمواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذى يسمعهم على

الحقيقة اذا شاء لانبيه ولا أحد فاذا لاتعلق بالآية من وجهين أحدهما أنها انما نزلت فى دعاء الكفار الى الايمان الثانى أنه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لايسمعهم اذا شاء الاهو يفعل مايشاء وهو على كل شئ قدير انتهى ولقد أحسن العلامة ابن جابر حيث قال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله * كواكب فى أفق الكواكب تنجلى
وجبريل فى جند الملائك دونه * فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى فى أوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام المجفل
وجاد لهم بالمشرفى فسلموا * فجاد له بالنفس كل مجدل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع * حديثهم فى ذلك اليوم من على
فهم عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولى
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت * اليه العوالى بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله * غداة تردى بالردى عن تذلل
فأضحى قليبا فى القليب وقومه * يؤمونه فيها الى شر منهل
وجاء لهم خير الانام موبخا * ففتح من أسماعهم كل مقفل
واخبر ماأنتم بأسمع منهم * ولكنهم لايهتدون لمقول
سلا عنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
ألم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لايرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجئى * وحبك ذخرى فى الحساب وموئلى
عليك صلاة يشمل الآل عرفها * وأصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان ابن عمر رضى الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فلما اجتاز به ناداه ياعبدالله قال ابن عمر رضى الله عنهما فلا أدرى أعرف اسمى أوكما يقول الرجل لمن يجهل اسمه ياعبدالله فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لاتفعل ياعبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ورواه الطبرانى فى الاوسط قال ومن آيات بدر الباقية ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج أنهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر أهل الايمان قال وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع لعله صلب فتستجيب فيه حوافر الدواب فكان يقال لى انه دهس رمل غير صلب وغالب مايسير هنالك الابل وأخفافها لاتصوت فى الارض الصلبة فكيف بالرمال قال ثم لما من الله على بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة أمشى وبيدى عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذى كنت أسمع فما راعنى وأنا أسير فى الهاجرة الا وواحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول أتسمعون الطبل فأخذتنى لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان فى الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابنى من الفرح أو الهيبة او ما الله أعلم به فشككت وقلت لعل

الريح سكنت فى هـذا العود الذى فى يدى وحدث مثل هذا الصوت وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة فألقيت العود من يدى وجلست على الارض أو ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا أو صوتا لا أشك فيه انه صوت طبل وذلك من ناحيـة اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا الى بدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومى أجمع المرة بعد المرة قال ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اهـ وروى الطبرانى من حديث أبى اليسر انه أسر العباس وقيل للعباس وكان جسيما كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته فى كفك فقال ماهو الا أن لقيته فظهر فى عينى كالخندمة وهى بالخاء المعجمة جبل من جبال مكة قاله فى القاموس قال ولما ولى عمر ابن الخطاب وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يئن فلم يأخذه النوم فبلغ الانصار فأطلقوا العباس فكأن الانصار فهموا رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفك وثاقه وسألوه أن يتركوا له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم وفى حديث أنس عن الامام أحمد استشار عليه الصلاة والسلام الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه عليه السلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهـم فقال عمر يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه عليه السلام فعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر فقال يارسول الله ان تعف عنهم وان تقبل منهم الفداء فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية ويأتى الكلام عليها فى النوع العاشر فى إزالة الشبهات من الآيات المشكلات من المقصد السادس ان شاء الله تعالى وأخرج ابن اسحاق من حـديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسـلم قال ياعباس أفد نفسك وابنى أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو قال انى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى قال الله تعالى أعلم بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وذكر موسى بن عقبة أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهبا وعند أبى نعيم فى الدلائل باسناد حسن من حديث ابن عباس انه جعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس ألقرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسارى ان يعلم الله الآية فقال العباس وددت لو كان أخذ منى أضعافها لقوله يؤتكم خيرا ممـا أخذ منكم وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجـلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس ﴿تنبيه﴾ لايقدح فى وعد الله أن استشهد هؤلاء الصحابة وانما هذا الوعد كقوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنـين ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل ابن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكل أسـلم وكان العباس رضى الله تعالى عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديما وكان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه

وسلم من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه أسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه حين فتح مكةوبه ختمت الهجرة وقيل أسلم يوم فتح خيبر وقيل كان يكتم اسلامه وأظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه عليه الصلاة والسلام ان مقامك بمكة خير لك وقيل ان سبب اسلامه انه خرج لبدر بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال اماشئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتنى أتكفف قريشا فقال له عليه الصلاة والسلام فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال أخبرنى ربى فقال أشهد أنك صادق فان هذا لم يطلع عليه أحد الا الله وأنا أشهد أن لا إله الا الله وانك عبدهورسوله * ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر فى آخر رمضان وأول يوم من شوال بعث زيدبن حارثة بشيرافوصل المدينةضحى وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم شهد دفن بنتهرقية فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال أيكم لم يقارف الليله فقال أبو طلحة أنا فأمره أن ينزلها قبرها وأنكر البخارى هذه الرواية وخرج الحديث فى الصحيح فقال فيه عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبرانى أنها أم كلثوم فحصل فى حديث الطبرانى التبيين ومن قال كانت رقية فقدوهم وكان عثمان قد تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره وأمر صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب بقتل عقبة بن أبى معيط فقتله صبرا ثم أقبل عليه الصلاة والسلام قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذى أصيب منهم وجعل عليه عبد الله بن كعب من بنى مازن فلما خرج من مضيق الصفرا قسم النفل بين المسلمين على السواء وأمر عليا بالصفراء بقتل النضربن الحارث ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بهم خيرا وقد استقر الحكم فى الاسارى عند الجمهور من العلماء أن الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل بأسارى بدر وان شاء استرق من أسر هذا مذهب الشافعى وطائفة من العلماء وفى المسئلة خلاف مقرر فى كتب الفقه والله أعلم ولما قدم أبوسفيان بن الحارث من بدر لمكة سأله أبولهب عن خبر قريش فقال ماهو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤ او أيم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض والله لايقوم لها شيء قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس بن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا فقلت والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضربنى فى وجهى ضربة فقامت أم الفضل الى عمود فضربت به فى رأس أبى لهب وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده

قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها تعدى أشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن عقبة أقام النوح على قتلى قريش شهرا * ثم سرية عمير بن عدى الخطمى وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة الى عصماء بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمى وكانت تعيب الاسلام وتؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها ليلا وكان أعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبى عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اى لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ الذى لم يسبق اليه عليه الصلاة والسلام وسيأتى لذلك نظائر ان شاء الله تعالى وفى أول شوال صلى صلاة الفطر وفى أول شوال ايضا وقيل بعد بدر بسبعة أيام وقيل فى نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلاة والسلام يريد بنى سليم فبلغ ماء يقال له الكدر وتعرف بغزوة قرقرة وهى أرض ملساء ﴿والكدر﴾ طير فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام بها عليه الصلاة والسلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق أحدا وكانت غيبته عليه الصلاة والسلام خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن أم مكتوم وحمل اللواء على بن أبى طالب وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق * ثم سرية سالم بن عمير الى أبى عفك اليهودى وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثاب اليه أناس ممن هم على قوله فادخلوه منزله فقتل وكانت هذه السرية فى شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة * ثم غزوة بنى قينقاع بتثليث النون والضم أشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم وادعهم عليه الصلاة والسلام على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وبنو قينقاع وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا مايؤل اليه أمره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن كخزاعة وبالعكس كبنى بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام فى شوال بعد وقعة بدر قال الواقدى بشهر وأغرب الحاكم فزعم ان اجلاء بنى قينقاع واجلاء بنى النضير كان فى زمن واحد ولم يوافق على ذلك لان اجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق وكان من أمر بنى قينقاع ان امرأة من العرب جلست الى صائغ يهودى فراودها على كشف وجهها فأبت فعمد الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع فسار اليهم النبى صلى الله

عليه وسلم بعد أن استخلف أبالبابة بن عبد المنذر فحاصرهم أشد الحصار خمسة عشر ليلة الى هلال
ذى القعدة وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض فقذف الله فى قلوبهم الرعب ونزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية فأمر عليه الصلاة والسلام
المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم عبد الله بن أبي ابن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وألح عليه
من أجلهم فأمر عليه الصلاة والسلام أن يجلوا وتركهم من القتل وأمر أن يجلوا من المدينة فلحقوا باذرعات
فما كان أقل بقاءهم فيها وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي
وعبادة بن الصامت فتبرأ عبادة من حلفهم فقال يارسول الله أتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وأتولى الله
ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفى عبد الله أنزل ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون * ثم غزوة السويق فى
ذى الحجة يوم الاحد لخمس خلون منها على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحق
فى صفر وسميت غزوة السويق لانه كان أكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان
سبب هذه الغزوة أن أباسفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر أن لايمس النساء والدهن حتى يغزو
محمدا عليه السلام فخرج فى مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى أتوا العريض ناحية من المدينة على
ثلاثة أميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه فانصرف بقومه
راجعين وخرج عليه السلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون
جرب السويق وهى عامة أزوادهم يتخففون للهرب فيأخذها المسلمون ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام
فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام وفى ذى الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد
وأمر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون وفى شوال ولد عبدالله بن الزبير ﴿وفى هذه السنة﴾ تزوج
على بفاطمة رضي الله عنهما كما قاله الحافظ مغلطاى وغيره وقال الطبرى فى كتابه ذخائر العقبى فى
مناقب ذوى القربى تزوجها فى صفر فى السنة الثانية وبنى بها فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين
شهرا من التاريخ وقال ابو عمرو بعد وقعة أحد وقال غيره بعد بنائه صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي
الله عنها بأربعة أشهر ونصف وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف وتزوجها وهى ابنة خمس عشرة
سنة وخمسة اشهر اوستة ونصف وسنه يومئذ احدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها حتى
ماتت وعن أنس قال جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما
شيأ فانطلقا الى على يأمرانه بطلب ذلك قال على فنبهانى لامر فقمت أجر ردائى حتى أتيت النبى صلى الله عليه
وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال وعندك شئ قلت فرسى وبدنى قال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك
فبعها فبعتها بأربعمائة درهم وثمانين فجئته بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة وقال أى بلال ابتع لنا بها
طيبا وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من أدم حشوها ليف وقال لعلى اذا أتتك فلا
تحدث شيأ حتى آتيك فجاءت مع أم أيمن حتى قعدت فى جانب البيت وأنا فى جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ههنا أخى قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة

ائتني بماء فقامت الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها أدبرى فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلى ثم قال ادخل بأهلك بسم الله والبركة أخرجه أبو حاتم واحمد فى المناقب بنحوه وفى حديث أنس عند أبى الخير القزوينى الحاكمى خطبها على بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر فقال عليه الصلاة والسلام قد أمرني ربى بذلك قال أنس ثم دعانى عليه السلام بعد أيام فقال لى ياأنس أدع لى أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان على غائبا فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فأمر الله تعالى يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله عز وجل أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فأشهدوا انى زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل على فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يارسول الله فقال عليه السلام جمع الله شملكما وأعز جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا ﴾ قال أنس فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب والعقد لعلى وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر أو على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقده معه لما حضر أو على تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ماورد مما يدل على شرط القبول على الفور واخرج الدولابى عن أسماء قالت لقد أولم على على فاطمة فما كان وليمة فى ذلك الزمان أفضل من وليمته رهن درعه عند يهودى بشطر شعير وكانت وليمته آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط وأخرج أحمد فى المناقب عن على كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف * ثم سرية محمد بن مسلمة واربعة معه الى كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة روى أبو داود والترمذى من طريق الزهرى عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن وهب بن مالك عن ابيه أن كعب بن الاشرف كان شاعرا وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها أخلاط فأراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الاذى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما أبى كعب بن الاشرف أن ينزع عن أذاه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه وفى رواية قال عليه السلام من لنا بابن الاشرف وفى أخرى من لكعب بن الاشرف أى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجانا وقد خرج لقريش فجمعهم الى قتالنا وقد

أخبرني الله بذلك ثم قرأ على المسلمين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله وفى الأكليل فقد آذانا بشعره وقوى المشركين وفى رواية ابن اسحاق فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل أنا لك به يارسول الله أنا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يارسول الله انه لابد لنا أن نقول قال قولوا مابدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة بنون وبعد الالف تحتانية سلكان بن سلامة وكان أخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وهؤلاء الخمسة من الاوس وفى رواية ابن سعد فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلى فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه ثم انتهوا اليه فقال أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يارسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله وفى كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعبا حملوا رأسه فى مخلاة الى المدينة فقيل انه أول رأس حمل فى الاسلام وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم فتفل عليه السلام على جرحه فلم يؤذه بعد

﴿ غزوة غطفان ﴾

وهى غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة أنمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمس وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربى وسماه الخطيب غورث وغيره غورك وكان شجاعا فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسا واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم عليهم هربوا فى رؤس الجبال فأصابوا رجلا منهم يقال له حبان من بنى ثعلبة فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام فأسلم وضمه الى بلال وأصاب النبي صلى الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك به فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه عليه السلام فقال من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى فقال لاأحد وأنا أشهد أن لااله الا الله وانك رسول الله ثم أتى قومه فدعاهم الى الاسلام وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم الآية ويقال كان ذلك فى ذات الرقاع ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

﴿ غزوة بحران ﴾

وتسمى غزوة بنى سليم من ناحية الفرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلى وقال فى القاموس وبحران موضع بناحية الفرع كذا رأيته بخطه بضم الفاء لاغير وسببها انه بلغه عليه السلام أن بها جمعا كبيرا من بنى سليم فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم كما قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال * سرية زيد بن حارثة

الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم ماء من مياه نجد وسببها كما قاله ابن اسحاق ان قريشا خافوا من طرقهم التي يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ماكان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة وعند ابن سعد بعثه صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة في مائة راكب يعترض عير القريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة فأصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وعند مغلطاي خمسة وعشرين ألف درهم وذكرها ابن اسحاق قبل قتل ابن الاشرف

﴿ غزوة أحد ﴾

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك ويقال له ذو عينين قال في القاموس بكسر العين وبفتحها مثنى جبل بأحد انتهى وهو الذي قال فيه عليه السلام أحد جبل يحبنا ونحبه قيل وفيه قبر هارون أخي موسى عليهما السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه وعن مالك بعد بدر بسنة وعنه أيضا كانت على أحد وثلاثين شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الاسود عن عروة وابن سعد قالوا أو من قال منهم ماحاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد أصيب أصحاب القليب ورجع أبو سفيان بعيره قال عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل في جماعة ممن أصيب آباؤهم واخوانهم وأبناؤهم يوم بدر يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا أن ندرك به ثأرنا فأجابوا لذلك فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار وفيهم كما قال ابن اسحاق وغيره أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة وكان رجال من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر وأرى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قال اني والله قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي أريت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل وقال ابن عقبة ويقول رجال كان الذي بسيفه ماقد أصاب وجهه فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام وأولت الدرع الحصينة بالمدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت . فقال أولئك القوم يارسول الله كنا نتمنى هذا اليوم أخرج بنا الى أعدائنا لايرون أنا جبنا عنهم فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم أن لهم النصر ماصبروا وامرهم بالتهيؤ لعدوهم

أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر انتهى وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا عنه وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الانصار وفى البخارى لم يبق معه عليه الصلاة والسلام الا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان عليه الصلاة والسلام وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاث مرات ثم قال أفى القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت ياعدو الله ان الذين أعددت لأحياء كلهم وقد بقى لك مايسوؤك قال يوم بيوم والحرب سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته والذى جرح وجهه عبد الله بن قمئة وعتبة بن أبى وقاص أخو سعد هو الذى كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد يبلغ الحنث الا وهو ابخرأ وأهتم أى مكسور الثنايا من أصلها يعرف ذلك فى عقبه وقال ابن هشام فى حديث أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه أى كسروا الخودة ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر فأخذ على بيده واحتضنه طلحة بن عبد الله حتى استوى قائما ونشبت حلقتان من المغفر فى وجهه فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما فى وجهه وامتص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى الدم من وجنته ثم ازدرده فقال له عليه الصلاة والسلام من مس دمى دمه لم تصبه النار وسيأتى ان شاء الله تعالى حكم دمه عليه الصلاة والسلام وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال رمى عبد بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق عن حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ورواه أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن حميد به وعند ابن عائذ من طريق الاوزاعى بلغنا أنه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف دمه وقال لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها قال فى فتح البارى وهذا مرسل قوى ويحتمل ان يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة انتهى وقاتلت أم عمارة نسيبة

ألا أقوم الدهر فى الكيولى * أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لايلقى أحدا من المشركين الا قتله وقوله فى الكيولى بفتح الكاف وتشديد المثناة التحية مؤخر الصفوف وهو فيعول من كال الزنديكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال أبو عبيدة ولم يسمع الا فى هذا الحديث وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي فقالت خرج وهو جنب فقال عليه الصلاة والسلام لذلك غسلته الملائكة وبذلك تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا وقتل على طلحة بن أبى طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان بن أبى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولى الكفار لا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون مافيه من الغنائم وفى البخارى قال البراء فقال أصحاب عبد الله بن جبير أى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين وفى حديث عائشة عن البخارى أيضا لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس أى عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض وفى رواية غيرهما ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير وفى البخارى انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كأمس الذاهب وكان وحشى كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر العهد به انتهى وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قتل وكان الذى قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة ان محمدا قتل ويقال كان ذلك أزب العقبة ويقال بل هو ابليس لعنه الله تصور فى صورة جعال وقال قائل أى عباد الله أخراكم أى احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل قال موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلاة والسلام قال رجل منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فانهم داخلو البيوت وقال رجال منهم ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء منهم أنس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن معاذ قال فى عيون الاثر كذا وقع فى هذا الخبر أنس بن مالك وانما هو

ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالى ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فعمماه وألبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته وهى بالهمز وقد يترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ماصنعوا فقالوا ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ماشئت فقال ماينبغى لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفى حديث ابن عباس عند أحمد والنسائى والطبرانى وصححه الحاكم نحو حديث ابن اسحاق وفيه اشارة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم أن لايبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه للامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لاينبغى لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل وفيه اني رأيت أنى فى درع حصينة الحديث وعقد عليه الصلاة والسلام ثلاثة ألوية لواء بيد أسيد بن الحضير ولواء للمهاجرين بيد على بن أبى طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفى المسلمين مائة دارع وخرج السعد ان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وعلى الحرث تلك الليلة محمد بن مسلمة وأدلج عليه السلام فى السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم أسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير قال مغلطاى وفيه نظر وكان المسلمون ألف رجل ويقال تسعمائة والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبى فى ثلاثمائة ممن تبعه من قومه من أهل النفاق ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط ويقال بأحد ثم صف المسلمون بأهل أحد وصف المشركون بالسبخة قال ابن عقبة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال ان رايتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم كذا فى البخارى من حديث البراء وفى حديث ابن عباس عند أحمد والطبرانى والحاكم انه صلى الله عليه وسلم أقامهم فى موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال ابن اسحاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك فقال وما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه بحقه يارسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظرن ما يصنع أبو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل

بنت كعب المازنية يوم أحد فيما قاله ابن هشام فخرجت اول النهار حتي انتهت الى رسول الله قالت فقمت
أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتي خاصت الجراحة الى أم ابنى ابن قمئة أقمأه
الله تعالى لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان
نجا قالت فاعترضت له فضربنى هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدوا لله عليه درعان
قالت أم سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور وترس دون رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما قاله ابن اسحاق أبو دجانة بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل
وهو لايتحرك ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رايته
يناولني النبل فيقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به وأصيب يومئذ عين
قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله بيده
وردها الى موضعها فقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه وأحدهما نظرا ورواه الدارقطنى بنحوه
ويأتى لفظه ان شاء الله تعالى فى مقصد المعجزات ورمى أبورهم الغفارى كلثوم بن الحصين بسهم فوقع فى نحره
فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبدالله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد
فى يده سيفا فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتي بيع من بغا التركى من
أمراء المعتصم بالله فى بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر الا ان سيف
عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون
الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأشراف أصحابه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه
تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يامعشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلى ورهط من المسلمين فلما أسند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يارسول
الله يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث
ابن الصمة فلما أخذها منه عليه الصلاة والسلام انتفض بها انتفاضة تطايرن عنه تطاير الشعرى عن ظهر
البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه الصلاة والسلام فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر
ضلعا من أضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلنى والله محمد أو ليس قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله
لو بصق على لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة رواه البيهقى وأبو نعيم ولم يذكر فكسر
ضلعا من اضلاعه قال الواقدى وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف ببطن رابغ فانى لاسير ببطن
رابغ بعد هوى من الليل اذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها يصيح
العطش واذا رجل يقول لاتسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف رواه
البيهقى ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب ملأ على بن أبي طالب درقته من المهراس وهو
صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء وقيل هو اسم ماء بأحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه وصلى النبى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التى أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا قال ابن اسحق وقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانف وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل وكان أبو سفيان حين أراد الخروج الى أحد كتب على سهم نعم وعلى آخر لا وأجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فخرج الى أحد فلما قال أعل هبل أى زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر أجبه فقل الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان أنعمت فعال أى اترك ذكرها فقد صدقت فى فتواها وأنعمت أى أجادت نعم فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ولما انصرف أبو سفيان واصحابه نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه قال نعم هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبرانى انه لما انصرف المشركون خرج النساء الى الصحابة يعينهم فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبى صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير أحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدى فنادى فى القتلى ياسعد بن الربيع مرة بعد أخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى اليك فأجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا فى القتلى وبه رمق فقال أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى به نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم لاعذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم وفكم عين تطرف ثم مات وقتل أبو جابر فما عرف الا ببنانه أى أصابعه وقيل اطرافها واحدتها بنانة وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه فنظر عليه الصلاة والسلام الى شئ لم ينظر الى شئ أوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم أما والله لامثلن بسبعين منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به الآية فصبر وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة ولذا يعرف بالمجدع فى الله وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة ودفن مع حمزة فى قبر واحد ولما أشرف عليه الصلاة والسلام على القتلى قال أنا شهيد على هؤلاء ومامن جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية عبد الله بن شيبة قال عليه الصلاة والسلام لقتلى أحد زملوهم بجراحهم وروى أبو بكر بن مردويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياجابر ألا أخبرك ما كلم الله تعالى أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا فقال سلنى أعطك فقال أسئلك أن أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق منى أنهم لايرجعون الى الدنيا قال أى رب

فابلغ من ورائى فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عزوجل على نبيه هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا رواه أحمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تأوى الى قناديل يصدقه قوله تعالى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وانما تأوى الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة فى الآخرة لاتأوى الى تلك القناديل وانما ذلك فى البرزخ وقال مجاهد الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد رد هذا القول ويشهد له ما وقع فى مسند ابن أبى شيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء بنهر أو على نهر يقال له بارق عند باب الجنة فى قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا قال الحافظ عماد الدين بن كثير كأن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم فى الجنة ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح قال وقد روينا فى مسند الامام أحمد حديثا فيه بشرى لكل مؤمن بأن روحه تكون فى الجنة أيضا وتسرح فيها وتأكل من ثمارها وترى مافيها من النضرة والسرور وتشاهد ماأعد الله لها من الكرامة قال وهو اسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الاربعة أصحاب المذاهب المتبعة فان الامام أحمد رواه عن الشافعى عن مالك بن أنس عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه يرفعه نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتي يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله يعلق أى تأكل وفى هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر فى الجنة وأما أرواح الشهداء ففى حواصل طيور خضر فهى كالراكب بالنسبة الى أرواح عموم المؤمنين فانها تطير بأنفسها فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الايمان وقد استشهد يوم أحد من المسلمين سبعون فيما قاله مغلطاى وغيره وقيل خمسة وستون أربعة من المهاجرين وروى ابن منده من حديث أبى بن كعب قال استشهد من الانصار يوم أحد أربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا وقتل عليه الصلاة والسلام بيده أبى بن خلف وحضرت الملائكة يومئذ ففى حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم فى صحيحه أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض مارأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل يقاتلان كأشد القتال وفيه كما قدمناه فى غزوة بدر أن قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم لايختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه كما نص عليه النووى فى شرح مسلم كما قدمته والله أعلم ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود ﴿ تنبيه ﴾ ذكر القاضى عياض فى الشفاء عن القاضى ابى عبد الله بن المرابط من المالكية أنه قال من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه منقص اذ لايجوز ذلك عليه فى خاصته اذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا

لكن قال العلامة البساطى من المالكية هذا القائل ان كان يخالف فى أصل المسئلة أعنى حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى وقد كان فى قصة أحد وماأصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهى لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايبرحوا منه ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى ثم تكون لهم العاقبة والحكمة فى ذلك أن لو انتصروا دائما لدخل فى المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ماأظهروه من الفعل والقول حتى عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون أن لهم عدوا فى دارهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان فى تأخير النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لاتبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الاولياء فساقهم اليها ومنها أنه أراد هلاك أعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم فى ايذاء أوليائه فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين

﴿ غزوة حمراء الاسد ﴾

وهى على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة وكانت صبيحة يوم الاحد لست عشرة مضت أو لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة لطلب عدوهم بالامس ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايخرج معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس أى من شهد أحدا وانما خرج عليه الصلاة والسلام مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم وأقام عليه الصلاة والسلام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه الصلاة والسلام فى مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاصى فأمر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاى وحرمت الخمر فى شوال ويقال سنة أربع انتهى قال أبو هريرة فيما رواه أحمد حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى آخر الآية فقال الناس ماحرم علينا انما قال فيهما اثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الايام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه فى المغرب خلط فى قراءته فانزل الله آية أغلظ منها ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون وكان الناس يشربون ثم نزلت آية أغلظ منها ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله لعلكم تفلحون قال انتهينا ربنا والميسر القمار وقيل غيره وولد الحسن بن على فى هذه السنة

﴿ ثم سرية أبي سلمة ﴾

عبد الله بن عبد الاسد هلال المحرم على رأس خمس وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن جبل ناحية

فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجدا نلا وشاء فأغار عليهما ولم يلق كيدا

ثم سرية عبد الله بن أنيس

وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة وادى عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم أنه جمع الجموع لحربه فلما وصل اليه قال له ممن الرجل قال من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لاكون معك قال أجل فمشى معه ساعة ثم اغتره وقتله وأخذ رأسه فكان يسير الليل ويتوارى النهار حتى قدم المدينة فقال عليه الصلاة والسلام أفلح الوجه قال أفلح وجهك يارسول الله ووضع رأسه بين يديه وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم

ثم سرية عاصم بن ثابت

فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز وكانت الوقعة بالقرب منه فسميت به وحديث عضل والقارة بفتح الضاد المعجمة بعدها لام بطن من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ينسبون الى عضل بن ابن الديش وأما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون أيضا ينسبون الى الديش المذكور قال ابن دريد القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسموا بها وقصة عضل والقارة كانت فى بعث الرجيع لافى سرية بئر معونة وقد فصل بينهما ابن اسحاق فذكر بعث الرجيع فى أواخر سنة ثلاث وبئر معونة أوائل سنة أربع وذكر الواقدى ان خبر بئر معونة وخبر أصحاب الرجيع جا آ الى النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة وسيأتى ترجمة البخارى يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شئ واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب وأصحابهما وهى مع عضل والقارة وبئر معونة كانت سرية القراء وهى مع رعل وذكوان وكأن البخارى أدمجها معها لقربها منها ويدل على قربها منها مافى حديث أنس من تشريك النبى صلى الله عليه وسلم بين بنى لحيان وبين عصية وغيرهم فى الدعاء ولم يرد البخاري رحمه الله أنهما قصة واحدة ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحاق فانه بعد أن استوفى قصة أحد قال ذكر يوم الرجيع حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من أصحابه وأمر عليه الصلاة والسلام على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى كذا قال فى السيرة له وفى الصحيح وأمر عليهم عاصم بن ثابت كما سيأتى وهو أصح فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع ماء لهذا غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وقد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لانريد قتالكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيأ من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لانقتلكم فأبوا فأما مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لانقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا وفى البخارى وأمر

عليهم عاصم بن ثابت حتى اذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ذكروا الحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتى رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة رام والجمع بينهما واضح بأن تكون المائة الاخرى غير رماة وفى رواية أبى معشر فى مغازيه فنزلوا بالرجيع سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنما فرأت النوا آت وانكرت صفرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها قد أتيتم فجاؤا فى طلبهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل وتبعوا آثارهم حتى لحقوهم وفى رواية ابن سعد فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدفد بفاءين مفتوحتين ومهملتين الاولى ساكنة وهى الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا لكم العهد والميثاق وان نزلتم الينا أن لانقتل منكم رجلا فقال عاصم بن ثابت أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسول الله خبرهم يوم أصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى اذا أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها يعنى يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال خبيب ما كنت لاغدر قال فقالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزقا رزقه الله وهذه كرامة جعلها الله تعالى لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته والكرامة للاولياء ثابتة مطلقا عند أهل السنة لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الربانى أبى القاسم القشيرى ما وقع به التحدى لبعض الانبياء فقال ولا يصلون الى ايجاد ولد من غير أب ونحو ذلك وهذا أعدل المذاهب فى ذلك وان اجابة الدعوة فى الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سيأتى ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب الى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الآن فى نحو ما قاله القشيرى وتعين تقييد من أطلق بأن كل معجزة وجدت لنبى يجوز ان تقع كرامة لولى ووراء ذلك ان الذى استقر عند العامة ان خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك يكون من أولياء الله وهو غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله الى فارق وأولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له ذلك فان كان متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهى كان علامة على ولايته ومن لا فلا والله أعلم انتهى ملخصا من الفتح ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعونى أصلى ركعتين وعند موسى بن عقبة أنه صلاهما فى موضع مسجد التنعيم وقال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا يعنى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى * وفى رواية بريدة بن سفيان فقال خبيب اللهم انى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه * وفى رواية الاسود عن عروة جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك الحديث ثم أنشأ خبيب يقول

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أى شق كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على العضو لكن المراد به هنا الجسد والممزع بالزاى ثم المهملة المقطع ومعنى الكلام أعضاء جسد مقطع وعند أبي الاسود عن عروة زيادة فى هذا الشعر

لقد أجمع الاحزاب فى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

﴿ وفيه أيضا ﴾

الى الله أشكو غربتى بعد كربتي * وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى

وساق ابن اسحاق هذه الابيات ثلاثة عشر بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها لخبيب وكان خبيب أول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبرا كذا قال ابن اسحاق وقوله هذا يدل على أنه سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة والسنة انما هى أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره لانه فعله فى حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلاة خير ما ختم به عمل العبد وقد صلى هاتين الركعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى حياته عليه الصلاة والسلام كما رويناه من طريق السهيلى بسنده الى الليث بن سعد قال بلغنى ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف فاشترط عليه المكرى أن ينزله حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا فى الخربة قتلى كثيرة قال فلما أراد أن يقتله قال له دعنى أصل ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيأ قال فلما صليت أتانى ليقتلنى فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم ير شيأ فرجع الى فناديت يا أرحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس فى يده حربة حديد فى رأسها شعلة نار فطعنه بها فانفذه من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت فى سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك انتهى ووقع فى رواية أبى الاسود عن عروة فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعنى خبيبا نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يفدينى شوكة فى قدمه ويقال ان الذى قال ذلك زيد بن الدثنة وأن أبا سفيان قال له يا زيد أنشدك الله أتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك فى اهلك قال والله ما احب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى لجالس فى أهلى قال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر ولعل العظيم المذكور عقبة بن أبى معيط فان عاصما قتله صبرا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر ووقع عند ابن اسحاق وكذا فى رواية بريدة بن سفيان أن عاصما لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد وهى أم مسافع وجلاس ابنى طلحة العبدرى وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت

حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرب الخمر فى قحفه بكسر القاف وهو ماانفلق من الجمجمة فبان قال الطبرى وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فنعهم منه الدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة الزنابير فلم يقدروا منه على شئ وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه فى حياته وانما استجاب الله تعالى له فى حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه

سرية المنذر بن عمرو

بفتح العين المهملة الى بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو بعدها نون موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد . بعث معه المطلب السلمى ليدلهم على الطريق وكانت مع رعل بكسر الراء وسكون العين المهملة بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان بطن من بنى سليم أيضا ينسبون الى ذكوان بن ثعلبة فنسبت الغزوة اليها وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحق أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يامحمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام انى أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون وقيل ثلاثون وقد بين قتادة فى روايته أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفى رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل العامرى ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمى الصحابى فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا فأجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتي قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتي قتل يوم الخندق شهيدا وأسر عمرو بن أمية الضمرى فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفا على ماصنع عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته الملائكة قال ابن سعد عن أنس بن مالك ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على بئر معونة وفى صحيح مسلم عن أنس أيضا دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله قال أنس أنزل الله فى الذين قتلوا يوم بئر معونة قرآناقرأناه ثم نسخ بعد أى نسخت تلاوته بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا

ورضينا عنه كذا وقع فى هذه الرواية وهو يوهم ان بنى لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونةوليس كذلك وانما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم واما بنولحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع وانما اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم فى وقت واحد فدعا على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين دعاء واحدا والله أعلم

﴿ ثم غزوة بنى النضير ﴾

بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود فى ربيع الاول سنة أربع وذكرها ابن اسحاق هنا قال السهيلى وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهرى قال كانت غزوة بنى النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد ورجح الداودى ماقاله ابن اسحاق من أن غزوة بنى النضير بعد بئر معونة مستدلا بقوله تعالى وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر وهو استدلال واه فان الآية نزلت فى شأن بنى قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فلم يكن لهم فى الاحزاب ذكر بل كان من أعظم الاسباب فى جمع الاحزاب ماوقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيي بن أخطب وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ماكان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى وقد تقدم قريبا أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة عن أمه فخرج عمرو الى المدينة فصادف رجلين من بنى عامر معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو من أنتما فذكرا له أنهما من بنى عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن انه ظفر ببعض ثار أصحابه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لا دينهما قال ابن اسحق وغيره ثم خرج عليه الصلاة والسلام الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية للجوار الذى كان صلى الله عليه وسلم عقده لهما وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم فى ديتهما قالوا يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هـذا الحال وكان صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال انا لذلك فصعد ليلقى عليه الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم اليهودى لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وانه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا أنه يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينـة واستبطأ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقاموا فى طلبه حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر به قال ابن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم الآية قال ابن اسحق فأمر عليه الصلاة والسلام بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن

أم مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال قال ابن اسحق فتحصنوا منه فى الحصون فقطع النخل وحرقها وخرب فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها قال السهيلى قال أهل التأويل وقع فى نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شئ حتى أنزل الله ما قطعتم من لينة الآية الى قوله وليخزى الفاسقين واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت الناس وكانوا يقتاتون العجوة وفى الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو أحسن غذاء والبرنى أيضا كذلك ففى قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع مايقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجى أن يصل الى المسلمين قال ابن اسحاق وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله فى قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن سعد أنهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم وأعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون وتكاروا من أناس من أشجع ابلا فأرسل اليهم عبد الله بن أبى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى من العرب يدخلون حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى فيما قاله ابن أبى فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدالك فأظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه الصلاة والسلام فى أصحابه فصلى العصر بفناء بنى النضير وعلى يحمل رايته فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن أبى ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه الصلاة والسلام أخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهى باسكان اللام قال فى القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك فحاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ثم أجلاهم عن المدينة وولى اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف فى قلوبهم الرعب وأجلوا عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قد قاسموهم فى الاموال والديار غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وفى الاكليل وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم

﴿ غزوة ذات الرقاع ﴾

واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحق بعد بني النضير سنة أربع فى شهر ربيع الآخر وبعض جمادى وعند ابن سعد وابن حبان فى المحرم سنة خمس وجزم أبو معشر بأنها بعد بني قريظة فى ذى القعدة سنة خمس فتكون ذات الرقاع فى آخر السنة الخامسة وأول التى تليها قال فى فتح البارى قد جنح البخارى الى أنها كانت بعد خيبر واستدل لذلك بأمور ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا أدرى هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازى أنها كانت قبلها أو أن ذلك من الرواة عنه أو اشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما أشار اليها البيهقى على ان أصحاب المغازى مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون فى زمانها انتهى والذى جزم به ابن عقبة تقدمها لكن تردد فى وقتها فقال لاندرى كانت قبل بدر أو بعدها أو قبل أحد أو بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة لان صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع فدل على تأخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخارى وهى بعد خيبر لان أبا موسى جاء بعد خيبر واذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم أنها كانت بعد خيبر قال وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال جعل البخارى حديث أبى موسى هذا حجة فى أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر قال وليس فى خبر أبى موسى ما يدل على شئ من ذلك انتهى كلام ابن سيد الناس قال وهذا النفى مردود والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال وأما الدمياطى فادعى غلط الحديث الصحيح وأن جمع أهل السير على خلافه وقد تقدم أنهم مختلفون فى زمانها فالاولى الاعتماد على ما ثبت فى الصحيح وأما قول الغزالى انها آخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح فى انكاره وقال بعض من انتصر للغزالى لعله أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف وهو انتصار مردود بما أخرجه أبو داود والنسائى وصححه ابن حبان من حديث أبى بكرة أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وانما أسلم أبو بكرة بعد غزوة الطائف بالاتفاق انتهى وأما تسميتها بذات الرقاع فلانهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل لشجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل الارض التى نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل ان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان وقال الواقدى سميت بجبل هناك فيه بقع قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بجبل قال وأغرب الداودى فقال سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها انتهى قال السهيلى وأصح من هذه الاقوال كلها مارواه البخارى عن أبى موسى الاشعرى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لانه عليه الصلاة والسلام بلغه أنهم جمعوا الجموع فخرج فى أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة عثمان بن

عفان وقيل أبا ذر الغفارى حتى نزلنا نخلا بالخاء المعجمة موضع من نجد من أراضى غطفان قال ابن سعد فلم يجد فى محالهم الا نسوة فأخذهم وقال ابن اسحق فلقى جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد أخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف الناس قال ابن سعد وكان ذلك أول ما صلاها وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسيأتي ان شاء الله تعالى الكلام على ما تيسر منها فى مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة خمس عشرة ليلة وفى البخارى عن جابر قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبى صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه يعنى سله من غمده فقال تخافنى قال لا قال فمن يمنعك منى قال الله وعند أبى عوانة فسقط السيف من يده فأخذه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك منى قال كن خير آخذ قال تشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله قال الاعرابى لا بل أعاهدك أنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفى رواية عند البخارى ولم يعاقبه وانما لم يؤاخذه عليه الصلاة والسلام بما صنع وعفا عنه لشدة رغبته عليه الصلاة والسلام فى استئلاف الكفار ليدخلوا فى الاسلام وفى رواية أبى اليمان عند البخارى فى الجهاد قال من يمنعك منى ثلاث مرات وهو استفهام انكارى أى لا يمنعك منى أحد وقد كان الاعرابى قائما على رأسه والسيف فى يده والنبي صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويؤخذ من مراجعة الاعرابى له فى الكلام أن الله سبحانه منع نبيه والا فما الذى أحوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة عند قومه بقتله وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى جوابه الله أى يمنعني منك اشارة الى ذلك ولذلك لما أعادها الاعرابى فلم يزده على ذلك الجواب وفى ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدى فى نحو هذه القصة أنه أسلم ورجع الى أهله فاهتدى به خلق كثير وقال فيه انه رمى بالزلخة حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فندر السيف من يده وسقط الى الارض ﴿ والزلخة ﴾ بضم الزاى وتشديد اللام وجع يأخذ فى الصلب وقال البخارى قال مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر اسم الرجل غورث بن الحارث أى على وزن جعفر وحكى الخطابى فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم فى غزوة غطفان وهى غزوة ذى امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وأنه قام على رأسه صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك منى فقال عليه السلام الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وأنه أسلم قال فى عيون الاثر والظاهر أن الخبرين واحد وقال غيره من المحققين الصواب أنهما قصتان فى غزوتين وفى هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال صلى الله عليه وسلم وفى انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر ابن عبد الله فنخسه عليه الصلاة والسلام فانطلق متقدما بين يدى الركاب ثم قال أتبيعنيه فابتاعه منه وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح ووهب له الجمل والحديث أصله فى البخارى ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله أعلم

﴿ غزوة بدر الأخيرة ﴾

وهى الصغرى وتسمى بدر الموعد وكانت فى شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحاق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادى الاولى الى آخر رجب ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان ويقال كانت فى هلال ذى القعدة وميعاد أبى سفيان هو ماسبق أن أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج عليه الصلاة والسلام ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة افراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية من الظهران ويقال عسفان ثم بدا له الرجوع فقال يامعشر قريش انه لايصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأقام عليه السلام ببدر ثمانية أيام وباعوا مامعهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله فى المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول الى قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية والصحيح أن هذه الآية نزلت فى شأن حمراء الاسد كما نص عليه العماد بن كثير

{ غزوة دومة الجندل }

وهى بضم الدال من دومة وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة قال أبو عبيد البكرى سميت بدومى بن اسماعيل كان نزلها وكانت فى شهر ربيع الاول على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة وكان سببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه الصلاة والسلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع فى ألف من أصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنا منهم لم يجدوا الا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا ونزل عليه الصلاة والسلام بساحتهم فلم يلق بها أحدا فأقام بها أياما وبث السرايا وفرقها فرجعوا ولم يصب منهم أحدا ودخل المدينة فى العشرين من ربيع الآخر

{ غزوة المريسيع }

بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع يومان وتسمى غزوة بنى المصطلق بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو وبطن من خزاعة وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفى البخارى قال ابن اسحاق سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة أربع انتهى قالوا وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع والذى فى مغازى موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابورى والبيهقى فى الدلائل وغيرهم سنة خمس وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن رئيسهم الحارث بن ابى ضرار سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيؤا للمسير معه اليه فبعث عليه السلام

بريدة بن الحصيب الاسلمى يعلم علم ذلك فأتاهم ولقى الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه السلام مسرعا فى بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزاة قط مثلها واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقادوا الخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت عائشة وأم سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه الصلاة والسلام فسىء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وصف أصحابه ودفع رايات المهاجرين الى أبي بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الارجل واحد كذا ذكره ابن اسحق والذى فى صحيح البخارى من حديث ابن عمر يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه أغار على بنى المصطلق وهم غارون وانعامهم تستقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل أن يكون حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكون لما دهمهم وهم على الماء وتصافوا وقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم قيل وفى هذه الغزوة نزلت آية التيمم وفى الصحيحين من حديث عائشة أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره نذكر حديث التيمم قال فى فتح البارى قوله فى بعض أسفاره قال ابن عبد البر فى التمهيد يقال انه كان فى غزوة بنى المصطلق وجزم بذلك فى الاستذكار وسبقه الى ذلك ابن سعد وابن حبان وغزوة بنى المصطلق هى غزوة المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعائشة وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها أيضا فان كان ماجزموا به ثابتا حمل على أنه سقط منها فى تلك السفرة مرتين لاختلاف القصتين كما هو بين فى سياقها قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها فى الحديث حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووى قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيداء هى ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة وذات الجيش وراء ذى الحليفة وقال أبو عبيد البكرى فى معجمه أدنى الى مكة من ذى الحليفة ثم ساق حديث عائشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة أميال والعقيق من طريق مكة لامن طريق خيبر فاستقام ماقاله ابن التين وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد بن حبيب الاخبارى فقال سقط عقد عائشة فى غزوة ذات الرقاع وفى غزوة بني المصطلق وقد اختلف أهل المغازى فى أى هاتين الغزوتين كانت أولا وقال الداودى كانت قصة التيمم فى غزوة الفتح ثم تردد فى ذلك وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع فهذا يدل على تأخرها عن غزوة بنى المصطلق لان اسلام أبي هريرة كان فى السنة السابعة وهى بعدها بلاخلاف وكان البخارى يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم أبى موسى وقدومه كان وقت اسلام أبى هريرة ومما يدل على تأخر القصة أيضا عن قصة الافك مارواه الطبرانى من طريق يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما كان من أمر عقدى ما كان وقال أهل الافك

ماقالوا خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أخرى فسقط أيضا عقدى حتى حبس الناس على التماسه فقال لى أبو بكر يابنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فأنزل الله الرخصة فى التيمم فقال أبو بكر انك لمباركة وفى اسناده محمد بن حميد الرازى وفيه مقال وفى سياقه من الفوائد بيان عتاب أبى بكر الذى أبهم فى حديث الصحيح والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين فى غزوتين انتهى وفى هذه الغزوة قال ابن أبى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الا عزمنها الاذل فسمعه زيد بن أرقم ذو الاذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل الى ابن أبى وأصحابه فحلفوا ماقالوا فأنزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد صدقك يازيد رواه البخارى وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما

﴿ غزوة الخندق ﴾

وهى الاحزاب جمع حزب أى طائفة فأما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذى حفر حول المدينة بامره عليه الصلاة والسلام ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذى أشار بذلك سلمان فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فامر النبى صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم وقد أنزل الله تعالى فى هذه القصة صدرا من سورة الاحزاب واختلف فى تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة أربع وقال ابن اسحاق كانت فى شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من أهل المغازى ومال البخارى الى قول موسى بن عقبة وقواه بقول ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة وأحد كانت سنة ثلاث فتكون الخندق سنة أربع ولا حجة فيه اذا ثبت لنا أنها كانت سنة خمس لاحتمال أن يكون ابن عمر فى أحد كان أول ماطعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب استكمل الخمس عشرة وبهذا أجاب البيهقى وقال الشيخ ولى الدين بن العراقى والمشهور أنها فى السنة الرابعة * وكان من حديث هذه الغزوة أن نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة وقالوا انا سنكون معكم واستعدوا حتى نستأصله فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حربه عليه الصلاة والسلام وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن فى فزارة والحارث بن عوف المرى فى مرة وكان عدتهم فيما ذكره ابن اسحق عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وبما أجمعوا عليه من الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل فيه عليه الصلاة والسلام ترغيبا للاجر وعمل معه المسلمون فداب ودأبوا وابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين فى عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف عن

العمل وفى البخارى عن سهل بن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاعيش الا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والانصار ﴿والاكتاد﴾ بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح أوله وكسر المثناة وهو مابين الكاهل الى الظهر وفى بعض نسخ البخارى أكبادنا بالموحدة وهو موجه على أن يكون المراد به مما يلى الكبد من الجنب وفى البخارى أيضا عن أنس فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى مابهم من النصب والجوع فقال

اللهم لاعيش الاعيش الآخره * فاغفر للانصار والمهاجره

﴿ فقالوا مجيبين له ﴾

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مابقينا أبدا

قال ابن بطال وقوله * اللهم لاعيش الاعيش الآخره * هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه الصلاة والسلام وعند الحارث بن أبى اسامة من مرسل طاوس زيادة فى آخر الرجز

والعن عضلا والقاره * هم كلفونا نقل الحجاره

وفى البخارى من حديث البراء قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتي واري عنى الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الأولى قد رغبوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

قال يمد بها صوته وفى رواية له أيضا ان الاولى قد بغوا علينا اذ أرادوا فتنة أبينا وفى حديث سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى أنه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال

بسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * حبذا ربا وحبذا دينا

قال فى النهاية يقال بديت بالشئ بكسر الدال أى بدأت به فلما خفف الهمزة كسر الدال فانقلبت الهمزة ياء وليس هو من بنات الياء انتهى وقد وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها مافى الصحيح عن جابر قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهى بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية وهى القطعة الصلبة فجاؤا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم كذا بالشك من الراوى وفى رواية الاسماعيلى باللام من غير شك والمعنى أنه صار رملا يسيل ولا يتماسك ﴿وأهيم﴾ بمعنى أهيل وقد قيل فى قوله تعالى فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التى لايرويها الماء وقد وقع عند أحمد والنسائى فى هذه القصة زيادة باسناد حسن من حديث البراء قال لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بحفر الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس وانى والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة * ومن أعلام نبوته ماثبت فى الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سيأتى ان شاء الله تعالى مستوفى فى مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم أقاموا فى عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدى أربعا وعشرين وفى الروضة للنووى خمسة عشر يوما وفى الهدى النبوى لابن القيم اقاموا شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتي نزلت بمجتمع السيول فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة ونزل عيينة بن حصن فى غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين حتى جعلوا أظهرهم الى سلع وكانوا ثلاثة آلاف رجل فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الذرارى من بني قريظة قال ابن اسحق وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتي كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فاغلق كعب دونه باب حصنه وأبى ان يفتح له وقال ويحك ياحيي انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتي أنزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه ولم يزل به حتي نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمرو بن أبي مسلمة مع النساء فى أطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف قال رأيتنى يابنى قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأت بني قريظة فيأتينى بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبي وأمى أخرجه الشيخان وقال الترمذى حديث حسن وفى رواية أصحاب المغازى فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا الخبر فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرؤا من عقده وعهده ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة أى كغدرهما باصحاب الرجيع فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتي ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين وأنزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا الآيات وقال رجال

ممن معه يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا وقال أوس بن قيظي يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فائذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال ابن عائذ وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فى الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية على أن تدفعوه الينا فندفنه فرد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا فى ديته وقال ابن اسحق وأقام عليه الصلاة والسلام والمسلمون وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبدود العامرى اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتي صاروا بالسبخة فبارزه على فقتله وبرز نوفل بن عبدالله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله على ورجعت بقية الخيول منهزمة ورمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق فى وسط الذراع قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان فى كل عضو منه شعبة فهو فى اليد الاكحل وفى الظهر الابهر وفى الفخذ النسا اذا قطع لم يرقأ الدم وكان الذى رمى سعدا ابن العرقة أحد بنى عامر ابن لؤى قال خذها منى وأنا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك فى النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فأبقنى لها فانه لاقوم أحب الى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأقام عليه الصلاة والسلام وأصحابه بضع عشرة ليلة فمشى نعيم بن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه فثبط قوما عن قوم وأوقع بينهم شرا لقوله عليه السلام الحرب خدعة فاختلفت كلمتهم وروى الحاكم عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الاحزاب وأبو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذراريـنا وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون بيوتنا عورة فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلثمائة فقال اذهب فائتنى بخبر القوم قال ودعا لى فأذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم فاذا الريح فيه لاتجاوز شبرا فلما رجعت رأيت فوارس فى طريقى فقالوا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم وفى رواية أن حذيفة لما أرسله عليه الصلاة والسلام ليأتيه بالخبر سمع أبا سفيان يقول يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واختلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذا الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم ووقع فى البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم الاحزاب من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا فقال من يأتينا بخبر القوم قالها ثلاثا وقد استشكل ذكر الزبير فى هذه فقال ابن الملقن وقع هنا أن الزبير هو الذى ذهب والمشهور أنه حذيفة بن اليمان قال الحافظ ابن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التى ذهب لكشفها غير القصة التى ذهب حذيفة لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وتمالأت عليهم الطوائف ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذرت كل طائفة من الاخرى وأرسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب عليه الصلاة والسلام من يأتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك وقصته فى ذلك مشهورة لما دخل بين قريش فى الليل وعرف

قصتهم وفى البخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب للهم اهزمهم وزلزلهم وروى أحمد عن أبى سعيد قال قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استرعو راتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وفى ينبوع الحياة لابن ظفر قيل انه صلى الله عليه وسلم دعا فقال ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وبأصحابى فأتاه جبريل فبشره بأن الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصى وسمعوا فى ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وفى البخارى عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما فى صحيح مسلم عن ابن مسعود أنه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى الحديث ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك الوقت أى الحمرة أو الصفرة ولم تقع الصلاة الا بعد المغرب انتهى وفى البخارى عن عمر بن الخطاب أنه جاء يوم الخندق وجعل يسب كفار قريش قال يارسول الله ما كدت أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب فقال صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها فنزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون ذلك للاشتغال باسباب الصلاة أو غيرها ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر وفى الموطأ الظهر والعصر وفى الترمذى عن ابن مسعود أن المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أربع صلوات يوم الخندق وقال ليس باسناده بأس الا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله فمال ابن العربى الى الترجيح وقال الصحيح ان التى اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهى العصر وقال النووى طريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياما فكان هذا فى بعض الايام وهذا فى بعضها قال وأما تأخيره عليه الصلاة والسلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف قال العلماء يحتمل ان يكون أخرها سيانا لاعمدا وكان السبب فى النسيان الاشتغال بامر العدو ويحتمل أنه أخرها عمدا للاشتغال بالعدو قبل نزول صلاة الخوف واما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال بل يصلى صلاة الخوف على حسب الحال وقد اختلف فى المراد بالصلاة الوسطى وجمع الحافظ الدمياطى فى ذلك مؤلفا مفردا سماه كشف المغطى عن الصلاة الوسطى فبلغ تسعة عشر قولا وهى الصبح او الظهر أو العصر أو المغرب أو جميع الصلاة وهو يتناول الفرائض والنوافل واختاره ابن عبد البر أو الجمعة وصححه القاضى حسين فى صلاة الخوف من تعليقه أو الظهر فى الايام والجمعة يوم

الجمعة أو العشاء لانها بين صلاتين لا تقصران أو الصبح والعشاء أو الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القرآن الصبح ونص السنة العصر أو صلاة الجماعة أو الوتر أو صلاة الخوف أو صلاة عيد الاضحى أو الفطر أو صلاة الضحى أو واحدة من الخمس غير معينة أو الصبح أو العصر على الترديد وهو غير القول السابق أو التوقف انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقال عليه الصلاة والسلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى ذلك علم من أعلام النبوة فانه عليه الصلاة والسلام اعتمر فى السنة التى صدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم الى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الامر كما قال عليه الصلاة والسلام وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى وقد أخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا لهذا ولفظه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا تغزونكم بعدها أبدا ولكن انتم تغزونهم ولما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعاء هو وأصحابه ووضعوا السلاح جاء جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج وفى رواية البخارى من حديث عائشة انه لما رجع صلى الله عليه وآله وسلم ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال له قد وضعت السلاح والله ما وضعناه أخرج اليهم وأشار الى بنى قريظة وعند ابن اسحق ان الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببنى قريظة وعند ابن عائذ قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث يومئذ مناديا ينادى ياخيل الله اركبى وعند الحاكم والبيهقى وبعث عليا على المقدمة وخرج صلى الله عليه وسلم فى أثره وعند ابن سعد ثم سار اليهم فى المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا وذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى القعدة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قاله ابن هشام ونزل عليه الصلاة والسلام على بئر من آبار بنى قريظة وتلاحق به الناس فأتى رجال منهم بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقوله عليه الصلاة والسلام لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن ابن عمر فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلى لم يردمنا ذلك فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم كذا وقع فى جميع النسخ من البخارى انها العصر واتفق عليه جميع اهل المغازى ووقع فى مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد ووافق مسلما أبو يعلى وآخرون وجمع بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر ولمن صلاها لا يصلين أحد العصر وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الاولى الظهر وللطائفة التى بعدها العصر والله أعلم قال ابن اسحاق وحاصرهم صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وعند ابن سعد خمس عشرة وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة وقذف الله فى قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا فقال لهم يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى

أعرض عليكم خصالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه لنبي مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتامنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فأبوا فقال اذا أبيتم على هذه فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا مانخشى عليه فقالوا أى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا فقال ان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قدعلمت فاصابه مالم يخف عليك من المسخ وأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا فارسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لايطأ بنى قريظة أبدا ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما لو جاءنى لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنابالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه قال وأقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع وقال أبو عمر روى وهب عن مالك عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحله اذا حضرت الصلاة أو أراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ أعادته وعن عبد الله بن قسيط ان توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقالت قلت مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح أطلقه وروى البيهقى فى دلائله بسنده عن مجاهد فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال هو ابو لبابة اذ قال لقريظة ما قال وأشار الى حلقه بان محمدا يذبحكم ان نزلتم على حكمه قال البيهقى وترجم محمد بن اسحق بن يسار أن ارتباطه كان حينئذ وقد روينا عن ابن عباس مادل على أن ارتباطه بسارية المسجد كان لتخلفه عن غزوة تبوك كما قال ابن المسيب قال وفى ذلك نزلت هذه الآية ولما اشتد الحصار ببنى قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله فى خيمة فى المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى فلما حكمه أتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطؤا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار وأما الانصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك فتحكم فيهم فقال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذرارى والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة والرقيع السماء سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم ووقع فى البخارى قال قضيت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك بكسر اللام وفى رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات وفى حديث جابر عند ابن عائذ فقال احكم فيهم ياسعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم وفى هذه القصة جوازا لاجتهاد فى زمنه صلى الله عليه وسلم وهى مسئلة اختلف فيها أهل أصول الفقه والمختار الجواز سواء كان فى حضرته صلى الله عليه وسلم أم لا وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع ولايضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته عليه الصلاة والسلام كما فى هذه القصة وغيرها انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما قاله الدمياطى أو لخمس كما قاله مغلطاى خلون من ذى الحجة وأمر صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم أخدود فى السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا اليه فضربت أعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلى المكثر يقول انهم ما بين الثمانمائة الى التسعمائة وفى حديث جابر عند الترمذى والنسائى وابن حبان باسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل فيحتمل فى طريق الجمع أن يقال ان الباقين كانوا أتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها وقيل كان يطؤها بملك اليمين وأمر بالغنائم فجمعت وأخرج الخمس من المتاع والسبى ثم أمر بالباقى فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدى فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم منه من أراد وكذلك كان يصنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا وفى البخارى انه دعا اللهم انك تعلم أنه ليس أحد أحب الى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك اللهم انى أظن أنك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفى المسجد خيمة لامرأة من بنى غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ماهذا الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغدو جرحه دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه فى هذه القصة مجابا وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه الصلاة والسلام من قابل واستمر ذلك الى أن نقضوا العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد

بقوله أظن انك قد وضعت الحرب أى ان يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه الصلاة والسلام نغزوهم ولا يغزونا كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد فى مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد ولفظه أنه مرت به عنز وهو مضطجع فأصاب ظلفها موضع الفجر فانفجرت حتى مات وحضر جنازته سبعون ألف ملك واهتز لموته عرش الرحمن رواه الشيخان قال النووى اختلف العلماء فى تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى فى العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار قال المازرى قال بعضهم هو على حقيقته وأن العرش تحرك لموته قال وهذا لاينكر من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لاتحصل فضيلة سعد بذلك الا أن يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته وقال آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لايريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربى هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشئ المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون أظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التى ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن وانما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التى ذكرها مسلم والله أعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح الترمذى من حديث أنس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماأخف جنازته فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله وعن البراء قال أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين هذا لفظ رواية أبى نعيم فى مستخرجه عن مسلم والمناديل جمع منديل بكسر الميم فى المفرد وهو معروف قال العلماء وهذا اشارة الى عظم منزلة سعد فى الجنة وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل انتهى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هى مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك فى وجهه فقال الحمد لله لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبى سعيد الخدرى قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرناه قال الحافظ مغلطاى وغيره وفى هذه السنة فرض الحج وقيل سنة ست وصححه غير واحد وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء وسيأتى البحث فى ذلك ان شاء الله تعالى فى ذكر وفد عبد القيس فى المقصد الثانى وفى ذكر حجه عليه الصلاة والسلام من مقصد عباداته

﴿ثم سرية محمد بن مسلمة﴾

الى القرطاء بطن من بنى بكر بن كلاب وهم ينزلون ناحيـة ضرية بالبكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على رأس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه فى ثلاثين راكبا فلما أغار عليهم هرب سائرهم وعند الدمياطى فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن أثال الحنفى أسيرا فربط بأمره عليه الصلاة والسلام بسارية من سوارى المسجد ثم أطلق بأمره عليه الصلاة والسلام فاغتسل وأسلم وقال يامحمد والله ما كان على الارض وجه أبغض الى من وجهك فقـد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينـك أحب الاديان كلها الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع رسول الله صـلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبـة حنطة حتى يأذن فيها النبي صـلى الله عليه وسـلم ذكر قصته البخارى

﴿ ثم غزوة بنى لحيان ﴾

بكسر اللام وفتحها لغتان فى ربيع الاول سـنة ست ن الهجرة وذكرها ابن اسحاق فى جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من قريظة قال ابن حزم الصحيح أنها فى الخامسة قلوا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا فأظهر أنه يريد الشام وعسكر فى مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ثم أسرع السير حتي انتهى الى بطن غران واد بين أمج وعسفان وبينهما وبين عسفان خمسة أميال حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع اى الذين قتلوا ببئر معونة فترحم عليهـم ودعا لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال فلم يقدر منهم على أحد فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر فى عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحـدا وانصرف صلى الله عليه وسـلم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة

﴿ غزوة الغابة ﴾

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة فى ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية وعند البخارى أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وفى مسلم نحوه قال مغلطاى وفى ذلك نظر لاجماع أهل السير على خلافهما انتهى قال القرطبي شارح مسلم لايختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة ذى قرد أصح مما ذكر أهل السير انتهى وسببها أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة وهى ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان ابو ذر فيها فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزارى ليلة الاربعاء فى اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر وقال ابن اسحاق وكان فيهـم رجـل من بنى غفار وامرأة فقتلوا

الرجل وسبوا المرأة فركبت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته بذلك فقال لانذر في معصية ولا لاحد فيما لايملك ونودي ياخيل الله اركبي وكان أول مانودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة وقيل سبعمائة واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك فأدرك أخريات العدو وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة وأدرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول

خذها وأنا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع

يعني هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أي راضع اللؤم في بطن أمه وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء قال سلمة فقلت يارسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت مافي أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم فقال صلى الله عليه وسلم ملكت فأسجح وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة أي فارفق وأحسن والسجاحة السهولة أي لاتأخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد ثم قال أنهم ليقرون في غطفان وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها

﴿ سرية عكاشة بن محصن الاسدي ﴾

الى غمر مرزوق بالغين المعجمة المكسورة على ليلتين من فيد في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة في أربعين رجلا فنذر به القوم بكسر الذال المعجمة كفرح فهربوا فنزلوا عاليا بلادهم فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

﴿ ثم سرية محمد بن مسلمة ﴾

الى ذي القصة بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحتين موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا فأحدق به القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم من ثيابهم فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر في أربعين رجلا الى مصارعهم

فأناروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال وأصاب رجلا واحدا فأسلم وتركه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم مابقى عليهم قال فى القاموس ﴿ الرث ﴾ السقط من متاع البيت كالرثة بالكسر

﴿ ثم سرية زيد بن حارثة ﴾

الى بنى سليم بالجموم ويقال بالجموح ناحية ببطن نخل من المدينة على أربعة أميال فى شهر ربيع الآخر سنة ست فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم فأصابوا نعما وشاء وأسرى فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها

﴿ ثم سرية زيد بن حارثة أيضا ﴾

الى العيص موضع على أربع ليال من المدينة فى جمادى الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه عليه الصلاة والسلام ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام يتعرض لها فأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسر منهم ناسا منهم أبو العاصى بن الربيع وقدم بهم المدينة فأجارته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر انى قد أجرت أبا العاصى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعلمت بشئ من هذا وقد أجرنا من أجرت ورد عليه ماأخذ منه وذكر ابن عقبة ان اسره كان على يد أبى بصير بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع

﴿ ثم سرية زيد بن حارثة أيضا ﴾

الى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة فى جمادى الاخرة سنة ست فخرج الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فأصاب نعما وشاء وهربت الاعراب وصبح زيد بالنعم المدينة وهى عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب أربع ليال

﴿ ثم سرية زيد أيضا ﴾

الى حسمى بكسر المهملة وهى وراء ذات القرى وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست وسببها أنه أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد أجازه وكساه فلقيه الهنيد فى ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهر فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فأخذوا من النعم ألف شاة ومائة من النساء والصبيان فرحل زيد بن رفاعة الجذامى فى نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم كتابه الذى كان كتب له ولقومه ليالى قدم عليه فأسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم فرد عليهم

﴿ثم سرية زيد أيضا الى وادى القرى أيضا﴾

فى رجب سنة ست فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد أى حمل من المعركة رثيثا أى جريحا وبه رمق وهو مبنى للمجهول قاله فى القاموس

﴿ثم سرية عبد الرحمن بن عوف﴾

الى دومة الجندل فى شعبان سنة ست قالوادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال أغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام فأسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان رئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام من أقام على اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن بتماضر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له أبا سلمة

﴿ثم سرية على بن أبى طالب﴾

فى شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر فأغاروا عليهم بين فدك وخيبر فأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة وهربت بنو سعد وقدم على ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا

﴿ثم سرية زيد بن حارثة﴾

الى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزارية بناحية وادى القرى على سبع ليال من المدينة فى رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها أن زيد بن حارثة خرج فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه واخذوا ما كان معهم وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فبعثه عليه الصلاة والسلام اليهم فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد وأصحابه فكبروا وأحاطوا بالحاضر وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمه قيس بن المحسر الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتي اعتنقه وقبله وسأله فاخبره بما اظفره الله به

﴿سرية عبد الله بن عتيك﴾

لقتل أبى رافع عبد الله ويقال سلام بن أبي الحقيق اليهودى وهو الذى حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية فى شهر رمضان سنة ست كذا ذكره ابن سعدها هنا وذكر فى ترجمة عبد الله بن عتيك أنه بعثه فى ذى الحجة الى ابى رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة وقيل فى جمادى الآخرة

سنة ثلاث وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف وأرسل معه أربعة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبا قتادة والاسود بن خزاعى ومسعود بن سنان وأمرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل جاؤا الى منزله فصعدوا درجة له وقدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه بأسيافهم وفى البخارى وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان فى حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى ان أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق قال فقمت الى الاغاليق فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالى له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت على من داخل فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لاأدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنت وصاح فخرجت من البيت فأمسكت غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ماهذا الصوت ياأبا رافع فقال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم أقتله ثم وضعت ظبيب سيفى فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قتلته وفى رواية له ثم جئت كانى أغيثه فقلت مالك ياأبا رافع وغيرت الصوت فقال لامك الويل دخل على رجل فضربنى قال فعمدت له أيضا فاضربه أخرى فلم تغن شيأ فصاح وقام أهله قال ثم جئت وغيرت صوتى كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف فى بطنه ثم اتكأت عليه فسمعت صوت العظم فجعلت أفتح الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعى على السور فانطلقت الى أصحابى فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها النبى صلى الله عليه وسلم فكأنما لم اشتكها قط هذا لفظ رواية البخارى وفى رواية محمد بن سعد أن الذى قتله عبد الله بن أنيس والصواب أن الذى دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما فى البخارى

﴿ سرية عبد الله بن رواحة ﴾

الى أسير بن رزام اليهودى بخيبر فى شوال سنة ست وكان سببها أنه لما قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق أمرت يهود عليها أسيرا فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة فى ثلاثة نفر من شهر رمضان سرا فسأل عن خبره وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فندب عليه السلام الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع فى ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف

من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن أنيس وكان فى السرية بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا على أصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين أحد ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين

﴿ سرية كرز ﴾

بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاى ابن جابر الفهرى الى العرنيين بضم العين وفتح الراء المهملتين حى من قضاعة وحى من بجيلة والمراد هنا الثانى كذا ذكره ابن عقبة فى المغازى وذكر ابن اسحاق أن قدومهم كان بعد غزوة ذى قرد وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست وذكرها البخارى بعد الحديبية وكانت فى ذى القعدة منها وعند الواقدى فى شوال منها وتبعه ابن سعد وابن حبان وفى البخارى فى كتاب المغازى عن أنس أن ناسا من عكل يعنى بضم العين وسكون الكاف وعرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يانبي الله انا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتي اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا فى ناحية الحرة حتي ماتوا على حالهم وفى لفظ وسمر أعينهم ثم نبذوا فى الشمس حتى ماتوا وفى لفظ ولم يحسمهم أى لم يكو مواضع القطع فينحسم الدم وقال أنس انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة رواه مسلم فيكون ما فعل بهم قصاصا وفى رواية أنهم كانوا ثمانية وعند البخارى أيضا فى المحاربين أنهم كانوا فى الصفة قبل أن يطلبوا الخروج وفى رواية قال أنس فلقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه حتي مات وعند الدمياطى أن اللقاح كانت خمسة عشر لقحة بكسر اللام وسكون القاف ويقال لها ذلك الى ثلاثة أشهر وفى صحيح مسلم أن السرية كانت عشرين فارسا من الانصار وروى ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعتقه وبعثه فى لقاح له بالحرة فكان بها قال فأظهر قوم الاسلام من عرينة وجاؤا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم وعدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك فى عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهرى فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم قال ابن كثير غريب جدا وروى ابن جرير عن محمد بن ابراهيم عن جرير بن عبد الله البجلى قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة الحديث وفيه قال جرير فبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفرا من المسلمين حتى أدركناهم فقطع أيديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله سمل الاعين فأنزل الله هذه الآية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا الى آخر الآية وهو حديث غريب ضعيف وفيه ان أمير السرية جرير بن عبد الله البجلى قال مغلطاى

وفيه نظر لان اسلام جرير كان بعد هذه بنحو أربع سنين وفى مغازى ابن عقبة ان أمير هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة ياء وعند غيره أنه سعد بسكون العين بن زيد الاشهلى وهذا انصارى فيحتمل انه كان رأس الانصار وكان كرز أمير الجماعة واما قوله فكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الآية فانه منكر فقد تقدم فى صحيح مسلم أنهم سملوا أعين الرعاة فكان ما فعل بهم قصاصا والله أعلم ﴿ تنبيه ﴾ قال فى فتح البارى وزعم ابن التين تبعا للداودى أن عرينة هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان عكل من عدنان وعرينة من قحطان

﴿ ثم سرية عمرو بن أمية الضمرى ﴾

الى ابي سفيان بن حرب بمكة لأنه أرسل للنبى صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا يريد غدرا فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فسقط فى يده فقال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن أمية ومعه سلمة بن أسلم ويقال خيار بن صخر الى أبى سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبى سفيان فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا فى الجاهلية فحشد له أهل مكة وتجمعوا له فهرب عمرو وسلمة فاتى عمرو عبد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل آخر ولقى رسولين لقريش بعثهما يتحسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو عليه الصلاة والسلام يضحك

﴿ ثم الحديبية ﴾

بتخفيف الياء وتشديدها وهى بئر سمى المكان بها وقيل شجرة وقال المحب الطبرى قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم وهى على تسعة أميال من مكة خرج عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة المعمرة وأخرج معه زوجته أم سلمة فى ألف واربعمائة ويقال ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال ألف واربعمائة ألغاه ويؤيده رواية البراء ألف واربعمائة أو أكثر واعتمد على هذا الجمع النووى وأما رواية ألف وثلثمائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحق انهم كانوا سبعمائة فلم يوافقه أحد عليه لانه قاله استنباطا من قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على انهم ما كانوا نحروا غير البدن مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلا وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفا وستمائة وعند ابن أبى شيبة من حديث سلمة بن الاكوع ألف وسبعمائة وحكى ابن سعد ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولم يخرج معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب وفى البخارى فى المغازى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرمائة من أصحابه فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى واشعر

وأحرم فيها وفى رواية أحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط أتاه عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال أشيروا على أيها الناس اترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت وفيه قال أبو بكر يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل احد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله وزاد أحمد كان أبو هريرة يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتي اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت يعنى تمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش لوقع بينهم القتال المفضى الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل لكن سبق فى علم الله أنه سيدخل فى الاسلام منهم خلق ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لايسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يعنى حفرة فيها ماء قليل يتربضه الناس تربضا أى يأخذونه قليلا قليلا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش بالرى حتى صدروا عنه فبينماهم كذلك اذجاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ﴿والعوذ﴾ بالذال المعجمة جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات اللاتى معها أطفالها يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بألبانها ولايرجعوا حتي يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لارادة طول المقام ليكون أدعى الى عدم الفرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ان شاؤا فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والافقد جموا يعنى استراحوا وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي أى صفحة العنق كنى بذلك عن القتل ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ قال ذوالرأى منهم هات ماسمعته يقول قال سمعته يقول كذا

وكذا يخدعهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أو لست بالولد قالوا بلى قال أفهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على وهو بالحاء المهملة أى تمنعوا من الاجابة جئتكم بأهلى وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد أى خصلة خير وصلاح اقبلوها ودعونى آته فقالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أى محمد ارأيت أن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا يعنى اخلاطا من الناس خليقا أن يفروا عنك ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه أو ندعه قال العلماء وهذا مبالغة من أبي بكر فى سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته الى الفرار ﴿والبظر﴾ بالباء الموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة واللات اسم صنم والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم انتهى فقال أى عروة من هذا قالوا أبو بكر فقال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه لاسيما عند الملاطفة وفى الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضى لعروة استمالة له وتأليفا والمغيرة يمنعه اجلالا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما انتهى قال فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شيء ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ماتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال فى فتح البارى فيه اشارة الى الرد على ماخشيه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم والله أعلم انتهى قال فرجع عروة الى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بنى كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينا هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وفى رواية ابن اسحاق فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يؤمن بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا وقال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن الرحيم فوالله ماأدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لانكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله وفى حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ماصالح محمد رسول الله أهل مكة الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى وفى رواية له يعنى البخارى ولمسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى امحه فقال ما أنا بالذى أمحاه وهى لغة فى أمحوه قال العلماء وهذا الذى فعله على من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبى صلى الله عليه وسلم تحتم محو على نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلى تركه انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها وكتب ابن عبد الله وفى رواية البخارى فى المغازى فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله وكذا أخرجه النسائي وأحمد ولفظه فأخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله قال فى فتح البارى وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجى فادعى أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد ان لم يكن يحسن أن يكتب فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه ورموه بالزندقة وأن الذى قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم الامير فاستظهر الباجى عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لاينافى القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لانه قيد النفى بما قبل ورود القرآن قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب فى ذلك لامانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فيكون معجزة أخرى وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجى على ذلك منهم

شيخه أبو ذر الهروى وأبو الفتح النيسابورى وآخرون من علماء افريقية واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبى شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبى فقال صدق قد سمعت من يذكر ذلك وقال القاضى عياض وردت آثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فانه أذكر لك وقوله لمعاوية ألق الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة فانه أوتى علم كل شئ وأجاب الجمهور بضعف هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها على بن أبى طالب وقد صرح فى حديث المسور بن مخرمة بان عليا هو الذى كتب فيحمل على أن النكتة فى قوله فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان أن قوله أرنى اياها أنه انما احتاج أن يريه موضع الكلمة التى امتنع على من محوها الا لكونه كان لايحسن الكتابة وعلى أن قوله بعد ذلك فكتب فيه حذف تقديره فمحاها فأعادها لعلى فكتب أو أطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف فى ذلك اليوم وهو لايحسن الكتابة أن يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه أميا فان كثيرا ممن لايحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه أميا ككثير من الملوك ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لايحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى فى ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه أميا وبهذا أجاب أبو جعفر السمنانى أحد أئمة الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن الجوزى وتعقب ذلك السهيلى وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون آية أخرى لكنه يناقض كونه أميا لايكتب وهى الآية التى قامت بها الحجة وأفحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب وكان يكتم ذلك والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا والحق أن معنى قوله فكتب أمر عليا أن يكتب انتهى قال وفى دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير أمى نظر كبير والله أعلم انتهى وأما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله أما الرحمن الرحيم فوالله ماأدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم الخ فقال العلماء وافقهم عليه الصلاة والسلام فى ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم فى محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة فى هذه الامور أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا قوله محمد بن عبد الله هو أيضا رسوله وليس فى ترك وصف الله تعالى فى هذا الموضع بالرحمن الرحيم ماينفى ذلك ولا فى ترك وصفه صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ماينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب مالا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك انتهى قال فى رواية البخارى فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لاتتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فقال سهيل وعلى أنه لايأتيك

منا رجل وان كان على دينك الارددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ﴿ والضغطة ﴾ بالضم قال فى القاموس الضيق والاكراه والشدة انتهى فان قلت ما الحكمة فى كونه عليه السلام وافق سهيلا على أنه لايأتيه منهم رجل وان كان على دين الاسلام الا ويرده الى المشركين فالجواب أن المصلحة المترتبة على اتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى كانت عاقبتها فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس فى دين الله أفواجا وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من غير قريش فى البوادى ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش أسلمت العرب فى البوادى قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فالله ورسوله أعلم انتهى قال فى رواية البخارى فبينماهم كذلك اذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لى قال ما أنا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا زاد ابن اسحاق فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا ووثب عمر يمشى الى جنبه ويقول أصبر انما هم المشركون وان دم أحدهم كدم كلب قال الخطابى فأول العلماء ما وقع فى قصة أبى جندل على وجهين أحدهما أن الله تعالى قد أباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم بالكفر مع اضمار الايمان ان لم يمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لأبى جندل الى الهلاك مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية والوجه الثانى انما رده لأبيه والغالب أن أباه لا يبلغ به الى الهلاك وان عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضا واما ما يخاف عليه من الفتنة فان ذلك امتحان من الله تعالى يبتلى به صبر عباده المؤمنين واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد اليهم من جاء مسلما من عندهم أم لا فقيل نعم على مادلت عليه قصة أبى جندل وابى بصير وقيل لا وان الذى وقع فى القصة منسوخ وان ناسخه حديث أنا برىء من مسلم بين مشركين وهو قول ابى حنيفة وعند الشافعى يفصل بين العاقل والمجنون و صبى فلا يرد ان وقال بعض الشافعية ضابط جواز الرد ان يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله اعلم قاله فى فتح البارى قال فى رواية البخارى فقال عمر بن الخطاب فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم

فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية
فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أو ليس كنت تحدثنا انا سنأتى البيت
فنطوف به قال بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام قلت لاقال فانك آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت
ياأبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى
الدنية فى ديننا اذا قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه
فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه
العام قلت لاقال فانك آتيه فتطوف به قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه وكلامه المذكور
شكا بل طلبا لكشف ماخفى عليه وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف فى خلقه وقوته
فى نصرة الدين واذلال المبطلين وأما جواب أبى بكر لعمر رضى الله عنهما بمثل جواب النبى صلى الله
عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى ذلك
على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما فى السير وأخرجه أبو داود من حديث ابن عمر لابى نعيم وفى
مسند عبد الله بن دينار كانت أربع سنين وكذا أخرجه الحاكم فى البيوع من المستدرك والاول أشهر
وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يأمن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وأن لايدخل البيت الا
العام القابل ثلاثة أيام ولا يدخلوها الابجلبان السلاح وهو القراب بما فيه والجلبان بضم الجيم وسكون
اللام يشبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم الجيم واللام وتشديد الباء
وقال هو أوعية السلاح بما فيها وفى بعض الروايات لايدخلها الابجلبان السلاح السيف والقوس وانما
اشترطوا ذلك ليكون علما وأمارة للسلم اذ كان دخولهم صلحا وقال مكى بن أبى طالب القيروانى فى تفسيره
وبعث عليه الصلاة والسلام بالكتاب اليهم مع عثمان بن عفان وأمسك سهيل بن عمرو عنده فأمسك المشركون
عثمان فغضب المسلمون وقال مغلطاى فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد
قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على أن لايفروا انتهى ووضع النبي صلى
الله عليه وسلم شماله فى يمينه وقال هذه عن عثمان وفى البخارى فقال صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه
بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا و بعثوا عثمان وجماعة من المسلمين
وفى هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى لقد رضى
الله عن المؤمنين وحلق الناس مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية قال مغلطاى وارسل الله
ريحا حملت شعورهم فألقتها فى الحرم وأقام صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما ثم قفل
وفى نفوس بعضهم شئ فأنزل الله سورة الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال
ابن عباس وأنس والبراء بن عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد أن كان المنافقون يظنون أن
لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أى حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم واما قوله تعالى
وأثابهم فتحا قريبا فالمراد فتح خيبر على الصحيح لانها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روى أحمد
وأبو ذر والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال شهدت الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس فقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية فقال رجل يارسول الله أو فتح هو فقال اى والذى نفسى بيده انه لفتح وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وتبايعوا بيعة الرضوان وأطعموا نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بنصر الله واما قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وقوله لا هجرة بعد الفتح فالمراد فتح مكة باتفاق قال الحافظ ابن حجر فبهذا يرتفع الاشكال وتجتمع الاقوال والله أعلم * ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفى هذه السنة كسفت الشمس وظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة وفى هذه السنة أيضا استسقى فى رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح الناس مؤمنا بالله وكافرا بالكواكب قال مغلطاى وجزم الدمياطى فى سيرته بأن تحريم الخمر كان فى سنة الحديبية وذكر ابن اسحق أنه كان فى وقعة بنى النضير وهى بعد أحد وذلك سنة أربع على الراجح وفيه نظر لان أنسا كان الساقى يوم حرمت وأنه لما سمع المنادى بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة أربع لكان أنس يصغر عن ذلك وأخرج النسائى والبيهقى بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعضهم فلما أن صحوا جعل الرجل يرى فى وجهه ورأسه الاثر فيقول صنع هذا أخى فلان وكانوا اخوة ليس فى قلوبهم ضغاين فيقول والله لو كان بى رحيما ما صنع بى هذا حتى وقعت فى قلوبهم الضغائن فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى منتهون فقال ناس من المتكلفين هى رجس وهى فى بطن فلان وفلان وقد قتل يوم أحد فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى المحسنين وآية تحريم الخمر نزلت فى عام الفتح قبل الفتح والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى به عصير العنب اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما يسمى مسكرا لانه يسكره أى يحجره وهو حرام مطلقا وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء وقال ابوحنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر انتهى * واما الحشيشة وتسمى القنب الهندى والجبدرية والقندرية فلم يتكلم فيها الائمة الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن فى زمنهم وانما ظهرت فى أواخر المائة السادسة وأول السابعة واختلف هل هى مسكرة فيجب فيها الحد أومفسدة للعقل فيجب التعزير والذى أجمع عليه الاطباء أنها مسكرة وبه جزم الفقهاء وصرح به الشيخ الشيرازى فى كتاب التذكرة فى الخلاف والنووى فى شرح المهذب ولا نعرف فيه خلافا عندنا ونقل عن ابن تيمية أنه قال الصحيح أنها مسكرة كالشراب فان أكلتها ينشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره فانه لا ينشى ولا يشتهى قال الزركشى ولم أر من خالف فى هذا الا القرافى فى قواعده فقال نص العلماء بالنبات فى كتبهم أنها مسكرة والذى يظهر لى انها مفسدة فى كلام تعقبه الزركشى يطول ذكره وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففى صحيح مسلم كل مسكر حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث وأى خبيث أعظم مما يفسد العقول الذى اتفقت الملل والشرائع على ايجاب حفظها ولا ريب أن متناول الحشيشة يظهر به أثر التغير فى انتظام العقل والقول المستمد كماله من نور العقل وقد روى أبو داود باسناد حسن عن ديلم الحميرى

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا قال فهل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه قلت فان الناس غير تاركيه قال فان لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه على العلة التى لاجلها حرم المزر فوجب أن كل شئ عمل عمله يجب تحريمه ولا شك ان الحشيشة تعمل ذلك وفوقه وروى أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال العلماء المفتر كل مايورث الفتور والتخدير فى الاطراف وهذا الحديث أجلى دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل رؤسهم بواسطة تبخيرها فى الدماغ وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد منهم القرافى وابن تيمية وقال ان من استحلها فقد كفر وتعقبه الزركشى بان تحريمها ليس معلوما من الدين بالضرورة سلمنا ذلك لكن لابد ان يكون دليل الاجماع قطعيا على أحد الوجهين وقد ذكر أصحابنا أن المسكر من غير عصير العنب كعصير العنب فى وجوب الحد لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلماء فيه واختلف هل يحرم تعاطى اليسير الذى لايسكر فقال النووى فى شرح المهذب انه لايحرم أكل القليل الذى لايسكر من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذى لا يسكر والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله للنجاسة وتعقبه الزركشى بانه صح فى الحديث ما أسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه أنه لايجوز من الحشيش لا قليل ولا كثير وأما قول النووى انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الاجماع عليه قال والافيون وهو لبن الخشخاش أقوى فعلا من الحشيش لان القليل منه يسكر جدا وكذلك السيكران وجوز الطيب مع أنه طاهر بالاجماع انتهى وقد جمع بعضهم فى الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم كل ما فى الخمر من المذمومات موجود فى الحشيش وزيادة فان أكثر ضرر الخمر فى الدين لافى البدن وضررها فيهما فمن ذلك فساد العقل وعدم المروءة وكشف العورة وترك الصلوات والوقوع فى المحرمات وقطع النسل والبرص والجذام والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر الأجفان وحفر الاسنان وتسويدها وتضييق النفس وتصفير الالوان وتثقيب الكبد وتجعل الاسد كالجعل وتورث الكسل والفشل وتجعل العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح أبكما والذكى أبلها وتذهب السعادة وتنسى الشهادة فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعنة الا أن يقرع من الندم سنه ويحسن بالله ظنه ولقد أحسن القائل

قل لمن يا كل الحشيشة جهلا * ياخبيثا قد عشت شر معيشه

دية العقل بدرة فلماذا * ياسفيها قد بعتها بحشيشه

﴿ غزوة خيبر ﴾

وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى بقية شهر المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها وقيل كانت فى آخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ماذكره

ابن اسحاق ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الاول وغرب ابن سعد وابن أبي شيبة فرويا من حديث أبي سعيد الخدرى خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطأ ولعلها كانت الى حنين فتصحفت وتوجيهه بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج فيها صلى الله عليه وسلم فى رمضان جزما قال وذكر الشيخ أبو حامد فى التعليقة أنها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه أم سلمة زوجته وفى البخارى من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر ياعامر ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
وألقين سكينة علينا * انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

وفى رواية اياس بن سلمة عن أبيه عند أحمد فى هذا الرجز من الزيادة

ان الذين قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يانبي الله لولا أمتعتنا به الحديث وفى رواية أحمد فجعل يرتجز ويسوق الركاب وهذه كانت عادتهم اذا أرادوا تنشيط الابل فى السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحالة وقوله اللهم لولا أنت ما اهتدينا كذا الرواية قالوا وصوابه فى الوزن لاهم أو تالله كما فى الحديث الآخر وقوله فداء لك قال المازرى هذه اللفظة مشكلة فانه لايقال للبارى سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل فى مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص آخر أن يحل ذلك به ويفديه منه قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولايريد بذلك حقيقة الدعاء عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك وتربت يمينك وفيه كله ضرب من الاستعارة لان المفادى مبالغ فى طلب رضا المفدى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر أى أبذل نفسى فى رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان أمكن صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فداء لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم عاد الى تمام الاول فقال ما أبقينا قال وهذا تأويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا أن فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام اه وقيل انه يخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتؤاخذنا بتقصيرنا فى حقك ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وانما افتتح بها الكلام والمخاطب بقول الشاعر لولا أنت النبى لكن

يمكر عليه بعد ذلك * وأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا * فانه دعاء لله تعالى
ويحتمل أن يكون المعنى فاسئل ربك أن ينزل ويثبت والله أعلم وقوله اذا صيح بنا أتينا أى
اذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره أتينا ولم نتأخر عنه وفى رواية أبينا بالموحدة بدل المثناة أى أبينا
الفرار وقوله وبالصياح عولوا علينا أى استعانوا بنا واستفزعونا للقتال قيل هو من التعويل على الشئ
وهو الاعتماد عليه وقيل هو من العويل وهو الصوت وقوله من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله
قال رجل من القوم وجبت أى ثبتت له الشهادة وستقع قريبا وكان معلوما عندهم أن من دعا له النبي
صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء فى هذا الموطن استشهد فقالوا هلا أمتعتنا به أى وددنا أنك أخرت الدعاء
له بهذا الى وقت آخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة وفى البخارى من حديث أنس أنه صلى الله عليه
وسلم أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوما بليل لم يقربهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم
ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفى رواية فرفع يديه وقال الله أكبر خربت خيبر والخميس
الجيش سمى به لانه مقسوم بخمسة أقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب ومحمد خبر مبتدأ
أى هذا محمد قال السهيلى يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل لانه عليه الصلاة والسلام لما رأى آلة الهدم
عرف أن مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله فى فتح البارى أن يكون قال خربت خيبر بطريق الوحي
ويؤيده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم
صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وقال مغلطاى وغيره وفرق عليه الصلاة والسلام الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت
الالوية وقال الدمياطى وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعائشة وفى البخارى وكان
على بن أبى طالب تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال
لاعطين الراية غدا أو ليأخذن الراية غدا رجل يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فلما أصبح الناس غدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين على بن أبى طالب فقالوا هو يارسول
الله يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ
حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على
رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان
يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم الحديث ولما تصاف القوم كان سيف
عامر قصيرا فتناول ساق يهودى ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا
قال سلمة قلت يارسول الله فداك أبى وأمى زعموا أن عامرا حبط عمله قال النبي صلى الله عليه وسلم
كذب من قاله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد رواه البخارى أيضا وعن يزيد بن
أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة فقلت ماهذه الضربة قال هذه ضربة أصابتها يوم خيبر فأتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة أخرجه البخارى وعنده أيضا

عن أبي هريرة شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يافلان فأذن لايدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة الحديث وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله حصنا حصنا وهى النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن أبي وحصن البرىء والقموص والوطيح والسلالم وهو حصن بنى أبى الحقيق واخذ كنز آل أبي الحقيق الذى كان فى مسك الحمار وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله عليه فاستخرجه وقلع على باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا الا بعد جهد وفى رواية ابن اسحاق سبعة وأخرجه من طريقه البيهقى فى الدلائل ورواه الحاكم وعنه البيهقى من جهة ليث بن أبي سليم عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين عن جابر أن عليا حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا وليث ضعيف وفى رواية البيهقى أن عليا لما انتهى الى الحصن اجتذب أحد أبوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه قال شيخنا وكلها واهية ولذا أنكره بعض العلماء انتهى وفى البخارى وتزوج عليه الصلاة والسلام بصفية بنت حيي بن أخطب وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهباء حلت له يعنى طهرت من الحيض فبنى بها عليه الصلاة والسلام فصنع حيسا فى نطع صغير ثم قال لانس آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية قال ثم خرجنا الى المدينة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحوى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب وفى رواية له فقال المسلمون احدى أمهات المؤمنين أو ماملكت يمينه قالوا ان حجبها فهى احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطأ لها ومد الحجاب وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية وكان فى السبى صفية فصارت الى دحية الكلبى ثم صارت الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفى رواية فاعتقها وتزوجها وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من السبي غيرها وفى رواية لمسلم أنه صلى الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة أرؤس واطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز وليس فى قوله سبعة أرؤس ماينافى قوله فى رواية البخارى خذ جارية من السبى غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفى الزيادة والله أعلم وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة

ارتجاعها منه واختصاصه عليه الصلاة والسلام بها فان فى ذلك رضا للجميع وليس ذلك من الرجوع فى الهبة فى شئ انتهى وقال مغلطاى وغيره وكانت صفية رأت أن القمر سقط فى حجرها فتؤول بذلك وقال الحاكم وكذا جرى لجويرية وفى هذه الغزوة حرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية كما فى البخارى ولفظه فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم يعنى خيبر أوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماهذه النيران على أى شئ توقدون قالوا على لحم قال على أى لحم قالوا لحم الحمر الانسية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أهريقوها وا كسروها فقال رجل يارسول الله أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك والمشهور فى الانسية كسر الهمزة منسوبة الى الانس وهم بنو آدم وحكى ضم الهمزة ضد الوحشية ويجوز فتحها والنون أيضا مصدر آنست به آنس أنسا وأنسة وفى رواية نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم حمر الاهلية وفى رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية ورخص فى الخيل قال ابن أبى أوفى فتحدثنا أنه انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال بعضهم نهى عنها ألبتة لانها كانت تأكل العذرة قال العلماء وانما أمر باراقتها لانها نجسة محرمة وقيل انما نهى عنها للحاجة اليها وقيل لاخذها قبل القسمة وهذان التأويلان للقائلين باباحة لحومها والصواب ماقدمناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم اكسروها فقال رجل أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك فهذا محمول على أنه صلى الله عليه وسلم اجتهد فى ذلك فراى كسرها ثم تغير اجتهاده أو أوحى اليه بغسلها وأما لحوم الخيل فاختلف العلماء فى اباحتها فمذهب الشافعى والجمهور من السلف والخلف أنه مباح لا كراهة فيه وبه قال عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأسماء بنت أبى بكر وفى صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه ونحن بالمدينة وفى رواية الدار قطنى فأكلناه نحن وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم قال فى فتح البارى ويستفاد من قولها ونحن بالمدينة ان ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند الى منع أكلها لعلة أنها من آلات الجهاد وفى قولها وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الرد على من زعم أنه ليس فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع أن ذلك لو لم يرد لم يظن بآل أبي بكر أنهم يقدمون على فعل شئ فى زمنه صلى الله عليه وسلم الا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به عليه الصلاة والسلام وعدم مفارقتهم له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سؤاله عليه الصلاة والسلام عن الاحكام ومن ثم كان الراجح ان الصحابى اذا قال كنا نفعل كذا على عهده عليه الصلاة والسلام كان له حكم الرفع لان الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره واذا كان ذلك فى مطلق الصحابة فكيف بآل أبى بكر وقال الطحاوى ذهب أبو حنيفة الى كراهة أكل الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما واحتجوا بالاخبار المتواترة فى حلها انتهى وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء أحد فاخرج ابن أبى شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين عن عطاء قال لم يزل سلفك يأكلونه قال ابن جريج قلت له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وأما مانقل فى ذلك عن ابن عباس من كراهتها فاخرجه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين وقال أبو حنيفة فى الجامع الصغير أكره لحوم الخيل فحمله أبو بكر الرازى على التنزيه وقال لم يطلق أبو حنيفة فيه التحريم وليس

هو عنده كالحمار الاهلي وصحح أصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم وهو قول أكثرهم وقال القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك الكراهة وقال الفاكهاني المشهور عند المالكية الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم وقال ابن أبي جمرة الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله ولو كثر لافضى الى فنائها فيؤول الى النقص من ارهاب العدو الذي وقع الامر به في قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه فان الحيوان المتفق على اباحته لو حدث أمر يقتضي أن لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور لامتنع ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه اه وأما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت الاضحية بها فمنتقض بحيوان البر فانه مأكول ولم تشرع الاضحية به وأما حديث خالد بن الوليد عند أبي داود والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لاينهض معارضا لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه حديث أسماء وقد ضعف حديث خالد بن الوليد أحمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون وزعم بعضهم أن حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع فدل على أنه رخص لهم بسبب المخمصة التي أصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحل المطلق وأجيب بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الاذن كما رواه مسلم وفي رواية له أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي وعند الدار قطني من حديث ابن عباس نهانا صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وأمر بلحوم الخيل فدل على أن المراد بقوله رخص أذن ونوقض أيضا بالاذن في أكل الخيل ولو كان رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية أولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على أن الاذن في أكل الخيل انما كان للاباحة العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم أنهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقرروا ذلك بأوجه أحدها أن اللام للتعليل فدل على أنها لم تخلق لغير ذلك لان العلة المنصوصة تفيد الحصر فاباحة أكلها تقتضي خلاف ظاهر الآية ثانيها عطف البغال والحمير فدل على اشتراكها معهما في حكم التحريم فيحتاج من أفرد حكم ما عطف عليها الى دليل ثالثها أن الآية سيقت مساق الامتنان فلو كان ينتفع بها في الاكل لكان الامتنان به أعظم والحكيم لايمتن بأدنى النعم ويترك أعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان بالاكل في المذكورات قبلها رابعها لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة وأجيب بأن آية النحل مكية اتفاقا والاذن في أكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين فلو فهم النبي صلى الله عليه وسلم من الآية المنع لما أذن في الاكل وأيضا فآية النحل ليست نصا في منع الاكل والحديث صريح في جوازه وأيضا فلو سلمنا ان اللام للتعليل لم نسلم افادة الحصر في الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرهما وفي غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقال لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فانه مع كونه أصرح في الحصر مايقصد به الا الاغلب والا فهي تؤكل

وينتفع بها فى أشياء غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوى واستدل بهاأى بآية النحل على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذلا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا اه وأيضا فلو سلم الاستدلال للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف انما هى دلالة اقتران وهى ضعيفة وأما انها سيقت مساق الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم بالخيل فخوطبوا بما ألفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون أكل الخيل لعزتها فى بلادهم بخلاف الانعام فان أكثر انتفاعهم بها كان لحمل الاثقال وللاكل فاقتصر فى كل من الصنفين على الامتنان بأغلب ما ينتفع به فلو لزم من ذلك الحصر فى هذا الشق لأضر وأما قولهم لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها الخ فأجيب عنه بأنه لو لزم من الاذن فى أكلها أن تفنى للزم مثله فى البقر وغيرها مما أبيح أكله ووقع الامتنان به وانما أطلت فى ذلك لامر اقتضاه والله أعلم * وفى هذه الغزوة أيضا نهى صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم وأن لا توطأ جارية حتى تستبرأ * وفى هذه الغزوة أيضا سمت النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم كما فى البخارى من حديث أبي هريرة ولفظه لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقونى فيه فقالوا نعم ياأبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا أبونا فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل أنتم صادقونى عن شئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم ياأبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقونى عن شئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم فى هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا أردنا ان كنت كذابا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى حديث جابر عند أبى داود أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى للذراع قالت نعم قالت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية غيره جعلت زينب بنت الحارث امرأة ابن مشكم تسأل أى الشاة أحب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنزلها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يبطئ يعنى لا يلبث بأن يقتل من ساعته وقد شاورت يهود فى سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهس منها وتناول بشر بن البراء عظما آخر فلما ازدرد صلى الله عليه وسلم لقمته

ازدرد بشر بن البراء مافى فيه وأكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرنى أنها مسمومة وفيه أن بشر بن البراء مات وفيه أنه دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر بن البرا فقتلوها رواه الدمياطى * وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم فعند البيهقى من حديث أبى هرير فأعرض عنها ومن طريق أبى نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال الزهرى أسلمت فتركها *قال البيهقى يحتمل أن يكون تركها أولا ثم لما مات بشر بن البراء من الاكلة قتلها وبذلك أجاب السهيلى وزاد أنه تركها لانه كان لاينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت وانما أخر قتلها حتي مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه وفى مغازى سليمان التيمى أنها قالت ان كنت كذابا أرحت الناس منك وقد استبان لى الآن أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لااله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فانصرف عنها حين أسلمت وفيه موافقة الزهرى على اسلامها فالله اعلم * وفى هذه الغزوة أيضا نام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر لما وكل به بلالا كما فى حديث أبى هريرة عند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلته حتى أدركه الكرى عرس وقال لبلال أكلأ لنا الليل فصلى بلال ماقدر له ونام صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما قارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتي ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظا فقال أى بلال فقال بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بأبى أنت وامى يارسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيأ ثم توضأ صلى الله عليه وسلم وأمر بلالا فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسى الصلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال أقم الصلاة لذكرى * وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة واختلف فى فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحا وفى حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما اهلهما لتحقن دماؤهما وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى

﴿ ثم فتح وادى القرى ﴾

فى جمادى الآخرة بعد ماأقام بها أربعا يحاصرهم ويقال أكثر من ذلك وأصاب مدعما مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه أهل تيماء على الجزية قال الحافظ مغلطاى

﴿ ثم سرية عمر بن الخطاب ﴾

رضى الله عنه الى تربة فى شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فخرج معه دليل من بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم فلم يلق منهم أحد فانصرف راجعا الى المدينة

﴿ ثم سرية أبى بكر الصديق ﴾

رضى الله عنه الى بنى كلاب ناحية ضرية فى شعبان سنة سبع ويقال الى فزارة فسبي منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم فزارة وهو الصواب

﴿ ثم سرية بشير بن سعد الانصارى ﴾

الى بنى مرة بفدك فى شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل قد مات وقدم علبة بن زيد الحارثى بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير ابن سعد

﴿ ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى ﴾

الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائتين وثلاثين رجلا فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أن قال لااله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لاأقاتل أحدا يشهد أن لااله الا الله وفى الا كليل فعل ذلك أسامة فى سرية كان هو أميرا عليها سنة ثمان وفى البخارى عن أبى ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لااله الا الله فكف الانصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياأسامة أقتلته بعدما قال لااله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم

﴿ ثم سرية بشير بن سعد الانصارى ﴾

أيضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة فى شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها وأسر رجلين وقدم بهما الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما

﴿ ثم عمرة القضية ﴾

وتسمى عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء عن العمرة التى صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة ولهذا عدوا عمر النبى صلى الله عليه وسلم أربعا كما سيأتى ان شاء الله تعالى وقال آخرون بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية فى العمر لثبوت الاجر فيها لالانها كانت وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت فقال الجمهور يجب عليه الهدى ولا قضاء عليه وعند أبى حنيفة عكسه وعن أحمد رواية أنه لايلزمه هدى ولا قضاء وأخرى يلزمه القضاء والهدى فحجة الجمهور قوله تعالى فان أحصرتم فما استيسر من الهدى وحجة أبى حنيفة أن العمرة تلزم بالشروع فاذا أحصر جاز له تأخيرها فاذا زال الحصر أتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين سقوط القضاء وحجة من أوجبهما ما وقع للصحابه فانهم نحروا الهدى

حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدى وحجة من لم يوجبهما أن تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدى بل أمر من معه هدى أن ينحره ومن ليس معه هدى أن يحلق قال الحاكم فى الاكليل تواترت الاخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة يعنى سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأن لايتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألفان واستخلف على المدينة أبارهم الغفارى وساق عليه الصلاة والسلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدرع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد وأحرم صلى الله عليه وسلم ولبي والمسلمون يلبون معه ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح غدا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج كيسمع وينصر ويضرب موضع بمكة حيث ينظر الى أنصاب الحرم وخلف عليه أوس بن خولى الانصارى فى مائتى رجل وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه فحبس بذى طوى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته وفى رواية الترمذى فى الشمائل من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعرا فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل ورواه عبد الرزاق من حديث أنس أيضا من وجهين بلفظ

خلوا بنى الكفار عن سبيله * قد أنزل الرحمن فى تنزيله
بأن خير القتل فى سبيله * نحن قتلناكم على تأويله
* كما قتلناكم على تنزيله *

وأخرجه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل وفيه

اليوم نضربكم على تنزيله * ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله * يارب انى مؤمن بقيله

وعند ابن عقبة فى المغازى بعد قوله

قد أنزل الرحمن فى تنزيله * فى صحف تتلى على رسوله

لكن لم يذكر أسا وزاد ابن اسحاق بعد قوله

يارب انى مؤمن بقيله * اني رأيت الحق فى قبوله

وقال ابن هشام ان قوله نحن ضربنا كم على تأويله الى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم حنين قالوا ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى عن ابن عباس قال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة وأن يمشوا مابين الركنين ولم يمنعهم أن يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم وفى رواية قال ارملوا ليرى المشركين قوتهم والمشركون من قبل قعيقعان ومعنى قوله الا الابقاء عليهم أى لم يمنعه من أمرهم بالرمل فى جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال هذا منحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم أن يذهبوا الى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح ويأتى الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة ومضى الاجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادى ياعم ياعم فتناولها على فأخذها بيدها وقال لفاطمة دونك بنت عمك فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر قال على أنا أخذتها وهى ابنة عمى وقال جعفر ابنة عمى وخالتها تحتي فقال زيد بنت اخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث وانما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخذها مع اشتراط المشركين أن لايخرج بأحد من أهلها أراد الخروج لانهم لم يطلبوه وقوله الخالة بمنزلة الام أى فى هذا الحكم الخاص لانها تقرب منها فى الحنو والشفقة والاهتداء الى مايصلح الولد ويؤخذ منه أن الخالة فى الحضانة مقدمة على العمة لان صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ واذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء فهى مقدمة على غيرها ويؤخذ منه تقديم أقارب الام على أقارب الاب انتهى * قال ابن عباس وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وان كانت خالته ماتزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ماحل ذكره البخارى ﴿ ووهم ﴾ بكسر الهاء أى غلط وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسيأتى فى الخصائص من مقصد المعجزات ان شاء الله تعالى أن له صلى الله عليه وسلم النكاح فى حال الاحرام على أصح الوجهين عند الشافعية

﴿ ثم سرية ابن أبى العوجاء السلمى ﴾

الى بنى سليم فى ذى الحجة سنة سبع فى خمسين رجلا فأحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبى العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى أول صفر سنة ثمان

﴿ ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى ﴾

الى بني الملوح بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف قال فى القاموس الكديد بفتح الكاف ماء بين الحرمين شرفهما الله تعالى والبطن الواسع من الارض والارض الغليظة كالكدة بالكسر ويوم الكديد معروف فى صفر سنة ثمان من مهاجره فغنم وفى هذا الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة وعمرو بن العاصى المدينة فأسلموا وقال ابن أبى خيثمة كان ذلك سنة خمس وقال الحاكم سنة سبع

﴿ ثم سرية غالب أيضا ﴾

الى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فى صفر سنة ثمان ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى وأصابوا نعما

﴿ ثم سرية شجاع بن وهب الاسدى ﴾

الى بني عامر بالسيّ ماء من ذات عرق الى وجرة على ثلاثة مراحل من مكة الى البصرة وخمس مراحل من المدينة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا الى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم

﴿ ثم سرية كعب بن عمير الغفارى ﴾

الى ذات أطلاح وراء ذات القرى فى ربيع الاول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات أطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا وأفلت منهم رجل جريح فى القتلى قال مغلطاى قيل هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث اليهم فبلغه أنهم ساروا الى موضع آخر فتركهم

﴿ ثم سرية مؤتة ﴾

بضم الميم وسكون الواو بغير همز لاكثر الرواة وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهرى وابن فارس بالهمز وحكى غيرهم الوجهين وهى من عمل البلقاء بالشام دون دمشق فى جمادى الاولى سنة ثمان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير الازدى بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وقال ان قتل فجعفر بن أبى طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم وفى حديث عبد الله بن جعفر عند أحمد والنسائى باسناد صحيح ان قتل زيد فأميركم جعفر الحديث قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع

فوقف وودعهم فلما ساروانادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال ابن رواحة

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من أرض الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وأن هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف من المشركين فأقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضى فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم مالاقبل لاحد به من العدو والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء يومئذ على رجالهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ثم أخذ اللواء جعفر بن أبى طالب فنزل عن فرس له شقراء وقاتل حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد فى أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحا وفيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح قال فى رواية البخارى فوجدنا مافى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية وفى رواية أن ابن عمر وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شئ فى دبره وذكر ابن اسحاق باسناد حسن وهو عند أبى داود من طريقه عن رجل من مرة قال والله لكانى أنظر الى جعفر بن أبى طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل قالوا ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فقاتل حتى قتل فأخذ اللواء ابن اقرم العجلانى الى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وقال الحاكم ثم حمل خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وقال ابن سعد انما انهزم بالمسلمين وقال ابن اسحاق انحازت كل طائفة من غير هزيمة ورفعت الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مرة قال شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه فرأيت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل القوم حتى قتل خرجه البغوى فى معجمه وقطعت فى تلك الوقعة يداه جميعا ثم قتل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء خرجه أبو عمر وفى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبى طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه الحزن وأخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة أخرجه الترمذى والحاكم وفى اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث على عند ابن سعد وعن أبى هريرة أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مر بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أخرجه الترمذى والحاكم باسناد على شرط مسلم وأخرج أيضا هو والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة

الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة وفى طريق أخرى عنه أن جعفرا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه واسناد هذا جيد فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه فى هذه الوقعة حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم أخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلى له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحي الطائر وريشه لان الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح توسعا فى قوله واضمم يدك الى جناحك وقال العلماء فى أجنحة الملائكة انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك واذا لم يثبت خبر فى بيان كيفياتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى قال الحافظ ابن حجر وهـذا الذى جزم به فى مقام المنع والذى حكاه عن العلماء ليس صريحا فى الدلالة لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية أشرف الصور لايمنع من حمل الخبر على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى البيهقى فى الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة أن جناحي جعفر من ياقوت وجاء فى جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ أخرجه ابن منده فى ترجمة ورقة وذكر موسى بن عقبة فى المغازى أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرنى وان شئت أخبرتك قال أخبرني فاخبره خبرهم فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره وعند الطبرانى من حديث أبى اليسر الانصارى ان أبا عامر الاشعرى هو الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم

﴿ ثم سرية عمرو بن العاصى ﴾

الى ذات السلاسل وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا وقيل لان بهـا ماء يقال له السلسل وراء ذات القرى من المدينـة على عشرة أيام وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن أبى خالد فى كتاب صحيح التاريخ ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعـد غزوة مؤتة الا ابن اسحاق قال قبلها وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسـلم أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعـا كثيرا فبعث رافع بن مكيث بفتح الميم الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيـدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهم وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا فأراد أبو عبيـدة أن يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مدد وأنا الامير فاطاع له بذلك أبو عبيـدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتي وصل الى العـدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا

﴿ ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح ﴾

وسـماها البخارى غزوة سيف البحر وتعرف بسرية الخبط وبعث معه صلى الله عليه وسلم ثلاثمـائة

كما فى الصحيحين وغيرهما وهو المشهور لكن فى رواية النسائى وبضع عشرة فان صحت هذه الرواية فلعله اقتصر فى الرواية المشهورة على الثلثمائة استسهالا لامر الكسر والاخذ بالزيادة مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يتلقى عيرا لقريش رواه مسلم وعنده أيضا الى أرض جهينة ولا منافاة فالجهة أرض جهينة والمقصد تلقى عير قريش وهى الابل المعدة للطعام وغيره لكن فى كتب السير ان البعث الى حى من جهينة بالقبيلة مما يلى ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث لمقصدين رصد عير قريش ومحاربة حى من جهينة قال ابن سعد وكانت فى رجب سنة ثمان وفيه نظر فان تلقى عير قريش لا يتصور ان يكون فى هذه المدة لانهم حينئذ كانوا فى الهدنة فالصحيح أن تكون هذه السرية فى سنة ست أو قبلها قبل هدنة الحديبية نعم يحتمل ان يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة ولهذا لم يقع فى شئ من طرق الخبر انهم قاتلوا أحدا بل فيه أنهم أقاموا نصف شهر أو أكثر فى مكان واحد فالله أعلم قال الحافظ ابن حجر لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقى فى شرح التقريب قالوا وكانت هذه السرية فى شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح فانه كان فى رمضان من السنة المذكورة انتهى قالوا وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فنى أكلوا الخبط وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفى رواية أبي الزبير وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وهذا يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم انه كان أخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوى ويدل عليه حديث البخارى فى الجهاد خرجنا ونحن ثلثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففنى زادنا حتى كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة وابتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا وفى رواية جابر عند الأئمة الستة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح فاقمنا على الساحل حتى فنى زادنا حتى أكلنا الخبط ثم ان البحر ألقى لنا دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر حتى صلحت أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعها فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان فى رواية فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمه فتطعمونا قال فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكل

﴿ ثم سرية أبي قتادة بن ربعى الانصارى ﴾

الى خضرة وهى أرض محارب بنجد فى شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا الى غطفان فقتل من أشرف منهم وسبا سبيا كثيرا واستاق النعم وكانت الابل مائتى بعير والغنم ألفى شاة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

﴿ ثم سرية أبي قتادة أيضا ﴾

الى بطن اضم فيما بين ذى خشب وذى المروة على ثلاثة برد من المدينة فى أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعث أبا قتاده فى ثمانية نفر سرية الى بطن اضم

ليظن ظان أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولان تذهب بذلك الاخبار فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية رواه أحمد وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد فجاء محلم بن جثامة فى بردين فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاغفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الارض فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه وفى رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يريد أن يعظكم ونسب ابن اسحاق أن هذه السرية لابن أبى حدرد ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاى والله أعلم

﴿ ثم فتح مكة زادها الله شرفا ﴾

وهو كما قال فى زاد المعاد الفتح الاعظم الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر فى بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وأمدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا فى خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى اربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذى أصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه وهو يقول لانصرت ان لم أنصركم بما أنصر منه نفسى وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ميمونة أنها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول فى متوضئه ليلا لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول فى متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال صلى الله عليه وسلم هذا راجز بنى كعب يستصرخنى ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولا تعلم أحدا قالت فدخل عليها أبو بكر فقال يابنية ماهذا الجهاز فقالت والله ماأدرى فقال والله ماهذا زمان غزو بنى الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لاعلم لى قالت فأقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشده

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحد * فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا
* ان سيم خسفا وجهه تربدا *

قال فى القاموس وتربد يعنى بالراء تغير انتهى وزاد ابن اسحاق

هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت ياعمرو بن سالم فكان ذلك ماهاج فتح مكة وقد ذكر البزار من حديث أبى هريرة بعض الابيات المذكورة وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يسأل أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه فانصرف الى مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اعلام أحد بذلك فكتب حاطب كتابا وأرسله الى مكة يخبر بذلك فأطلع الله نبيه على ذلك فقال عليه السلام لعلى بن أبى طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب قالت مامعى كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فقال عمر يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخارى قال فى فتح البارى وانما قال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة فى الدين وبغض المنافقين فظن أن من خالف ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن فى قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أبطن خلاف ما أظهر وعذر حاطب ماذكره فانه صنع ذلك متأولا أن لاضرر فيه وعند الطبرى من طريق الحارث عن على فى هذه القصة فقال أليس قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأرشد الى علة ترك قتله وعند الطبرى ايضا عن عروه فانى غافر لكم وهذا يدل على ان المراد بغفرت اغفر على طريق التعبير عن

الآتي بالواقع مبالغة فى تحققه قال والذى يظهر ان هذا الخطاب خطاب أكرام وتشريف تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا ن يغفر لهم مايستأنف من الذنوب اللاحقة وقد أظهر الله تعالى صدق رسوله فى كل من أخبر عنه بشئ من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شئ من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من احوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم قاله القرطبي وذكر بعض أهل المغازى وهو فى تفسير يحيى بن سلام أن لفظ الكتاب الذى كتبه حاطب اما بعد يامعشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له فانظروا لانفسكم والسلام هكذا حكاه السهيلي وروى الواقدى بسند له مرسل أن حاطبا كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد انتهى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب فجاءهم أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وفى الا كليل وشرف المصطفى اثني عشر ألفا ويجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم الغفارى وخرج عليه السلام يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان قاله الواقدى وعند احمد باسناد صحيح عن أبي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان فما قاله الواقدى ليس بقوى لمخالفته ماهو أصح منه وفى تعيين هذا التاريخ أقوال أخر منها عند مسلم لست عشرة ولاحمد ثمان عشرة وفى أخرى لثنتى عشرة والذى فى المغازى دخل لتسع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف فى أول الشهر ووقع فى أخرى تسع عشرة أو سبع عشرة على الشك ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف الماء الذى بين قديد وعسفان أفطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر رواه البخارى وفى أخرى له أفطروا أفطروا الحديث وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلما مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه فى الطريق أبو سفيان بن الحارث ابن عمه عليه السلام وأخوه من رضاع حليمة السعدية ومعه ولده جعفر بن أبي سفيان وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه وكان لقاؤهما عليه الصلاة والسلام بالابواء وأسلما قبل دخول مكة وقيل بل لقيه هو وعبد الله بن أبى أمية بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج فأعرض صلى الله عليه وسلم عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فقالت له أم سلمة لايكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك وقال على لابى سفيان فيما حكاه أبو عمرو صاحب ذخائر العقبى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لايرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه قالوا ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أبا سفيان ابن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر أفزعهم وفى البخارى فاذاهم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ماهذه لكأنها نيران عرفة فقال له بديل بن ورقاء نيران بنى عمرو فقال أبو سفيان نو عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس أحبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال مالى ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة ياأبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة الهلاك قال الخطابى تمنى أبو سفيان أن تكون له يد فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى من أن ينالنى مكروه وقال ابن اسحاق زعم بعض أهل العلم أن سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يارسول الله ماآمن أن يكون لسعد فى قريش صولة فقال لعلى أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها وقد روى الاموى فى المغازى أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لماحاذاه أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له ماقال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم فقال ياأبا سفيان اليوم يوم الرحمة اليوم يعز الله قريشا وأرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس وعند ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يانبي الهدى اليك لجا * حى قريش ولات حين لجائى

حين ضاقت عليهم سعة الار * ض وعاداهم اله السماء

ان سعدا يريد قاصمة الظهر * بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت الى ابنه قيس وعند أبى يعلى من حديث الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم دفعها اليه فدخل مكة بلواءين واسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة فى المغازى عن الزهرى أنه دفعها الى الزبير بن العوام فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت اليه الراية التي نزعت من سعد والذى يظهر فى الجمع أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها الى ابنه قيس ثم ان سعدا خشى ان يقع من ابنه شئ يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير قال فى رواية البخارى ثم جاءت كتيبة فيهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبيّ صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ماقال سعد بن عبادة قال ماقال قال قال كذا وكذا فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال وقال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام ياأبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء أي بالفتح والمد ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدى أي بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر وكرز بن جابر الفهري قال الحافظ ابن حجر وهذا مخالف للاحاديث الصحيحة الآتية في البخاري أيضا أن خالدا دخل من أسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من أعلاها يعني حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد وحديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي باعلى مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى ابن عقبة سياقا واضحا فقال وبعث صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد ابن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور فارتفعت طائفة منهم على الجبال وصاح أبو سفيان من أغلق بابه وكف يده فهو آمن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة فقال ماهذه وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم * قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدي مااستطعت فقال قضاء الله خير وعند ابن اسحق فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحدا فيعلم اهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فأردف أباسفيان خلفه وأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة ويمكن الجمع بأن الحرس لما أخذوه استنقذه العباس وروى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا أبو سفيان دعني أضرب عنقه فقال العباس يارسول الله اني قد أجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب ياعباس به الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لما أغني عنى شيأ ثم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لااله الا الله وانى رسول الله قال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فني النفس منها شئ فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهدشهادة الحق فقال العباس يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم وأمر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن الاالمستثنين وهم كما قال مغلطاى عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وابن خطل قتله أبو برزة وقينتاه وهما فرتنا بالفاء المفتوحة والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون وقريبة بالقاف والموحدة مصغرا اسلمت احداهما وقتلت الاخرى وذكر غير ابن اسحاق ان التى اسلمت فرتنا وان قريبة قتلت وسارت مولاة لبنى المطلب أسلمت ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفى بن هشام وارنب علم امرأة وقريبة قتلت وعكرمة بن ابي جهل اسلم والحويرث بن نقيد قتله على ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الاولى خفيفة قتله نميلة الليثى وهبار بن الاسود اسلم وهو الذى عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها بعيرها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها وكعب بن زهير اسلم وهند بنت عتبة اسلمت ووحشى بن حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة وابن نقيد بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة مصغرا ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة وقد جمع الواقدى عن شيوخه أسماء من لم يؤمن يوم الفتح وامر بقتله عشرة انفس ستة رجال واربع نسوة وروى احمد ومسلم والنسائى عن ابي هريرة قال لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث أبا عبيدة على الحسر بضم المهملة وتشديد السين المهملة اى الذين بغير سلاح فقال لى يا أبا هريرة اهتف لى بالانصار فهتفت بهم فجاؤا فطافوا به فقال لهم أترون الى اوباش قريش وأتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابوهريرة فانطلقنا فما نشاء أن نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يارسول الله ابيحت خضراء قريش لاقريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن قال فى فتح البارى وقد تمسك بهذه القصة من قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر وعن الشافعى وهو رواية عن احمد انها فتحت صلحا لما وقع من هذا التأمين ولاضافة الدور الى أهلها ولانها لم تقسم ولان الغانمين لم يملكوا دورها والالجاز اخراج أهل الدور منها وحجة الاولين ماوقع التصريح به من الامر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه عليه الصلاة والسلام بانها أحلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسى به فى ذلك وأجابوا عن ترك القسمة بأنها لاتستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها ويترك لهم دورهم وأما قول النووى واحتج الشافعى بالاحاديث المشهورة بان النبى صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهر ان قبل دخول مكة ففيه نظر لان الذى أشار اليه ان كان مراده ماوقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان

فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن اسحاق فان ذلك لايسمى صلحا الا اذا التزم من أشير اليه بذلك الكف عن القتال والذى ورد فى الاحاديث الصحيحة ظاهر فى أن قريشا لم يلتزموا ذلك لانهم استعد والحرب وان كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل ولاأظنه عنى الا الاحتمال الاول وفيه ماذكرته انتهى * ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير فرأى أبوسفيان مالاقبل له به فقال للعباس ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وروى أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله لما رأى ماأكرمه الله به من الفتح حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم تحل لاحد قبله ولا لاحد بعده وفى البخارى من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس وفى المحكم هو مايجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتله وفى حديث سعيد ابن يربوع عند الدارقطنى والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لاأؤمنهم فى حل ولا حرم الحويرث وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن ابى سرح قال فأما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث وفى حديث سعد بن ابى وقاص عند البزار والحاكم والبيهقى فى الدلائل نحوه لكن قال اربعة نفر وامرأتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فذكره لكن قال عبد الله بن خطل بدل هلال وقال عكرمة بدل الحويرث ولم يسم المرأتين وقال فاما عبد الله بن خطل فادرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان أشب الرجلين فقتله الحديث وروى ابن ابى شيبة من طريق ابى عثمان النهدى أن ابابرزة الاسلمى قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة واسناده صحيح مع ارساله ورواه احمد من وجه آخر وهو اصح ماورد فى تعيين قاتله وبه جزم البلاذرى وغيره من اهل الاخبار وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم ابو برزة ويحتمل ان يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام فى السيرة بأن سعيد بن حريث واابابرزة الاسلمى اشتركا فى قتله وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلما ونزل منزلا فأمر المولى ان يذبح تيسا و يصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه فانه كان يسمى عبد العزى فلما أسلم سمى عبد الله وأما من قال هلال فالتبس عليه بأخ له اسمه هلال وفى رواية ابى داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال وأما ابن أبى سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال ماكان

فيكم رجل رشيد يقوم الى هـذا حين كففت عن بيعته فيقتله فقالوا يارسول الله ماندرى مافى نفسك
ألاأومات الينا فقال انه لاينبغى لنبي أن تكون له خائنة الاعين الحديث قال مالك كما فى رواية البخارى
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى يومئذ محرما انتهى وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن
ابن مهدى عن مالك جاز مابه أخرجه الدارقطني فى الغرائب ويشهد له مارواه مسلم من حديث جابر
دخل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغيرا حرام وروى ابن أبى شيبة باسناد صحيح
عن طاوس قال لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة الامحرما الايوم فتح مكة وقد اختلف العلماء هل
يجب على من دخل مكة الاحرام أم لا فالمشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب مطلقا وفى قول يجب
مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وهو أولى بعدم الوجوب والمشهور عن الائمة الثلاثة الوجوب
وفى رواية عن كل منهم لايجب وجزم الحنابلة باستثناء ذوى الحاجات المكررة واستثنى الحنفية من كان داخل
الميقات والله أعلم وقد جزم الحاكم فى الاكليل أن بين حديث أنس فى المغفر وبين حديث جابر فى العمامة
السوداء معارضة وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة بعد
ذلك فحكى كل منهما مارآه ويؤيده أن فى حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء
أخرجه مسلم أيضا وكانت الحطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهـذا الجمع للقاضى عياض
وقال غـيره يجمع بأن العمامة السوداء كانت ملفوفـة فوق المغفر أو كانت تحت المغفر وقاية لرأسه من
صـدإ الحديد فاراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهبا للحرب وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل
غير محرم وفى البخارى عن أسامة بن زيد أنه قال زمن يوم الفتح يارسول الله أين تنزل غـدا قال النبي
صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى رواية هـل ترك لنا عقيل من رباع أودور وكان
عقيـل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولاعلى شيأ لانهما كانا مسلمين وكان عقيـل وطالب
كافرين فكان عمر بن الخطاب يقول لايرث الكافر المؤمن ولاالمؤمن الكافر وفى رواية أخرى له قال
عليه السلام منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حين تقاسموا على الكفر يعنى به المحصب وذلك أن
قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لاينا كحوهم ولايبايعوهم حتي يسلموا اليهم
النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفى رواية أخرى له انه يوم فتح مكة اغتسل فى بيت ام هانئ ثم صلى
الضحى ثمان ركعات قالت لم أره صلى صلاة اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود * واجارت ام هانئ
حموين لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجرنا من أجرت ياأم هانئ والرجلان الحارث بن هشام وزهير
ابن أمية بن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان أخوها على بن أبى طالب أراد ان يقتلهما فأغلقت عليهما باب
بيتها وذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيبا فى الناس
فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض
فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بهادما أو
يعضد بها شـجرة فان أحـد ترخص فيها لقتال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقولوا ان الله أذن
لرسوله ولم يأذن لكم وانمـا أحلت لى ساعـة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس

فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يامعشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم فقالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء أى الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق الاسير اذا أطلق والمراد بالساعة التي أحلت له عليه السلام مابين أول النهار ودخول وقت العصر كذا قاله في فتح البارى ولقد أجاد العلامة أبو محمد الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذى لجب * عرمرم كزهاء الليل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم * فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى أعنتها * والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذى حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه * كالاسد تزأر فى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن غوائلهم * طولا أطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذى لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح فى شغل

﴿ والجحفل ﴾ الجيش العظيم ﴿ وقذف ﴾ الارجاء أى متباعدها ﴿ واللجب ﴾ بالجيم المفتوحة الضجة من كثرة الاصوات ﴿ والعرمرم ﴾ الضخم الكثير العدد * وقوله كزهاء الليل شبهه بالليل فى سده الافق واسوداده بالسلاح ﴿ والمنسحل ﴾ بالحاء المهملة الماضى فى سيره يتبع بعضه بعضا * وقوله فى بهو اشراق شبه النور الذى يغشاه عليه الصلاة والسلام ببهو أحاط به ﴿ والبهو ﴾ البناء العالى كالايوان ونحوه

﴿ والمتنجب ﴾ المتخير من اصل نجيب أي كريم ﴿ والمقتبل ﴾ المستقبل الخير ﴿ وترجف ﴾ تهتز ﴿ والزهو ﴾ الخفة من الطرب يعني ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته اي كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر أي كادت تبلغ ﴿ والجدل ﴾ جمع جديل وهو الزمام المضفور ﴿ وثنى ﴾ الجدل ما انثنى على اعناق الابل اي انعطف ﴿ ونهلان ﴾ اسم جبل معروف ﴿ واهل ﴾ رفع صوته ﴿ ويذبل ﴾ اسم جبل ايضا ﴿ والذبل ﴾ الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت ويبست ﴿ وتهليلا ﴾ اي صياحا جبنا وفزعا يعني لولا ماسبق من تقدير الله ان الجبال لاتنطق لرفع نهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل من الجزع والفرق * وقوله شعبت أي جمعت واصلحت ﴿ وقذفت ﴾ بهم أي فرقت بهم مخافة شعوب ﴿ وشعوب ﴾ اسم للمنية لانها تفرق الجماعات من شعبت أي فرقت وهو من الاضداد ﴿ والشعاب ﴾ الطرق في الجبال ﴿ والسهل ﴾ خلاف الجبل ﴿ والقلل ﴾ رؤس الجبال يعني أنه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بعدما تصدعوا أي تفرقوا وهربوا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاسد تزأر في أنيابها العصل اي المعوجة والله أعلم * ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الانصار فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها وكان عليه الصلاة والسلام يدعو على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محيا كم والممات مماتكم وهم فضالة ابن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة قال نعم يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لاشئ كنت أذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله مارفع يده عن صدري حتي ماخلق الله شيأ أحب الي منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار اليه بقضيب وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية ابي نعيم قد ألزقها الشياطين بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي أن الله تعالى لما أعلمه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على اعدائه وفتح مكة واعلاء كلمة دينه أمره اذ دخل مكة أن يقول وقل جاء الحق وزهق الباطل فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة بمحجنه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع أنها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وكانت ثلثمائة وستين صنما بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير أقوال قال قتادة جاء القرآن وذهب الشيطان وقال ابن جريج جاء الجهاد وذهب الشرك وقال مقاتل جاء عبادة الله وذهب عبادة الشيطان وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثمائة وستين صنما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فأوحى الله تعالى اليه اني سأحدث لك توبة جديدة يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية * قال ولما نزلت آية الفتح قال

جبريل عليه الصلاة والسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتى صنما صنما ويطعن فى عينه أو بطنه بمخصرته ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتي ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال ياعلى ارم به فحمله عليه السلام حتي صعد ورمى به وكسره فجعل أهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فاخرجت فأخرجوا صورة ابراهيم واسماعيل فى ايديهما الازلام يعنى القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط فدخل البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل رواه الترمذى وعن ابن عمر قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء وهو مردف اسامة حتي اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان ابن طلحة فقال ائتنى بالمفتاح فذهب الى امه فأبت ان تعطيه فقال والله لتعطينيه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي فأعطته اياه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه مسلم وروى الفاكهى من طريق ضعيفة عن ابن عمر أيضا قال بنو ابى طلحة يزعمون انه لايستطيع احد فتح باب الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه و لم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور بن طلحة بن ابى طلحة ابن عبد العزى ويقال له الحجبى بفتح المهملة والجيم ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا لاولد له وله صحبة ورواية واسم ام عثمان سلافة بضم السين المهملة والتخفيف والفاء وفى الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عنى ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمه منى موقعا ظننت يومئذ أن الامر سيصير الى ماقال فلما كان يوم الفتح قال ياعثمان ائتنى بالمفتاح فأتيته به فاخذه منى ثم دفعه الى وقال خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم ياعثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال ألم يكن الذى قلت لك قال فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفى التفسير أن هذه الآية ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها نزلت فى عثمان بن أبى طلحة الحجبى أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى على يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج ساله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية وأمر صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك على فقال أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة فى أولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة

فى اولادهم الى يوم القيامة قال ابن ظفر فى ينبوع الحياة قوله لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه هذا وهم لانه كان ممن أسلم فلو قال هذا كان مرتدا وعن الكلبى لما طلب عليه الصلاة والسلام المفتاح من عثمان مديده اليه فقال العباس يا رسول الله اجمعها مع السقاية فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال صلى الله عليه وسلم ان كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته فقال هاكه بالامانة فاعطاه اياه ونزلت الآية قال ابن ظفر وهذا أولى بالقبول وفى رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فأغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب عنى اسأله كم صلى وفى احدى روايات البخارى جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وليس بين الروايتين مخالفة لكن قوله فى الرواية الاخرى وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل لانه يشعر بكون ما عن يمينه او يساره كان اثنين ولهذا عقبه البخارى برواية اسماعيل بن ابى اويس التى قال فيها عمودين عن يمينه ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه حيث ثني أشار الى ما كان عليه البيت فى زمنه صلى الله عليه وسلم وحيث أفرد أشار الى ما صار اليه بعد ذلك ويرشد اليه قوله وكان البيت يومئذ لان فيه اشعارا بانه تغير عن هيئته الاولى ويحتمل أن يقال لم تكن الاعمدة الثلاثة على سمت واحد بل أثنان على سمت والثالث على غير سمتهما ولفظ المقدمين فى احدى روايات البخارى مشعر به وفى رواية لمسلم جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه عكس رواية اسماعيل وكذلك قال الشافعى وبشر بن عمر فى احدى الروايتين عنهما وجمع بعض المتأخرين بين هاتين الروايتين باحتمال تعدد الواقعة وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث وقد جزم البيهقى بترجيح رواية اسماعيل ووافقه عليها ابن القاسم والقعنبى وأبو مصعب ومحمد بن الحسن وأبو حذافة وكذلك الشافعى وابن مهدى فى احدى الروايتين عنهما انتهى ملخصا من فتح البارى وقد بين موسى بن عقبة فى روايته عن نافع أن بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذى استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما أخرجه الدارقطنى فى الغرائب ولفظه وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع وفى كتاب مكة للازرقى والفاكهى أن معاوية سأل ابن عمر أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة فعلى هذا ينبغى لمن أراد الاتباع فى ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع فانه يقع قدماه فى مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كانت ثلاثة سواء أوتقع ركبتاه أو يداه أووجهه ان كان أقل من ثلاثة أذرع والله أعلم وفى رواية عن ابن عباس قال أخبرنى أسامة أنه عليه الصلاة والسلام لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل فيه حتي خرج فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع بينه وبين حديث ابن عمر أن أسامة اخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة كما رواه احمد والطبرانى فان أسامة حيث اثبتها اعتمد فى ذلك على غيره وحيث نفاها أراد ما فى علمه لكونه لم يره حين صلى ويكون ابن عمر ابتدأ بلالا بالسؤال ثم أراد زيادة الاستثبات فى مكان الصلاة فسأل اسامة أيضا قال النووى وقد اجمع أهل الحديث على الاخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه زيادة علم فوجب

ترجيحه قال وأما نفي اسامة فيشبه انهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فرأى أسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية اخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبي صلى الله عليه وسلم فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام خفيفة فلم يرها أسامة لاغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيه عملا بظنه وأما بلال فتحققها وأخبر بها انتهى وتعقبوه بما يطول ذكره وأقرب ما قيل في الجمع أنه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة لامر ندبه اليه وهو ان يأتي بماء يمحو به الصور التي كانت في الكعبة فأثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها أسامة لعدم رؤيته ويؤيده مارواه أبو داود الطيالسي عن أسامة بن زيد قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ورأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقات وأفاد الازرقي في تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم أقام خمس عشرة ليلة وفي رواية تسع عشرة وفي رواية أبي داود سبع عشرة وعند الترمذي ثمان عشرة وفي الاكليل أصحها بضع عشرة يقصر الصلاة وقال الفاسي في تاريخ مكة فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان

﴿ ثم سرية خالد بن الوليد ﴾

عقب فتح مكة الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت اعظم أصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيأ قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع اليها فاهدمها فرجع فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها اثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد ببلادكم أبدا

﴿ ثم سرية عمرو بن العاصي ﴾

الى سواع صنم هذيل على ثلاثة أميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لاتقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع او يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

﴿ ثم سرية سعد بن زيد الاشهلي ﴾

الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليها قال السادن ما تريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها وانفلت الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان

﴿ ثم سرية خالد بن الوليد ﴾

الى بنى جذيمة قبيلة من عبد القيس أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم فى شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصاء بعثه صلى الله عليه وسلم لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام لا مقاتلا فلما انتهى اليهم قال ما أنتم قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد فى ساحاتنا وفى البخارى لم يحسنوا ان يقولوا ذلك فقالوا صبأنا فقال لهم استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى أصحابه فلما كان السحر نادى منادى خالد من كان معه أسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان بايديهم وأما المهاجرون والانصار فارسلوا أساراهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انى أبرأ اليك من فعل خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم قال الحافظ يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام لانه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الانفة ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متأولا وأنكر عليه صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا

﴿ ثم غزا صلى الله عليه وسلم حنينا ﴾

بالتصغير وهو واد قرب ذى المجاز وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى غزوة هوازن وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها وأسلم عامة أهلها مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النضرى فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال فى اثنى عشر ألفا من المسلمين عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم من أهل مكة وهم الطلقاء يعنى الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية وكان صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع بأداتها فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى حدرد الاسلمى فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم وفى حديث سهل بن الحنظلية عند أبى داود باسناد حسن انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطنبوا السير فجاء رجل فقال انى انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى وقوله عن بكرة أبيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة فى الحقيقة وهى التى يستقى عليها الماء فاستعيرت هنا ﴿قوله بظعنهم﴾ أى نسائهم واحدتها ظعينة وأصل الظعينة الراحلة التى يرحل ويظعن عليها أى يسار وقيل للمرأة ظعينة لانها تظعن مع زوجها حيثما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة

المرأة فى الهودج ثم قيل "امرأة بلا هو دج وللهودج بلا امرأة ظعينة انتهى وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب والفضل بن العباس وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد فى أناس من أهل بيته وأصحابه قال العباس وانا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم يتقدم فى نحر العدو وابو سفيان بن الحارث آخذ بركابه وجعل عليه الصلاة والسلام يقول للعباس ناد يامعشر الانصار يااصحاب السمرة يعنى شجرة بيعة الرضوان التى بايعوه تحتها أن لايفروا عنه فجعل تارة ينادى ياأصحاب السمرة وتارة يا أصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت علىّ أولادها وفى رواية لمسلم قال العباس فو الله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها يقولون ياالبيك ياالبيك فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه الصلاة والسلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب الذى يشبه حرها حره وهذه من فصيح الكلام الذى لم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه أى قبحت ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الاملأ عينيه من تلك القبضة وفى رواية لمسلم قبضة من تراب الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبذا أخرى ويحتمل ان يكون أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب ولاحمد وأبى داود والدارمى من حديث أبى عبد الرحمن الفهرى فى قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله أنا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فأخذ كفا من تراب قال فاخبرنى الذى كان أدنى اليه منى انه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله قال يعلى بن عطاء راويه عن أبى همام عن أبى عبد الرحمن الفهرى فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست الجديد بالجيم قال فى النهاية وصف الطست وهى مؤنثة بالحديد وهو مذكر إما لان تأنيثها غير حقيقى فأوله على الاناء والظرف أو لان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تأنيث كما يوصف به المذكر نحو امرأة قتيل انتهى ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به صلى الله عليه وسلم بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الادبار وروى أبو جعفر

ابن جرير بسنده عن عبدالرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا * وفى سيرة الدمياطى كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم وفى حديث جبير بن مطعم اطرت والناس يقتتلون يوم حنين مثل البجاد الأسود يهوى من السماء ﴿والبجاد﴾ بالموحدة والجيم آخره دال مهملة الكساء وجمعه بجد أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم قاله ابن الأثير وفى البخارى عن البراء وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلنا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة الى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكانه قال أنا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم بل أنا متيقن أن الذى وعدنى الله به من النصر حق فلا يجوز على الفرار واما مافى رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع من قوله فأرجع منهزما الى قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد رأى ابن الاكوع فزعا فقال العلماء قوله منهزما حال من ابن الاكوع كما صرح أولا بانهزامه ولم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه الصلاة والسلام ما انهزم ولم ينقل أحد قط أنه انهزم فى موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وقد تقدم فى غزوة أحد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضي عياض فى الشفاء أن من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل وأن العلامة البساطى تعقبه بما لفظه هذا القائل ان كان يخالف فى أصل المسئلة يعني حكم الساب فله وجه وان وافق على أن الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى قال بعضهم وقد كان ركوبه عليه الصلاة والسلام البغلة فى هذا المحل الذى هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا لنبوته لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة ولا يصلح لمواطن الحرب فى العادة الا الخيل فبين عليه الصلاة والسلام أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله تعالى وقد ركبت الملائكة فى الحرب معه عليه الصلاة والسلام على الخيل لا غير لأنها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات ولهذا لا يسهم فى الحرب الا للخيل والسر فى ذلك أنها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى وعند ابن أبى شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة لم يبق معه عليه الصلاة والسلام الا أربعة نفر ثلاثة من بنى هاشم ورجل من غيرهم على والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب وليس يقبل نحوه أحد الا قتل وفى الترمذى باسناد حسن من حديث ابن عمر لقد رأيتنا يوم حنين وان

الناس لمولون وما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل وفى شرح مسلم للنووى أنه ثبت معه عليه الصلاة والسلام اثنا عشر رجلا وكأنه أخذه من قول ابن اسحاق ووقع فى شعر العباس بن عبد المطلب ان الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك لقوله

نصرنا رسول الله فى الحرب تسعة * وقد فر من فر عنه فاقشعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه * لما مسه فى الله لا يتوجع

وقد قال الطبرى الانهزام المنهى عنه هو ما وقع على غير نية العود واما الاستطراد للكثرة فهو كالمتحيز الى فئة انتهى وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فقال العلماء انه ليس بشعر لان الشاعر انما يسمى شاعرا لوجوه منها أنه شعر القول وقصده واهتدى اليه وأتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه الاوصاف أو بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قائله شاعرا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن عبد المطلب ولم يقل ابن عبد الله فأجيب بان شهرته بجده كانت أكثر من شهرته بابيه لان أباه توفى فى حياة أبيه عبد المطلب قبل مولده عليه الصلاة والسلام وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى جده لشهرته ومنه حديث ضمام بن ثعلبة فى قوله أيكم ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه وأفضى المسلمون فى القتل الى الذرية فنهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك وقال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا وقال ابن القيم فى الهدى النبوى كان الله تعالى قد وعد رسوله أنه اذا فتح مكة دخل الناس فى دين الله أفواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا ويتألبوا الحرب عليه الصلاة والسلام ليظهر أمره تعالى وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلاق المسلمون قبلها مثلها ولا يقاومهم بعدها أحد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه الصلاة والسلام واضعا رأسه منحنيا على مركوبه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة أن النصر انما هو من عنده تعالى وأنه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وأنه سبحانه هو الذى تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيأ فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم أرسلت خلع الجبر مع بريد أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته تعالى أن خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض وبهاتين الغزوتين أعني حنينا وبدرا قاتلت الملائكة با سهامع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصباء فيهما انتهى وأمر صلى الله عليه وسلم بطلب

العدو فانتهى بعضهم الى الطائف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى أوطاس واستشهد من المسلمين اربعة منهم ايمن بن ام ايمن وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا

﴿ ثم سرية ابى عامر الاشعرى ﴾

وهو عم ابى موسى الاشعرى وقال ابن اسحاق ابن عمه والاول أشهر بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين فى طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى أوطاس وهو واد فى ديار هوازن وكان معه سلمه ابن الاكوع فانتهى اليهم فاذاهم ممتنعون فقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لاتشهد على فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبى عامر ورمى أبا عامر ابنا الحارث العلاء وأوفى فقتلاه فخلفه أبو موسى الاشعرى فقاتلهم حتى فتح الله عليه وكان فى السبي الشيماء أخته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة وقتل قاتل أبى عامر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابى عامر واجعله من أعلى أمتي فى الجنة وفى رواية البخارى قال يعنى أباعامر لابى موسى الاشعرى لما رمى بالسهم ياابن أخى أقرئ النبى صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفرلى ثم مات ورجعت فدخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال قل له استغفرلى فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال اللهم اغفر لعبيدك أبى عامر ورأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرين من خلقك فقلت ولى فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما قال أبو بردة احداهما لابى عامر والاخرى لابى موسى

﴿ ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى ﴾

الى ذى الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة فى شوال لما أراد عليه الصلاة والسلام السير الى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يحش النار فى وجهه ويحرقه ويقول

ياذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا

* اني حششت النار فى فؤادكا *

وانحدر معه من قومه أربعمائه سراعا فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وعد مغالطاى وقدم معه أربعة مسلمون

﴿ ثم غزوة الطائف ﴾

وهى بلد كبير على ثلاث مراحل أو اثنين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعناب والفواكه وقيل ان أصلها أن جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها وكانت أولا بنواحى صنعاء واسم الارض وج بتشديد الجيم المضمومة وسار اليها النبي صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم

بالطائف وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه مايصلحهم لسنة وتهيؤا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم فمر
فى طريقه بقبر أبى رغال وهو أبو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب ونزل قريبا من الحصن
وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة
وقتل منهم اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن أبي أمية ورمى عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بجرح
فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه فى خلافة أبيه وارتفع صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف
اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين حصار الطائف
كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما ويقال خمسة عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمى به
فى الاسلام وكان قدم به الطفيل الدوسى معه لما رجع من سرية ذى الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل
منهم رجال فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سألوه أن
يدعها لله وللرحم فقال عليه الصلاة والسلام انى أدعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه الصلاة والسلام
أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر قال الدمياطى فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم أبو بكرة
وعند مغلطاى ثلاثة وعشرون عبدا وفى البخارى عن ابي عثمان النهدى قال سمعت سعد وأبا بكرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندك رجلان اما أحدهما فأول من رمى بسهم فى سبيل الله
وأما الآخر فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف الحديث وأعتق صلى الله
عليه وسلم من نزل منهم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطائف
مشقة شديدة ولم يؤذن له صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف وامر عمر بن الخطاب فاذن فى الناس
بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال عليه الصلاة والسلام فاغدوا على
القتال فغدوا فأصاب المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله تعالى فسروا بذلك
وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قال النووى قصد صلى الله عليه وسلم
الشفقة عليهم والرفق بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين فيه وتقويهم بحصنهم مع
أنه صلى الله عليه وسلم علم أولا أورجا انه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقام
والجهاد أقام وجد فى القتال فلما أصابتهم الجراح رجع الى ما كان قصده اولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك
لما راوا من المشقة الظاهرة ووافقوا على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رأيهم وفقئت
عين أبى سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهى فى يده
أيما أحب اليك عين فى الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك قال بل عين فى الجنة ورمى بها وشهد اليرموك
فقاتل وفقئت عينه الاخرى يومئذ ذكره الحافظ زين الدين العراقى فى شرح التقريب وقال صلى الله
عليه وسلم لاصحابه قولوا لااله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا
قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج للجهاد
يعتد لذلك بجمع أصحابه واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع
عليه الصلاة والسلام يتعرى من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عزوجل لالغيره بقوله آيبون تائبون عابدون

لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الاحزاب وحده فنفى صلى الله عليه وسلم ماتقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عزوجل فهو لله سبحانه وتعالى الذى خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء ومن اختار من خلقه فكل منه واليه ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثبت سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فعلى المكلف الامتثال فى الحالتين أى امتثال تعاطى الاسباب والرجوع الى المولى والسكون اليه بساحة كرمه كما كان صلى الله عليه وسلم يأتى الاسباب أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه مايشاء من قدرته الغامضة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام قال ابن الحاج فى المدخل ولما قيل له يارسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر أن يجمع السبى والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله إلى الجعرانة فكان بها الى أن انصرف عليه الصلاة والسلام من الطائف وكان السبي ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة واستأنا صلى الله عليه وسلم أى انتظر وتربص بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ثم بدأ بقسم الاموال فقسمها وفى البخارى وطفق صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا المائة من الابل فقال ناس من الانصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من أدم ثم قال لهم أماترضون أن يذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبى الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وعن جبير بن مطعم قال بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطونى ردائى فلو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا رواه ابن جرير فى تهذيبه وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدى عن ابن عباس أنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف والمعروف عند أهل السير أن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة فأقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما أراد الانصراف الى المدينة خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم بعمرة ودخل مكة وفى تاريخ الازرقى عن مجاهد انه عليه الصلاة والسلام أحرم من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة وعند الواقدى من المسجد الاقصى الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى من الجعرانة وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام اذ كان بالجعرانة به والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهى وقال الباجى ثمانية عشر ميلا وسمى بامرأة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلى قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة

عشر يوما

﴿ وبعث عليه الصلاة والسلام قيس بن سعد بن عبادة ﴾

الى ناحية اليمن فى أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء حين مروره عليهم فى الطريق فقدم زياد ابن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فاخبر فقال يارسول الله أنا وافدهم فاردد الجيش وأنا لك بقومى فردهم النبى صلى الله عليه وسلم من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فأسلموا وتأتى قصة وفودهم فى الفصل العاشر من المقصد الثانى ان شاء الله تعالى

﴿ وبعث عيينة بن حصن الفزارى ﴾

الى بنى تميم بالسقيا وهى أرض بنى تميم فى المحرم سنة تسع فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم فى صحراء فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولوا فأخذوا منهم أحد عشر رجلا ووجدوا فى المحلة احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فقدم منهم عشرة من رؤسائهم منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس فجاؤا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم فنادوا يامحمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه وسلم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبى وفى البخارى عن عبد الله بن الزبير أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ماأردت الاخلافى قال عمر ماأردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت أى لاتقدموا القضاء فى أمر قبل أن يحكم الله ورسوله فيه ولما نزل لاترفعوا أصواتكم أقسم أبو بكر لايتكلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كمن يسارر صاحبه فنزل فيه وفى أمثاله ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية

﴿ ثم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط ﴾

الى بنى المصطلق من خزاعة يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج معهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبى صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فنزلت هذه الآية ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ الى آخر الآية فقرأ عليهم صلى الله عليه وسلم القرآن وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن وفى شرف المصطفى للنيسابورى مما ذكره مغلطاى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بنى

عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو وقال وهو الاصح فى مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام فابوا أن يجيبوا واستخفوا بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل فهم الى اليوم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط

﴿ ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة ﴾

الى خثعم قريبا من تربة بفتح الراء من أعمال مكة سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى فى الفريقين جميعا وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وكانت سهمانهم أربعة أبعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد أن أخرج الخمس

﴿ ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابى ﴾

الى بنى كلاب فى ربيع الاول سنة تسع الى القرطاء فدعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموهم

﴿ ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجى ﴾

بضم الميم وجيم مفتوحة ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة وحكى فتحهما والصواب الاول الى الحبشة فى ربيع الآخر وقال الحاكم فى صفر سنة تسع وذكر ابن سعد أن سبب ذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراآهم أهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز فى ثلاثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهليهم فأمر عبد الله بن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه ورواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث أبى سعيد الخدرى وبوب عليه البخارى فقال سرية عبد الله بن حذافة السهمى وعلقمة بن مجزز المدلجى ويقال انها سرية الانصارى ثم روى عن على قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال أليس قد أمركم النبى صلى الله عليه وسلم أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا فأوقدوها فقال ادخلوا فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبى صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ماخرجوا منها قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى قوله ويقال انها سرية الانصارى اشارة الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم أميرهما ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التأويل ويبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمى القرشى المهاجرى بكونه أنصاريا ويحتمل أن يكون الحمل على المعنى الاعم أى انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجملة والى التعدد جنح ابن القيم وأما ابن الجوزى فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة وانما هو سهمى قال فى فتح البارى ويؤيده حديث ابن عباس عند أحمد فى قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بعثه رسول الله صلى الله عليه

وسلم فى سرية انتهى وقال النووى وهذا الذى فعله هذا الامير قيل أراد امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل ان هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمى قال وهذا ضعيف لانه قال فى الرواية التى بعدها انه رجل من الانصار فدل على أنه غيره انتهى

﴿ ثم سرية على بن أبي طالب ﴾

الى الفلس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم طى لهدمه فى ربيع الآخر سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء وكان فى السبي سفانة بنت حاتم أخت عدى بن حاتم فأطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب اسلام عدى وعند ابن سعد أيضا أن الذى كان سباها خالد بن الوليد رضى الله عنه

﴿ ثم سرية عكاشة بن محصن ﴾

الى الجباب موضع بالحجاز أرض عذرة وبلى وقيل أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة

﴿ قصة كعب بن زهير مع النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

وكانت فيما بين رجوعه عليه الصلاة والسلام من الطائف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب وأخيه بجير ما ذكره ابن اسحاق وعبد الملك بن هشام وأبو بكر محمد بن القاسم بن يسار بن الأنبارى دخل حديث بعضهم فى حديث بعض أن بجيرا قال لكعب أثبت حتى آتي هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه وأعرف ماعنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك أن زهيرا فيما زعموا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه أنه قد مد سبب من السماء وأنه قد مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبى الذى يبعث فى آخر الزمان وأنه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم ان أدركوه أن يسلموا قال ابن اسحاق ولما قدم صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير بن زهير الى أخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه وان من بقى من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا فى كل وجه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجاتك وكان كعب قد قال

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل * على أى شئ غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولا تلفى عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل أما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلى لعا كلمة تقال للعاثر دعاء له انتهى قال ابن اسحاق وبعث بها الى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المأمون صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه

ولا أمه ثم قال عليه الصلاة والسلام من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لاشئ دينه * ودين أبى سلمى على محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شئ بدا قال قصيدته التى يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان أنا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أنا يارسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحاق فحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الانصار وقال يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير ثم قال قصيدته اللامية التى أولها

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

(ومنها)

أنبئت أن رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال * قرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم * أذنب ولو كثرت فى الاقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل

وفى رواية أبى بكر بن الانبارى أنه لما وصل الى قوله

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وأن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم قال وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحاق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب * اذا عرد السود التنابيل * وانما عنى معشر الانصار لما كان صاحبهم صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد أن أسلم يمدح الانصار قصيدته التى تقول فيها

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيارهم بنو الاخيار
المكرهين السمهرى بأدرع * كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار
قوم اذا حوت النجوم فانهم * للطارقين النازلين مقار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة

﴿ غزوة تبوك ﴾

مكان معروف وهى نصف طريق المدينة الى دمشق وهى غزوة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وكانت يوم الخميس فى رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ وكان حرا شديدا وجد بأ كثيرا فلذلك لم يور عنها كعادته فى سائر الغزوات وفى تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا فى قلة من الظهر وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فكان ذلك عسرة فى الماء وفى الظهر وفى النفقة فسميت غزوة العسرة وسببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك وروى الطبرانى من حديث عمران بن الحصين قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى خرج يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وكان عثمان قد جهز عيرا الى الشام فقال يارسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية أى من الذهب قال فسمعته يقول لايضر عثمان ماعمل بعدها وروى عن قتادة أنه قال حمل عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم خرجه الترمذى وقال حسن غريب وعند الفضائلى والملائى فى سيرته كما ذكره الطبرى فى الرياض النضرة من حديث حذيفة بعث عثمان يعنى فى جيش العسرة بعشرة آلاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيديه ويقلبها ظهر البطن ويقول غفر الله لك ياعثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة مايبالى ماعمل بعدها ولما تأهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين لاتنفروا فى الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لوكانوا يفقهون وأرسل عليه السلام الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه فقال عليه السلام لاأجد ماأحملكم عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وأبو ليلى

عبد الرحمن بن كعب المازنى والعرباض بن سارية وهرم بن عبد الله وعمرو بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن عمرو المزنى وعمرو بن الحمام ومعقل المزنى وحرمى بن مازن والنعمان وسويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين قال الله فيهم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لايجدوا ما ينفقون قاله مغلطاى وفى البخارى عن أبى موسى قال أرسلنى أصحابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم فقلت يانبي الله ان أصحابى أرسلونى اليك لتحملهم فقال والله لا أحملكم على شئ فرجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد فى نفسه على فرجعت الى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فلم ألبث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادى أين عبد الله بن قيس فاجبته فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما أتيته قال خذها تين القرينتين وهاتين القرينتين لستة أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فانطلق بهم الى اصحابك فقل ان الله او ان رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن الحديث وقام علبة بن زيد فصلى من الليل وبكى وقال اللهم انك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك مايحملنى عليه وانى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فيها مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدق فليقم فقام اليه فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم أبشر فوالذى نفس محمد بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة رواه يونس والبيهقى فى الدلائل كما ذكره السهيلى فى الروض له وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة قال الدمياطى وهو عندنا أثبت ممن قال استخلف غيره انتهى وقال الحافظ زين الدين العراقى فى ترجمة على بن أبى طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدى وهو فى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص انتهى ورجحه ابن عبد البر وقيل استخلف سباع بن عرفطة وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وفيهم نزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وابو ذر وأبو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك ولما راى عليه الصلاة والسلام أباذر الغفارى وكان عليه السلام نزل فى بعض الطريق فقال يمشى وحده ويبعث وحده ويموت وحده فكان كذلك وأمر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الانصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية وكان معه عليه الصلاة والسلام ثلاثون ألفا وعند أبى زرعة سبعون ألفا وفى رواية عنه أيضا اربعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ولما مر عليه الصلاة والسلام بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لاتشربوا من مائها شيأ ولا يخرجن أحد منكم الا ومعه صاحب له ففعل الناس الا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر فى طلب بعيره فاما الذى خرج لحاجته فخنق على مذهبه واما الذى خرج فى طلب بعيره فاحتملته الريح

حتى طرحته بجبلى طى فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم ثم دعا للذى خنق على مذهبه فشفي وأما الآخر فأهدته طي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفى صحيح مسلم من حديث أبي حميد انطلقنا حتي قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شـديدة فلا يقم أحد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلى طى وروى الزهرى لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجي ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم رواه الشيخان ولما كان عليه الصلاة والسلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن الصلت وكان منافقا أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته واني والله لاأعلم الا ماعلمني الله وقد دلني الله عليها وهي فى الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فانطلقوا فجاؤا بها رواه البيهقى وأبو نعيم وفى مسلم من حديث معاذ بن جبل انهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشئ من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتي اجتمع فى شن ثم غسل صلى الله عليه وسـلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس الحـديث ويأتى ان شاء الله تعالى فى مقصد المعجزات * ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه اهل جرباء بالجيم وأذرح بالذال المعجمـة والراء والحاء المهملين بلدين بالشام بينهما ثلاثة أميال فاعطوه الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا ووجد هرقل بحمص فارسل خالد بن الوليد الى أكيدر بن عبد الملك النصرانى وكان ملكا عظيما بدومة الجندل فى أربعمائة وعشرين فارسا فى رجب سرية وقال له عليه الصلاة والسلام انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وقتل أخاه حسانا وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفى بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح وفى هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا فى تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب الاجابة ولم يجب رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أنس وفى مسند أحمد أن هرقل كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم انى مسلم فقال النبي صـلى الله عليه وسلم كذب هو على نصرانيته وفى كتاب الاموال لابى عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه ولفظه فقال كذب عدو الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة وقال الدمياطى ومن قبله ابن سـعد عشرين ليلة يصـلى بها ركعتين ولم يلق كيدا وبنى فى طريقه مساجد واقبل عليه الصلاة والسلام حتى نزل بذى اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عـدى العجلاني فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فحرجا فحرقا وهـدما وذلك بعد أن نزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية قال الواحدى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة

وعامة أهل التفسير الذين اتخذوا مسجدا لضرار كانوا اثنى عشر رجلا يضارون به مسجد قباء وذلك أنهم قالوا فى طائفة من المنافقين نبنى مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يارسول الله بنينا مسجدا لذى العلة والليلة المطيرة ونحن نحب أن تصلى فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه الصلاة والسلام انى على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت هذه الآية ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * مادعا لله داع

وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال انما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هى من ناحية الشام لايراها القادم من مكة الى المدينة ولا يراها لا اذا توجه الى الشام كما قدمت ذلك وفى البخارى لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الاكانوا معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد معنى ماورد نية المؤمن خير من عمله فان نية هؤلاء أبلغ من أعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم فى بيوتهم والمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات والهمم لابمجرد الاعمال ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ولما دخل قال العباس يارسول الله ائذن لى أمتدحك قال قل لايفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر * أنت ولامضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ * ـنور وسبل الرشاد نخترق

﴿ وقوله ﴾ من قبلها طبت الخ أى طلال الجنة أى انك كنت طيبا فى صلب آدم حيث كان فى الجنة ﴿ وقوله ﴾ من قبلها أى من قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى ﴿ وقوله ﴾ ثم هبطت البلاد لابشر أى لما أهبط الله آدم الدنيا كنت فى صلبه غير بالغ هذه الاشياء ﴿ وقوله ﴾ وقد ألجم نسرا وأهله الغرق يريد الصنم الذى كان يعبده قوم نوح وهو المذكور فى قوله تعالى ولايغوث ويعوق ونسرا ﴿ وقوله ﴾ حتى احتوى بيتك المهيمن الخ ﴿ النطق ﴾ جمع نطاق وهى أعراض من جبال فوق بعض أى نواح وأوساط منها شبهت بالنطق التى تشد بها أوساط الناس ضرب مثلا به ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته

بمنزلة أوساط الجبال وأراد ببيته شرفه والمهيمن نعته أي احتوى شرفه الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف وهو بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة انتهى وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه تخلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وأرجأ أمر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وعند البيهقي في الدلائل من مرسل سعيد بن المسيب ان أبا لبابة بن عبد المنذر لما أشار لبني قريظة بيده الى حلقه أنه الذبح وأخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسبت أن الله قد غفل عن يدك حين تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا تبوك فتخلف عنه أبو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها جاءه أبو لبابة يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع أبو لبابة فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال لايزال هذا مكاني حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله على الحديث وعنده أيضا من حديث ابن عباس في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فقال من هؤلاء قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يارسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم فقال أقسم بالله لاأطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فأنزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم فلما نزلت أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم الحديث قالوا ولما قدم عليه الصلاة والسلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما

﴿ حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ﴾

سنة تسع في ذي القعدة كما ذكرها ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الاكليل وقال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي ويؤيده أن ابن اسحاق صرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بعدما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرا على الحاج فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله أعلم وكان مع أبي بكر ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر أن لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ أبو بكر الى الناس ثم أردفه النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة فأذن معلنا في أهل منى ببراءة وأن لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ أبو بكر الى الناس فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك فأنزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه أبو بكر الى

المشركين يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الآية وقد دلت هذه الاية الكريمة على نجاسة المشرك كما فى الصحيح المؤمن لاينجس وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة أبدانهم وهذا ضعيف لأن أعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام ولا استوى فى النهى عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاجتناب لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل وروى النسائى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتي اذا كنا بالعرج ثوب للصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف على التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج فلعله أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلى معه فاذا على عليها فقال له أبو بكر أمير أم رسول قال لا بل رسول أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة أقرؤها على الناس فى مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتي اذا فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتي ختمها ثم خرجنا معه حتي اذا كان يوم عرفة قام أبوبكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتي اذا فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتي ختمها ثم كان يوم النحر فأفضنا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتي ختمها وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحاج سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن أسيد أما أبو بكر رضى الله عنه فانما كان سنة تسع واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع والاحاديث فى ذلك كثيرة شهيرة وذهب جماعة الى أن حج أبى بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه وفى هذه السنة أيضا مات عبد الله بن أبى ابن سلول فجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلى عليه فقام عمر رضى الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرنى الله عز وجل قال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون رواه الشيخان والنسائى وفى هذه السنة أيضا آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا وجحش شقه أى خدش وجلس فى مشربة له درجها من جذوع فأتاه أصحابه يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا حتي يرفع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يارسول الله انك آليت شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين

﴿ ثم بعث أبا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع ﴾

كل واحد منهما على مخلاف قالوا واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وقال لمعاذ انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخارى ﴿والمخلاف﴾ بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء بلغة أهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور وكانت جهة أبي موسى السفلى

﴿ ثم أرسل خالد بن الوليد ﴾

قبل حجة الوداع أيضا فى ربيع الاول سنة عشر وفى الاكليل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى الى بنى عبد المدان قبيلة بنجران فأسلموا

﴿ ثم أرسل على بن أبى طالب الى اليمن ﴾

فى شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده وأخرج أبو داود وأحمد والترمذى من حديث على قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله تبعثنى الى قوم أسن منى وأنا حديث السن لاأبصر القضاء قال فوضع يده فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال ياعلى اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الحديث فخرج فى ثلاثمائة فارس ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم على بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر

﴿ ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ﴾

وتسمى حجة الاسلام وحجة البلاغ وكره ابن عباس أن يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد أقام بالمدينة يضحى كل عام ويغزو المغازى فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى أن توفاه الله تعالى وفى البخارى عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وأنه حج بعدماها جر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع قال وقال ابن اسحاق وبمكة أخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لايعلمه الا الله فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة وجزم ابن حزم بأن خروجه كان يوم الخميس وفيه نظر لان أول ذى الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت وتواتر أن وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين أن أول الشهر كان يوم الخميس فلا يصح ان يكون خروجه يوم الخميس بل هو ظاهر الخبر أن يكون يوم الجمعة لكن ثبت فى الصحيحين عن أنس صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين فدل على أن خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين أى ان كان الشهر ثلاثين فاتفق أن جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس أول ذى الحجة بعد مضى أربع ليال لا لخمس وبها تتفق الاخبار هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير بين الروايات وقوى هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذى القعدة أو أربع وصرح الواقدى بأن خروجه عليه الصلاة والسلام كان يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر وكان دخول مكة صبح رابعة كما ثبت فى حديث عائشة وذلك يوم الاحد وهذا يؤيد أن خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكثه فى الطريق ثمان ليال وهى المسافة الوسطى وخرج معه عليه السلام تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفا ويقال أكثر من ذلك كما حكاه البيهقى ويأتى الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث فى مقصد العبادات ان شاء الله تعالى

﴿ ثم سرية أسامة بن زيد بن حارثة ﴾

الى أهل أبناء بالشراة ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشر وهى آخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم وأول شئ جهزه أبو بكر الصديق رضى الله عنه لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد فلما كان يوم الاربعاء بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمى وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب فيهم أبو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ولئن طعنتم فى امارتى أسامة فقد طعنتم فى امارتى أباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن أحب الناس الى فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبى صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذى لدوه فيه فطأطأ أسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة قال أسامة فعرفت انه يدعو لى ورجع اسامة الى معسكره ثم دخل يوم الاثنين وأصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه أسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب اذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت فأقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفى عليه الصلاة والسلام حين زاغت الشمس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وهذا كله المشهور ومن المعلوم أنهم اتفقوا على ان ذا الحجة كان أوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة توام ونواقص أو بعضها لم يصح قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تأمله وأجاب البارزى ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان أهل مكة والمدينة اختلفوا فى رؤية هلال ذى الحجة فرآه أهل مكة ليلة الخميس ولم يره أهل

المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية أهلها وكان أول ذى الحجة الجمعة وآخره السبت وأول المحرم الاحد وآخره الاثنين واول صفر الثلاثاء وآخره الاربعاء واول ربيع الاول الخميس فيكون ثانى عشره الاثنين قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالى اربعة اشهر كوامل وقد جزم سليمان التيمى احد الثقات بأن ابتداء مرضه كان يوم السبت الثانى والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال والمعتمد ماقاله أبو مخنف انه توفى فى ثانى ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا مات فى ثانى شهر ربيع الاول فغيرت فصار ثانى عشر واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضا من غير تأمل انتهى ثم ان وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن فى حديث ابن مسعود فى حادى عشر رمضان رواه البزار والمعتمد ماتقدم والله اعلم انتهى وسيأتى ان شاء الله تعالى حديث الوفاة الشريفة فى المقصد الاخير ولما توفى عليه الصلاة والسلام دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عند بابه فلما بويع ابو بكر الصديق رضى الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ليمضى لوجهه فمضى به الى معسكرهم الاول وخرج اسامة هلال ربيع الآخر سنة احدى عشرة الى اهل ابناء فشن عليهم الغارة فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل ابيه فى الغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين وخرج ابو بكر فى المهاجرين واهل المدينة يتلقونه سرورا والله اعلم فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه نحو سبع وعشرين

﴿ المقصد الثانى فى حكم اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة وذكر أولاده الكرام الطاهرين وازواجه الطاهرات أمهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام بالشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول * فى ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة ﴾

اعلم ان الاسماء جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لابد من مراعاة أربعة أشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمى بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها أو تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمى هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هى اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا أطلق أو أحس فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى أو غيره وهى مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى أن الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على أن اسمه هو هو وأجيب بأنه أشرب معنى سبح اذكر فكانه قل

اذكر اسم ربك الاعلى كقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا وقد أشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى واذكر ربك أى سبح ربك والاشراب جار فى لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشئ الى نفسه وأجيب بأن الاسم هنا بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هى اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بأن الاسم عين المسمى أيضا بقوله تعالى يا غلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه أن المعنى يا أيها الغلام الذى اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ﴿وقد سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأسماء كثيرة فى القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام﴾ ثم ان أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب وذلك أنه لما قيل له ما سميت ولدك فقال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من آبائك وقومك فقال لاني أرجو أن يحمده أهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب كما ذكر حديثها على القير وانى العابر فى كتابه البستان قال كان عبد المطلب قد رأى فى المنام كأن سلسلة من فضة قد خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء واهل الارض فلذلك سماه محمدا مع ماحدثته به أمه آمنة حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما ولد النبى صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحارث ما حملك على أن سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه قال أردت أن يحمده الله فى السماء ويحمده الناس فى الارض وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب رواه الشيخان وقد روى على قدمى بتخفيف الياء بالافراد وبالتشديد على التثنية قال النووى فى شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على أثرى وزمانى ورسالتى وفى رواية نافع بن جبير عند البخارى فى تاريخه الصغير والاوسط والحاكم فى مستدركه وصححه أبو نعيم فى الدلائل وابن سعد أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال أتحصى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان جبير بن مطعم يعدها قال نعم هى ستة فذكر الخمسة التى ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم وفى حديث حذيفة أحمد ومحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة ولفظ رواية أبى نعيم هى ستة محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح فأما الحاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدى عذاب شديد وأما العاقب فانه أعقب الانبياء وأما ماح فان الله عز وجل محا به سيئات من اتبعه وذكر بعضهم أن العدد ليس من قول النبى صلى الله عليه وسلم وانما ذكره الراوى بالمعنى وفيه نظر لتصريحه فى الحديث ان لى خمسة أسماء والذى يظهر أنه أراد خمسة أسماء اختص بها لم يتسم بها أحد من قبلى أو مشهورة فى الامم الماضية

الا أنه أراد الحصر فيها وبهذا يجاب عن الاشكال الوارد وهو أن المقرر في علم المعانى أن تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر ولكن ورود الروايات بما هو أكثر يدل على أنه ليس حصرا مطلقا فالطريق فى ذلك أن يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله أعلم وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لى فى القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جاءت من ألقابه صلى الله عليه وسلم وأسمائه فى القرآن عدة كثيرة وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة لعدد أسماء الله الحسنى الواردة فى الحديث قال القاضى عياض وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما وقال ابن دحية فى كتابه المستوفى اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفى الثلاثمائة انتهى ورأيت فى كتاب أحكام القرآن للقاضى أبى بكر ابن العربى قال بعض الصوفية لله تعالى ألف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم انتهى والمراد الاوصاف فكل الاسماء التى وردت أوصاف مدح واذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم ثم ان منها ماهو مختص به أو الغالب عليه ومنها ماهو مشترك وكل ذلك بين بالمشاهدة لايخفى واذا جعلنا له من كل وصف من أوصافه اسما بلغت أوصافه ماذكر بل أكثر والذى رأيته فى كلام شيخنا فى القول البديع والقاضى عياض فى الشفاء وابن العربى فى القبس والاحكام له وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على الاربعمائة وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهى (ا) الابر بالله الابطحى أتقى الناس الاجود أجود الناس الاحد الاحسن أحسن الناس أحمد أحيد بضم أوله وكسر المهملة ثم ياء تحتانية الآخذ بالحجزات آخذ الصدقات الآخر الاخشى لله أذن خير أرجح الناس عقلا أرحم الناس بالعباد أشجع الناس الاصدق فى الله الازهر وهو النير المشرق الوجه أطيب الناس ريحا الاعز الاعلى الاعلم بالله أكثر الناس تبعا الاكرم أكرم الناس أكرم ولد آدم المص امام الخير امام الرسل امام المتقين امام النبيين الامام الآمر الآمن أمنة أصحابه الامين الامى أنعم الله الاول أول شافع أول المسلمين أول مشفع أول المؤمنين أول من تنشق عنه الارض (ب) البر البار قايط الباطن البرهان بشر بشرى عيسى البشير البصير البليغ بالغ البيان البينة (ت) التالى التذكرة التقى التنزيل التهامى (ث) ثانى اثنين (ج) الجبار الجد الجواد جامع (ح) حاتم حزب الله الحاشر الحافظ الحاكم بما أراده الله الحامد حامل لواء الحمد الحائد لامته عن النار الحبيب حبيب الرحمن حبيب الله الحجازى الحجة البالغة حجة الله على الخلائق حرز الاميين الحرمى حريص الحريص على الايمان الحسيب الحفيظ الحق الحكيم الحليم حماد حمطايا أو قال حياطا حمعسق حنى الحمد الحنيف (خ الخبير خاتم النبيين خاتم المرسلين الخاتم الخازن لمال الله الخاشع الخاضع الخالص خطيب الانبياء خطيب الامم خطيب الوافدين على الله الخليل خليل الرحمن خليل الله الخليفة خير الانبياء خير البرية خير خلق الله خير العالمين طرا خير الناس خير هذه الامة خيرة الله (د) دار الحكمة الداعى الى الله دعوة ابراهيم دعوة النبيين دليل الخيرات (ذ) الذاكر الذكر ذكر الله ذو الحوض المورود ذو الخلق العظيم ذو الصراط المستقيم ذو القوة ذو مكانة ذو عزه ذو فضل ذو المعجزات ذو المقام المحمود ذو الوسيلة (ر) الراضع الراضى الراغب الرافع راكب البرق راكب البعير

وراكب الجمل راكب الناقة وراكب النجيب الرحمة رحمة الامة رحمة العالمين رحمة مهداة الرحيم الرسول
رسول الراحة رسول الرحمة رسول الله رسول الملاحم الرشيد الرفيع الذكر رافع الرتب رفيع الدرجات
الرقيب روح القدس روح الحق الرؤف ركن المتواضعين (ز) الزاهد زعيم الانبياء الزكى الزمزمى زين
من وافى القيامة (س) السابق السائق بالخيرات سابق العرب الساجد سبيل الله السراج المنير السراط
المستقيم السعيد سعد الله سعد الخلائق السميع السلام السيد سيد ولد آدم سيد المرسلين سيد الناس
سيد الكونين سيد الثقلين سيف الله المسلول (ش) الشارع الشافع الشاكر الشاهد الشكور الشكار
الشمس الشهيد (ص) الصابر الصاحب صاحب الآيات صاحب المعجزات صاحب البرهان صاحب
البيان صاحب التاج صاحب الجهاد صاحب الحجة صاحب الحطيم صاحب الحوض المورود صاحب
الخاتم صاحب الخير صاحب الدرجة العالية الرفيعة صاحب الرداء صاحب الازواج الطاهرات صاحب
السجود للرب المعبود صاحب السراى صاحب السلطان صاحب السيف صاحب الشرع صاحب الشفاعة
الكبرى صاحب العطايا صاحب العلامات الباهرات صاحب العلو والدرجات صاحب الفضيلة صاحب
الفرج صاحب القضيب صاحب القضيب الاصفر صاحب قول لااله الا الله صاحب القدم صاحب الكوثر
صاحب اللواء صاحب المحشر صاحب المدينة صاحب المغفر صاحب المغنم صاحب المعراج صاحب المظهر
المشهود صاحب المقام المحمود صاحب المنبر صاحب المئزر صاحب النعلين صاحب الهراوة صاحب الوسيلة
الصادع بما أمر الصادق الصبور الصدق صراط الله صراط الذين أنعمت عليهم الصراط المستقيم الصفوح
الصفوح عن الزلات الصفوة الصفى الصالح (ض) الضارب بالحسام المتكوم الضحاك الضحوك (ط) طاب
طاب الطاهر الطيب طسم طس طه الطيب (ظ) الظاهر الظفور من الظفر وهو الفوز (ع) العابد
العادل العظيم العافى العاقب العالم علم الايمان علم اليقين العالم بالحق العامل عبد الله العبد العدل العربى
العروة الوثقى العزيز العفو العليم العطوف العلى العلامة عين العزى عبد الكريم عبد الجبار عبد الحميد
عبد المجيد عبد الوهاب عبد القهار عبد الرحيم عبد الخالق عبد القادر عبد المهيمن عبد القدوس عبد
الغياث عبد الرزاق عبد السلام عبد المؤمن عبد الغفار (غ) الغالب الغفور الغنى بالله الغوث الغيث
الغياث (ف) الفاتح الفارقليط وقيل بالباء وتقدم الفارق فارق الفتاح فجر الفرط الفصيح فضل الله
فواتح النور (ق) القاسم القاضى القانت قائد الخير قائد الغر المحجلين القائل القائم القتال القتول قثم
القثوم قدم صدق القرشى القريب القمر القيم ومعناه الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل الياء القوى
(ك) كافة الناس الكفيل الكامل فى جميع أموره الكريم كهيعص (ل) اللسان (م) الماجد ماذماذ
المؤمل الماحى المأمون المانح الماء المعين المبارك المبتهل المبرأ المبشر مبشر البائسين المبعوث بالحق المبعوث
المبلغ المبيح المبين المتين المتبتل المتبسم المتربص المترحم المتضرع المتقى المتلو عليه المتهجد المتوسط المتوكل
المتثبت مجاب مجيب المجتبى المجير المحرض المحرم المحظوظ المحلل محمد المحمود المخبر المختار المخصوص بالشرف
المخصوص بالعز المخصوص بالمجد المخلص المدثر المدنى مدينة العلم المذكر المذكور المرتضى المرتل المرسل
المرتجى المرحوم المرتفع الدرجات المرء وهو الرجل الكامل المروءة المزكى المزمل المسبح المستغفر

المشفى المنتقم المسرى به المسعود المسلم المسلم المتاور المتفع المشفوع المتقح المشهود المشير المصباح الصادع المصافح مصحح الحسنات المصدوق المصطفى المصلح المصلى عليه المطاع المطهر المظهر المطلع المطيع المطهر المعزز المعصوم المعطى المعقب المعلم معلم أمته العلي المعلن المعلى المفضال المفضل المفتاح مفتاح الجنة المقتصد المقتفى يعنى قفا التبيين المفسر المفرق المسعط المفسم المفصوص عليه المقفى وقيل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم مقيل العثرات مقيم السنة بعد الفترة المكرم المكتفى المكفى المكين المكى الملاحمى ماقى القرآن الممنوح المنادى المنتظر المنجى المنذر المنزل عليه المنحمنا المنصف المنصور المنيب المنير المهاجر المهتدى المهدى المهداة المهيمن المؤتمن المؤتى جوامع الكلم الموحى اليه الموصل الموقر المولى المؤمن المؤيد الميسر (ن) النابذ الناجز الناس لقوله تعالى أم يحسدون الناس المفسر به عليه السلام الناسخ الناشر الناصح الناضر الناطق بالحق الناهى نبي الاحمر نبي الاسود نبي التوبة نبي الحرمين نبي الراحة نبي الرحمة النبي الصالح نبي الله نبي المرحمة نبي الملحمة نبي الملاحم النبي النجم النجم الثاقب نجى الله النذير النسيب نصيح ناصح لنعمة نعمة الله النقيب النقى النور نور الامم أى الهادى لها الذى أوصلها نور الله الذى لايطفأ (هـ) الهادى هدى هدية الله الهاشم (و) الوجيه الواسط الواسع الواصل الواضع الواعد الواعظ الورع الوسيلة الوفى الوافى ولى الفضل الولى (ى) اليثربى يس وكنيته المشهورة أبو القاسم كما جاء فى عدة أحاديث صحيحة ويكنى بابى ابراهيم كما جاء فى حديث أنس فى مجئ جبريل اليه عليهما الصلاة والسلام وقوله السلام عليك ياأباابراهيم وبأبى الارامل فيما ذكره ابن دحية وبابى المؤمنين فيما ذكره غيره واعلم أنه لا سبيل لنا أن نستوعب شرح جميع هذه الاسماء الشريفة اذ فى ذلك تطويل يفضى بنا الى العدول عن غرض الاختصار فلنذكر من ذلك مايفتح الله تعالى به مما يدل على سواه والله تعالى أستعين فاول ذلك ماله عليه الصلاة والسلام من معنى الحمد الذى هو اسمه المنبئ عن ذاته الذى سائر أسماء اوصافه راجعة اليه وهو فى المعنى واحد وله فى الاشتقاق صيغتان الاسم المبنى صيغته على صيغة افعل المنبئة عن الانتهاء الى غاية ليس وراءها منتهى وهو اسمه أحمد والاسم المبنى على صيغة التفعل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهى له الاحصاء وهو اسمه صلى الله عليه وسلم محمد قال السهيلي محمد منقول من الصفة فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد أخرى وأما أحمد وهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذى سمى به على لسان عيسى وموسى فانه منقول أيضا من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى أحمد أحمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد قال وأما محمد فمنقول من صفة أيضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد أخرى وكذلك الممدح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يسمى به علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام اذا كان اسمه صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه

فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه أحمد وذكره موسى حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا أيضا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر والوجود فى الدنيا والآخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضى عياض كان عليه الصلاة والسلام أحمد قبل أن يكون محمدا كما وقع فى الوجود لان تسميته أحمد وقعت فى الكتب السالفة وتسميته محمدا وقعت فى القرآن وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس انتهى وهذا موافق لما قال السهيلى وذكره فى فتح البارى وأقره عليه وهو يقتضى سبقية اسمه أحمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم فى اسمه أحمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير أحمد الناس أى أحق الناس وأولاهم أن يحمد فيكون محمدا فى المعنى لكن الفرق بينهما أن محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذى يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد فى الكثرة والكمية وأحمد فى الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره أى أفضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا أبلغ فى مدحه وأكمل معنى فلو أريد معنى الفاعل لسمى الحماد أى الكثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك أمته وأيضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من أخلاقه وخصاله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى محمدا وأحمد وقال القاضى عياض فى باب تشريفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بما سماه به من أسمائه الحسنى أحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد ثم ان فى اسمه محمد خصائص منها كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد فان عدد الجلالة على أربعة أحرف كمحمد ومنها أنه قيل ان مما أكرم الله به الآدمى أن كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاول رأسه والحاء جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ حكاها ابن مرزوق والاول ابن العماد فى كتاب كشف الاسرار ومنها انه تعالى اشتق اسمه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق على بن زيد قال كان أبو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألف عام كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نعيم فى مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله أنزل على آدم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه

شيث فقال أى بنى أنت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فانى رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم انى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا الا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه وان ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فاكثر ذكره فان الملائكة تذكره فى كل ساعاتها

بدا مجده من قبل نشأة آدم * فاسماؤه فى العرش من قبل تكتب

وروينا فى جزء الحسن بن عرفة من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بى الى السماء مامررت بسماء الا وجدت أى علمت اسمى فيها مكتوبا محمد رسول الله وأبو بكر من خلفى ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح أمين ذكره فى الشفاء وعلى الحجر بالخط العبرانى باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لااله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ذكره ابن ظفر فى البشر عن معمر عن الزهرى وشوهد كما ذكره فى الشفاء فى بعض بلاد خراسان مولود ولد على أحد جبينيه مكتوب لااله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد أحمر مكتوب عليه بالابيض لااله الا الله محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فارسينا فى جزيرة فرأينا فيها وردا أحمر زكى الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالابيض لااله الا الله محمد رسول الله ووردا أبيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات نعيم لااله الا الله محمد رسول الله وفى تاريخ ابن العديم عن على بن عبد الله الهاشمى الرقى انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لااله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لايعرفون الله تعالى وقال عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها نميلة أو نميلة فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لااله الا الله محمد رسول الله وأهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث حكاه القاضى أبو البقاء بن الضياء فى منسكه وفى كتاب روض الرياحين لليافعى عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر اذا كسر خرجت منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة لااله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها قال فحدثت بذلك أبا يعقوب الصياد فقال ما أستعظم هذا كنت صيادا على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لااله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لها وعن بعضهم مما ذكره ابن مرزوق فى شرحه لبردة الابوصيرى انه أتى بسمكة فرأى فى احدى شحمتي أذنيها لااله الا الله وفى الاخرى محمد رسول الله وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالابيض خلقة ومن جملة الخطوط كتب بالعربى فى

أحد جنبيها الله وفى الآخر عز أحمد بخط بين لايشك فيه عالم بالخط وانه وجد سنة تسع أو قال سنة سبع بالموحدة وثمانمائة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون أسود محمد وفى كتاب النطق المفهوم لابن طفر بك السياف عن بعضهم أنه رأى فى جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله بقدرته فى الورقة ثلاثة أسطر الاول لااله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله أحد باسمه محمد صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك أنه تعالى سماه به فى الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو هو والله أعلم حيث يجعل رسالته

ما كل من زار الحما سمع الندا * من أهله أهلا بذاك الزائر

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد عدهم القاضى عياض ستة ثم قال لاسابع لهم وذكر أبو عبد الله بن خالويه فى كتاب ليس والسهيلى فى الروض انه لايعرف فى العرب من تسمى محمدا قبل النبى صلى الله عليه وسلم الاثلاثة قال الحافظ ابن حجر وهو حصر مردود والعجب أن السهيلى متأخر الطبقة عن عياض ولعله لم يقف على كلامه قال وقد جمعت أسماء من تسمى بذلك فى جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين مع تكرير فى بعضهم ووهم فى بعض فيتلخص منهم خمسة عشر نفسا وأشهرهم محمد بن عدى بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمى السعدى ومنهم محمد بن أحيحة بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام آخره مهملة الاوسى ومحمد بن أسامة بن مالك بن حبيب ابن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البراء بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكرى العتوارى ومحمد بن الحارث بن حديج بن حويص ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمرى ومحمد بن حمران بن أبى حمران ربيعة بن مالك الجعفى المعروف بالشويعر ومحمد بن خزاعى بن علقمة بن حرابة السلمى من بنى ذكوان ومحمد بن خولى الهمدانى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدى ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدى ومحمد الفقيمى ولم يدركوا الاسلام الا الاول ففى سياق خبره مايشعر بذلك والا الرابع فهو صحابى جزما وفيمن ذكره عياض محمد بن مسلمة الانصارى وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبى صلى الله عليه وسلم بأزيد من عشرين سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن يحمد الماضى فصار من عنده ستة لاسابع لهم انتهى * وأما اسمه عليه الصلاة والسلام محمود فاعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود * وأما الماحى ففسر فى الحديث بمحو الكفر ولم يمح الكفر بأحد من الخلق مامحى بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه بعث وأهل الارض كلهم كفار مابين عباد أوثان ويهود ونصارى ضالين وصابئة دهرية لايعرفون ربا ولا معادا وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة لايعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها فمحاها برسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى أظهر دينه على كل دين وبلغ دينه مابلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس فى الاقطار ولما كانت البحار هي الماحية للادران كان اسمه عليه الصلاة والسلام فيها الماحي وأما الحاشر ففسر أيضا في الحديث بأنه الذى يحشر الناس على قدمه أي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله أي يجتمعون اليه في القيامة وقد كان حشره لاهل الكتاب اخراجه لهم من حصونهم وبلادهم من دار هجرته الى حيث أذاقهم الله من شدة الحشر ماشاء في دار الدنيا الى ماتصل لهم بذلك في برزخهم وهو أول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على أثره واليه يلجؤن في محشرهم، قيل على سببه وأما العاقب فهو الذى جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي لان العاقب هو الآخر أي عقب الانبياء قيل وهو اسمه عليه الصلاة والسلام في النار فاذا جاء لحرمة شفاعته خمدت النار وسكنت كما روى أن قوما من حملة القرآن يدخلونها فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حتي يذكرهم جبريل فيذكرونه فتخمد النار وتنزوى عنهم وأما المقفى فكذلك أى قفا آثار من سبقه من الرسل وهى لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس وقافية البيت فالمقفى الذى قفا من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم وأما الاول فلانه أول النبيين خلقا كما مر وكما أنه أول في البدء فهو أول في العود فهو أول من تنشق عنه الارض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع كما كان في أوليات البدء في عالم الذر أول مجيب اذ هو أول من قال بلى اذ أخذ ربه الميثاق على الذرية الآدمية فأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فهو صلى الله عليه وسلم الاول في ذلك كله على الاطلاق وأما الآخر فلانه آخر الانبياء في البعث كما في الحديث وأما الظاهر فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو الظاهر في وجوه الظهور كلها وأما الباطن فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة مايوحيه الله تعالى اليه وأما الفاتح الخاتم ففى حديث الاسراء عن أبى هريرة من طريق الربيع بن أنس قوله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه أيضا في الاسراء قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو الذى فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجا وفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفتح أمصار الكفر وفتح به أبواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والآخرة والقلوب والاسماع والابصار وقد يكون المراد المبدء المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه الصلاة والسلام كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث وأما الرؤف الرحيم ففى القرآن لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وهو فعول من الرأفة وهى أرق من الرحمة قاله أبو عبيدة والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين وأما الحق المبين فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل انى أنا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله مابعثه به كما قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم وأما المؤمن فقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أى يصدق وقال عليه الصلاة والسلام أنا أمنة

لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن وأما المهيمن فقال تعالى وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه قال ابن الجوزى فى زاد المسير ان ابن أبى نجيح روى عن مجاهد ومهيمنا عليه قال محمد مؤتمن على القرآن قال فعلى قوله فى الكلام تقدير محذوف كأنه قال وجعلناك يامحمد مهيمنا عليه وسماه العباس بن عبد المطلب مهيمنا فى قوله

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق

وروى ثم اغتدى بيتك المهيمن قيل أراد ياأيها المهيمن قاله القتبي والامام أبو القاسم القشيرى * وأما العزيز فمعناه جلالة القدر أو الذى لانظير له أو المعز لغيره وقد استدل القاضى عياض لهذا الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله ولقائل أن يقول هذا اللفظ أيضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى صلى الله عليه وسلم والغرض اختصاصه قال العينى وعجبت من القاضى كيف خفى عليه مثل هذا ويجاب باختصاصه عليه الصلاة والسلام برتبة من العزة ليست لغيره والله أعلم * وأما العالم والعليم والمعلم ومعلم أمته فقد قال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * وأما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشئ العالم بحقيقته وقيل المخبر قال الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضى أبو بكر بن العلاء فيما ذكره فى الشفاء المأمور بالسؤال غير النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل الله عز وجل فالنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عليه الصلاة والسلام عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له فى اعلامهم به انتهى * وأما العظيم فقال الله تعالى فى شأنه وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى أول سفر من التوراة عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم * وأما الشاكر والشكور فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا أى أأترك تهجدى فلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف أتركه وعلى هذا فتكون الفاء للسببية وقال القاضى عياض شكورا أى معترفا بنعم ربى عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وأما الشكار فهو أبلغ من شاكر وفى حديث ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه رب اجعلنى لك شكارا * وأما الكريم والاكرم وأكرم ولد آدم فسماه الله تعالى به فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم أى محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد به جبريل لانه تعالى لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون لم يكونوا يصفوا جبريل بذلك فتعين أن يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ان شاء الله تعالى بيانه فى مقصد آى التنزيل وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم وأما الولى والمولى فقال عليه الصلاة والسلام انا ولى كل مؤمن * وأما الامين فقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف به وشهر به قبل النبوة وبعدها وهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين على وحيه ودينه وهو أمين من فى السماء والارض * وأما الصادق والمصدوق فقد ورد فى الحديث تسميته بهما ومعناهما غير خفى وكذلك الاصدق

وروى أنه عليه الصلاة والسلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل انهم يعلمون أنك صادق * وأما الطيب وماذماذ بميم ثم ألف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم ألف ثم ذال معجمة كذا رأيته لبعض العلماء ونقل العلامة الحجازى فى حاشيته على الشفاء عن السهيلى ضم الميم واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودا وقال نقلته عن رجل أسلم من علماء بنى اسرائيل وقال معناه طيب طيب ولا ريب أنه صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وحسبك انه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذى نفحه فى الوجود فتعطرت به الكائنات وسمت واغتذت به القلوب فطابت وتنسمت به الأرواح فسمت * وأما الطاهر والمطهر والمقدس أى المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر أو الذى يتطهر من الذنوب و يتنزه باتباعه عنها كما قال الله تعالى ويزكيهم وقال و يخرجهم من الظلمات الى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية * وأما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله تعالى بهما فى القرآن والتوراة والانجيل كما فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى عند البخارى ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وأمره تعالى بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح * وأما العطوف فهو الشفوق وسمى به عليه الصلاة والسلام لكثرة شفقته على امته ورأفته بهم * واما النور فقال تعالى قد جاءكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن فهو نور الله الذى لا يطفأ * وأما السراج فسماه الله تعالى به فى قوله وسراجا منيرا لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به فهو نير فى ذاته منير لغيره فهو السراج الكامل فى الاضاءة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان المنير هو الذى ينير من غير احراق بخلاف الوهاج وأما الهادى فبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه * وأما البرهان فقال تعالى ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معجزاته وقيل القرآن * وأما النقيب فروى أنه صلى الله عليه وسلم لما مات نقيب بنى النجار أبو أمامة اسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم نقيبا بعده وقال أنا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم * وأما الجبار فسمى به فى مزامير داود فى قوله فى مزمور أربعة وأربعين تقلد أيها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذى جبر الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا قال القاضي عياض وقد نفى الله تعالى عنه جبرية التكبر التي لاتليق به فقال وماأنت عليهم بجبار * وأما الشاهد والشهيد فسماه الله تعالى بهما فى قوله انا ارسلناك شاهدا أى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتي بمحمد عليه الصلاة والسلام فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول

شهيدا عليهم قاله البيضاوى * وأما الناشر فسمى به لانه نشر الاسلام وأظهر شرائع الاحكام * وأما المزمل فأصله المتزمل فادغمت التاء فى الزاى وسمى به لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب أول ماجاءه وقيل أتاه وهو فى قطيفة وقال السدى معناه ياأيها النائم قال وكان متلففا فى ثياب نومه وعن ابن عباس يعنى المتزمل بالقرآن وعن عكرمة بالنبوة وقيل من الزمل بمعنى الحمل ومنه الزاملة أى المتحمل باعباء النبوة وعلى هـذا يكون التزمل مجازا وقال السهيلى ليس المزمل باسم من أسمائه يعرف به وانما هو مشتق من حالته التى التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم المشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وقد نام ولصق جنبه بالتراب قم أبا تراب اشعارا بأنه ملاطف له فقوله ياأيها المزمل فيه تأنيس وملاطفة واما ماروى عن عائشة انها قالت كان متزملا مرطا طوله أربعة عشر ذراعا نصفه على وأنا نائمة ونصفه عليه فكذب صراح لان نزول ياأيها المزمل بمكة فى أول مبعثه ودخوله بعائشة كان بالمدينة وأما المدثر فأصله المتدثر فادغمت التاء فى الدال روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أرشيأ فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدثر وعن عكرمة ياأيها المدثر بالنبوة وأثقالها قد تدثرت هذا الامر فقم به وقيل ناداه بالمزمل والمدثر فى أول أمره فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة * وأما طه فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لى فى القرآن سبعة أسماء فذكر منها طه وقيل هو اسم الله وقيل معناه يارجل وقيل ياانسان وقيل ياطاهر ياهادى يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروى عن الواسطى وقيل معناه يامطمع الشفاعة للامة و ياهادى الخلق الى الملة وقيل الطاء فى الحساب بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه قال يابدر وهذه من محاسن التأويل لكن المعتمد أنهما من أسماء الحروف وأما يس فحكى أبو محمد مكى أنه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لى عند ربى عشرة أسماء ذكر منها يس وقد قيل معناه ياانسان بلغة طى وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية وأصله كما قاله البيضاوى وابن الخطيب وغيرهما ياأنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل ياسين لكن تعقب بأنه لا يعلم أن العرب قالوا فى تصغيره أنيسين وان الذى نقل عنهم فى تصغيره أنيسيان بياء بعدها ألف وبأن التصغير من التحقير الممتنع فى حق النبوة لنصهم على ان التصغير لايدخل فى الاسماء المعظمة شرعا ويأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى فى الفصل الرابع من النوع الخامس من أنواع المقصد السادس وعن ابن الحنفية معناه يامحمد وعن أبى العالية يارجل وعن أبى بكر الوراق ياسيد البشر وعن جعفر الصادق ياسيد مخاطبة له عليه الصلاة والسلام وفيه من تعظيمه على تفسير أنه ياسيد ما فيه وأما الفجر فقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان وهو تأويل غريب لم ير لغيره والصواب أنه الفجر المفسر بالصبح فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس * وأما القوى فقال الله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام وسيأتى فى المقصد السادس ما فى ذلك وأما ما قاله ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب

حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى مافيه
وأما النجم فعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى والنجم انه محمد صلى الله عليه
وسلم اذا هوى اذا نزل من السماء ليلة المعراج وحكى السلمي في قوله تعالى والسماء والطارق وماأدراك
ماالطارق النجم الثاقب ان النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح أن المراد به النجم
على ظاهره وسمي به عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم * وأما الشمس
فسمي بها صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه
لايحاط بكماله حتى لايسع الرائي له أن ينظر اليه ملء عينيه اجلالا له كما ان الشمس في الرتبة ارفع من
غالب الكواكب لانها في السماء السادسة والانتفاع بها أكثر من غيرها كما لايخفى ولايدركها البصر لكبر
جرمها وأيضا فلما كان سائر الكواكب تستمد من نورها ناسب تسميته عليه الصلاة والسلام بها لان نور الانبياء
مستمد من نوره * وأما النبي والرسول فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام انه خاطبه تعالى بهما في القرآن
دون سائر أنبيائه ثم ان النبوة بالهمز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لايهمز تسهيلا أي ان الله أطلعه
على غيبه وعلمه أنه نبيه فيكون نبيا منبئا أو يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما أطلعه الله عليه وبغير
الهمزة يكون مشتقا من النبوة وهو ماارتفع من الارض أي ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة قال
الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح البردة وكان نافع يقرأ النبيء بالهمز في جميع القرآن والاختيار تركه
وهو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث أن رجلا قال يانبيء الله يعني بالهمز فقال له لست
نبيء الله ولكني نبي الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه الصلاة والسلام وقال الجوهري والصاغاني
انما أنكره لان الاعرابي أراد يامن خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من أرض الى أرض اذا خرجت
منها الى أخرى وتكلم جماعة من القراء في هذا الحديث وقد رواه الحاكم في المستدرك عن أبي الاسود
عن أبي ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما قاله نظر فان فيه حسينا الجعفي كذا قاله بعضهم وليس
من شرطهما ورواه أبو عبيد حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن رجلا الحديث
وهذا منقطع انتهى والرسول انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها واختلف هل
هما بمعنى أو معنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وماأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فاثبت
لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقال آخرون بالثاني وانهما
يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز
درجتها وافترقا في زيادة الارسال وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيأ واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ ويكون المعنى وماأرسلنا من نبي الى أمة أو نبي ليس بمرسل الى أحد
وذهب آخرون الى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وان أمر بالابلاغ
والانذار والصحيح أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ثم نوزع في هذا بأنه كلام بطالقه من لا تحقيق
عنده فان جبريل عليه الصلاة والسلام رسول وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة وسل لا أنبياء فالانفصال
عنه بأن يقيد الفرق بين الرسول والنبي بالرسول البشري ثم ان النبوة والرسالة ليستا ذاتا للنبي صلى الله عليه

عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله إياه بذلك خلافا للكرامية وقال القرافى كما نقله عنه ابن مرزوق يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبى كمريم وليست بنبية على الصحيح مع قوله تعالى فأرسلنا اليها روحنا الآية وان الله يبشرك وفى مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته وكان خرج فى زيارة أخ له فى الله تعالى وقال له ان الله يعلمك أنه يحبك لحبك لاخيك فى الله وليس بنبوة لانها عند المحققين ايحاء الله لبعض بحكم انسانى يختص به كقوله اقرأ باسم ربك فهذا تكليف يختص به فى الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فأنذر كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره أيضا فالنبى كلف بما يخص به والرسول بذلك وتبليغ غيره فالرسول أخص مطلقا انتهى وهل نبينا صلى الله عليه وسلم رسول الآن قال أبو الحسن الاشعرى هو صلى الله عليه وسلم فى حكم الرسالة وحكم الشئ يقوم مقام أصل الشئ الا ترى أن العدة تدل على ما كان من أحكام النكاح ويأتى لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى * وأما المذكر فقال تعالى فذكر انما أنت مذكر * وأما البشير والمبشر والنذير والمنذر فقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أى مبشرا لاهل طاعته بالثواب وقيل بالمغفرة ونذيرا لاهل معصيته بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات * وأما المبلغ فقال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك * وأما الحنيف فقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا كذا قاله بعضهم * وأما نبى التوبة فلان الامم رجعت لهدايته عليه الصلاة والسلام بعد ما تفرقت بها الطرق الى الصراط المستقيم * وأما رسول الرحمة ونبى الرحمة ونبى المرحمة فقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم فبعثه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين وروى البيهقى مرفوعا انما أنا رحمة مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم وهذا الاسم من أخص أسمائه وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيما له اذ كان فى صلبه ونوح خروجه من السفينة سالما وابراهيم كانت النار عليه بردا وسلاما اذ كان فى صلبه فرحمته عليه الصلاة والسلام فى البدء والختام والدوام لما أبقى الله له من دعوة الشفاعة ولما كانت نبوته رحمة دائمة مكررة مضاعفة اشتق له من الرحمة اسم الرحمة * وأما نبى الملحمة والملاحم وهى الحروب فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد صلى الله عليه وسلم وأمته والملاحم التى وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فان أمته يقاتلون الكفار فى الاقطار على تعاقب الاعصار حتى يقاتلون الاعور الدجال * وأما صاحب القضيب فهو السيف كما وقع مفسرا به فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه * واما صاحب الهراوة فهى فى اللغة العصا وقد كان صلى الله عليه وسلم يمسك فى يده القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا وتغرز له فى الارض فيصلى اليها قال القاضى عياض وأراها العصا المذكورة فى حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن اى لاجلهم ليتقدموا فلما كان صلى الله عليه وسلم راعيا للخلق سائقا لجميعهم الى مواردهم كان صاحب الهراوة يرعى بها اهل الطواعية وصاحب السيف يقد به من لا تزيده الحياة الا شرا اما الضحاك بالمعجمة فهو الذى يسيل دماء العدو فى الحروب لشجاعته * واما صاحب التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجانها * وأما صاحب المغفر فهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على

قدر الرأس كان صلى الله عليه وسلم يلبسه في حروبه * وأما قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن أسلم في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن أبي سعيد الخدرى هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن سهل بن عبد الله هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم * وأما نعمة الله فقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعني يعرفون أن محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروى عن مجاهد والسدى وقال به الزجاج * وأما الصراط المستقيم فقال أبو العالية والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله وخيار أهل بيته وأصحابه حكى الماوردى ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد * وأما العروة الوثقى فحكى أبو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية أنه محمد صلى الله عليه وسلم * وأما ركن المتواضعين فلانه عمادهم وقد ظهر عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره فكان يرقع القميص ويخصف النعل ويقم البيت ووقع فيما ترجم من كتاب شعياء مما يدل صريحا في البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولايميل الى الهوى ولايذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى لايطفأ * وأما قثم وقثوم بالقاف والمثلثة ففسره القاضي عياض بالجامع للخير وقال ابن الجوزى مشتق من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء يقثم اذا أعطاه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق ندى واسخاهم يدا * وأما البار قليط و"فار قليط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء والقاف وبسكون الراء مع فتح القاف وفتح الراء مع سكون القاف وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعجمة والعلمية فوقع في انجيل يوحنا ومعناه روح الحق وقال ثعلب الذى يفرق بين الحق والباطل وفي نهاية ابن الاثير في صفته عليه الصلاة والسلام أن اسمه في الكتب السالفه بارقليطا أى يفرق بين الحق والباطل قال ومنه الحديث محمد فرق بين الناس أى يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه وأما حمطا يا فبفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال الهروى أى حامى الحرم وقال ابن الاثير في حديث كعب انه قال في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة محمد وأحمد وحمياطا يعني بالحاء المهملة ثم ميم ساكنة فمثناة تحتية فألف فطاء مهملة فألف قال أبو عمرو سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم من الحرام ويوطئ الحلال وأما أحيد وهو بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا وجدته في بعض نسخ الشفاء المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبفتح المثناة التحتية وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون المثناة فقال النووى في كتابه تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمى في القرآن محمد وفي الانجيل أحمد وفي التوراة أحيد وانما سميت أحيد لانى أحيد عن أمتى نار جهنم * وأما المنحمنا وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة مقصور وضبطه بعضهم بفتح الميمين فمعناه بالسريانية محمد * وأما المشفح وهو

بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة وروى بالقاف بدل الفاء ففى كتاب الشفاء فى البشارة به عليه السلام يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطى احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بلغتهم الحمد * واما مقيم السنة ففي كتاب الشفاء قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة * واما المبارك فبدأ الكون ونماؤه كائن من بركته المستمدة من بركة الله ومن كمال بركته نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل ببركته حتى اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سيأتى ذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد معجزاته * واما المكين فهو صلى الله عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى ومن ذلك أن قرن سبحانه ذكره بذكره واسمه باسمه فما أذن باسم أحد سواه ولا قرن اسم أحد مع اسمه الا اياه فاعلن له فى السابقة على ساق العرش وأذن به فى اللاحقة على منار الايمان * وأما الامى فهو من أخص أسمائه وقال تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الأيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا فهو تعالى يقرئه ما كتبه بيده وما خطته أقلامه العلية فى ألواح قدسه الاقدسية فيغنيه بذلك عن أن يقرأ ما تكتب الخلق * وأما المكى فقد كان بداية ظهوره عليه الصلاة والسلام فى الارض فى مكة التى هى حرم الله وهى مدد البركة ومنشأ الهدى فهو عليه الصلاة والسلام مكى الاقامة ومبدأ النبوة ومكى الاعادة وكان من آية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه فهو عليه الصلاة والسلام المكى الذى لم يبرح وجودا وقصدا والمرء حيث قصده لا حيث جسمه حتى كان من شرعه أن يوجه الميت للكعبة ومن أومأ لشئ فهو لما أومأ اليه ولذلك صحت الصلاة ايماء * وأما المدنى فلأن المدينة دار هجرته واقامته لا رحلة له عنها وخصت تربتها بأن ضمت أعضاءه المقدسة * وأما عبد الكريم فذكر الحسين بن محمد الدامغانى فى كتابه شوق العروس وأنس النفوس نقلا عن كعب الاحبار أنه قال اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الانبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار وفى التوراة موذموذ وفى الأنجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم قال وكنيته أبو القاسم لانه يقسم الجنة بين أهلها * وأما عبد الله فسماه الله تعالى به فى أشرف مقاماته فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية فى مقام انزال الكتاب عليه والتحدى بأن يأتوا بمثله وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره فى مقام الدعوة اليه وقال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وقال فأوحى الى عبده ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به فى تلك الحالات العلية ولما رفعه الله تعالى الى حضرته السنية ورقاه الى أعلى المعالى العلوية ألزمه تشريفا له اسم العبودية وقد كان صلى الله عليه وسلم يجلس للا كل

جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفعات كلها فى ملبسه ومأكله ومبيته ومسكنه اظهارا لظاهر العبودية فيما يناله العيان صدقا عما فى باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقا لمعنى الذى جاء بالصدق وصدق به ولما خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار أن يكون نبيا عبدا فاختار ماهو الاتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما فى الصحيح لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاثبت ماهو ثابت له وأسلم لله ماهو له لاالسواء ولا بس لاعبد الا اسم العبد فلذا كان عبدالله أحب الاسماء الى الله تعالى

﴿ الفصل الثانى فى ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ﴾

اعلم ان جملة مااتفق عليه منهم ستة القاسم وابراهيم وأربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكلهن أدركن الاسلام وهاجرن معه و ختلف فيما سوى هؤلاء فعند ابن اسحاق الطاهر والطيب أيضا فتكون على هذا ثمانية أربعة ذكور وأربع اناث وقال الزبير بن بكار كان له عليه الصلاة والسلام سوى ابراهيم والقاسم عبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلاثة أسماء وهو قول أكثر أهل النسب قاله أبو عمر وقال الدارقطني هو الأثبت وسمى عبد الله بالطيب والطاهر لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا تكون جملتهم سبعة ثلاثة ذكور وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر حكاه الدار قطنى وغيره فتكون جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا فى بطن والطاهر والمطهر ولدا فى بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون على هذا أحد عشر وقيل ولد له ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف فيكونون على هذا اثنى عشر وكلهم سوى هذا ولد فى الاسلام بعد المبعث وقال ابن اسحاق كلهم غير ابراهيم قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون وقد تقدم من قول غيره أن عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمى بالطيب والطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابراهيم وستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر والاصح أنهم ثلاثة ذكور والاربع بنات متفق عليهن وكلهم من خديجة بنت خويلد الا ابراهيم * فأما القاسم فهو أول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال مجاهد مكث سبع ليال وخطأه الغلابى فى ذلك وقال الصواب أنه عاش سبعة عشر شهرا وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث وفى مستدرك الفريابي مايدل على أنه توفى فى الاسلام وهو أول من مات من ولده عليه الصلاة والسلام *وأما زينب فهى أكبر بناته بلا خلاف الا مالا يصح وانما الخلاف فيها وفى القاسم أيهما ولد أولا وعند ابن اسحاق أنها ولدت فى سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وأدركت الاسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها أبى العاص لقيط وقيل مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبى صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل بعد انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع وولدت له عليا مات صغيرا وقد ناهز الحلم وكان رديف النبى صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح

وولدت له أيضا أمامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع رأسه من السجود أعادها وتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة * وأما رقية فولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام وذكر الزبير بن بكار وغيره انها أكبر بناته صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجاني النسابة والاصح الذي عليه الاكثرون كما تقدم أن زينب أكبرهن وكانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا أبي لهب قال لهما أبوهما أبو لهب رأسي من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاها ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى أرض الحبشة وكانت ذات جمال رائع وذكر الدولابي أن تزويجه بها كان في الجاهلية وذكر غيره مايدل على أنه كان بعد اسلامه وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر وعن ابن عباس لما عزى صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات أخرجه الدولابي *وأما ام كلثوم ولايعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت تحت عتيبة بن أبي لهب كما قدمته ففارقها قبل الدخول ويروى أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لاتحبني ولا أحبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم أما اني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه وفي رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وأبو طالب حاضر فوجم لها فقال ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي نخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقاء ليلا فأطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول ياويل أمي هو والله آكلي كما دعا على محمد أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام فعدا عليه الاسد من بين القوم فأخذ براسه فدغه وفي رواية فجاء الاسد فجعل يتشمم وجوههم ثم ثني ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات وفي رواية أن الاسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ براس عتيبة فدغه ذكره الدولابي ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك قال نعم يانبي الله قال تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي خرجه الخجندي وكان تزويج عثمان بام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وروى انه عليه الصلاة والسلام قال له والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى بعد اخرى هذا جبريل أخبرني ان الله يأمرني ان ازوجكها رواه الفضايلي وماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه الصلاة والسلام ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة بن زيد وفي البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فقال انزل قبرها فنزل وقد روى نحو ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه الصلاة والسلام لم يكن حال دفنها حاضرا بل كان في غزوة بدر كما قدمته وغسلتها اسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وشهدت ام عطية غسلها وروت قوله عليه الصلاة والسلام اغسلنها ثلاثا أو خمسا اوسبعا او اكثر من ذلك ان رأيتن ذلك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافورا فاذا فرغتن فآذنني فلما فرغنا آذناه فألقى الينا حقوه وقال أشعرنها اياه قالت ومشطناها ثلاثة قرون والقيناها خلفها والحقوا الازار واشعرنها اى اجعلنه شعارها الذي يلي

جسدها وذلك هو الشعار ومافوقه الدثار * وأما فاطمة الزهراء البتول فولدت سنة احدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو عمر وهو مغاير لما رواه ابن اسحق أن أولاده عليه الصلاة والسلام كلهم ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم وقال ابن الجوزى ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بناء البيت وروى مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة اخرجه الحافظ الدمشقى وروى الغسانى مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير وتزوجت بعلى بن ابى طالب فى السنة الثانية وقيل بعد احد وقيل بعد بنائه عليه السلام بعائشة باربعة اشهر ونصف وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف وقيل فى صفر السنة الثانية وبنى بها فى ذى الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان تزويجها بامر الله ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف ولعلى احدى وعشرون سنة وخمسة اشهر وقيل غير ذلك وتقدم مزيد لذلك فى المغازى والسير من المقصد الاول قال ابو عمر وفاطمة وام كلثوم افضل بنات النبى صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة احب اهله اليه صلى الله عليه وسلم وكان يقبلها فى فيها ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم أول مايدخل عليها وقال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى رواه البخارى وقال لها أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين رواه مسلم وفى رواية أحمد أفضل نساء أهل الجنة وتوفيت بعده عليه الصلاة والسلام بستة أشهر ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة وهى ابنة تسع وعشرين سنة قاله المدينى وقيل توفيت بعده بثمانية أشهر وقيل غير ذلك والاول أصح كذا قالوه فيما رأيته وهو غير منتظم مع السابق فليتأمل وروى أنها قالت لاسماء بنت عميس انى قد استقبحت مايصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها فقالت أسماء يابنت رسول الله ألا أريك شيأ رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة ماأحسن هذا تعرف به المرأة من الرجل فاذا أنا مت فاغسلينى أنت وعلى ولا يدخل على أحد الحديث خرجه أبو عمر وفى حديث أم رافع سلمى انها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت فى وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت انى مقبوضة الآن فلا يكشفنى أحد ولا يغسلنى ثم قبضت مكانها ودخل على فأخبر بالذى قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها أحد رواه أحمد فى المناقب والدولابى وهذا لفظه مختصرا وهو مضاد لخبر أسماء المتقدم قال أبو عمر فاطمة أول من غطى نعشها من النساء على الصفة المذكورة فى خبر أسماء المتقدم ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك أيضا وولدت لعلى حسنا وحسينا ومحسنا مات محسن صغيرا وأم كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة رضى الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط ويقال للمنسوب لاولهما حسنى ولثانيهما حسينى وقد يضم للحسينى من يكون من ذرية اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الاسحاقى فيقال الحسينى الاسحاقى واسحاق هذا هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن

ابن علي وله منها القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت عمر بعون بن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته بأخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت بأخيهما عبد الله بن جعفر ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثانى ابنة توفيت صغيرة فليس لها عقب ثم تزوج عبد الله بن جعفر أختها زينب بنت فاطمة فولدت له عدة من الاولاد منهم على وام كلثوم وتزوج ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد ابن جعفر بن ابي طالب فولدت له عدة من الاولاد منهم فاطمة زوج حمزة بن عبدالله بن الزبير بن العوام وله منها عقب وبالجملة فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من على واخته ام كلثوم ابنى زينب بنت الزهراء ويقال لكل من ينتسب لهؤلاء جعفرى ولا ريب ان لهؤلاء شرفا واما الجعافرة المنسوبون لعبد الله بن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان من ولده من زينب بنت الزهراء فهو اشرف من غيره مع كونه لايوازى شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بنى هاشم قال الحافظ ابن حجر فى الالقاب وقد لقب به يعنى بالشرف كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر وفى شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسى * واما عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل مات صغيرا بمكة فقال العاصى بن وائل قد انقطع ولده فهو ابتر فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر واختلف هل ولد قبل النبوة او بعدها وهل هو الطيب والطاهر والصحيح انهما لقبان له كما تقدم * واما ابراهيم فمن مارية القبطية وسيأتى ذكرها فى سراريه عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى فى الفصل التالى لهذا فى امهات المؤمنين وولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت سلمى زوج ابى رافع مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين وحلق راسه ابو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين ودفنوا شعره فى الارض وفى البخارى من حديث أنس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لى الليلة غلام سميته باسم أبى ابراهيم ثم دفعه الى أم سيف امرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف الحديث وفيه انه بقى عندها الى أن مات والقين الحداد ويجمع بينهما بأن التسمية كانت قبل السابع كما فى حديث أنس هذا ثم ظهرت فيه وأما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند الترمذى مرفوعا انه امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على أنها لاتؤخر عن السابع لأنها لاتكون الا فيه بل هى مشروعة من الولادة الى السابع قال الزبير بن بكار وتنافست الانصار فيمن ترضع ابراهيم عليه السلام فانهم أحبوا ان يفرغوا مارية له عليه الصلاة والسلام فاعطاه لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصارى زوجة البراء بن أوس فكانت ترضعه بلبن ابنها فى بنى مازن ابن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه وسلم أم بردة قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه ام سيف وبقى عندها الى ان مات فيحمل ان يكون اعطاه اولا ام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقى عندها الى ان توفى لكن قد روى انه توفى عند ام بردة فيرجع فى الترجيح الى الصحيح وعن انس بن مالك قال مارايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة

فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع الحديث رواه أبو حاتم وفى حديث جابر أخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى به النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول مايسخط الرب خرجه بهذا السياق أبو عمرو بن السماك ومعناه فى الصحيح وتوفى وله سبعون يوما فيما ذكره أبو داود فى ربيع الاول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية أيام وقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام وحمل على سرير صغير وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروى أن عائشة قالت دفنه عليه الصلاة والسلام ولم يصل عليه فيحتمل أن يكون لم يصل عليه بنفسه وأمر أصحابه أن يصلوا عليه أو لم يصل عليه فى جماعة وروى أن الذى غسله أبو بردة وروى الفضل بن العباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل قبره الفضل وأسامة والنبى صلى الله عليه وسلم على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة قال الزبير وهو أول قبر رش وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس إنما كسفت لموت ابراهيم فقال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد رواه الشيخان قيل الغالب أن الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابراهيم فى العاشر فلذلك قالوا كسفت لموته وقال عليه الصلاة والسلام ان له مرضعا فى الجنة رواه ابن ماجه وقد روى من حديث أنس بن مالك أنه قال لو بقي يعني ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء اخرجه أبو عمر قال الطبرى وهذا انما يقوله أنس عن توقيف يخص ابراهيم والافلا يلزم أن يكون ابن النبي نبيا بدليل ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقال النووى فى تهذيب الاسماء واللغات وأما ماروى عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى قال شيخنا فى كتابه المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر فى تمهيده لاأدرى ماهذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل أحد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يلزم من الحديث المذكور ماذكره لما لايخفى وكأنه سلف النووى وقال أيضا عقب كلام النووى انه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال وكأنه لم يظهر له وجه تأويله فقال فى انكاره ماقال وجوابه أن القضية الشرطية لاتستلزم الوقوع ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن قال شيخنا والطرق الثلاثة أحدها ماأخرجه ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس لما مات ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا فى الجنة لو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي وفى سنده أبو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطى وهو ضعيف ومن طريقه أخرجه ابن مندة فى المعرفة وقال انه غريب ثانيها مارواه ابراهيم السدى عن انس قال كان ابراهيم قد ملأ المهد ولو بقى لكان نبيا الحديث ثالثها ماعند البخارى من طريق محمد بن بشر عن اسماعيل بن أبي خالد قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى رأيت ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضى بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لانبي بعده أخرجه أحمد عن وكيع عن

أسماعيل سمعت ابن أبي أوفى يقول لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي مامات ابنه انتهى

﴿ الفصل الثالث في ذكر أزواجه الطاهرات وسراريه المطهرات ﴾

قال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم أى أزواجه عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين سواء من مات عنها أو ماتت عنه وهى تحته وذلك فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن لافى نظر وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا آباؤهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخواتهن ولا اخواتهن اخوال وخالات قال البغوى كن امهات المؤمنين دون النساء روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وهو جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من اهل الاصول أن النساء لايدخلن فى خطاب الرجال قال وكان صلى الله عليه وسلم أبا للرجال والنساء ويجوز أن يقال أبوالمؤمنين فى الحرمة وفضلت زوجاته عليه الصلاة والسلام على النساء وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سؤالهن الا من وراء حجاب وأفضلهن خديجة وعائشة رضى الله عنهما وفى أفضلهما خلاف يأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى قريبا ﴿ واختلف فى عدة ازواجه صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه ﴾ والمتفق عليه أنهن احدى عشرة امرأة ست من قريش خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبدمناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى وأربع عربيات زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية وواحدة غير عربية من بنى اسرائيل وهى صفية بنت حيي من بنى النضير ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان خديجة وزينب أم المساكين ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع ذكر أسماءهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسى نظما فقال

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

لا خلاف فى ان أول امرأة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وأنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى ماتت وهذا حين الشروع فى ذكرهن على الترتيب ﴿ فاما أم المؤمنين خديجة وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم فكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة وكانت تحت ابي هالة النباش بن ابى زرارة فولدت له هندا وهالة

وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومى فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم عتيقا على أبى هالة ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكان سنه عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلاثين وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بكرة وزاد ابن اسحاق من طريق آخر وحضر ابو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب وقد قدمت خطبته فى المقصد الاول عند ذكر تزويجها له صلى الله عليه وسلم وذكر الدولابى وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أصدق خديجة اثنتى عشرة أوقية ذهبا وقد كانت خديجة كما قدمته أول من آمن من الناس وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام أو شراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف قال ابن اسحاق كان صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيأ من رد عليه وتكذيب له عليه الصلاة والسلام فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بخديجة اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت وعن عبد الرحمن بن زيد قال قال آدم عليه السلام انى لسيد البشر يوم القيامة الا رجلا من ذريتى نبيا من الانبياء يقال له أحمد فضل على باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت زوجتى على عونا وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطانى خرجه الدولابى كما ذكره الطبرى وخرج الامام أحمد عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون قال الشيخ ولى الدين العراقى فخديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عائشة انتهى وقال شيخ الاسلام زكريا الانصارى فى شرح بهجة الحاوى عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وأفضلهن خديجة وعائشة وفى أفضلهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله مارزقنى الله خيرا منها آمنت بى حين كفر الناس بي وصدقتنى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس وسئل ابن داود أيهما أفضل فقال عائشة أقرأها النبى صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة اقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد فهى أفضل قيل له فمن افضل خديجة أم فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة منى فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لها أما ترضين أن تكونى سيدة نساء اهل الجنة الا مريم واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من انها فى الآخر مع النبي صلى الله عليه وسلم فى الدرجة وفاطمة مع على فيها وسئل السبكى عن ذلك فقال الذى نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل من امها خديجة ثم امها خديجة ثم عائشة ثم استدل لذلك بما تقدم ذكره واما خبر الطبرانى خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم آسية امرأة فرعون فاجاب عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمه باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة واختار السبكى أن مريم أفضل من خديجة لهذا الخبر

ولا اختلاف فى نبوتها انتهى وقال ابو امامه ابن النقاش ان سبق خديجة وتأثيرها فى أول الاسلام وموازرتها ونصرها وقيامها فى الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين وتأثير عائشة فى آخر الاسلام بحمل الدين وتبليغه الى الأمة وادراكها من الأحاديث مالم يشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها انتهى وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بأربع وقيل بخمس ودفنت فى الحجون وهى ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنازة وكانت مدة مقامها مع النبى صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين وقيل أربعا وعشرين سنة * وأما سودة بنت زمعة وأمها الشموس بنت قيس فأسلمت قديما وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو وأسلم معها قديما وهاجرا جميعا الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات بالحبشة وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة هذا قول قتادة وأبى عبيد ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها بعد عائشة ويجمع بين القولين بأنه صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة والتزويج يطلق على كل منهما وان كان المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول ولما كبرت سودة أراد صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها وتوفيت بالمدينة فى شوال سنة أربع وخمسين وروى البخارى فى تاريخه باسناد صحيح الى سعيد بن أبى هلال انها ماتت فى خلافة عمر وجزم الذهبى فى التاريخ الكبير بأنها ماتت فى آخر خلافة عمر وقال ابن سيد الناس انه المشهور * وأما أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس من بنى مالك بن كنانة فكانت مسماة على جبير بن مطعم فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم وأصدقها فيما قاله ابن اسحق أربعمائة درهم وتزوجها بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين وأعرس بها بالمدينة فى شوال سنة اثنين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل بعد سبعة أشهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام وخرج الشيخان عن عائشة انها قالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعرى فأتتنى أمى أم رومان وانى لفى أرجوحة مع صواحب لى فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ما تريد منى فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار وانا أنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيأ من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الدار فاذا نسوة من الانصار فى البيت فقلن على الخير والبركة فأسلمتنى اليهن فأصلحن من شأنى فلم يرعنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين وأخرجه أبو حاتم بتغيير بعض ألفاظه قال أبو عمر وكان نكاحه عليه الصلاة والسلام لعائشة فى شوال وابتنى بها فى شوال وكانت تحب أن يدخل النساء من أهلها وأحبتها فى شوال على أزواجهن وكانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وكانت اذا هويت الشئ تابعها عليه وفقدها عليه الصلاة والسلام فى بعض أسفاره فقال واعروساه خرجه أحمد وقال لها عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين رأيتك فى المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فاقول ان يكن من عند الله يمضه والسرقة

شقة الحرير أو البيضاء وفى الترمذى أن جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بصورتها فى خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة وفى رواية عنده قال جبريل ان الله قد زوجك بابنة أبى بكر ومعه صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه الصلاة والسلام تسع سنين ومات عنها صلى الله عليه وسلم ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بأيام العرب وأشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلها وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت ليلتها لما كبرت لها كما تقدم ولنسائه ليلة ليلة وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وقال الواقدى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلا وصلى عليها أبوهريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة فى أيام معاوية ابن أبى سفيان وكانت عائشة تكنى أم عبد الله يروى انها أسقطت من النبى صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت والصحيح أنها كانت تكنى بعبد الله بن الزبير ابن أختها فانه عليه الصلاة والسلام تفل فى فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد الله وانت أم عبد الله قالت فما زلت أكنى بها وما ولدت قط خرجه أبو حاتم * وأما أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها وأمها زينب بنت مظعون فأسلمت وهاجرت وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة ابن حذافة السهمى هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تأيمت ذكرها عمر على أبى بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما الى زواجها فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحه اياها فى سنة ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها نزل عليه الوحى راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين وماتت فى شعبان سنة خمس وأربعين فى خلافة معاوية وقيل سنة احدى وأربعين وهى ابنة ستين سنة وقيل انها ماتت فى خلافة عثمان * وأما أم المؤمنين أم سلمة هند وقيل رملة والأول أصح وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب فكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أبى سلمة بن عبد الاسد وكانت هى وزوجها أول من هاجر الى أرض الحبشة فولدت بها زينب وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة وقيل هى أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل غيرها ومات ابو سلمة سنة أربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت أم سلمة سمعته عليه الصلاة والسلام يقول مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم اؤجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها قالت فلما مات أبو سلمة قلت أى المسلمين خير من أبى سلمة ثم انى قلتها فأخلف الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبنى له وفى رواية فخطبها أبو بكر فابت وخطبها عمر فأبت ثم أرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا برسول الله ان فى خلالا ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصبية وأنا امرأة ليس لى ههنا أحد من أوليائى فيزوجنى فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما غضب لنفسه حين ردته فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما ماذكرت من غيرتك فانى أدعو الله أن

يذهبها عنك وأما ماذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم وأما ماذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه قال صاحب السمط الثمين رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة وخرج أحمد والنسائي طرفا منه ومعناه في الصحيح وفيه دلالة على ان الابن يلي العقد على امه وعندنا أنه انما زوجها بالعصوبة لانه ابن ابن عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله وأم سلمة هند بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله ولم يكن احد من عصبتها حاضر غيره وكانت أم سلمة من أجمل الناس وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنين وستين والاول أصح ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة وقيل سعيد بن زيد وكان عمرها أربعا وثمانين سنة * وأما أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند والاول أصح وأمها صفية بنت أبي العاصي فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام ومات هناك وثبتت أم حبيبة على الاسلام واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد فقيل انه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست فروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ليخطبها عليه فزوجها اياه وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة وروى أن النجاشي أرسل اليها جاريته أبرهة فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أن أزوجك منه وأنها أرسلت الى خالد بن سعيد بن العاصي فوكلته وأعطت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر ابن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت الى مادعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها عنه اربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أحمده وأستعينه واستغفره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت الى مادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد ابن العاصي فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا خرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبري وكان ذلك في سنة سبع من الهجرة قال أبو عمر واختلف فيمن زوجها فروى أنه سعيد بن العاصي وروى عثمان بن عفان وهي ابنة عمته وذكر البيهقي أن الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاصي وهو ابن ابن عم أبيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح أن يكون عثمان هو الذي زوجها فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة وكان أبو سفيان أبوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور الاول وماتت بالمدينة

سنة أربع وأربعين وقيل سنة اثنين وأربعين * وأما أم المؤمنين زينب بنت جحش وامها امية بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما سيأتي ان شاء الله تعالى فى الخصائص فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرنى لها قال فذهبت اليها فجعلت ظهرى الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيأ حتى أوامر ربى عز وجل فقامت الى مسجد لها فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله فدخل عليها بغير اذن أخرجه مسلم وقال المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية وكانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات رواه الترمذى وصححه وكان اسمها برة فسماها عليه الصلاة والسلام زينب وعن انس لما تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو صلى الله عليه وسلم يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت لادخل فالقى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وكان تزويجها له صلى الله عليه وسلم فى سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى اول من مات من ازواجه بعده وقالت عائشة فى شانها ولم تكن امرأة خير منها فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا واوصل للرحم وأعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله رواه مسلم وماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب وهى أول من جعل على جنازتها نعش * وأما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لاطعامها اياهم فكانت تحت عبد الله بن جحش فى قول ابن شهاب قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين أو ثلاثة وتوفيت فى حياته صلى الله عليه وسلم وقيل مكثت عنده ثمانية أشهر ذكره الفضائلى وقيل كانت قبله عليه الصلاة والسلام تحت الطفيل بن الحارث ثم خلفه عليها أخوه عبيدة بن الحارث وقتل عنها يوم أحد شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول أصح وتوفيت فى ربيع الآخر سنة أربع ودفنت بالبقيع قال الطبرى كذا ذكره الفضائلى وانما يكون هذا على ماحكاه من أنها مكثت عنده عليه الصلاة والسلام ثمانية أشهر أما على ماحكاه أبو عمر فلا يصح اذ العقد كان فى سنة ثلاث ومدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران او ثلاثة فلا يصح ان تكون وفاتها فى ربيع الآخر فليتأمل * وأما أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر وكانت أختها أم الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد المطلب وأختها لامها اسماء بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت حمزة وكانت جعلت أمرها الى العباس فأنكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم فلما

رجع بنى بها بسرف حلالا ذكره أبو عمرو وفى الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقانى بعد قوله تزوجها حلالا وبنى بها حلالا وماتت بسرف فيحمل قوله وهو محرم اى داخل فى الحرم ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة ثم خرج بها الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة اميال من مكة كذا قاله الطبرى وسيأتى فى مقصد المعجزات فى ذكر الخصائص مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وكانت ميمونة قبل عند أبي رهم بن عبد العزى ويقال بل عند الله بن ابى رهم وقيل بل عند حويطب بن عبد العزى وقيل بل فروة بن عبد العزى قال ابن اسحاق ويقال انها وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان خطبته عليه الصلاة والسلام انتهت اليها وهى على بعيرها فقالت البعير وماعليه لله ولرسوله وقيل الواهبة نفسها غيرها وتوفيت ميمونة بسرف فى الموضع الذى بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست وستين وقيل ثلاث وستين وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها * واما ام المؤمنين جويريه بنت الحارث بن ابى ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت مسافع بالسين المهملة والفاء ابن صفوان المصطلقى وكانت قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق فى سنة خمس وقيل سنة ست فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انا جويرة بنت الحارث وكان من امرى مالا يخفى عليك ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس وانى كاتبت نفسى فجئت أسئلك فى كتابتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ماهو خير قالت وماهو يارسول الله قال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت قد فعلت فتسامع الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا مافى ايديهم من السبي فاعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أعتق فى سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق خرجه أبو داود من حديث عائشة وقال ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس واعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم وعن ابن شهاب سبى صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وقد تقدم ذلك فى زينب بنت جحش وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة فى ربيع الاول سنه خمسين وقيل سنة ست وخمسين * وأما أم المؤمنين صفية بنت حي بن أخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد من بنى اسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء بنت سموءل بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام فكانت تحت كنانة بن أبى الحقيق بضم الحاء المهملة وفتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية فقتل يوم خيبر فى المحرم سنه سبع من الهجرة قال أنس لما افتتح صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال يارسول الله أعطنى جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعطيت دحية صفية بنت حي سيدة قريظة والنضير ماتصلح الالك قال ادعوه بها فجاء بها قال فلما نظر اليها النبي

صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال وأعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل فأصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به قال فبسط نطعا قال فجعل الرجل يجيء بالاقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية فقال الناس لاندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد قالوا ان حجبها فهى امرأته وان لم يحجبها فهى أم ولد فلما أراد أن يركب حجبها وفى رواية فانطلقنا حتى اذا رأينا جدر المدينة هششنا اليها فدفعنا مطايانا ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته قال وصفية خلفه قد أردفها قال فعثرت مطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت قال فليس احد من الناس ينظر اليه ولا اليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسترها قال فدخلنا المدينة فخرجن جوارى نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم وروى عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم أتى بصفيه يوم خيبر وانه قتل أباها وأخاها وأن بلالا مر بها بين المقتولين وانه صلى الله عليه وسلم خيرها بين ان يعتقها فترجع الى من بقى اليها اوتسلم فيتخذها لنفسه فقالت أختار الله ورسوله خرجه فى الصفوة واخرج تمام فى فوائده من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فى قالت يارسول الله لقد كنت اتمنى ذلك فى الشرك فكيف اذ أمكننى الله منه بالاسلام واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر رأى صلى الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال ماهذه الخضرة فقالت كان راسى فى حجر ابن ابى الحقيق وانا نائمة فرايت قمرا وقع فى حجرى فاخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب وبنى بها صلى الله عليه وسلم بالصهباء وماتت فى رمضان سنة خمسين فى زمن معاوية وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع فهؤلاء أزواجه اللاتى دخل بهن لاخلاف فى ذلك بين أهل السير والعلم بالاثر وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشرة امرأة الاولى الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلف من هى فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاى وتشديد المثناة التحتية بنت جابر بن عوف من بنى عامر بن لؤى وقيل بنت دودان بن عوف وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم واختلف فى دخوله بها وقيل هى ام شريك غزية الانصارية من بنى النجار وفى الصفوة هى أم شريك غزية بنت جابر الدوسية قال والاكثرون على انها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة فى المعارف عن أبى اليقظان أن الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمى ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما من غير تضاد وقال عروة بن الزبير كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قالت عائشة يارسول الله ماارى ربك الا يسارع لك فى هواك رواه الشيخان وهذه خولة هى زوجة عثمان بن مظعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل أن تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد بن الجون بفتح الجيم الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس بن كلاب الكلابية قال أبو عمر وهذا أصح تزوجها صلى الله

عليه وسلم فتعوذت منه حين أدخلت عليه فقال لها لقد عـذت بمعاذ فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب قال أبو عمر هكذا روى عن عائشة وقال قتادة كان ذلك فى امرأة من سليم وقال أبو عبيدة انما ذلك لاسماء بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة وسيأتى وقال فى عمرة هـذه ان أباها وصفها للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قال وأزيدك أنها لم تمرض قط فقال عليه الصلاة والسلام مالهذه عند الله من خير فطلقها * الرابعة أسماء بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم ابن الحارث الكندية وهى الجونية أجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا فى سبب فراقه لها فقال قتادة وأبو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت تعال أنت وأبت أن تجىء وقال بعضهم قالت أعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ ولقد أعاذك الله منى وقيل ان نساءه صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك فانها كانت من أجمل الناس فخفن أن تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا منك أن تقولى أعوذ بالله منك فقال قد عذت بمعاذ وطلقها ثم سرحها الى أهلها وكانت تسمى نفسها الشقية وقال الجرجانى قلن لها ان أردت أن تحظى عنده فتعوذى بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها قال أبو عبيدة ويجوز أن تكونا تعوذتا وقال آخرون كان باسماء وضح فقال لها ألحقى بأهلك وقد قيل فى اسمها أميمة وقيل أمامة * الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هى التى استعاذت من النبى صلى الله عليه وسلم وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر تزويجه بها أصلا * السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هى الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن اسحاق لكن قال أبو عمر هـذا عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروى عن عروة عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وتابع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال قتادة وعكرمة كان عنده صلى الله عليه وسلم عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتى توفى عنهن وقيل انه عليه الصلاة والسلام تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال عليه الصلاة والسلام لاحاجة لى بها * السابعة عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها عليه الصلاة والسلام وكانت عنده ماشاء الله ثم طلقها وقل من ذكرها وقال ابو سعد طلقها حين ادخلت عليه صلى الله عليه وسلم * الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية بنت قيس أخت الاشعث بن قيس الكندى زوجه اياها أخوها فى سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل تزوجها عليه الصلاة والسلام قبل موته بشهرين وزعم قوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بأن تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر فقال هممت أن أحرق عليها بيتها فقال له عمر رضى الله عنهما ماهى من أمهات المؤمنين مادخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاضرب عليها الحجاب وقال بعضهم لم يوص فيها عليه الصلاة والسلام بشىء ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها وبذلك احتج عمر على أبى بكر رضى الله عنهما أنها ليست من أمهات المؤمنين

بارتدادها * التاسعة سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية تزوجها عليه الصلاة والسلام وماتت قبل أن يدخل بها وعند ابن أسحاق طلقها قبل أن يدخل بها * العاشرة شرف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء بنت خليفة الكلبية أخت دحية بن خليفة الكلبي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله عليه الصلاة والسلام بها * الحادية عشر ليلى بنت الحطيم بفتح الحاء المعجمة وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيوراء فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب وقيل هى التى وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم * الثانية عشر امرأة من غفار تزوجها صلى الله عليه وسلم فأمرها فنزعت ثيابها فراى بكشحها بياضا فقال ألحقى بأهلك ولم يأخذ مما آتاها شيأ أخرجه أحمد فجملة من ذكرن أزواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن فى حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده كما ذكرناه فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثا وعشرين امرأة دخل ببعضهن دون بعض مات منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة ومات منهن قبل الدخول اثنتان أخت دحية وبنت الهذيل باتفاق واختلف فى مليكه وسناهل ماتتا أوطلقها مع الاتفاق على أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة وأسماء والغفارية واختلف فى أم شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التى جهل حالها فالمفارقات بالاتفاق سبع واثنتان على خلاف والميتات فى حياته باتفاق أربع ومات صلى الله عليه وسلم عن عشر واحدة لم يدخل بها ﴿وروى﴾ أنه صلى الله عليه وسلم خطب عدة نسوة * الاولى منهن امرأة من بنى مرة بن عوف بن سعد خطبها صلى الله عليه وسلم الى أبيها فقال ان بها برصا وهو كارب فرجع فوجد البرص بها ويقال ان احدابنيها شبيب بن البرصاء بنت الحارث بن عوف ذكره ابن قتيبة كما قاله الطبرى وعند ابن الاثير فى جامع الاصول حمرة بنت الحارث بن عوف خطبها صلى الله عليه وسلم فقال أبوها ان بها سوأ ولم يكن بها شئ فرجع اليها أبوها وقد برصت قال وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر * الثانية امرأة قرشية يقال لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت أخف أن تضغو صبيتى أى يصيحوا ويبكوا عند رأسك فدعا لها وتركها * الثالثة صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان أصابها فى سبى فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها * الرابعة ولم يذكر اسمها قيل انه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت أستأمر أبى فلقيت أباها فأذن لها فعادت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك * الخامسة أم هانئ فاختة بنت أبى طالب أخت على خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت انى امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها * السادسة ضباعة بضم الصاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هشام فقال حتى أستأمرها فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد أذنت له سكت عنها صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها * السابعة أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال هى ابنة اخى من الرضاعة * الثامنة عزة بنت أبى سفيان عرضتها أختها أم حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال لها لاتحل لى لمكان أختها أم حبيبة تحت النبى صلى الله عليه وسلم وقيل تزوج عليه الصلاة والسلام

الجندعية بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امرأة من جندع وهى ابنة جندب بن ضمرة ولم يدخل بها وأنكره بعض الرواة فهؤلاء النساء اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن أو خطبهن او دخل بهن أو لم يدخل بهن أو عرض عليه ﴿ وأما سراريه ﴾ فقيل انهن أربعة مارية القبطية بنت شمعون بفتح الشين المعجمة أهداها له المقوقس القبطى صاحب مصر والاسكندرية وأهدى معها أختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون آخرها وخصيا يقال له مأبور وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطى مصر وبغلة شهباء وهى دلدل وحمارا أشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم العسل ودعا فى عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير وبنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم فى عسلها والناس اليوم يفتحون الباء انتهى ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهى أم عبد الرحمن بن حسان ومارية أم ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية فى خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون من بنى قريظة وقيل من بنى النضير والاول أظهر وماتت قبل وفاته عليه الصلاة والسلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع وكان عليه الصلاة والسلام وطئها بملك اليمين وقيل أعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الاثير غيره وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش الرابعة أصابها فى بعض السبى

﴿ الفصل الرابع فى أعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته ﴾

قال صاحب ذخاير العقبى فى مناقب ذوى القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب أبوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى أبا الحارث وحمزة وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وجحل بتقديم الجيم وهو السقاء الضخم وقال الدارقطنى بتقديم الحاء وهو القيد والخاخال ويسمى المغيرة وقيل كانوا أحد عشر فأسقط المقوم وقال هو عبد الكعبة وقيل عشرة فأسقط الغيداق وجحلا وقيل تسعة فأسقط قثم فأما حمزة فأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة يكنى أبا عمارة وأبا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى وفى معجم البغوى أنه صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل فى السماء السابعة حمزة أسد الله وأسد رسوله وكان اسلامه فى السنة الثانية من المبعث وقيل فى السادسة بعد دخوله عليه الصلاة والسلام دار الارقم وقيل قبل اسلام عمر بثلاثة أيام وشهد بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله موسى بن عقبة وقيل بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة قاله ابن اسحاق وأول راية عقدها عليه الصلاة والسلام لاحد من المسلمين كانت لحمزة وأول سرية بعثها وقال عليه الصلاة والسلام خير أعمامى حمزة رواه الحافظ الدمشقى وروى ابن السرى مرفوعا سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب وذكر السلفى عن بريده فى قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة واستشهد فى وقعة أحد قتله وحشى وعن سعيد بن المسيب كان يقول كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غريقا فى الخمر رواه الدارقطنى

على شرط الشيخين وقال ابن هشام بلغني أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديواق فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى فلما رأى مامثل به شهق وعن أبي هريرة وقف عليه الصلاة والسلام على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان أوجع لقلبه منه رواه أبو عمر والمخلص وصاحب الصفوة وعند ابن هشام أنه عليه الصلاة والسلام قال لن أصاب بمثلك أبدا ماوقفت موقفا قط أغيظ لي من هذا وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود مارأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول ياحمزة ياعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسد الله وأسد رسوله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة ياكاشف الكربات ياحمزة ياذاب عن وجه رسول الله ﴿والنشغ﴾ الشهيق حتى يبلغ به الغشى وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة كبر عليها أربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد روى أنس بن مالك أن شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم خرجه احمد وأبو داود فيحمل أمر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على أنه جرح حال الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة ودفن هو وابن أخته عبدالله بن جحش في قبر واحد وأما العباس وكنيته أبو الفضل فأمه نتلة ويقال نتيلة بنت جناب بن كلب بن النمر بن قاسط ويقال انها أول عربية كست البيت الحرام الديباج وأصناف الكسوة لان العباس ضل وهو صبي فنذرت أن وجدته أن تكسو البيت وكان العباس جميلا وسيما أبيض له ضفيرتان معتدلا وقال بعضهم كان طوالا وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين أو ثلاث وكان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان عليه الصلاة والسلام يثق به في أمره كله ولما شدوا وثاقه في أسرى بدر سهر عليه الصلاة والسلام تلك الليلة فقيل مايسهرك يارسول الله قال لأنين العباس فقام رجل فأرخى من وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم ذكره أبو عمر وصاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها فأسره كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه أسلم يوم بدر ثم أقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال أبو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويسره مايفتح الله على المسلمين وأظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك ويقال ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب بأخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان مقامك بمكة خير لك وقال أبو مصعب اسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت حدثنا أبو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه ياعم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة ورواه أبو يعلى والهيثمي بن كليب والطبراني في الكبير

وأبو مصعب متروك لكن يعتضد بقول عروة بن الزبير كان العباس قد أسلم وأقام على سقايته ولم يهاجر رواه الحاكم فى مستدركه وذكر السهمى فى الفضائل أن أبا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه وكان عليه الصلاة والسلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ووصفه عليه الصلاة والسلام فقال أجود الناس كفا وأحناه عليهم رواه الفضائلى وفى معجم البغوى العباس عمى وصنو أبى من آذاه فقد آذاني وفى الترمذى نحوه وقال حسن صحيح وذكر السهمى فى الفضائل ان العباس أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم أقعده عن يمينه ثم قال هذا عمى فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يارسول الله قال ولم لا أقول هذا انت عمى وصنو أبى وبقية آبائى ووارثى وخير من اخلف من اهلى وقال له عليه الصلاة والسلام ياعم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى آتيكم فان لى فيكم حاجة فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءته ثم قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين رواه ابن غيلان والسهمى ورواه ابن السرى وفيه فما بقى فى البيت مدرة ولا باب الا أمن ورواه الترمذى من حديث ابن عباس بلفظ فالبسنا كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس و ولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه فى ولده وقال حسن غريب وعند ابن عبد الباقى من حديث أبى هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم وفى تاريخ دمشق من حديث ابن عباس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فى فتح مكة اللهم انصر العباس وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال ياعم أما علمت أن المهدى من ولدك وروى الحاكم فى مستدركه والبغوى فى معجمه عن سعيد بن المسيب أنه قال العباس خير هذه الامة ووارث النبي صلى الله عليه وسلم وعمه قال الذهبي سنده صحيح قال ويتكلف لتأويله ان كان قوله خير بالمعجمة والتحتية وفى الافراد للدارقطني عن جابر الانصارى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يحب العباس بن عبد المطلب وأهل بيته فقد برئ من الله ورسوله وفى سنده عمر بن راشد المحاربى وهو ضعيف جدا لكن يشهد له ما رواه محمد بن الحسين الاشناني ثم أبو بكر بن عبد الباقى فى أماليه ومن طريقها المنذرى من طريق منصور عن مسلم بن صبيح بن الضحى عن مسروق عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحب عمى هذا واخذ بيد العباس فرفعها الله عز وجل ولقرابته لى فليس بمرض وللترمذى وقال حسن عن عبد المطلب ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان ما لم يحبكم لله ولرسوله ثم قال ياأيها الناس من آذى عمى فقد آذاني فانما عم الرجل صنو أبيه وروى البغوى أنه عليه الصلاة والسلام قال له لك ياعم من الله حتى ترضى و روى السهمى فى الفضائل أنه عليه الصلاة والسلام قال للعباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا أحد من ولدك وفى المعجم الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للعباس وابناء العباس وأبناء أبناء العباس و فى سنده عبد الرحمن بن حاتم المرادى المصرى وهو متروك وفى تاريخ دمشق مما هو شديد الوهى عن أبى هريرة مرفوعا اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمحبى ولد العباس

وشيعتهم وفى المناقب للامام أحمد أن العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى فى السماء نجما قلت نعم قال ماترى قلت الثريا قال أما انه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك وروى البيهقى من حديث ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال له ألا أبشرك ياعم قال بلى بأبى أنت وأمى فقال عليه الصلاة والسلام ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومن حديث أبى هريرة فيكم النبوة والمملكة ومن حديث ابن عباس عن أبيه هذا عمى أبو الخلفاء أجود قريش كما واجملها وان من ولده السفاح والمنصور والمهدى وذكر ابن حبان والملا من حديث ابن عباس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن فى ولده يعنى العباس ملوك يكونون أمراء أمتى يعز الله بهم الدين قال الحافظ أبو الحسن الدارقطنى هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر خرجه الاصفهانى وتوفى العباس رضى الله عنه فى خلافة عثمان رضى الله عنه قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين سنة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها فى الاسلام اثنتين وثلاثين سنة ودفن بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان يسمى ترجمان القرآن وهو أبو الخلفاء ويروى ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به النبي صلى الله عليه وسلم فأذن فى اذنه اليمنى واقام فى اليسرى وقال اذهبي بأبى الخلفاء رواه ابن حبان وغيره وقد ملأ عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا فى زمن المأمون ستمائة الف واستبعد فالله أعلم وكان العباس أصغر أعمامه عليه الصلاة والسلام ولم يسلم منهم الا هو وحمزة وأسنهم الحارث ﴿وأما عماته﴾ صلى الله عليه وسلم بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست عاتكة وأميمة والبيضاء وهى أم حكيم وبرة وصفية وأروى ولم يسلم منهن الا صفية أم الزبير بلا خلاف واختلف فى أروى وعاتكة فذهب أبو جعفر العقيلى الى اسلامهما وعدهما فى الصحابة وذكر الدارقطنى عاتكة فى جملة الاخوة والاخوات ولم يذكر أروى وأما ابن اسحاق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية فاما صفية فاسلمت باتفاق كما ذكرته وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة شقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت فى الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس ثم هلك فخلفه عليها العوام بن خويلد أخو خديجة أم المؤمنين فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة وتوفيت بالمدينة فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع * وأما عاتكة المختلف فى اسلامها فأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ فهى شقيقة عبد الله أبى النبي صلى الله عليه وسلم وأبى طالب والزبير وعبد الكعبة وهى صاحبة الرؤيا فى قصة بدر * واما أروى المختلف ايضا فى اسلامها فأمها صفية بنت جندب فهى شقيقة الحارث بن عبد المطلب وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصى فولدت له طليبا ثم خلفه عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى واسلم طليب وكان سببا فى اسلام امه كما ذكره الواقدى * واما ام حكيم البيضاء فهى شقيقة عبد الله ابى النبى صلى الله عليه وسلم * واما برة فأمها فاطمة ايضا وكانت عند ابى رهم بن عبد العزى

العامرى ثم خلفه عليها عبدالاسد بن هلال المخزومى فولدت له ابا سلمة بن عبدالاسد الذى كانت عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم *واما اميمة فأمها فاطمة وكانت تحت جحش بن رياب فولدت له عبدالله وعبيدالله وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنة اولاد جحش بن رياب ﴿واما جداته عليه الصلاة والسلام من ابيه﴾ فأم عبدالله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وام عبدالمطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة بن الجلاح فولدت له عمرو بن احيحة وهو أخو عبدالمطلب لامه وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بنى سليم وأم عبد مناف عاتكة بنت فالج بن ذكوان من بني سليم وأم قصى فاطمة بنت سعد من أزد الشراة وأم كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب من فهم وأم كعب سلمى بنت محارب من فهم وأم لؤى وحشية بنت مدلج بن مرة ابن عبد مناف بن كنانة وأم غالب سلمى بنت سعد بن هذيل وأم فهر جندلة بنت الحارث الجرهمى وأم مالك هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان وأم النضر برة بنت مرة أخت تميم بن مرة ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعارف كما حكاه الطبرى عنه وقال فالجدة الاولى مخزومية والثانية نجارية والثالثة سلمية والرابعة سلمية أيضا وقيل خزاعية والخامسة أزدية والسادسة كنانية والسابعة فهمية والثامنة فهمية أيضاً أو فهرية والخط فى الاصل يوهم والتاسعة كنانية والعاشرة هذلية والحادية عشر جرهمية والثانية عشر قيسية والثالثة عشر مرية ﴿وأما جداته عليه الصلاة والسلام من أمه﴾ فأم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب برة بنت عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة وأم أبيها وهب عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة وقال أبو عمر ويعرف أبوها بأبي كبشة الذى كان ينسب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال ابن أبي كبشة ونسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن أحد من العرب يعبدها غيره فلما جاءهم عليه السلام بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن أبي كبشة ولم يقصدوا ذمه عليه الصلاة والسلام بذلك وقيل بل نسب الى وهب أخي أمه كان يدعى بها وقيل كان يدعى بها ابوه من لرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه وأم برة هي ام حبيب قاله ابن قتيبة وقال أبو سعد أم سفيان بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة وأم أم حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب وأم برة بنت عوف قلابة بنت الحارث بن صعصعة ابن عائذ بن لحيان بن هذيل وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن سعد أمها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان فالجدة الاولى والثانية والثالثة من أمهات أمه عليه الصلاة والسلام قرشيات وأم أبي أمه سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية ففى كل قبيلة من قبائل العرب له عليه الصلاة والسلام علقة نسب ﴿وأما اخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة﴾ فحمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية أبي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعبد الله وآسية وجدامة وتعرف بالشيماء الثلاثة اولاد حليمة وقد روى ان خيلا له عليه الصلاة والسلام اغارت على هوازن فاخذوها فى جملة السبى فقالت انا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قالت له يامحمد أنا اختك فرحب بها وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال عليه الصلاة والسلام ان احببت فأقيمي عندي مكرمة محببة وان أحببت ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل أرجع الى قومي فاسلمت واعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء ذكره ابو عمر وابن قتيبة واما أمه من الرضاعة فحليمة بنت ابى ذؤيب من هوازن وهى التي ارضعته حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه الصلاة والسلام يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابى لهب ايضا واختلف فى اسلامها كما اختلف فى اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه الصلاة والسلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره أبو عمر وكانت حاضنته عليه الصلاة السلام ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي وهى ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبدالمطلب فورثها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لامه عليه الصلاة والسلام وكان عليه الصلاة والسلام يقول ام ايمن امى بعد امى وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه ايضا مع امها حليمة السعدية۔

﴿الفصل الخامس فى خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن ياذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه﴾ اما خدمه فنهم أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصارى الخزرجي يكنى اباحمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين اوعشر سنين ودعا له عليه الصلاة والسلام فقال اللهم أكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة مارايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه وتوفى سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب وضوئه وتوفى سنة ثلاث وستين ومنهم ايمن بن ام ايمن صاحب مطهرته عليه الصلاة والسلام استشهد يوم حنين ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء ابن حبيب الهذلى احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور وكان يلى ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم ألبسه نعليه واذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم وتوفى بالمدينة وقيل بالكوفة سنة أثنين وثلاثين وقيل سنة ثلاث ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهنى وكان صاحب بغلته يقود به عليه الصلاة والسلام فى الاسفار روينا عنه انه قال بينا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نقب من تلك النقاب اذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب ياعقبة قال فأجللت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت به فقال لى ياعقبة ألا أعلمك من خير سورتين قرأهما الناس فقلت بلى بأبى انت وامى يارسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه احمد وابو داود والنسائى ولاحمد فقال ياعقبة الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت فى التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قال قلت بلى قال فأقرانى

قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وكان عقبة عالما بكتاب الله وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين * ومنهم أسلع بن شريك صاحب راحلته وفي الطبراني عن الربيع بن بدر قال حدثني أبي عن أبيه عن رجل يقال له أسلع قال كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأرحل له فقال لي ذات يوم يا أسلع قم فأرحل فقلت يا رسول الله أصابتني جنابة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه جبريل فنزل بآية الصعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسلع فتيمم قال فقمت فتيممت ثم رحلت له ثم سار حتى مر بماء ثم قال لي يا أسلع مس أو أمس هذا جلدك قال فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين انتهى * ومنهم سعد مولى أبي بكر وقيل سعيد ولم يثبت وروى عنه ابن ماجه * ومنهم أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة سنة احدى وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنين وثلاثين * ومنهم مهاجر مولى أم سلمة * ومنهم حنين والد عبد الله مولى عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس * ومنهم نعيم بن ربيعة الاسلمي * ومنهم أبو الحمراء مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر نزل حمص وتوفي بها * ومنهم أبو السمح خادمه عليه الصلاة والسلام واسمه اياد ﴿ ومن النساء ﴾ بركة ام أيمن الحبشية وهي والدة أسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه * وخولة جدة حفص * وسلمى أم رافع زوج أبي رافع * وميمونة بنت سعد * وأم عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان يضرب الاعناق بين يديه ﴾ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبي الاقلح والضحاك بن سفيان وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه الصلاة والسلام بمنزلة صاحب الشرطة وكان بلال على نفقاته ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله كما تقدم وأبو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك قبطي كان على ثقله وأذن عليه عليه الصلاة والسلام في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي ﴿ وأما حراسه ﴾ فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس سيد الاوس أسلم بين العقبتين على يد مصعب بن عمير وشهد بدرا وأحدا والخندق فرمي فيه بسهم فعاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات حرس النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش * ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم أحد * ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم بلال المؤذن أسلم قديما وعذب في الله وسكن الشام أخيرا ولا عقب له وتأتي وفاته ان شاء الله تعالى وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان أبو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على رأسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه أحد من المشركين رواه ابن السمان في الموافقة ووقف ابن المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية وكان يحرسه عليه الصلاة والسلام أيضا عباد بن بشر فلما نزل والله يعصمك من الناس ترك ذلك ﴿ وأما مواليه صلى الله عليه وسلم ﴾ فمنهم أسامة وأبوه زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة وكان زيد قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم

منها ذكر قصته محمد بن اسحاق فى السيرة وان اباه وعمه أتيا مكة فوجداه فطلبا ان يفدياه فخيره النبى صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما اويبقى عنده فاختار أن يبقى عنده عليه الصلاة والسلام وفى رواية الترمذى قال يارسول الله لا اختار عليك احدا ابدا واستشهد زيد فى غزوة مؤتة ومات ابنه اسامة بالمدينة أو بوادى القرى سنة اربع وخمسين * ومنهم ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين * وابو كبشة اوس ويقال سليم من مولدى مكة وشهد بدرا * وشقران بضم الشين المعجمة وسكون القاف واسمه صالح الحبشى ويقال فارسى شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق قاله الحافظ ابن حجر وقال اظنه مات فى خلافة عثمان * ورباح وهو بفتح الراء وبالموحدة الاسود وكان يأذن عليه احيانا اذا انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب فى المشربة كما تقدم * ويسار الراعى وهو الذى قتله العرنيون * وزيد وهو ابو يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير * ومدعم بكسر الميم وفتح العين المهملة عبد اسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبى بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فأهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم *وابو رافع واسمه اسلم القبطى وكان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبى صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه توفى قبل قتل عثمان بيسير * ورفاعة بن زيد الجذامى * وسفينة واختلف فى اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لإنهم كانوا حملوه شيأ كثيرا فى السفر * ومأبور القبطى وهو من جملة من أهداه المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم * و واقد أو أبو واقد * وأنجشة الحادى ويأتى ذكره فى حداته عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى * وسلمان الفارسى أبو عبد الله ويقال له سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل من رام هرمز أول مشاهده الخندق مات سنة أربع وثلاثين يقال بلغ ثلثمائة سنة * وشمعون بن زيد أبو ريحانة قال الحافظ ابن حجر حليف الانصار ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس * وأبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة جد القاضى الجليل بكار بن قتيبة الحنفى قاضى مصر المدفون بها ﴿ومن النساء﴾ ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابى رافع * ومارية وريحانة وقيسر اخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزى ﴿مواليه﴾ ثلاثة واربعون ﴿واماؤه﴾ احدى عشرة

﴿ الفصل السادس فى أمرائه ورسله وكتابه وكتبه الى أهل الاسلام فى الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام ﴾

أما كتابه فجمع كثير وجم غفير ذكرهم بعض المحدثين فى تأليف له بديع استوعب فيه جملا من اخبارهم وبنذا من سيرهم وآثارهم وصدر فيه بالخلفاء الاربعة الكرام خواص حضرته عليه الصلاة والسلام فأولهم فى التقديم ابو بكر الصديق وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة وفى الاسلام عبد الله وسمى بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله أو لانه ليس فى نسبه مايعاب به وقيل لانه عتيق من النار ولى الخلافة سنتين وستة أشهر وأربع ليال وسنه سن المصطفى عليه الصلاة والسلام وتوفى مسموما وأسلم أبوه أبو قحافة يوم الفتح وتوفى بعده فى خلافة عمر وأسلمت أمه أم الخير سلمى بنت صخر قديما فى دار الارقم * وعمر بن الخطاب بن نفيل بن

عبد العزى استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة * وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية وكانت خلافته احدى عشرة سنة واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ثم قتل يوم الدار شهيدا وروى عن عائشة مما ذكره الطبري في فضائله من كتابه الرياض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسند ظهره الى وان جبريل ليوحي اليه القرآن وانه ليقول له اكتب ياعثيم رواه أحمد وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعلي بن أبي طالب وأقام في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية * وطلحة بن عبيد الله أحد العشرة استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة * والزبير بن العوام بن خويلد أحد العشرة أيضا قتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع غيلة وهو نائم * وسعيد ابن العاص أخو خالد وأبان * وسعد بن أبي وقاص * وعامر بن فهيرة * وعبد الله بن الارقم القرشي الزهري كان يكتب الرسائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم وكتب بعده لابي بكر ثم لعمر من بعده رضي الله عنهم واستعمله عمر على بيت المال مدة ولايته ثم عثمان من بعده الى أن استعفى عثمان من الولاية وبقي عاطلا وكان أمير المؤمنين عمر يقول مارأيت أحدا أخشى لله منه مات في خلافة عثمان * وابي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة من سباق الانصار كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه الصلاة والسلام توفي بالمدينة سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وقيل غير ذلك وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي كما سيأتي ان شاء الله تعالى * وثابت ابن قيس بن شماس استشهد باليمامة وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي كما سيأتي ان شاء الله * وحنظلة بن الربيع الاسدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد * وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي وابنه معاوية ولي الشام وأقره عثمان قال ابن اسحاق وكان أميرا عشرين سنة وخليفة أمير المؤمنين بعد نزول الحسن بن علي سبط سيد المرسلين عشرين سنة وروينا في مسند الامام أحمد من حديث العرباض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة الوحي أسلم يوم فتح مكة ومات في العشر الاخير من رجب سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين وقد قارب الثمانين وقال ابن عبد البر عن اثنين وثمانين سنة والله أعلم * وأخوه يزيد بن أبي سفيان بن حرب أمره عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة بالطاعون فوليها بعده أخوه معاوية حتى رقي منها الى الخلافة وكان يزيد رضي الله عنه من سروات الصحابة وسادا تهم أسلم يوم الفتح أيضا واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال رضي الله عنه * وزيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري النجاري مشهور بكتب الوحي مات سنة خمسين أو ثمان وأربعين وقيل بعد الخمسين وكان أحد فقهاء الصحابة وهو أحد من

جمع القرآن في خلافة أبي بكر ونقله الى المصحف في خلافة عثمان * وشرحبيل بن حسنة وهي أمه وهو اول كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم * والعلاء بن الحضرمي * وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله أسلم بين الحديبية والفتح مات سنة أحدى أو اثنين وعشرين * وعمرو بن العاص بن وائل السهمي فاتح مصر في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أسلم عام الحديبية وولي امرة مصر مرتين وهو الذي فتحها ومات بها سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين * والمغيرة بن شعبة الثقفي أسلم قبل الحديبية وولي امره البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح * وعبدالله بن رواحة الخزرجي الانصاري أحد السابقين شهد بدرا واستشهد بمؤتة * ومعيقيب بقاف وآخره موحدة مصغر ابن أبي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين وشهد المشاهد ومات في خلافة عثمان أو علي * وحذيفة بن اليمان من السابقين صح في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان وما يكون الى أن تقوم الساعة وأبوه صحابي أيضا استشهد بأحد ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين * وحويطب بن عبد العزى العامري أسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة أربع وخمسين وله كتاب اخر سوى هؤلاء وذكروا في الكتاب الذي تقدم ذكره وكان معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك وأخصهم به كما قاله الحافظ الشرف الدمياطي وغيره ونبهت عليه قال الحافظ ابن حجر وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة وأول من كتب له بمكة من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح وممن كتب له في الجملة أكثر من غيره الخلفاء الاربعة وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاصي بن أمية * وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى أهل الاسلام كتبا في الشرائع والاحكام * منها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر فكتبه أبو بكر لانس لما وجهه الى البحرين ولفظه كما في البخاري وأبي داود والنسائي * بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط في أربعة وعشرين من الابل فما دونها من الغنم في كل خمس من الابل شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون ذكر فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى فاذا بلغت ستا وأربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل فاذا بلغت احدى وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة فاذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة ومن لم يكن معه الا أربع من الابل فليست فيها صدقة الا أن يشاء ربها فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها شاة ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له أو عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الحقة وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الا ابنة لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين أو عشرين درهما ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين

درهما أو شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليست عنده وعنده بنت مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطى معها عشرين درهما أو شاتين ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شئ وفى صدقة الغنم فى سائمتها اذا بلغت أربعين الى عشرين ومائة شاة شاة فاذا زادت على عشرين ومائة الى مائتين ففيها شاتان فاذا زادت على مائتين الى ثلثمائة ففيها ثلاث شياه فاذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة عن أربعين شاة شاة واحدة فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يخرج فى الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا أن يشاء المصدق وفى الرقة ربع العشر فان لم تكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها قوله وفي الرقة الدراهم المضروبة والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة من الورق قاله ابن الاثير فى الجامع وقال فى فتح البارى هى بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة * ومنها كتابه الذى كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نُصُبِ الزكاة وغيرها كما رواه أبو داود والترمذى عن سالم عن أبيه كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله وقرنه بسيفه حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه فى خمس من الابل شاة وفى عشر شاتان وفى خمسة عشر ثلاث شياه وفى عشرين أربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس وأربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل أكثر من ذلك ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين ابنة لبون وفى الغنم فى كل أربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى مائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة فان كانت الغنم أكثر من ذلك ففى كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شئ حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال الزهرى واذا جاء المصدق قسم الشاء أثلاثا ثلث خيار وثلث أوساط وثلث شرار وأخذ من الوسط رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن انتهى قال ورواه يونس وغير واحد عن الزهرى عن سالم ولم يرفعه قال ابن الاثير فى النهاية والخليط المخالط يريد به الشريك الذى يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو أن يكون لاحدهما مثلا أربعون بقرة وللآخر ثلاثون بقرة ومالهما مختلط فيأخذ الساعى عن الاربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعا فيرجع باذل المسنة بثلاثة أسباعها على شريكه وباذل التبيع بأربعة أسباعه على شريكه لان كل واحد من السنين واجب على الشيوع وكان المال ملك واحد انتهى وقال فى فتح البارى واختلف فى المراد بالخليط فعند أبى حنيفة أنه الشريك واعترض عليه بأن الشريك لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما يدل على ان الخليط لا يستلزم أن يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا

من الخلطاء وقد بينه قبل ذلك بقوله ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية بأنهم لم يبلغهم هذا الحديث أو رأوا أن الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخليط يغاير هذا الاصل فلم يقولوا به وقال أبو حنيفة لايجب على أحد منهم فيما يملك الا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلطة وقال سفيان الثوري لايجب حتى يتم لهذا أربعون شاة ولهذا أربعون شاة وقال الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخالطة عندهم أن يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل والشركة أخص منها انتهى ﴿ومنها﴾ كتابه عليه الصلاة والسلام الى أهل اليمن وهو كتاب جليل فيه من أنواع الفقه في الزكاة والديات والأحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق وأحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا وأبو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل اليمن وكان في كتابه أن من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود الا أن يرضى اولياء المقتول وفيه أن الرجل يقتل بالمرأة وفيه في النفس الدية مائة من الابل وعلى أهل الذهب ألف دينار وفي الانف اذا أوعب جدعه الدية مائة من الابل وفي الاسنان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية وفي المأمومة ثلث الدية وفي الجائفة ثلث الدية وفي المنقلة خمس عشرة من الابل وفي كل أصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي السن خمس من الابل وفي رواية مالك وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون وفي الموضحة خمس من الابل انتهى ﴿وأما﴾ مكاتباته عليه الصلاة والسلام الى الملوك وغيرهم فروى أنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لايقرؤن كتابا الا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتاب وانما كانوا لايقرؤن الكتاب الا مختوما خوفا من كشف أسرارهم وللاشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لايطلع عليها غيرهم وعن أنس ان ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة بفعله صلى الله عليه وسلم فكتب الى قيصر المدعو هرقل ملك الروم يوم ذاك ثم قال بعد كتابته الكتاب من ينطلق بكتابي هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا وان لم يصل يارسول الله قال وان لم يصل فأخذه دحية بن خليفة الكلبي وتوجه الى مكان فيه هرقل ولفظه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين وياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ رواه البخاري وكان عليه الصلاة والسلام أرسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي الى هرقل في آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية كما قاله الواقدي ووقع في تاريخ خليفة ان ارساله كان سنة خمس والاول أثبت بل هذا غلط لتصريح أبي سفيان

بأن ذلك كان فى مدة صلح الحديبية كما فى حديث البخارى فى المدة التي كان عليه الصلاة والسلام ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش يعنى مدة صلح الحديبية وكان سنة ست اتفاقا ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة التأليف وقوله يؤتك الله أجرك مرتين أى لكونه مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله فان عليك اثم الاريسين أى فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر وقيل انه عليه الصلاة والسلام كتب هذه الآية يعنى ياأهل الكتاب قبل نزولها فوافق لفظه لفظها لما نزلت لان هذه الآية نزلت فى قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة أبى سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت فى اليهود وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد والله أعلم ولما قرئ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم غضب ابن أخي قيصر غضبا شديدا وقال أرنى الكتاب فقال له وما تصنع به فقال انه بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم فقال له عمه انك لضعيف الرأى تريد أن أرمى كتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر أو كلاما هذا معناه أو قال أن أرمى بكتاب ولم أعلم مافيه لئن كان رسول الله انه لاحق أن يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه ثم أمر بانزال دحية واكرامه الى أن كان من أمره ماذكره البخارى فى حديثه انتهى ﴿ وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز ابن هرمزان بن أنو شروان ملك فارس ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس فلما قرأ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق ملكه وفى البخارى من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمى فأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى فى البخارى هو الصحيح وفى كتاب الاموال لابى عبيد من مرسل عمير بن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما قرا الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هؤلاء فيمزقون واما هؤلاء فسيكون لهم بقية وروى انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكه ولما جاءه جواب هرقل قال ثبت ملكه وذكر ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى عن سيف الدين قلج المنصورى احد امراء الدولة القلاوونية انه قدم على ملك المغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون فأرسله ملك المغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة وانه قبله واكرمه وقال لاتحفك بتحفة سنية فأخرج له صندوقا مصفحا بذهب فأخرج منه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد الصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر مازلنا نتوارثه الى الآن واوصانا آباؤنا عن آبائهم الى قيصر انه مادام هذا الكتاب عندنا لايزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية

الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا انتهى ﴿وكتب صلى الله عليه وسلم الى النجاشى﴾ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة اما بعد فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله وانى أدعوك وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى وقد بعثت اليكم ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمرى فقال النجاشى له عند ماقرأ الكتاب أشهد بالله أنه النبي الامى الذى ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس باشفى من الخبر عنه ولكن أعوانى من الحبش قليل فأنظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب ﴿ثم كتب النجاشى جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم﴾ بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشى أصحمة سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركات الله الذى لا اله الا هو أما بعد فقد بلغنى كتابك يارسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لايزيد على ماذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا مابعثت به الينا فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابنى وان شئت أتيتك بنفسى فعلت يارسول الله فانى أشهد أن ماتقوله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه أرسل ابنه فى أثر من أرسله من عنده مع جعفر بن أبي طالب عم رسول الله فلما كانوا فى وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ماأشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام وفيهم أنزل الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الى آخر الآية لانهم كانوا من أصحاب الصوامع انتهى ﴿والثفروق﴾ علاقة مابين النواة والقمع وهذا هو أصحمة الذى هاجر اليه المسلمون فى رجب سنة خمس من النبوة وكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام مع عمرو بن أمية الضمرى سنة ست من الهجرة فآمن به وأسلم على يدى جعفر بن أبي طالب وتوفى فى رجب سنة تسع ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفى وصلى عليه بالمدينة وأما النجاشى الذى ولى بعده وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما وفى صحيح مسلم أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشى وليس بالذى صلى عليه ﴿وكتب عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية﴾ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا

يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة فتوجه اليه الى مصر فوجده بالاسكندرية فذهب اليها فرآه في مجلس مشرف على البحر فركب سفينة اليه وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جئ به اليه ووقف بين يديه ونظر الى الكتاب فضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا أن يدعو على فيسلط على فقال له حاطب ومامنع عيسى أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليه فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال حاطب ندعوك الى دين الله وهو الاسلام الكافي به الله فقد ماسواه ان هذا النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم ومادعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعاء أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال المقوقس انى قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لايأمر بمزهود فيه ولاينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخباء والاخبار بالنجوى وسانظر فاخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله فى حق من عاج ودفعه لجارية له ﴿ ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم ﴿ وكتب عليه السلام الى المنذر ابن ساوى ﴾ ذكر الواقدى باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب فى كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فكتب المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد يارسول الله فانى قد قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضى يهود ومجوس فأحدث الى فى ذلك أمرك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لااله الا هو وأشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد اثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ماأسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أومجوسيته فعليه الجزية ﴿ وكتب عليه السلام الى ملكى عمان وبعثه مع عمرو بن العاص ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندى السلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى

رسول الله الى الناس كافة لا نذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب أبي بن كعب وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتي انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت أنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك فقال أخي المقدم على بالسن والملك وأنا اوصلك اليه حتي تقرأ كتابك عليه ثم قال وماتدعو اليه قلت أدعوك الى الله وحده لاشريك له وتخلع ماعبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله قال ياعمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت انه كان أسلم وصدق به وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فمتي تبعته قلت قريبا فسألني أين كان اسلامك قلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم قال انظر ياعمرو ما تقول انه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال فأخبرني ماالذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات فى الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال ياعمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه فقلت نعم قال والله ماأرى قومي فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون هذا قال فمكثت ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبرى ثم انه دعاني يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فأرسلت فذهبت لاجلس فابوا أن يدعوني لا جلس فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض ختمه وقرأه حتي انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا أنى رأيت أخاه أرق منه فقال ألاتخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب فى الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله أنهم كانوا فى ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك فى هذه الحرجة وانلم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومى هذا وارجع الى غدا فرجعت الى أخيه فقال ياعمرو انى لارجو أن يسلم انلم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فابي ان ياذن لى فانصرفت الى أخيه فاخبرته انى لم أصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله هاهنا وان بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح فارسل الى فاجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدق النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين

الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لى عونا على من خالفنى ﴿وكتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على وأرسل به سليط بن عمرو العامرى﴾ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة ابن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ماتحت يدك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحياه واقترأ عليه الكتاب فردردا دون رد وكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما أحسن ماتدعو اليه وأجله والعرب تهاب مكانى فاجعل الى بعض الامر اتبعك وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألنى سيابة من الارض مافعلت باد وباد مافى يده ﴿وكتب صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبى شمر الغسانى﴾ وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وأرسله مع شجاع بن وهب قال صاحب باعث النفوس روى عن أبى هند الدارى قال قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر تميم بن أوس الدارى وأخوه نعيم ويزيد بن قيس وأبو عبد الله بن عبد الله وهو صاحب الحديث وأخوه الطيب بن عبد الله فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وفاكه بن النعمان فاسلمنا وسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعنا أرضا من أرض الشام فقال عليه السلام سلوا حيث شئتم قال أبو هند فنهضنا من عنده صلى الله عليه وسلم الى موضع نتشاور فيه اين نسأل فقال تميم أرى أن نساله بيت المقدس وكورتها فقال أبو هند رأيت ملك العجم اليوم أليس هو بيت المقدس قال تميم نعم فقال أبو هند فكذلك يكون فيهم ملك العرب وأخاف أن لا يتم لنا هذا قال تميم نسأله بيت جبرون وكورتها فقال أبو هند أكبر وأكبر فقال تميم فاين ترى أن نسأله فقال أرى أن نساله القرى التى نصنع فيها حصوننا مع مافيها من آثار ابراهيم عليه السلام فقال تميم أصبت ووفقت فقال أصبنا فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياتميم أتحب أن تخبرنى بما كنتم فيه أو أخبركم فقال تميم بل تخبرنا يارسول الله فنزداد ايمانا فقال عليه السلام أردت ياتميم أمرا وأراد أبو هند غيره ونعم الرأى رأى أبى هند فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة من ادم وكتب لهما فيها كتابا نسخته ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ هذا كتاب ذكر فيه ماوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذا أعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن فيهم الى أبد الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب قال ثم دخل بالكتاب الى منزله فعالج فى رواية الرقعة بشئ لايعرف وعقد من خارج الرقعة بسير عقدتين وخرج به الينا مطويا وهو يقول ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا انى قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسالناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا آخر نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله لتميم الدارى وأصحابه انى أعطيتكم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم

ثقفية بنت وتقدت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم أبدالابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب فلما قبض رسول الله واستخلف أبو بكر رضى الله عنه وجند الجنود الى الشام كتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الصديق الى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لااله الاهو أمابعد فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد فى قرى الداريين وان كان أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون يزرعونها فليزرعوها واذا رجع اليها أهلها فهى لهم وأحق بها والسلام عليك نقل من كتاب اسحاق الاخصا بفضائل المسجد الاقصى وكتب صلى الله عليه وسلم ليحنه بن روبة صاحب أيلة لما أتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنه بن روبة وأهل أيلة أساقفتهم وسائرهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمه النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لايحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن أخذه من الناس وانه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه ولاطريقا يريدونه من بر أوبحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا وأذرح لما أتوه بتبوك أيضا وأعطوه الجزية﴾ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل أذرح انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأم ضميرة وهى تبكى فقال مايبكيك أجائعة أنت ام عارية أنت فقالت يارسول الله أفافرق بيني وبين ابنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفرق بين الوالدة وولدها ثم أرسل الى الذى عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببكر قال ابن أبي ذؤيب ثم اقرأنى كتابا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لابي ضميرة وأهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقهم وانهم أهل بيت من العرب ان أحبوا أقاموا عند رسول الله وان أحبوا رجعوا الى قومهم فلايعرض لهم الابحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا وكتب أبي بن كعب ﴿وكتب عليه السلام كتابا الى أهل وج﴾ سيأتى فى وفد ثقيف من الفصل العاشر من هذا المقصد ان شاء الله تعالى وكذا كتابه عليه السلام الى مسيلمة الكذاب فى وفد بنى حنيفة ﴿وكتب عليه السلام لاكيدر ولاهل دومة الجندل لما صالحه﴾ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لاكيدر ولاهل دومة ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى وأغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لاتعدل سارحتكم ولاتعد فاردتكم ولايحصر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك حق الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين ﴿والضاحى﴾ البارز الظاهر ﴿والضحل﴾ الماء القليل ﴿والبور﴾ الارض تستخرج ﴿والمعامى﴾ اعفال الارض ﴿والحصن﴾ دومة الجندل ﴿والضامنة﴾ النخل الذى معهم فى الحصن والمعين الظاهر من الماء الدائم وباع صلى الله عليه وسلم للعداء عبدا وكتب بسم

الله الرحمن الرحيم هذا مااشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله اشترى عبدا أوأمة شك الراوى لاداء ولا غائلة ولاخبثة بيع المسلم المسلم رواه أبوداود والدار قطني والغائلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة قال ابن أبى عروبة بيع غير أهل المسلمين وكان اسلام العداء بعد فتح خيبر وهذا يدل على مشروعية الاشهاد فى المعاملات قال الله تعالى وأشهدوا اذا تبايعتم والامر هنا ليس للوجوب فقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى ولم يشهد و رهن درعه عند يهودى ولم يشهد ولو كان الاشهاد أمرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله أعلم ﴿وأماأمراؤه عليه السلام﴾ فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام أمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو أول أمير فى الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد وولى زياد بن لبيد الانصارى حضرموت وولى أباموسى الاشعرى زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند وولى أباسفيان بن حرب نجران وولى ابنه يزيد تيماء وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وولى على بن ابى طالب القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص عمان واعمالها وولى ابا بكر الصديق اقامة الحج سنة تسع وبعث فى اثره عليا فقرأ على الناس براءة فقيل لان اولها نزل بعد ان خرج أبو بكر الى الحج وقيل أردفه به عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق امير اومأمور قال بل مأمور واما الرافضة فقالوا بل عزله وهذا لايبعد من بهتهم وافترائهم وقد ولى عليه السلام على الصدقات جماعة كثيرة ﴿وأمارسله صلى الله عليه وسلم﴾ فقد روى انه عليه السلام بعث ستة نفر فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع وذكر القاضى عياض فى الشفاء مما عزاه للواقدى أنه أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم انتهى وكان أول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة وكتب اليه كتابين يدعوه فى أحدهما الى الاسلام ويتلو عليه القرآن فأخذه النجاشى ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته وفى الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة بنت ابى سفيان فزوجه اياها كما تقدم فى ذكر الازواج ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرهم وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالحبشة كذا قاله الواقدى وغيره وبعث عليه السلام دحية بن خليفة الكلبي وهو أحد الستة الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه الى الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك وبعث عبد الله السهمى الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع وهو حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس فأكرمه وبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدى الى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغسانى وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامرى الى هوذة والى ثمامة بن أثال الحنفي فأسلم ثمامة وبعث عمرو بن العاصى فى ذى القعدة الى جيفر وعبد ابنى الجلندى بعمان فأسلما وصدقا وبعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فأسلم وصدق وبعث المهاجر بن أبى أمية

المخزومى الى الحارث بن كلال الحميرى باليمن فقال سأنظر فى أمرى وبعث أباموسى الأشعرى ومعاذ ابن جبل الى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر فى ربيع الاول داعيين الى الاسلام فأسلم غالب أهلها من غير قتال ثم بعث على بن أبى طالب بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة فى حجة الوداع وبعث جرير ابن عبد الله البجلى الى ذى الكلاع وذى عمرو يدعوهم الى الاسلام فأسلما وتوفى صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن أمية الضمرى الى مسيلمة الكذاب بكتاب وبعث الى فروة بن عمرو الجذامى وكان عاملا لقيصر يدعوهم الى الاسلام فأسلم وكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهى بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال له الظرب وحمار يقال له يعفور وبعث اليه أثوابا أو قباء سندسيا مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثنى عشر أوقية وبعث المصدقين لاخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع وبعث عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وبعث بريدة ويقال كعب بن مالك الى أسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث عمرو بن العاص الى فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بنى كلاب وبعث بشر بن سفيان الكعبى ويقال النحام العدوى الى بنى كعب وبعث عبد الله بن اللتبية الى ذبيان وبعث رجلا من سعد هذيم الى قومه

﴿ الفصل السابع فى مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه ﴾

﴿ أما مؤذنوه فأربعة ﴾ اثنان بالمدينة بلال بن رباح وأمه حمامة مولى أبى بكر الصديق وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن لاحد بعده من الخلفاء الا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال فتذكرت الناس النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم مولى عمر فلم ار باكيا أكثر من يومئذ وتوفى بلال سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة أو عشرين بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وعمرو بن أم مكتوم القرشى الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وبقباء أذن له عليه الصلاة والسلام سعد بن عايذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ وبالقرظى مولى عمار بقى الى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة أربع وسبعين وبمكة أبو محذورة واسمه أوس الجمحى المكى أبوه معير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تأخر بعد ذلك وكان منهم من يرجع الاذان ويثنى الاقامة وبلال لايرجع ويفرد الاقامة فأخذ الشافعى باقامة بلال وأهل مكة أخذوا بأذان أبى محذورة واقامة بلال وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال واقامة أبى محذورة وأخذ أحمد وأهل المدينة بأذان بلال واقامته وخالفهم مالك فى موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة ﴿ وأما شعراؤه ﴾ عليه الصلاة والسلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجى الانصارى وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الانصارى دعا له عليه الصلاة والسلام فقال اللهم أيده بروح القدس فيقال أعانه جبريل بسبعين بيتا وفى الحديث ان جبريل مع حسان مانافح عنى وهو بالحاء المهملة أى دافع والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم وعاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وكذا عاش أبوه ثابت وجده المنذر وجد

أبيه حرام كل واحد منهم عاش مائة وعشرين سنة وتوفى حسان سنة أربع وخمسين ولما جاءه عليه الصلاة والسلام بنو تميم وشاعرهم الاقرع بن حابس فنادوه يامحمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن قال ذاك الله اذا مدح زان واذا ذم شان انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فأمر عليه السلام ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خلفونا عنه ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فأمر صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقام فقال

بنى دارم لاتفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول مابين قن وخادم

وكان أول من أسلم شاعرهم وكان أشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار حسان وكعب ولما رجع عليه الصلاة والسلام من تبوك وفد عليه وفد همدان وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية جمل مالك النمط يرتجز بين يديه عليه الصلاة والسلام وكان خطيبه عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس ابن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة وهو خزرجى شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان خطيبه وخطيب الانصار واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة وكان يحد وبين يديه عليه الصلاة والسلام فى السفر عبد الله بن رواحة وفى رواية الترمذى فى الشمائل عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة فى عمرة القضية وابن رواحة يمشى بين يديه ويقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا فى عمرة القضية والله أعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد يوم خيبر ومرت قصته فى غزوتها وأنجشة العبد الاسود وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة وكان حسن الحداء قال أنس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وأنجشة يحدو بالنساء وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز فقال له عليه الصلاة والسلام كما فى رواية البراء بن مالك عبد رويدك رفقا بالقوارير أى النساء فشبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها الكسر فلم يأمن عليه الصلاة والسلام أن يصيبهن أو يقع فى قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك وفى المثل الغناء رقية الزنا وقيل أراد أن الابل اذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء يضعفن عن شدة الحركة

﴿الفصل الثامن فى آلات حروبه عليه الصلاة السلام﴾

كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه ﴿أما أسيافه عليه الصلاة والسلام﴾ فكان له تسعة أسياف مأثور وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام وهو الذى يقال انه قدم به الى المدينة فى الهجرة والعضب

أرسله اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وذو الفقار لانه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر ويجوز فى فائه الفتح والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاصي بن منبه وكان هذا السيف لايفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه فى كل حرب يشهدها وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة والقلعى بضم القاف وفتح اللام وهو الذى أصابه من قلع موضع بالبادية والبتار أى القاطع والحتف وهو الموت والمخذم وهو القاطع والرسوب أى يمضى فى الضربة ويغيب فيها وهو فعول من رسب يرسب اذا ذهب الى أسفل واذا ثبت أصابهما من الفلس بضم الفاء واسكان اللام صنم كان لطى والقضيب ﴿ وأما أدراعه ﴾ فسبعة ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها أرسل بها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد وهى التى رهنها عند أبى الشحم اليهودى على شعير وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وذات الوشاح وذات الحواشى والسعدية ويقال بالغين المعجمة وهى درع عكبر القينقاعى قيل وهى درع داود عليه الصلاة والسلام التى لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد أصابها من بنى قينقاع والبتراء لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه عليه الصلاة والسلام يوم أحد درعان ذات الفضول وفضة وكان عليه عليه الصلاة والسلام يوم حنين درعان ذات الفضول والسعدية ﴿ وأما أقواسه ﴾ عليه الصلاة والسلام فكانت ستة الزوراء وثلاث من سلاح بنى قينقاع قوس تدعى الروحاء وقوس تدعى الصفراء وشوحط والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة والسداد وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف من فضة وكانت له جعبة تدعى الكافور ﴿ وأما أتراسه ﴾ فكان له عليه الصلاة والسلام ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وترس أهدى اليه فيه تمثال صورة عقاب أو كبش فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال ﴿ وأما أرماحه عليه الصلاة والسلام ﴾ فالمثوى قال ابن الاثير سمى به لانه يثبت المطعون به من الثوى وهو الاقامة انتهى والمثنى ورمحان آخران وكانت له عليه الصلاة والسلام حربة كبيرة اسمها البيضاء وكانت له عليه الصلاة والسلام حربة اخرى صغيرة دون الرمح شبه العكاز يقال لها العنزة وكانت تركز أمامه ويصلى اليها وكان له عليه السلام مغفر من حديد يسمى السبوغ أو ذا السبوغ وآخر يسمى الموشح ﴿ تكميل ﴾ وكان له عليه الصلاة والسلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشى ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره وكانت له مخصرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق وكان له قدح يسمى الريان وآخر يسمى مغيثا وآخر مضبب بسلسلة من فضة فى ثلاث مواضع وآخر من عيدان وآخر من زجاج وتور من حجارة يسمى المخضب وركوة تسمى الصادرة ومخضب من نحاس ومغتسل من صفر ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المرآة ومشط من عاج وهو الذبل والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا فى كل عين وكان فى الربعة أيضا المقراض والسواك وهذه الربعة أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية أم ابراهيم عليه السلام وكانت له قصعة تسمى الغراء بأربع حلق وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من أدم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوى بفضة وخاتم فضة فصه منه يجعله فى يمينه وقيل كان اولا فى يمينه ثم حوله الى يساره منقوش عليه محمد رسول الله وأهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما وكان له

ثلاث جباب يلبسهن فى الحرب جبة سندس أخضر وجبة طيالسية وعمامة يقال لها السحاب وأخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه عليه

﴿ الفصل التاسع فى ذكر خيله عليه الصلاة والسلام ولقاحه ودوابه ﴾

أما خيله عليه الصلاة والسلام فالسكب يقال فرس سكب أى كثير الجرى كأنما يصب جريه صبا وأصله من سكب الماء يسكب وهو أول فرس ملكه اشتراه عليه الصلاة والسلام بعشرة أواق وكان أغر محجلا طلق اليمين كميتا وقال ابن الاثير كان أدهم والمرتجز بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء وكسر الجيم بعدها زاى سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذى هو ضرب من الشعر وكان أبيض وهو الذى شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته بشهادة رجلين والظرب بالظاء المعجمة واحد الظراب سمى به لكبره وسمنه وقيل لقوته وصلابة حافره اهداها له فروة بن عمر والجذامى واللحيف بالمهملة أهداها له ربيعة بن ابى البراء سمي به لسمنه وكبره كأنه يلحف الارض أى يغطيها بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته عليه ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة رواه البخارى ولم يتحققه والمعروف بالحاء المهملة قاله فى النهاية واللزاز سمى به لشدة تلززه أولاجتماع خلقه ولز به الشئ أى لزق به كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته وهذه أهداها له المقوقس والورد قال ابن سعد أهداها له تميم الدارى فأعطاه عمر فحمل عليه فى سبيل الله ثم وجده يباع برخص فقال لاتشتره وسبحة بالموحدة من قولهم فرس سابح اذا كان حسن مد اليدين فى الجرى فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن بنين فيما حكاه الحافظ الدمياطى البحر فى خيله عليه الصلاة والسلام قال وكان اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه وقال ماأنت الا بحر فسمى بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا وكان سرجه دفتان من ليف والسجل بكسر السين وسكون الجيم ذكره على بن محمد بن الحسين بن عبدوس الكوفى ولعله مأخوذ من قولك سجلت الماء فانسجل أى صببته فانصب وذواللمة بكسر اللام وتشديد الميم ذكره ابن حبيب وذوالعقال بضم العين المهملة وتشديد القاف وحكى بعضهم تخفيفها والسرحان بكسر المهملة وسكون الراء ذكره ابن خالويه والطرف بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ذكره ابن قتيبة في المعارف وذكر فى رواية أنه الذى اشتراه من الاعرابى وشهد له به خزيمة بن ثابت والمرتجل بكسر الجيم ذكره ابن خالويه من قولهم ارتجال الفرس ارتجالا اذا خلط العنق بشئ من الهملجة والمرواح بكسر الميم من أبنية المبالغة كالمطعام مشتق من الريح أو من الرواح لتوسعه فى الجرى أهداها له قوم من مذحج ذكره ابن سعد وملاوح بضم الميم وكسر الواو ذكره ابن خالويه والمندوب ذكره بعضهم فى خيله صلى الله عليه وسلم والنجيب ذكره ابن قتيبة وأن فى روايته أنه الذى اشتراه من الاعرابي وشهد له به خزيمة واليعبوب واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت فى كتاب الدلائل وكان سرجه دفتان من ليف وكان له عليه الصلاة والسلام من البغال دلدل بدالين مهملتين وكانت شهباء أهداها له المقوقس وفضة أهداها له فروة بن عمر والجذامى وأخرى أهداها له ابن العلماء صاحب أيلة وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشى قيل وأهدى له كسرى بغلة أخرى

وفى ذلك نظر لان كسرى مزق كتابه صلى الله عليه وسلم وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير عفير أهداه له المقوقس ويعفور أهداه له فروة بن عمرو ويقال هما واحد وذكر أن سعد بن عبادة أعطى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه وكان له عليه الصلاة والسلام من اللقاح القصواء وهى التى هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع وانما سميتا بذلك وقيل كان بأذنها عضب وقيل العضباء والجدعاء واحدة والعضباء هى التى كانت لاتسبق فجاء اعرابى على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام ان حقا على الله أن لايرفع من الدنيا شيأ الا وضعه وغنم عليه الصلاة والسلام يوم بدر جملا لابي جهل فى أنفه برة من فضة فأهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له ستة أعنز منائح ترعاهن ام أيمن

﴿ الفصل العاشر فى ذكر من وفد عليه صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه ﴾

قال النووى الوفد الجماعة المختارة للتقدم فى لقاء العظماء واحدهم وافد انتهى وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه الصلاة والسلام من الجعرانة فى آخر سنة ثمان وما بعدها وقال ابن اسحاق بعد غزوة تبوك وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود وقد سرد محمد بن سعد فى الطبقات الوفود وتبعه الدمياطى فى السيرة له وابن سيد الناس ومغلطاى والحافظ زين الدين العراقى ومجموع ماذكروه يزيد على الستين ﴿ فقدم عليه صلى الله عليه وسلم ﴾ وفد هوازن كما ذكره البخارى وغيره وذكر موسى ابن عقبة فى المغازى أن رسول الله لما انصرف من الطائف فى شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعنى سبى هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يارسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فأى الامرين أحب اليكم السبي أم المال قالوا يارسول الله خيرتنا بين الحسب والمال فالحسب أحب الينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير فقال أما لذى لبنى هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا الى المسلمين فى رد سبيهم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال قد رددت الذى لبنى هاشم عليهم وفى رواية ابن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يارسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يارسول الله ان اللواتى فى الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك وأنت خير مكفول ثم أنشد وجعل يقول

أمنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وندخر

الابيات المشهورة الآتية ان شاء الله تعالى وروينا فى المعجم الصغير للطبرانى من ثلاثياته عن زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السبي

والشاء أتيته فانشأت أقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وندخر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر * مشتت شملها فى دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * ياأرجح الناس حلما حين تختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك تملؤه من محضها الدرر
اذ أنت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يزينك ماتأتى وما تذر
لاتجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر
ياخير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا مااستوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هادى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولعبد المطلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله ومن بين الطبرانى وزهير لايعرف لكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم أنه منقطع وقد زاد الطبرانى على ماأورده ابن اسحاق خمسة أبيات وذكر الواقدى أن وفد هوازن كانوا أربعة وعشرين بيتافيهم أبو برقان السعدى فقال يارسول الله ان هذه الحظائر لامهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك فقال قد استأنيت بكم حتي ظننت أنكم لاتقدمون وقد قسمت السبي وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد ثقيف بعد قدومه عليه الصلاة والسلام من تبوك وكان من أمرهم أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف قيل له يارسول الله أدع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ولما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتي أدركه قبل أن يدخل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام فلما أشرف على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله ثم أقامت ثقيف بعد قتله أشهرا ثم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الاحلاف الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك وشرحبيل بن غيلان وثلاثة من بنى مالك عثمان بن أبي العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم قبة فى ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاصي هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا واكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذى كتبه وكان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللات

لا يهدمها ثلاث سنين فأبي عليهم عليه الصلاة والسلام الا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وكانوا سألوه مع ذلك أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم الا بايديهم فقال عليه الصلاة والسلام كسروا أوثانكم بايديكم وأما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه فلما أسلموا وكتبوا لهم الكتاب أمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سنا لكنه كان من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن فرجعوا الى بلادهم ومعهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها وأخذ المغيرة بعد أن كسرها مالها وحليها وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ النبي محمدا وان هذا أمر النبي محمد رسول الله وكتب خالد ابن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ووج واد بالطائف واختلف فيه هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره فالجمهور أنه ليس فى البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة وخالفهم أبو حنيفة فى حرم المدينة وقال الشافعى فى أحد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين أحدهما ما تقدم والثانى حديث عروة بن الزبير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام أحمد وأبو داود لكن فى سماع عروة من أبيه نظر وان كان قد رآه فى المغازى للمعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمه عمرو بن أوس عن عثمان بن أبي العاص قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك أنى كنت قرأت سورة البقرة فقلت يارسول الله ان القرآن يتفلت منى فوضع يده على صدرى وقال ياشيطان أخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده أريد حفظه وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عنى * وقدم وفد بنى عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما فرغ عليه الصلاة والسلام من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه فدخلوا فى دين الله أفواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه الصلاة والسلام بنو عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وخالد ابن جعفر وحيان بن أسلم بن مالك وكان هذا النفر رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد أن يغدر به فقال لاربد اذا قدمنا على الرجل فانى سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال عليه الصلاة والسلام اللهم اكفنى عامر بن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك أين ما كنت أمرتك به فقال والله ماهممت بالذى أمرتنى به الا دخلت بيني وبينه أفاضربك بالسيف ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله الله وفى صحيح البخارى ان عامرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخيرك بين ثلاث خصال تكون لك

أهل السهل ولى اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن فى بيت امرأة فقال أغدة كغدة البكر فى بيت امراة من بنى فلان ائتونى بفرسى فركب فمات على ظهر فرسه * وقدم وفد عبد القيس عليه زاده الله شرفا وفضلا لديه وهى قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون الى عبدالقيس بن أفصى بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن أعمى ابن دعمىّ بضم المهملة وسكون المهملة أيضا وكسر الميم بعدها تحتانية وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يارسول الله ان بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا فى شهر حرام فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا وندخل به الجنة قال آمركم بأربع وانهاكم عن اربع آمركم بالايمان بالله وحده أتدرون ماالايمان بالله شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن أربع عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم قال ابن القيم ففى هذه القصة أن الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعهم كلهم ذكر ذلك الشافعى فى المبسوط وعلى ذلك مايقارب مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج من هذه الخصال وكان قدومهم فى سنة تسع وهذا أحد مايحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد وأنه انما فرض فى العاشرة ولوكان فرض لعده من الايمان كما عد الصوم والزكاة انتهى وقد كان لعبد القيس وفدتان احداهما قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه الصلاة والسلام حال بيننا وبينك كفار مضر وكان ذلك قديما اما سنة خمس أوقبلها وكانت قريتهم بالبحرين وكان عدد الوفد الاول ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا اربعة عشر راكبا وفيها سألوه عن الايمان وعن الاشربة وكان فيهم الاشج وكان كبيرهم وقال له عليه الصلاة والسلام ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة رواه مسلم من حديث أبى سعيد وأخرج البيهقى بينما النبى صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه قال سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقوله عليه الصلاة والسلام ثم مشى معهم حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها الحديث وأخرجه البخارى فى الادب المفرد فيمكن أن يكون أحد المذكورين غير راكب أومرتد فالثانيتهما كانت فى سنة الوفود وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا كما فى حديث أبى خيرة الصباحى عند ابن منده ويؤيد التعدد ماأخرجه من وجه آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم مالى أرى ألوانكم تغيرت ففيه اشعار بأنه كان رآهم قبل التغير وفى قولهم يارسول الله دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين وكذا فى قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله أعلم ويدل على سبقهم الى الاسلام أيضا مافى البخارى أن أول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجوائى من البحرين وهى قرية لهم وانما جمعوا بعد رجوع وفدهم اليهم قال فى فتح البارى فدل على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام وماجزم به ابن القيم من أن السبب فى كونه لم يذكر الحج فى الحديث لانه لم يكن فرض هو المعتمد وقدمت الدليل على قدم اسلامهم

لكن جزمه تبعا للواقدي بأن قدومهم كان فى سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد لان فرض الحج كان سنة ست على الارجح لكنه اختار كغيره أن فرض الحج فى السنة العاشرة حتي لايرد على مذهبه أنه على الفور وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان فرض الحج كان بعد الهجرة وأنه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج فى سنة ثمان وفى سنة تسع ولم يحج الا فى سنة عشر وسيأتى فى حجه عليه الصلاة والسلام من مقصد عباداته مزيد لذلك ان شاء الله تعالى * فان قلت كيف قال أربع والمذكورات خمس * فاجاب القاضي عبد الوهاب تبعا لابن بطال بان الاربع ماعدا اداء الخمس قال وكأنه أراد اعلامهم بقواعد الايمان وفروض الاعيان ثم أعلمهم بما يلزمهم اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذذاك فرض عين قال ولذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره وقوله وان تعطوا معطوف على قوله بأربع أى آمركم بأربع وأن تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الاربع والاتيان بأن والفعل مع توجه الخطاب اليهم وقال القاضى أبو بكر بن العربي يحتمل أن يقال انه عليه الصلاة والسلام عد الصلاة والزكاة واحدة لانها قرينتها فى كتاب الله وتكون الرابعة أداء الخمس أو أنه لم يعد الخمس لانه داخل فى عموم ايتاء الزكاة والجامع بينهما أنه اخراج مال معين وقال البيضاوى الظاهر ان الأمور الخمسة هنا تفسير للايمان وهو أحد الاربعة الموعود بذكرها والثلاثة الاخرى حذفها الراوى اختصارا أو نسيانا وتعقب بأنه وقع فى صحيح البخارى أيضا فى رواية آمركم باربع شهادة أن لااله الاالله وعقد واحدة فدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال القرطبي قيل ان أول الاربع المامور بها اقام الصلاة وايتاء الزكاة وانما ذكر الشهادتين تبركا والى هذا نحا الطيبي فقال عادة البلغاء أن الكلام اذا كان منصوبا للغرض جعلوا سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا لم يكن الغرض فى الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتى الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون أن الايمان مقصور عليهما كما كان الامر فى صدر الاسلام قال ولهذا لم يعد الشهادتين فى الاوامر انتهى ملخصا من فتح البارى ﴿ وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب ﴾ فكان منزلهم فى دار امرأة من الانصار من بنى النجار فاتوا بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه فى يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتنى هذا العسيب الذى فى يدى ماأعطيتك وذكر حديثه ابن اسحاق على غير ذلك فقال حدثنى شيخ من أهل اليمامة من بنى حنيفة ان وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يارسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا يعنى لحفظه ضيعة أصحابه ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وقال انى أشركت فى الأمر معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وسجع اللعين على سورة انا أعطيناك الكوثر فقال

انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر وفى رواية انا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر وفى رواية انا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر فى الليالى الغوادر ولم يعرف المخذول أنه محروم عن المطلوب وسيأتى فى أوائل مقصد معجزاته عليه الصلاة والسلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد لذلك على ما ذكرته هنا ان شاء الله تعالى وقيل انه أدخل البيضة فى القارورة وادعى أنها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر أن النوشادر اذا ضرب فى خل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه بيضة بنت يومها يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل فى القارورة ويصب عليها الماء البارد فانها تجمد ولما سمع اللعين أن النبي صلى الله عليه وسلم مج فى بئر فكثر ماؤها وتفل فى عين على وكان أرمد فبرئ فتفل اللعين فى بئر فغار ماؤها وفى عين بصير فعمى ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها ولله در الشقراطيسى حيث يقول يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

أعجزت بالوحى أرباب البلاغة فى * عصر البيان فضلت أوجه الحيل
سألتهم سورة فى مثل حكمته * فتلهم عنه حين العجز حين تلى
فرام رجس كذوب أن يعارضه * بعى غى فلم يحسن ولم يطل
مثبج بركيك الافك ملتبس * ملجلج بزرى الزور والخطل
يمج أول حرف سمع سامعه * و يعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذ به * لبس من الخبل أو مس من الحبل
امرت البئر واغورت لمجته * فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شؤم راحته * من بعد ارسال رسل منه منهمل

فشبه هذا الكلام الذى عارض به مسيلمة بكلام امرأة ورهاء وهى الحمقاء التى تتكلم لحمقها بما لا يفهم فهى تهذى بكلام مشذب أى مختلط لا يقترن بعضه ببعض ولا يشبه بعضه بعضا ككلام من به خبل سكون الموحدة أى فساد أو مس من الخبل بفتحها أى جنون ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة واحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي وقد كان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد أشركت معك فى الامر وان لنا نصف الامر ولقريش نصف الامر فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وفى الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته وقدمها فى بشر كثير من قومه فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وانى لاراك الذى أريت فيه ما رأيت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عنى ثم انصرف قال ابن عباس

فسألت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم انك الذى أريت فيه ماراأيت فاخبرنى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى الله الى فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما بكذابين يخرجان من بعدى فهذان هما أحدهما العنسى صاحب صنعاء والآخر مسيلمة * فان قلت كيف يلتئم خبر ابن اسحاق مع الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة قومه أنه لو ساله القطعة من الجريد ما اعطاه * فالجواب أن المصير الى ما فى الصحيح أولى ويحتمل أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وكان رئيس بنى حنيفة غيره ولهذا أقام فى حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم أو القصة واحدة وكانت اقامته فى رحالهم باختياره أنفة منه واستكبارا أن يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الكرم على عادته فى الاستئلاف فقال لقومه انه ليس بشركم أى مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم وأراد استئلافه بالاحسان بالقول والفعل فلما لم يفد فى مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر اليه بالانذار والعلم عند الله تعالى ﴿ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طى وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم ﴾ فعرض عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم وقال عليه الصلاة والسلام ماذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون مايقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخير فخرج راجعا الى قومه فلما انتهى الى ماء من مياه نجد أصابته الحمى بها فمات قال ابن عبد البر وقيل مات فى آخر خلافة عمر وله ابنان مكنف وحريث أسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال أهل الردة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة فى ثمانين أو ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم أولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير فى أعناقكم فشقوه فنزعوه وألقوه وقدم عليه زاده الله شرفا لديه الاشعريون وأهل اليمن قيل هو من عطف الخاص على العام وقال الحافظ أبو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر المراد بهم بعض أهل اليمن وهم وفد حمير قال ووجدت فى كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو الحميرى أنه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من حمير فقالوا أتيناك لنتفقه فى الدين الحديث والحاصل ان الترجمة تشتمل على طائفتين وليس المراد اجتماعهما فى الوفادة فان قدوم الاشعريين كان مع أبى موسى فى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع وهى سنة الوفود ولهذا اجتمعوا مع بنى تميم وروى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون

غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه مسلم وفى البخارى ان نفرا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا يابنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء

نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يارسول الله جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وقوله وجاء نفر من أهل اليمن هم الاشعريون قوم أبي موسى وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الأزدى فأسلم وحسن اسلامه فى وفد من الازد فأمره عليه الصلاة والسلام على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وبها قبائل من قبائل العرب فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلا حتى اذا كان فى جبل لهم وظنوا أنه انما ولى عنهم منهزما خرجوا فى طلبه حتى أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان أهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين منهم فبينما هما عنده عليه الصلاة والسلام عشية فقال لهما عليه الصلاة والسلام ان بدن الله لتنحر عند شكر أى المكان الذى وقع به قتل قومهم قال فجلس الرجلان الى أبى بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعى لكما قومكما فخرجا الى قومهما فوجداهم قد أصيبوا فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم ﴿ وفد بنى الحارث ابن كعب ﴾ قال ابن اسحاق بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الاولى سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتي قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن عبد الله وقال لهم عليه الصلاة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم قيس ابن الحصين فرجعوا الى قومهم فى بقية من شوال أو من ذى القعدة فلم يمكثوا الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان فيهم مالك بن النمط وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم وذكروا له كلاما كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه الصلاة والسلام كتابا أقطعهم فيه ما سألوه وأمر عليهم مالك ابن النمط واستعمله على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف وكان لايخرج لهم سرح الا أغار عليه وروى البيهقى باسناد صحيح عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد أن يعقب مع على فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على ثم صفنا صفا واحدا

ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خرساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام على همدان وأصل الحديث فى صحيح البخارى وهذا أصح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطائف قاله ابن القيم فى الهدى النبوى ﴿وفد مزينة﴾ روى البيهقى عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة رجل من مزينة فلما أردنا ان ننصرف قال ياعمر زود القوم قال ماعندى الاشئ من تمر ماأظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله ثم أصعدهم الى علية فلما دخلنا فاذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت فى آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها ﴿وفد دوس﴾ وكان قدومهم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجه وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أن لاأسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغنى شئ من قوله قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل أماه والله انى لرجل لبيب شاعر مايخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن اسمع من هذا الرجل مايقول فان كان مايقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت يامحمد ان قومك قد قالوالى كذا وكذا فوالله مابرحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف أن لاأسمع قولك ثم أبى الله الاأن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض على أمرك فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يارسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانى راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية قال فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل المصباح قال قلت اللهم فى غير وجهى انى أخشى أن يقولوا انها مثلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم قال فتحول فوقع فى رأس سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم وأصبحت فيهم فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عنى ياأبت فلست منى ولست منك قال ولم يابنى قلت قد أسلمت وتابعت دين محمد قال يابنى فدينى دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ماعلمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قالت لم قلت فرق الاسلام بينى وبينك أسلمت وتابعت محمدا عليه الصلاة والسلام قالت فدينى دينك

فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يانبي الله انه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بارض دوس أدعوهم الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فاسهم لنا مع المسلمين وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن أبي حاتم بانه قدم مع أبي هريرة بخيبر وكأنها قدمته الثانية وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم فقال عليه الصلاة والسلام دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من اشرافهم والاربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وكان يعرف أمر النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند أهلها فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا فقال ان أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم وفي البخاري من حديث حذيفة جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه يعني يباهلاه فقال أحدهما لصاحبه لاتفعل وعند أبي نعيم أن القائل ذلك هو السيد وعند غيره بل الذي قال ذلك هو العاقب لانه كان صاحب رأيهم وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي أن الذي قال ذلك هو شرحبيل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه يعني باهلناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا زاد في رواية ابن مسعود أبدا ثم قالا انا نعطيك ماسألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا الا أمينا فقال لابعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم ياأبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الامة وفي رواية يونس بن بكير أنه صالحهم على ألفي حلة ألف في رجب وألف في صفر ومع كل حلة أوقية وساق الكتاب الذي بينهم مطولا وذكر ابن سعد أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك وأسلما وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف اذا أصر بعد ظهور الحجة ووقع ذلك لجماعة من العلماء سلفا وخلفا ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لاتمضي عليه سنة من يوم المباهلة ﴿ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسول فروة بن عمرو الجذامي ملك الروم ﴾ وكان منزله معان باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ولما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك الماء ﴿ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم ﴾ ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر روى البخاري من حديث أنس بن مالك قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال أيكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل

الابيض المتكئ فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك فقال انى سائلك فشدد عليك فى المسئلة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدالك فقال أسئلك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك الى الناس كلهم فقال اللهم نعم فقال انشدك بالله آلله أمرك أن تصوموا هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تاخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر وزاد ابن اسحاق فى مغازيه فقال آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيأ وأن نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدون فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلا جلدا أشقر ذا غديرتين ثم أتى بعيره وأطلق عقاله ثم خرج حتى أتي قومه فاجتمعوا اليه وكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى فقالوا مه ياضمام اتق البرص والجنون والجذام قال ويلكم انهما لايبصران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به وانى أشهد أن لااله الاالله وأن محمدا رسول الله وانى قد جئتكم من عنده بما آمركم به وانهاكم عنه فوالله ماأمسى فى ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة الامسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة ﴿ وفد طارق ابن عبد الله وقومه ﴾ روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال انى لقائم بسوق ذى المجاز اذ أقبل رجل وهو يقول ياأيها الناس قولوا لااله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول ياأيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بنى هاشم يزعم أنه رسول الله قال قلت من هذا الذى يفعل به هذا قالوا هذا عمه عبد العزى قال فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل فى طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ماحاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال أتبيعون جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ماصنعنا والله مابعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا قال تقول المرأة التي معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم وفى رواية ابن اسحاق قالت الظعينة فلا تلاموا لقد رأيت وجه رجل لايغدر بكم مارأيت شيأ أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه اذ أقبل رجل فقال أنا رسول رسول الله اليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا فاكلنا حتي شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فادركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى ﴿ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد تجيب ﴾ وهم من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر عليه الصلاة والسلام بهم وأكرم منزلهم وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه فامر بلالا فاجازهم بارفع مما كان يجيز به الوفود قال هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال أرسلوه

الينا فلما اقبل الغلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان حاجتى ليست كحاجة أصحابى وان كانوا راغبين فى الاسلام والله ماأخرجنى من بلادى الا أن تسأل الله أن يغفرلى ويرحمنى وأن يجعل غناى فى قلبى فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اغفرله وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له بما أمر به لرجل من أصحابه ثم انطلقوا راجعين الى اهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يارسول الله مارأينا مثله قط ولا حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا مانظر نحوها ولا التفت اليها ﴿وفد وفد بنى سعدهذيم من قضاعة﴾ روى الواقدى عن ابن النعمان عن أبيه من سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا فى نفر من قومى فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا أصغرنا فبعث عليه الصلاة والسلام فى طلبنا فاتى بنا اليه فتقدم صاحبنا اليه فبايعه على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليك قال فكان والله خيرنا واقرأنا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمره علينا فكان يؤمنا مرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام ﴿وفد بنى فزارة﴾ قال ابو الربيع بن سالم فى كتاب الاكتفاء ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس ابن اخى عيينة بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف فسألهم عليه الصلاة والسلام عن بلادهم فقال احدهم يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب جنابنا وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا أنا شفعت الى ربي عز وجل فمن الذى يشفع ربنا اليه لااله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهى تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه الصلاة والسلام ان الله عز وجل ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي يارسول الله ويضحك ربنا عز وجل قال نعم فقال الاعرابى لن نعدمك من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتي رىء بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لاسقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء الحديث ورواه ابن سعد والبيهقى ويأتى تمامه ان شاء الله تعالى فى الاستسقاء فى قصد عباداته عليه الصلاة والسلام ﴿وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بنى أسد﴾ عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه فقال متكلمهم يارسول الله انا شهدنا أن الله وحده لاشريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك ولم تبعث الينا بعثا فأنزل الله تعالى يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ﴿وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه وفد بهراء من اليمن﴾ وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد رحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس فأكلوا منها حتي نهلوا وردت القصعة وفيها شئ فجمع فى قصعة صغيرة

وأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة فأصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم أكل منها الضيف ماأقاموا يرددون ذلك عليهم وما تغيض حتى جعلوا يقولون ياأبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أكل منها وردها وأن هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد أنه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهليهم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا اثني عشر رجلا منهم جمرة بن النعمان فرحب بهم عليه الصلاة والسلام فأسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ثم انصرفوا وقد أجيزوا ﴿وقدم عليه سلام الله عليه وفد بلى﴾ فأسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أجازهم ﴿وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني مرة﴾ وكانوا ثلاثة عشر رجلا ورئيسهم الحارث بن عوف فقال لهم عليه الصلاة والسلام كيف البلاد فقالوا والله انا لمسنتون فادع الله لنا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اسقهم الغيث ثم أقاموا أياما ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد أمطرت في ذلك اليوم الذى دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وقدم عليه زاده الله شرفا لديه وفد خولان في شعبان سنة عشر﴾ وكانوا عشرة فقالوا يارسول الله نحن مؤمنون بالله مصدقون برسول الله وقد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال عليه الصلاة والسلام أما ماذكرتم من مسيركم الى فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة ثم قال عليه الصلاة والسلام ما فعل صنم خولان الذى كانوا يعبدونه قالوا بدلنا الله به ماجئت به الا أن عجوزا وشيخا كبيرين يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى ثم علمهم عليه الصلاة والسلام فرائض الدين وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الامانة وحسن الجوار وأن لايظلموا أحدا ثم أجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا الصنم ﴿وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع﴾ وكانوا أغلظ العرب وأفظهم عليه أيام عرضه على القبائل يدعوهم الى الله فجاءه عليه الصلاة والسلام منهم عشرة فأسلموا ثم انصرفوا الى أهليهم ﴿وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد صداء في سنة ثمان﴾ وذلك أنه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة وأمره أن يطأ ناحية من اليمن فيها صداء فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اردد الجيش وأنا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكره الواقدى وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي أنه الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وقال كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنه عليه الصلاة والسلام قال له ياأخا صداء هل معك ما قلت معي شئ

فى اداوتى فقال صبه فصببته فى قعب ثم وضع عليه الصلاة والسلام كفه فيه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه عينا تفور ﴿ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غسان فى شهر رمضان سنة عشر ﴾ وكانوا ثلاثة نفر فأسلموا وأجازهم عليه الصلاة والسلام بجوائز وانصرفوا راجعين وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد سلامان فى شوال سنة عشر كما قال الواقدى وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فأسلموا وشكوا اليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وأمر لهم بالجوائز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد أمطرت فى اليوم الذى دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة وقدم عليه وفد بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لااسلام لمن لاهجرة له ولنا أموال ومواش فان كان لا اسلام لمن لاهجرة له بعناها وهاجرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيأ ﴿ وقدم عليه وفد غامد سنة عشر ﴾ وكانوا عشرة فأقروا بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وأمر أبى ابن كعب فعلمهم قرآنا وأجازهم عليه الصلاة والسلام وانصرفوا ﴿ وقدم عليه وفد الازد ﴾ ذكر أبو نعيم فى كتاب معرفة الصحابة وأبو موسى المدينى من حديث أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى قال حدثنى علقمة بن يزيد بن سويد الازدى قال حدثنى أبى عن جدى قال وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه مارأى من سمتنا وزينا فقال ماأنتم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره منها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ماالخمس التى أمرتكم بها رسلى قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها قلنا أمرتنا أن نقول لااله الا الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء كادوا من تفقههم أن يكونوا أنبياء ثم قال وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها ﴿ وقدم عليه وفد بنى المنتفق ﴾ روى عبد الله ابن الامام أحمد فى مسند أبيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة أبا رزين العقيلى المعدود فى أهل الطائف خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم ابن مالك بن المنتفق فوافيناه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيبا فقال ياأيها الناس الا انى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام لتسمعوا اليوم الا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ثم لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه

ألا وانى مسئول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا الحديث وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يارسول الله علىم أبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لاتشرك بالله شيئا الحديث ﴿ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد النخع ﴾ وهم آخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم فى نصف المحرم سنة احدى عشرة فى مائتي رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل منهم يقال له زرارة ابن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفري هذا عجبا قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جديا أسفع أحوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال يارسول الله مابالُه أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه قال هل بك من برص تكتمه قال والذى بعثك بالحق نبيا ماعلم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذلك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان مد لجيان ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء ان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك قال يارسول الله ادع الله أن لاأدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لايدركها فمات فبقى ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضى الله عنه انتهى ملخصا من الهدى النبوى والله الموفق وسيأتى هذا فى تعبيره ان شاء الله تعالى صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن

﴿ المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله وسلم عليه وفيه أربعة فصول ﴾

﴿ الأول ﴾ فى كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اعلم ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمى مثله فيكون مايشاهد من خلق بدنه آيات على مايتضح لك من عظيم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم اخلاق نفسه آيات على ماتحقق له من سر قلبه المقدس ولله در الابوصيرى حيث قال

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعنى حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذى تم معناه دون غيره وهى غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما وفى الأثر أن خالد بن الوليد خرج

فى سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحى صف لنا محمدا فقال اما انى افصل فلا فقال الرجل اجمل فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير فى اسرار الاسراء فمن ذا الذى يصل قدره ان يقدر قدر الرسول أو يبلغ من الاطلاع على مأثور احواله المأمول والمسؤل وقد حكى القرطبي فى كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد احسن الابوصيرى ايضا حيث قال

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد فيه غير منفحم

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

﴿ وهذا مثل قوله ايضا ﴾

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لامطلقا ولقد بين عيب التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

تتيه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كأنهما الامير

لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة فى حقه عليه الصلاة والسلام انما هى على سبيل التقريب والتمثيل والا فذاته أعلى ومجده أغلى * فأما رأسه الشريف المقدس فحسبك ماذكره الترمذى فى جامعه بسنده الى هند بن أبى هالة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة وقال نافع بن جبير وصف لنا على رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان عظيم الهامة * وأما وجهه الشريف فحسبك ماروى الشيخان من حديث البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير البائن وعن أبى هريرة مارأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه رواه الترمذى والبيهقى وأحمد وابن حبان قال الطيبى شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من تناهى التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل

لم لايضئ بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر

فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفى البخارى سئل البراء أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لابل مثل القمر وكان السائل أراد مثل السيف فى الطول فرد عليه البراء فقال بل مثل القمر أى فى التدوير ويحتمل ان يكون أراد مثل السيف فى اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وقال الحافظ النسابة أبو الخطاب بن دحية رحمه الله تعالى فى كتابه التنوير فى مولد البشير النذير صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم عند ايراد حديث البراء المذكور مالفظه ففى هذا الحديث من العلم أن التشبيه ممن لايحسنه لايصلح الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان أولى فرد عليه البراء قوله وقال بل مثل القمر وأبدع فى تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل يسرع والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس التى تغشى البصر وتحجب للناظر الفرد انتهى وفى رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لابل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على أنه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به الطول ويحتمل أن يريد به اللمعان كما تقدمت اليه الاشارة فيما سبق من العبارة فرده المسؤل ردا بليغا ولما جرى التعارف به من أن التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا الاشراق وبالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا أشار به الى أنه أراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة وقال المحاربى عن أشعث عن ابن اسحاق عن جابر بن سمرة أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة اضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو أحسن فى عينى من القمر وفى رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر وروى الترمذى والبيهقى عن على أنه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم كان فى وجهه تدوير والمكلثم المدور الوجه أى لم يكن شديد تدوير الوجه بل فى وجهه تدوير قليل وفى حديث على عند أبى عبيد فى الغرائب وكان فى وجهه تدوير قليل قال أبو عبيد فى شرحه يريد أنه ما كان فى غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهى أحلى عند العرب وفى حديث أبى هريرة عند الذهلى فى الزهريات فى صفته صلى الله عليه وسلم كان أسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة فى الخد الاستطالة وأن لايكون مرتفع الوجنة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ولعل هذا هو الحامل لمن سأل أكان وجهه مثل السيف وأخرج البخارى عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه أى الموضع الذى يتبين فيه السرور وهو جبينه وقالت عائشة رضى الله عنها دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر وفى حديث جبير بن مطعم عند الطبرانى التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد أخرج الطبرانى حديث كعب بن مالك من طرق فى بعضها كأنه دارة القمر ويسأل عن السر فى التقييد بالقطعة مع كثرة ماورد فى كثير من كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن مالك قائل هذا من شعراء الصحابة فلا بد فى التقييد بذلك من حكمة وما قيل فى أن ذلك من الاحتراز عن السواد الذى فى القمر ليس بقوى لان المراد بتشبيهه مافى القمر من الضياء والاستنارة وهو فى تمامه لايكون فيها أقل مما فى القطعة المجردة فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر اخرجه أبو نعيم وروى البيهقى عن أبي اسحاق الهمدانى عن امرأة من همدان سماها قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم مرات فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه

الى فه فيقبله قال أبو اسحاق فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وروى الدارمى والبيهقى وأبو نعيم والطبرانى عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ صفى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وفى لفظ قالت يابنى لو رأيته رأيت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبي الطفيل انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وفيما أخرجه الترمذى من حديث هند بن أبى هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها أبلج الوجه أى مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا أسفر وما أحسن قول سيدى على بن وفا حيث قال

ألا ياصاحب الوجه المليح * سألتك لاتغيب فأنت روحى

متى ماغاب شخصك عن عيانى * رجعت فلا ترى الا ضريحى

بحقك جد لرقك ياحبيبي * وداو لوعة القلب الجريحى

ورق لمغرم فى الحب أمسى * وأصبح بالهوى دنفا طريحى

محب ضاق بالاشواق ذرعا * وآوى منك للكرم الفسيحى

وفى النهاية أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا سر فكأن وجهه المرآة وكان الجدر تلاحك وجهه قال والملاحكة شدة الملاءمة أى يرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وذلك لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير أذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التى تغشي البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر أبلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما قال الفاروق رضى الله عنه حين رآه أو كلما رآه

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ولهذا أنشدوا لما قدم المدينة

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

ولقد أحسن من قال

كالبدر والكاف ان أنصف زائدة * فيه فلا تظنها كافا لتشبيه

وما أحلى قول ابن الحلاوى

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه * وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط

كما شبهوا غصن النقا بقوامه * لقد بالغوا فى المدح للغصن واشتطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على أن هذه التشبيهات الواردة فى صفاته عليه الصلاة والسلام انما هى على عادة الشعراء والعرب والافلا شئ فى هذه الحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در امام العارفين سيدى محمد وفا الشاذلى المالكى رحمه الله حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش * كم فيه للارواح راح مسكر
سبحان من أنشاه من سبحانه * بشرا باسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
هـذا وحقك ماله من مشبه * وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتي عظيم الذنب فى تشبيهـه * لولا لرب جمـاله يستغفـر
فخر المـلاح بحسنهم وجمالهم * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجمـاله مجـلى لكل جميلة * وله منـار كل وجه نير
جنات عـدن فى جنى وجناته * ودليله أن المراشف كوثر
هيهات ألهو عن هواه بغيره * والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغـرام على فى أسفاره * كتبا تؤول بالهـوى وتفسر
فدعى الدعى وما ادعاه فى الهوى * فدعيـه بالهجر فيـه يهجر
وعليك بالعـلم العليـم فانه * لخطيبه فى كل خطب منبر

* وأما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله فى كتابه العزيز بقوله مازاغ البصر وماطغى وعن ا: عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى فى النهار فى الضو رواه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلماء كما ير: فى الضوء رواه البيهقى وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هاهنا فوالله مايخ على ركوعكم ولا سجودكم انى لارا كم من وراء ظهرى رواه البخارى ومسلم وعند مسلم من رواية أنس أ صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى أرا كم من أمامى ومن خلفى وع مجاهد فى قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدى فى مسنده وابن المنذر فى تفسيره وهذه الرؤية رؤ. ادراك و لرؤية لاتتوقف على وجود آلتها التى هى العين عند أهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة وهذا بالنسب الى القديم العالى أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية فى حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهـذ كان خرق عادة فى حقه عليه الصلاة والسلام وخالق البصر فى العين قادر على خلقه فى غيرها قال الغزالى وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالة على مافى حقيقة أمره فى الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته لمـ عرف بربه لابنفسه اطلعه الله على مابين يديه مما تقدم من أمر الله وعلى ماوراء الوقت مما تأخر من أمر الله فلما كان على ذلك من الاحاطة فى ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فى مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صـلى الله عليه وسلم انتهى ومن الغريب ماذكره الزاهدى مختار محب بن محمود شارح القدورى فى رسالته الناصر أنه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب وقيل بل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته كما تنطبع فى المرآة أمثلتهم فيها ليشاهد أفعالهم وهذا ان كان نقلا عن الشار

عليه الصلاة والسلام بطريق صحيح فمقبول والافليس المقام مقام رأى على أن الاقعد فى اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله أعلم وقد ذهب بعضهم الى أن هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بأن يوحى الله اليه كيفية فعلهم واما بأن يلهم والصحيح والصواب ما تقدم وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم ماذكره ابن الجوزى فى بعض كتبه بغير اسناد أنه صلى الله عليه وسلم قال انى لا أعلم ماوراء جدارى هذا فان صح فالمراد منه نفى العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان وأجيب بأن الاحاديث الاول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة ويحمل المطلق منها على المقيد وأما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفى العلم هنا عن الغيب وذاك عن مشاهده وفى المقاصد الحسنة للحافظ شمس الدين السخاوى حديث ماأعلم ماخلف جدارى هذا قال شيخنا يعنى شيخ الاسلام ابن حجر لاأصل له قلت ولكنه قال فى تلخيص تخريج أحاديث الرافعى عند قوله فى الخصائص ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه هو فى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره والاحاديث الواردة فى ذلك مقيدة بحالة الصلاة وبذلك يجمع بينه وبين قوله لاأعلم ماوراء جدارى هذا انتهى قال شيخنا وهذا مشعر بوروده وعلى تقدير وروده لاتنافى بينهما لعدم تواردهما على محل واحد فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات التى فى زمانه وبعده ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب أن نفى العلم فى هذا ورد على أصل الوضع وهو أن علم الغيب مختص بالله تعالى وماوقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحى أو الهام ويدل على ذلك الحديث الذى فيه أنه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم أنه يخبركم عن خبر السماء وهو لايدرى أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله انى لاأعلم الا ماعلمنى ربى وقد دلنى ربى عليها وهى فى موضع كذا وكذا حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما أخبر صلى الله عليه وسلم فصح انه لايعلم شيأ وراء جداره الا ماعلمه ربه تبارك وتعالى وذكر القاضى عياض فى الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريا أحد عشر نجما وعند السهيلى اثنى عشر وفى حديث ابن أبى هالة واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وهى مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذى يلى الصدغ وأما الذى يلى الانف فالموق والماق وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد أنه لايسارق النظر وقيل لايلوى عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشئ وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا قاله ابن الاثير وعن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العين بحمرة رواه البيهقى وعن جابر ابن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين منهوس القدمين رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون فى بياض العين وهو محمود محبوب وأما الشهلة فانها حمرة فى سوادها وهذا هو الصواب لاما فسره به بعضهم بأنه طول شق العين وعند الترمذى فى حديث عن على أنه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان فى وجهه تدوير أبيض مشرب بحمرة أدعج العينين أهدب الاشفار الحديث والادعج الشديد سواد الحدقة والاهدب الطويل الاشفار وهى شعر العين وعنده ايضا عن

على قال كان أسود الحدقة أهدب الاشفار وعن على بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما على الناس وحبر من أحبار اليهود واقف بيده جفر ينظر فيه فلما رآنى قال صف لى أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث وفيه قال على ثم سكت فقال الحبر وماذا قلت هذا مايحضرنى قال الحبر فى عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال على هذه والله صفته قال الحبر فانى أجد هذه الصفة فى سفر آبائى وانى اشهد أنه نبى وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث * وأما سمعه الشريف فحسبك أنه قال صلى الله عليه وسلم انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذى من رواية أبى ذر وما رواه أبو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه إذ قال لهم تسمعون ماأسمع قالوا مانسمع من شئ قال انى لاسمع اطيط السماء وماتلام أن تئط ومافيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أوقائم وأما جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه على كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين أى واضحه والقرن اتصال شعر الحاجبين وعند البيهقى عن رجل من الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القائل

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نونا تهاسينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه * منضر الحسن قد قات نظائره

وقال ابن أبى هالة أزج الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر ثم قال سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أى يمتلئ دما اذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنا اذا در قاله فى النهاية وعن مقاتل بن حيان قال أوحى الله الى عيسى عليه الصلاة والسلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد وعلى فتوكل فسر لاهل سوران انى أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول صدقوا النبى الامى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه كأن عنقه ابريق فضة الحديث والانجل الواسع شق العينين والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين وماوصفه به ابن أبى هالة مخالف لما فى حديث مقاتل بن حيان وما فى حديث ام معبد فانها قالت أزج أقرن أى مقرون الحاجبين قال ابن الاثير والاول هو الصحيح فى صفته يعنى سوابغ فى غير قرن والقنى فى الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وقد وصفه عليه الصلاة والسلام غير واحد بانه كان عظيم الهامة أى الرأس كذا فى حديث ابن أبى هالة المشهور وقال على بن أبى طالب فى حديث رواه الترمذى وصححه والبيهقى ضخم الرأس وكذا قال أنس فى رواية البخارى وكان عليه الصلاة والسلام ايضا ضخم الكراديس وهى رؤس العظام كما وصفه به على فى حديث الترمذى وقال أيضا فى رواية الترمذى جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين اى عظيمها

والكتد بفتحتين ويجوز كسر التاء مجتمع الكتفين وكان عليه الصلاة والسلام دقيق العرنين اى أعلى الانف كما وصفه به على فى رواية ابن سعد وابن عساكر وفى رواية أيضا عن ابن عمر من وصف على له ايضا اقنى الانف وفسر بالسائل المرتفع وسطه وقال ابن ابى هالة اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم والاشم الطويل قصبة الانف وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففى مسلم من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم يعنى واسعه وكذا وصفه به ابن ابى هالة وزاد يفتتح الكلام ويختمه باشداقه يعنى لسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقال شمر عظيم الاسنان وفى حديث عند البزار والبيهقى قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين واسع الفم ووصفه صلى الله عليه وسلم ابن ابى هالة فقال اشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحديدها وافلج الاسنان اى متفرقها وقال على مبلج الثنايا بالموحدة اخرجه ابن سعد من حديث ابى هريرة وعند ابن عساكر عن على براق الثنايا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رىء كالنور يخرج من ثناياه رواه الترمذى فى الشمائل والدارمى والطبرانى فى الاوسط وكان عليه الصلاة والسلام احسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم

بحر من الشهد فى فيه مراشفه * ياقوته صدف فيه جواهره

وعن ابى قرصافة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامى وخالتى فلما رجعنا قالت لى امى وخالتى يا بنى ما راينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا أنقى ثوبا ولا الين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه وأما ريقه الشريف ففى الصحيحين عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها قال ابن على بن أبى طالب فقالوا هو يا رسول يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه وأتى بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب فى البئر أو قال مج فى البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه أحمد وابن ماجه من حديث وائل بن حجر وبزق فى بئر فى دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها رواه أبو نعيم وكان عليه الصلاة والسلام يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل فى افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزئهم رواه البيهقى ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هى واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمصغنها كل واحدة منهن قطعة قطعة فلقين الله وما وجدن لافواههن خلوفا رواه الطبرانى ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى فما كان يشم أطيب منه رائحة رواه الطبرانى واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدى محمد وفا الشاذلى حيث يقول

جنى النحل فى فيه وفيه حياتنا * ولكنه من لى بلثم لثامه
رحيق الثنايا والمثانى تنفست * اذا قال فى فيح بطيب ختامه

* وأما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كأن كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الارواح

ينظم در الثغر نثر مقوله * فيا حسنه فى نثره ونظامه
يناجي فينجي من يناجي من الجوى * فكل كليم برؤه فى كلامه

ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لايدرك مداها ومنزلة لايداني منتهاها وكيف لايكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو به اليه عباده فهو ينطق بحكمه عن أمره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ وأنصحهم اذا وعظ لايقول هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما ويمتثل شرعا وحكما لايتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجزل منه فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ان يكون احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا وأوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذاء مسرع لايحفظ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لوعده معاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتحفظ عنه وكان يقول أنا أفصح العرب وان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر بن الخطاب يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة اسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها رواه أبو نعيم وروى العسكرى فى الامثال من حديث على بسند ضعيف جدا قال قدم بنونهد على النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يانبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان مانفهم أكثره فقال ان الله عز وجل أدبني فاحسن أدبي ونشأت فى بنى سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيه عن جده قال قال رجل يارسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له ابو بكر يارسول الله ما قال لك وما قلت له قال قال أيماطل الرجل أهله قلت له نعم اذا كان مفلسا قال أبو بكر يارسول الله لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبني ربى ونشأت فى بنى سعد رواه السرقسطى فى الدلائل بسنده وكذا أخرجه ابن عساكر قال فى القاموس والدالك أى ماطله انتهى وقوله ملفجا بضم الميم وفتح الفاء اسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو غير مقيس ومثله أحصن فهو محصن وأسهب فهو مسهب فى ألفاظ شذت والقياس الكسر قاله ابن مرزوق لكن قال ابن الاثير لم يجئ الا فى ثلاثة أحرف أسهب وأحصن وألفج وقال غيره معناه أيداعب الرجل امرأته يعنى قبل الجماع وسماه مطلا لكون غرضها الاعظم الجماع قال اذا كان عاجزا يكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمى مفلسا وقال ابن الاثير يماطلها بمهرها اذا كان فقيرا وأما مايروى انا افصح من نطق بالضاد فقال ابن كثير لااصل له انتهى لكن معناه صحيح والله أعلم وقد حدوا الفصاحة بخلوص الكلمة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدائره مستشزرات الى العلا * فان

السين والشين والثاء والزاى كلها متقاربة المخارج والغرابة كون الكلمة لاتدل على المراد من أول وهلة لاحتمال معنى آخر ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير قياس كابقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلى الاجلل والفصاحة يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة أن يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة ففصاحته عليه الصلاة والسلام الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المزية والزيادة التى تصدع القلوب قبل الاذهان وتقرع الجوانح قبل الآذان مما يروق ويفوق ويثبت له على سائر البشر التفوق التي لاتقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم وبدائع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الامر والامثال السائره والغرر السائله والدرر المنثوره والدرارى المأثوره والقضايا المحكمه والوصايا المبرمه والمواعظ التي هى على القلوب محكمه والحجج التى هى للسد الخصماء مفحمه ملجمه وقايل هذا الوصف فى حقه صلى الله عليه وسلم عليه وزاده فضلا وشرفالديه وقد روى الحاكم فى مستدركه وصححه من حديث ابن عباس أن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفاء للقاضى عياض من ذلك مايشفى العليل كقوله صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم المرء مع من أحب وقوله أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره ومما لم يذكره القاضى رحمه الله قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات رواه الشيخان وغيرهما وقوله ليس للعامل من عمله الا مانواه وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم لهذا قال الشافعى رحمه الله حديث الاعمال بالنيات يدخل فى نصف العلم وذلك أن للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال بعض الائمة حديث الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه أن الدين قول وعمل ونية وقوله نية المرء خير من عمله رواه الطبرانى لكن قال بعضهم لايصح رفعه قال ورواه القضاعى عن اسماعيل بن عبد الرحمن الصفار أخبرنى على بن عبد الله الفضل حدثنا محمد بن الحنفية الواسطى حدثنا محمد بن عبد الله الحاجي حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المؤمن أبلغ من عمله قال وهذا سند لاضوء عليه ويوسف بن عطية متروك الحديث ورواه عثمان بن عبد الله الشامى من حديث النواس بن سمعان وقال نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال ابن عدى عثمان بن عبد الله الشامى له أحاديث موضوعات هذا من جملتها وقال ابن الجوزى لايصح رفعه قال ومعناه ان النية سر والعمل ظاهر و العمل السر أفضل وهو يقتضى أنه لو نوى أن يذكر الله أو يتفكر تكون نية الذكر والتفكر خيرا منه وليس بصحيح وقيل ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهذا بعيد لان العمل اذا خلا عن النية لم يكن فيه خير أصلا وقيل ان النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب أمير الجوارح وبينه وبينها علاقة فاذا تألمت تألم القلب واذا تألم القلب تألمت فارتعدت الفرائص وتغير اللون فانه الملك الراعى والجوارح جيشه ورعيته وعمل الملك أبلغ من عمل رعيته وقيل لما كانت النية أصل الاعمال كلها وروحها ولبها والاعمال تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها وهى التى تقلب

العمل الصالح فتجعله فاسدا وغير الصالح فجعله صالحا مثابا عليه ويثاب عليها أضعاف مايثاب على العمل فلذا كانت نية المؤمن خيرا من عمله وقال أبو بكر بن دريد فى مجتباه المعنى والله أعلم أن المؤمن ينوى الاشياء من أبواب البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك فلعله يعجزه عن بعض ذلك وهو معقود النية عليه فنيته خير من عمله وقوله ياخيل الله اركبي رواه أبو الشيخ فى الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكرى عن أنس وابن عائذ فى المغازى عن قتادة ولفظه عند ابن عائذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يعنى يوم الاحزاب مناديا ينادى ياخيل الله اركبي قال العسكرى وابن دريد فى مجتباه وهذا على المجاز والتوسع أراد يافرسان خيل الله اركبي فاختصره وقوله الولد للفراش وللعاهر الحجر رواه الشيخان والمعنى والله أعلم أن حظ العاهر الحجر ولاشئ له فى الولد وقيل اراد أن حظه الغلظة والخشونة من اقامة الحد التى نهايتها رميه بالحجر وقيل أراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة على الولد اذا لم تكن المرأة زوجا له والله أعلم وقوله كل الصيد فى جوف الفرا وهو بفتح الفاء حمار الوحش رواه الرامهرمزى فى الامثال وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند العسكرى وقال جوف أوجب وهذا خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن الحارث بن عبد المطلب حين جاءه مسلما بعد أن كان عدوا له وهجا كثير الهجاء مقذعا فيه فكأنه يقول صلى الله عليه وسلم ان الحمار الوحشى من أعظم مايصاد وكل صيد دونه كما أنك من أعظم أهلى وأمسهم رحما بي ومن أكرم من يأتينى وكل دونك انتهى وقوله الحرب خدعة رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال سمى النبى صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى وقوله خدعة مثلث الخاء أشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال ثعلب وغيره وهى لغة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخاء واسكان الدال والثالثة ضم الخاء وفتح الدال قال النووى اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب كيف أمكن الا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لما بعث نعم بن مسعود وأمره أن يخذل بين قريش وغطفان واليهود وأشار بذلك الى أن المماكرة أنفع من المكاثرة وقوله اياكم وخضراء الدمن رواه الرامهرمزى والعسكرى فى الامثال وابن عدى فى الكامل وأبو بكر بن دريد فى المجتبى والقضاعى فى مسند الشهاب والديلمى من حديث الواقدى قال حدثنا محمد بن سعيد بن دينار عن أبى وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى سعيد مرفوعا قيل يارسول الله وما ذا قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء قال ابن عدى تفرد به الواقدى ومعناه أنه كره نكاح الفاسدة وقال ان أعراق السوء تنزع أولادها وتفسير حقيقته أن الريح تجمع الدمن وهو البعر فى البقعة من الارض ثم يركبه السافى فاذا أصابه المطر أنبت نبتا غضانا عما يهتز وتحته الاصل الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا والدمن جمع دمنة وهى البعرة وأنشد زفر بن الحارث

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ومعنى البيت أن الرجلين قد يظهر ان الصلح والمودة وينطويان على البغض والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن وهذا أكثرى أو كلى فى زماننا أشار اليه شيخنا وقوله الانصار كرشى وعيبتى رواه البخارى

أى انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لان المجتر يجمع علفه فى كرشه والرجل يضع ثيابه فى عيبته وقيل هم الذين أعتمد عليهم وأفزع اليهم وأقوى بهم وقيل أراد بالكرش الجماعة أى جماعتى وصحابتى ويقال عليه كرش من الناس أى جماعة ووقع فى رواية الترمذى ألا ان عيبتي التي آوى اليها أهل بيتى وان كرشى الانصار وقوله ولا يجنى على المرء الا يده رواه الشيخان ولاحمد وابن ماجه من حديث عمرو بن الاحوص لايجنى جان الا على نفسه وقد أراد صلى الله عليه وسلم بهذا أنه لايؤخذ انسان بجناية غيره ان قتل أو جرح او زنا وانما يؤخذ بما جنته يده فيده هى التى أدته الى ذلك وقوله ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب يعنى أنه اذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه ولذلك قال أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة الغضب فقهرها بحامه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذى يصرع الرجال ولايصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه أحمد وابن منيع والطبرانى والعسكرى وقوله المجالس بالامانة رواه العقيلى فى ترجمة حسين بن عبدالله بن ضمرة عن أبيه عن جده عن على رفعه وعن جابر بن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت فهى أمانة ورواه أبوداود فى سننه والترمذى فى جامعه وابن أبى الدنيا فى الصمت وغيرهم ففى هاتين الكلمتين من الحمل على آداب العشرة وآداب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن العهد واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنان مالا يكاد يخفى على مبادى الاذهان وقوله البلاء موكل بالمنطق رواه ابن أبي شيبة والبخارى فى الادب المفرد من رواية ابراهيم عن ابن مسعود ورواه الديلمى عن أبى الدرداء مرفوعا البلاء موكل بالمنطق وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أبى الدرداء وابن مسعود قال شيخنا فى المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ماذكرناه الحكم عليه بالوضع ويشهد لمعناه قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابى الذى دخل عليه يعوده وقال لابأس طهور فقال الاعرابى بل هى حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال صلى الله عليه وسلم فنعم اذا وأنشد فى معناه

لا تنطقن بما كرهت فربما * نطق اللسان بحادث فيكون

وقوله عليه الصلاة والسلام ترك الشر صدقة ومعنى ذلك أن من ترك الشر وأذى الناس فكانه تصدق عليهم وعلم من ذلك أن فضل ترك الشر كفضل الصدقة وقوله أى داء أدوأ من البخل رواه البخارى والبخل قد جعله صلى الله عليه وسلم داء وليس بداء مؤلم لصاحبه وانما شبهه بالداء اذ كان مفسدا للرجل مورثاله سوء الثناء كما أن الداء يؤول الى طول الضنا وشدة العنا والقصد من هذا النهى عن البخل أعاذنا الله منه وقوله لاينتطح فيها عنزان أى لايجرى فيها خلف ولانزاع وقوله الحياء خير كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع رواه فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وقوله سيد القوم خادمهم رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى آداب الصحبة له عن عقبة بن عامر رفعه وفى سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره أيضا وقوله فضل العلم خير من فضل العبادة رواه الطبرانى والبزار وقوله

الخيل فى نواصيها الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وفى لفظ لغيرهما معقود بنواصيها الخير وقوله أعجل الاشياء عقوبة البغى وقوله وان من الشعر لحكما رواه أبو داود من رواية صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أما قوله ان من البيان لسحرا فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله ان من العلم جهلا فتكلف العالم الى علمه ما لم يعلم بجهله وأما قوله ان من الشعر حكما فى هذه المواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس ومفهومه أن بعض الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية وفى البخارى ان من الشعر حكمة أى قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبرى وفى هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود الشعر مزامير الشيطان وعن أبى أمامة رفعه أن ابليس لما أهبط الى الارض قال رب اجعل لى قرآنا قال قرآنك الشعر ثم أجاب عن ذلك بأنها أحاديث واهية وهو كذلك لحديث أبى أمامة فيه على بن زيد الالهانى وهو ضعيف وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الافراط فيه والاكثار منه ويدل على الجواز أحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخارى فى الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن أبيه استنشدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر أمية بن أبى الصلت فأنشدته مائة قافية وقوله الصحة والفراغ نعمتان رواه البخارى وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود رواه الطبرانى فى معاجيمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه وأخرجه الخلعى عن على مرفوعا استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها وقوله المكر والخديعة فى النار رواه الديلمى عن أبى هريرة ومعناه أن ذا المكر والخداع لا يكون تقيا ولا خائفا لله لانه اذا مكر غدر واذا غدر خدع واذا فعلهما أوبق وهذا لا يكون فى تقى فكل خلة جانبت التقى فهى فى النار وقوله من غشنا فليس منا رواه مسلم فى صحيحه وقوله المستشار مؤتمن رواه أحمد وغيره ومعناه ان من أفضى اليك بسره وآمنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه فيجب عليك أن لا تشير عليه الا بما تراه صوابا فانه كالامانة للرجل الذى لا يامن على ايداع ماله لا الثقة فى نفسه والسر الذى ربما كان فى اذاعته تلف النفس أولى بأن لا يجعل الا عند الموثوق به وقوله الندم توبة رواه الطبرانى فى الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه العسكرى وابن جميع ومن طريقه المنذرى عن ابن عباس فى حديث مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان والمعنى أن من دلك على الخير وأرشدك اليه ففاته بارشاده فكأنه فعل ذلك الخير وقوله حبك الشئ يعمى ويصم رواه أبو داود والعسكرى من حديث بقية بن الوليد عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مريم عن خالد بن محمد الثقفى عن بلال بن أبى الدرداء عن أبيه مرفوعا ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه وابن أبى مريم ضعيف وقد حكم الصغانى عليه بالوضع وتعقبه العراقى وقال ان ابن مريم لم يتهمه أحد بكذب ويكفينا سكوت أبى داود عليه فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكرى أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان من الحب ما يعميك عن طريق

الرشد ويصمك عن استماع الحق وأن الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه عن العذل وأعماه عن الرشد ولذا قال بعض الشعراء

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

أشار اليه شيخنا فى المقاصد الحسنة وقوله عليه الصلاة والسلام العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم رواه الترمذى وأبو داود وقوله سبقك بها عكاشة رواه البخارى وقوله عجب ربك من كذا روى فى عدة روايات عند البخارى وغيره ومعناه كما قاله ابن الاثير عظم ذلك عنده وكبر لديه أعلم الله أنه انما يتعجب الآدمى من الشئ اذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الاشياء عنده وقيل معنى عجب ربك أى رضى وأثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب فى الحقيقة والاول أوجه وقوله قتل صبرا رواه غير واحد وقوله ليس المسؤل بأعلم من السائل رواه مسلم وغيره وقوله ولا ترفع عصاك عن أهلك أدبا رواه أحمد أى لا تدع تأديبهم وجمعهم على طاعة الله يقال شق العصا أى فارق الجماعة وليس المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن أدبهم ومنعهم من الفساد قاله ابن الاثير وقوله ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم رواه البخارى وذكره ابن دريد وقال انه من الكلام الفرد الوجيز الذى لم يسبق صلى الله عليه وسلم الى معناه أى كل ما أنبت الجدول واسناد الانبات اليه مجاز والمنبت فى الحقيقة هو الله تعالى وليست من للتبعيض وحبطا بفتح المهملة والموحدة والطاء المهملة أيضا وهو انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت ويلم بضم الياء أى يقرب من الهلاك وهو مثل للمنهمك فى جمع الدنيا المانع من اخراجها فى وجوهها وقوله عليه الصلاة والسلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة ومعناه عين ماء تجرى ليلا ونهارا وصاحبها نائم فجعل دوام جريانها سهرا لها وقوله خير مال المرء مهرة مأمورة وسكة مأبورة رواه الامام أحمد والطبرانى عن سويد بن هبيرة ومعنى مأمورة أى كثيرة النتاج وسكة مأبورة أى طريقة مصطفة من النخل ومنه قيل للازقة سكة والتأبير تلقيح النخل انتهى وقوله عليه الصلاة والسلام من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقوله زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحارث بن أبى أسامة عن أبى هريرة مرفوعا وفى بعض أحاديث الباب أنه قيل له يا أبا هريرة أين كنت أمس قال زرت ناسا من أهلى فقال يا أبا هريرة زر غبا تزدد حبا وقوله انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل رواه الطبراني فى الكبير والاوسط والبيهقى وقوله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى رواه البزار والحاكم فى علومه والبيهقى فى سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة فى ارساله ووصله وفى رفعه ووقفه ثم فى الصحابي أهو جابر أو عائشة أو عمر ورجح البخارى فى تاريخه من حديث ابن المنكدر الارسال ومعناه أنه بقى فى طريقه عاجزا عن مقصده ولم يقض وطره وقد أعطب ظهره والوغول الدخول فكأنه قال

ان هذا الدين مع كونه يسيرا سهلا شديدا فبالغوا فيه بالعبادة لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك أن يمل حتى ينقطع عن الواجبات فيكون مثله كمثل الذى يعسف الركاب ويحملها من السير على مالا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره لا هو الذى قطع الارض التى أراد ولا هو ابقى ظهره سالما ينتفع به بعد ذلك وقوله عليه الصلاة والسلام من شاد هذا الدين غلبه رواه العسكرى عن بريدة وللبخارى من حديث معن بن محمد الغفارى عن سعيد المقبرى عن ابي هريرة مرفوعا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة وقوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى رواه الحاكم عن شداد بن أوس وقال صحيح على شرط البخارى وتعقبه الذهبي بأن فيه ابن أبي مريم وهو واه وكذا رواه العسكرى والقضاعى والترمذى وابن ماجه وقوله ماحاك فى نفسك فدعه رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة وقوله عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث أبي هريرة وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه رواه البيهقى وأحمد وأبو نعيم مختصرا والعسكرى بتمامه كلهم من حديث دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد وله شواهد وانما كان الشتاء ربيع المؤمن لانه يرتع فى بساتين الطاعات ويسرح فى ميادين العبادات ويتنزه قلبه فى رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المؤمن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره قصير بارد فلا يحصل فيه مشقة الصيام وقوله القناعة مال لاينفد وكنز لا يفنى رواه الطبراني فى الاوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر والقضاعى بدون وكنز لايفنى عن أنس وفى القناعة أحاديث كثيرة ولو لم يكن فى القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم قنعنى بما رزقتنى وأنشد بعضهم

ماذاق طعم الغنى من لاقنوع له * ولن ترى قانعا ماعاش مفتقرا

وقوله عليه الصلاة والسلام ماخاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط من حديث أنس وقوله عليه الصلاة والسلام الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم رواه البيهقى فى الشعب والعسكرى فى الامثال وابن السنى والديلمى من طريقه والقضاعى كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا وضعفه البيهقى لكن له شاهد عند العسكرى من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن أنس رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين وكذا أخرجه الطبراني وابن لال ومن شواهده أيضا ماللعسكرى عن أنس رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ فى اقتصاد وللديلمى من حديث أبى أمامة رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وفى صحيح ابن حبان من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ياابا ذر لاعقل كالتدبير ولاورع كالكف ولاحسب كحسن الخلق وهذا اللفظ عند البيهقى فى الشعب وله أيضا وللعسكرى عن على مرفوعا التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط على اقتصاد

أي ما افتقر من أنفق قصدا ولم يجاوزه الى الاسراف وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه الناس رواه الترمذي وقوله عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ماحرم الله متفق عليه عن ابن عمرو به مرفوعا وعن أبي موسى ومسلم عن جابر وقوله قلة العيال أحد السارين رواه صاحب مسند الفردوس ولفظه التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال أحد اليسارين وقوله عليه الصلاة والسلام أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه أبوداود والترمذى من رواية شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن أبي صالح والحارث من رواية الحسن كلاهما عن أبي هريرة وقال الترمذى حديث حسن غريب وأخرجه الدارمي فى مسنده والدارقطني والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم ولكن أعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي وقال أبو حاتم انه منكر وقال الشافعي انه ليس بثابت عند أهله وقال أحمد هذا حديث باطل لا أعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح قال شيخنا لكن بانضمامها يقوى الحديث انتهى وقوله الرضاع يغير الطباع رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر وقوله عليه الصلاة والسلام لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والبيهقي فى الشعب عن أنس وقوله النساء حبائل الشيطان رواه فى مسند الفردوس عن عقبة بن عامر وقوله عليه الصلاة والسلام حسن العهد من الايمان رواه الحاكم فى مستدركه عن عائشة قالت جاءت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من أنت فقالت جثامة المزنية قال أنت حسانة كيف انتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي فلما خرجت قلت يارسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان وقال انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة وقوله صلى الله عليه وسلم الخمر جماع الاثم وقوله صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه رواه القضاعي من حديث الاوزاعي والعسكرى من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا وأخرجه أيضا الخطيب وابن طاهر وفى اسناده أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى والديلمي من حديث جابر يرفعه الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال بالصدق وعند العسكرى من حديث العباس قلت يانبي الله ماالجمال فى الرجل قال فصاحة لسانه وقوله عليه الصلاة والسلام منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا رواه الطبرانى فى الكبير والقضاعي عن ابن مسعود وهو عند البيهقي فى المدخل عن القاسم قال قال ابن مسعود منهومان لايشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان أما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكرى وغيرهما وبمجموعها يتقوى وان كانت مفرداته ضعيفة والله أعلم وقوله عليه الصلاة والسلام لافقر أشد من الجهل ولامال أكثر من العقل ولاوحشة أشد من العجب رواه ابن ماجه وقوله عليه الصلاة والسلام الذنب لاينسى والبر لايبلى والديان لا يموت فكن كما شئت رواه فى مسند الفردوس عن ابن عمر وقوله عليه الصلاة والسلام ماجمع شئ الى شئ أحسن من حلم الى علم رواه العسكرى فى الامثال من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على مرفوعا بزيادة وأفضل الايمان التحبب الى الناس ثلاث من لم تكن

فيه فليس مني ولا من الله حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعا ماأوى شئ الى شئ أحسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى حلم وقوله عليه الصلاة والسلام التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في جزء بيبى عن ابن أبي شريح والمراد الزرع وأنشدوا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب فترزقا

وقوله عليه الصلاة والسلام كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعا في حديث وأخرجه البخاري والترمذي وغيرهم وقوله عليه الصلاة والسلام صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن وقوله عليه الصلاة والسلام العفو لايزيد العبد الاعزا والتواضع لايزيده الارفعة ومانقص مال من صدقة وروى مسلم مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الاعزا وماتواضع أحد لله الارفعه الله وروى القضاعي عن أبي سلمة عن أم سلمة مرفوعا مانقص مال من صدقة ولاعفا رجل من مظلمة الازاده الله تعالى بها عزا وروى الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعا والذي نفس محمد بيده لاينقص مال من صدقة ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر مني أخرجه أبو داود في جامعه والحاكم في مستدركه عن شكل وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اني أعوذ بك من شر فتنة الغنى وقوله عليه الصلاة والسلام ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا فان كل أم يتبعها ولدها رواه أبو نعيم في الحلية من حديث شداد وقوله عليه الصلاة والسلام أخسر الناس صفقة من اذهب آخرته بدنيا غيره رواه بمعناه ابن النجار من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أخسر الناس صفقة رجل أخلق يديه في آماله ولم تساعده الايام على أمنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة وقوله عليه الصلاة والسلام ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله عليه الصلاة والسلام اليمين حنث أو ندم رواه أبو يعلى وابن ماجه الا أنه قال انما الحلف وقوله عليه الصلاة والسلام لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة وقال حسن غريب وهو عند الطائي أيضا وفي رواية لابن أبي الدنيا فيرحمه الله بدل فيعافيه الله وروى الترمذي مرفوعا من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله عليه الصلاة والسلام لابي هريرة جف القلم بما أنت لاق قال صاحب فتح المنة بشرح الاخبار لمحي السنة هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وامضائها والفراغ منها فان الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فهو من اطلاق اللازم على الملزوم وهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب بل هو من الالفاظ التي لم يهتد اليها البلغاء بل اقتضتها الفصاحة النبوية وقوله عليه الصلاة والسلام اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار وقوله عليه الصلاة والسلام من ضمن لي مابين لحييه ومابين رجليه ضمنت له على الله الجنة رواه جماعة منهم العسكري به

وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة والمراد بما بين لحييه اللسان وما يأتي به النطق وما بين رجليه الفرج وقال الداودي المراد بما بين اللحيين الفم فيتناول الاقوال والاكل والشرب وسائر ما يأتي بالفم وفي لفظ من توكل لي ما بين فقميه ورجليه أتوكل له بالجنة ﴿ والفقم ﴾ بالضم والفتح اللحي وفي لفظ آخر من يكفل لي تكفلت له وللديلمي بسند ضعيف عن أنس رفعه من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له الجنة ولفظ الاحياء وقي يعني البطن من القبقبة وهو صوت يسمع في البطن وكأنها حكاية ذلك الصوت ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه والذكر واللسان فهذا وأشباهه مما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد رقى من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره صلى الله عليه وسلم ومما عد من وجوه بلاغته ما ذكر أنه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الاسلام في أربعة أحاديث وهي حديث انما الاعمال بالنية رواه الشيخان وحديث الحلال بين والحرام بين رواه مسلم وحديث البينة على المدعي واليمين على من أنكر وحديث لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان فالحديث الاول يشتمل على ربع العبادات والثاني على ربع المعاملات والثالث على ربع الحكومات وفصل الخصومات والرابع على ربع الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات قاله ابن المنير ومما عد أيضا من أنواع بلاغته كلامه عليه الصلاة والسلام مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعا في الفصاحة واستحداثا للالفة فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب فانظر الى دعائه لاهل المدينة وقد سألوه ذلك فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم وفي حديث آخر اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم اني أدعوك للمدينة بمثل ما دعا به ابراهيم لمكة ومثله معه ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب فقال أتيناك يا رسول الله من غوري تهامة بأكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة المطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ماطما البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة (ثم كتب معه كتابا الى بني نهد) بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم

ولايعضد طلحكم ولايحبس دركم ما لم تضمروا الآماق وتأكلوا الرباق من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وتحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة الى تفسير (فالميس) شجر صلب تعمل منه أكوار الابل ورحالها (ونستحلب بالحاء المهملة الصبر) بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وهو سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدر السحاب (ونستخلب بالخاء المعجمة الخبير) بالخاء المعجمة أيضا ثم الموحدة النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلا به احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والخبير يقع على الوبر والزرع والاكار قاله ابن الاثير (ونستعضد البرير) أى نقطعه ونجنيه من شجره للاكل وهو بموحدة وراءين بينهما مثناة تحتية ثمر الاراك اذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له فى كل حال وكانوا يأكلونه فى الجدب (ونستخيل بالخاء المعجمة الرهام) بكسر الراء وهى الامطار الضعيفة واحدتها رهمة أى نتخيل الماء فى السحاب القليل وقيل الرهمة أشد وقعا من الديمة (ونستجيل) بالجيم اي نراه جائلا تذهب به الريح هاهنا وهاهنا (والجهام بالجيم) أى السحاب الذى فرغ ماؤه ومن روى نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلت اخال اذا ظننت أراد لانتخيل فى السحاب حالا الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه ومن رواه بالحاء المهملة وهو الاشهر أراد لا ننظر من السحاب فى حال الا الى جهام من قلة المطر (وأرض غائلة) بالغين المعجمة (والنطا بكسر النون) أى مهلكة للبعد يقال بلد نطى أى بعيد ويروى المنطى وهو مفعل منه (والمدهن) نقرة فى الجبل (والجعثن) بالجيم والمثلثة أصل النبات ويقال أصل الصليان خاصة وهو نبت معروف (والعسلوج) بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم هو الغصن اذا يبس وذهبت طراوته وقيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد أن الاغصان يبست وهلكت من الجدب وجمعه عساليج (والاملوج) بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان وقيل هو نوى المقل وفى رواية وسقط الاملوج من البكارة بالكسر جمع البكرة بالفتح يريد أن السمن الذى قد علا بكارة الابل بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماه باسم المرعى اذ كان سببا له (ومات الهدى) بفتح الهاء وكسر الدال المهملة والتشديد كالهدى بالتخفيف وهو مايهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر فأطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا تسمية للشئ ببعضه يقال كم هدى بني فلان أى كم ابلهم (ومات الودى) بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخيل (برئنا اليك من الوثن والعنن) الوثن الصنم والعنن الاعتراض يقال عنى لى شئ أى اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل (وماطما البحر) أى ارتفع بامواجه (وتعار) بكسر التاء المثناة الفوقية يصرف ولايصرف اسم جبل (ولنا نعم همل) أى مهملة لارعاء لها ولافيها مايصلحها ويهديها فهى كالضالة (والابل الاغفال) لالبن فيها وقوله عليه الصلاة والسلام فى محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أى خالص لبنها ومخضها بالمعجمة ماتمخض من اللبن وأخذ زبده (ومذقها) بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف أى ممزوج بالماء (وابعث راعيها فى الدثر) بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير (وافجر له الثمد) بفتح المثلثة الماء القليل أى صيره كثيرا وودائع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان اذا أعطى كل واحد منهم عهده للآخر لايغزوه وقيل ما كانوا

استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا فى الاسلام أراد احلالها لهم لانها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولاشرط (ووضائع الملك) جمع وضيعة وهى الوظيفة التي تكون على الملك وهى مايلزم الناس فى أموالهم من الزكاة والصدقة أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لاتتجاوز عنكم ولانزيد عليكم فيها شيأ (ولاتلطط) بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاآن الاولى مكسورة والثانية مجزومة على النهى أى لاتمنعها (ولا تلحد فى الحياة) بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة أى لاتمل عن الحق مادمت حيا قال بعضهم كذا رواه القتيبي لاتلطط ولاتلحد على النهى للواحد ولاوجه له لانه خطاب للجماعة ورواه غيره مالم يكن عهد ولاموعد ولاتثاقل عن الصلاة ولاتلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة قال الحافظ أبو السعادات الجزرى وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ماقبله وقوله ولاتثاقل عن الصلاة أى لاتتخلف والوظيفة الحق الواجب (والفريضة) أى الهرمة المسنة أى لانأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما أنا لا نأخذ خيار المال (والفارض) بالفاء والضاد المعجمة المريضة (والفريش) بفتح الفاء آخره شين معجمة وهى من الابل كالنفساء من بنات آدم أى لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه (وذو العنان) بكسر العين سير اللجام (والركوب) بفتح الراء أى الفرس الذلول (والضبيس) بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره مهملة المهر العسر الصعب امتن عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها ورديئها ولايمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ماسرح من المواشى أى لا يدخل عليكم أحد فى مراعيكم (ولا يعضد طلحكم) أى لايقطع (ولا يحبس دركم) أى لاتحبس ذوات الدر عن المرعى الى أن تجمع الماشية ثم تعد وانا منعناه أن يأخذها لما فى ذلك من الاضرار (والاماق) بالميم أى مالم تضمروا الغيظ والبكاء مما يلزمكم من الصدقة قاله فى القاموس وقال الزمخشرى المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله وفى رواية الرماق بالراء والميم أى النفاق يقال رامقته رماقا وهو أن تنظر اليه شزرا نظرة العداوة يعنى مالم نضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق أى ضيق وعيش رمق ومرمق أى يمسك الروح والرمق بقية الروح وآخر النفس (وتأكلوا الرباق) بكسر الراء وبالموحدة المخففة أى الا أن تنقضوا العهد واستعار الاكل لنقض العهد لان البهيمة اذا أكلت الربق وهو الحبل تجعل فيه عرى وتشد به خلصت من الرباط (والربوة) بكسر الراء وفتحها وضمها أى الزيادة يعنى من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذى انطبق على لغتهم وجاد وزاد عليها فى الجزالة والبداوة وأين هذا من كتابه عليه الصلاة والسلام لانس فى الصدقة وأين ذلك من كتابه بين قريش والانصار انهم أمة واحدة دون الناس من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى ويفكون انيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين المتقين أيديهم على من بغى عليهم أو ابتغى دسيعة ظلم وان سلم المؤمنين واحد على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ومن اعتبط مؤمنا قتلا فهو قود الا أن يرضى ولى المقتول ومن ظلم وأثم فانه لايوتغ الا نفسه وأولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن كذا روى مختصرا من حديث ابن شهاب وقوله (دسيعة ظلم) أى عظيمة من الظلم (ورباعتهم) أمرهم القديم

الذى كانوا عليه (ويتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى) أى يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل الديات جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التى كانوا عليها أى مراتبهم وحالتهم (ولا يوتغ) أى لا يهلك (ويعقب بعضهم بعضا) أى يكون الغزو بينهم نوبا فاذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف أن تعود ثانية حتى يعقبها غيرها وأين هذا اللين فى القول وقرب المأخذ فى اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من كتابه لذى المشعار الهمدانى لما لقيه وفد همدان من تبوك فقال مالك بن نمط يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ماقام لعلع وماجرى اليعفور بصلع (فكتب اليهم النبى صلى الله عليه وسلم) هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله (نصية من كل حاضر وباد) قال ابن الاثير النصية من ينتصى من القوم أى يختار من نواصيهم وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع أذناب (وأتوك على قلص) بضم القاف واللام جمع قلوص وهى الناقة الشابة (والنواج) السراع وقوله متصلة بحبائل الاسلام أى عهوده وأسبابه (وخارف بالخاء المعجمة ويام بالمثناة التحتية) قبيلتان (ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل) أى لا ينقض عهدهم بسعى ساع أى بالنميمة والافساد كما يقال لأفسد ما بينى وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم فى الفساد (والسنة) الطريقة والسنن أيضا (والعنقفير) بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف الداهية أى لا ينقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل (ولعلع) جبل (وماجرى اليعفور) بفتح التحتية الخشف وولد البقرة الوحشية وقيل هو تيس الظباء والجمع اليعافير والياء زائدة (وبصلع) بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التى لا نبات فيها وقوله عليه الصلاة والسلام (وأهل الجناب الهضب) بكسر الجيم اسم موضع (وحفاف الرمل) أسماء بلادهم (وفراعها) بكسر الفاء وبراء وعين مهملة أى ما علا من الجبال أو الارض (ووهاطها) بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط وبه سمى الوهط وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف وقيل الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها (وعزازها) بفتح العين المهملة ثم زاءين مخففتين ماصلب من الارض واشتد وخشن وانما يكونون فى أطرافها (ويأكلون علافها) بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ماتأكله الماشية (وعفاؤها) بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد أى المباح (ومن دفئهم) بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز قال فى المجمل نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها (وصرامهم) بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أى من نخلهم (والثلب) بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ماهرم من ذكور الابل وتكسرت أسنانه (والناب) بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها والفصيل بالمهملة الذى انفصل عن أمه والفارض بالفاء المسن والداجن بالمهملة والجيم الدابة التى تألف البيوت

(والكبش الحورى) بالحاء المهملة وواومفتوحتين فراءمكسورةالذى فى صوفه حمرة (والصالغ) بالصادالمهملة والغين المعجمةمن صلغت الشاة ونحوها اذا تمت أسنانها (والقارح) بالقاف والراء والحاءالمهملة من الخيل الذى دخل فى السنة الخامسة انتهى وهـذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة العليمى من كلب هـذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمى باقام الصلاه لوقتها وايتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبى عليهم من الهمولة الراعية البساط الظأر فى كل خمسين ناقة غـير ذات عوار والحمولةالمائرة لهم لاغية وفى الشوى الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجـدول من العين المعين العشر وفى العسرى شطره بقيمة الامين لايزاد عليهم وظيفة ولا يفرق شهد على ذلك الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب ثابت بن قيس بن شماس وتفسير غريبه أن قوله (ومن ظأره الاسلام) بالظاء المعجمة والهمز آخره هاء أى عطف عليه وعليهم (من الهمولة) بفتح الهاء التى ترعى بأنفسها ولاتستعمل فعولة بمعنى مفعولة والبساط التي معها أولادها (والظأر) أن تعطف الناقة على غير ولدها (والحمولة المائرة لهم لاغية) يعنى ان الابل التي تحمل عليها الميرة وهى الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لايؤخـذ منها زكاة لانها عوامل (وفى الشوى) بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة (والورى) السمينة * ومن هذا النمط كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة والارواح المشابيب وذكر الفرائض فقال فى التيعة شاة لامقورة الالياط والاضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال * وفسر الاقيال وهو بالقاف والمثناة التحتية بالرؤساء الذين دون الملوك (والعباهلة) بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين أقروا على ملكهم لايزالون (والارواع) بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذو الهيآت الحسان الوجوه (والمشابيب) بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه (وفى التيعة) بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفى القاموس والنهاية أدنى ماتجب فيه الصدقة من الحيوان (ولا مقورة) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو (والالياط) بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طاء مهملة أى لامسترخية الجلود لكونها هزيلة (والاضناك) بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهى المستكثرة اللحم (وانطوا) بقطع الهمزة أى أعطوا (والثبجة) بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أى أعطوا الوسط فى الصدقة لامن خيار المال ولا من رذالته (والسيوب) بضم المهملة وآخره موحدة أى الركاز قاله الهروى وقيل المال المدفون فى الجاهلية أو المعدن (ومن زنا مم بكر) بكسر الراء بلا تنوين لان أصله من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهى ساكنة أدغمت النون فيها والمراد بالبكر الجنس وقال ابن الاثير أى من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة ميما أما مع بكر فـلأن النون اذا سكنت قبل الباء فانها تقلب ميما فى النطق نحو عنبر وشنبا وأما مع غير الباء فانها لغة يمانيـة كما يبدلون

الميم من لام التعريف انتهى (وفاصقعوه) بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أى اضربوه (واستوفضوه) بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة أى غربوه وانفوه (وفضرجوه) بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم (وبالاضاميم) بفتح الهمزة والضاد المعجمة أى أدمنوه بالضرب بجماهير الحجارة (ولا توصيم) بصاد مهملة مكسورة أى لا كسل عن اقامة الحد (ولا غمة) بضم المعجمة وتشديد الميم أى لا يستر ولا يخفى (ويترفل) بتشديد الفاء المفتوحة يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه واسباله * وقريب من هذا كتابه لا كيدر وأهل دومة كما قدمته فى مكاتباته عليه الصلاة والسلام وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية والسفلى هى المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذى لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا وحمرا والكلام باللسان يقع فى غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا فى الترجمة نازلا عن صاحب الاصالة فى تلك اللغة الا نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم فانه زاده الله تكريما وشرفا يتكلم فى لغة العرب أفصح وأنصع بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير به ذلك فقد أوتى فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على سائر الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس مالا يضبطه قياس ولا يدخل فى تحقيقه الباس انتهى * وأما صوته الشريف فعن أنس قال مابعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت رواه ابن عساكر وروى نحوه من حديث على بن أبى طالب وروى أنه كان اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه وقد كان صوته عليه الصلاة والسلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البراء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن رواه البيهقى وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى غنم فجلس فى مكانه رواه أبو نعيم وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا وفى لفظ ففتح الله أسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن فى منازلنا رواه ابن سعد وعن أم هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشى رواه ابن ماجه * وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففى البخارى عن عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم أى مارأيته مستجمعا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحمة التى بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وهذا لا ينافيه مافى حديث أبى هريرة فى قصة المواقع أهله فى رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخارى وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس ولا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وأبو هريرة أخبر بها [illegible]

مقدم على النافى وقد قال أهل اللغة التبسم مبادى الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور فان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة والا فالضحك وان كان بلاصوت فهو التبسم وقال ابن أبى هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أى يبدى أسنانه ضاحكا وحب الغمام البرد وقال الحافظ ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى معظم أحواله لايزيد على التبسم وربما زاد ذلك فضحك قال والمكروه انما هو الاكثار منه والافراط فيه لانه يذهب الوقار قال ابن بطال والذى ينبغى أن يقتدى به من أفعاله ماواظب عليه من ذلك وقد روى البخارى فى الادب المفرد وابن ماجه عن أبى هريرة رفعه لاتكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال أبو هريرة واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ فى الجدر رواه البزار والبيهقى أى يضئ فى الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط أى يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان اذا خطب او ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم أو مساكم رواه مسلم وكان بكاؤه عليه الصلاة والسلام من جنس ضحك لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز يبكى رحمة لميت خوفا على أمته وشفقة ومن خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا فى صلاة الليل قاله فى الهدى النبوى وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب ففى تاريخ البخارى ومصنف ابن أبى شيبة عن يزيد بن الأصم ماتثاءب النبى قط لكن فى رواية عند ابن أبى شيبة ماتثاءب نبى قط *وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين كما سيأتى أى غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجه من جونة عطار رواه مسلم وفى حديث وائل بن حجر عند الطبرانى والبيهقى لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فأتعرفه بعد فى يدى وانه لاطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود ناولنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هى أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك رواه البيهقى وعن المستورد بن شداد عن أبيه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فاذا هى ألين من الحرير وأبرد من الثلج رواه الطبرانى ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبى وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى قال فوضع يده على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فما زلت يخيل الى انى أجد برديده على كبدى حتى الساعة وفى البخارى من حديث أنس مامسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من باب عطف الخاص على العام لان الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف فى هذا الحديث يخالف ماوقع فى حديث ابن أبى هالة عند الترمذى فى صفته صلى الله عليه وسلم فان فيه كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين أى غليظهما فى خشونة وهكذا وصفه على من عدة طرق عند الترمذى والحاكم وغيرهما وكذا وصف عائشة له عند ابن أبى خيثمة والجمع بينهما أن المراد اللين فى الجلد والغلظ فى العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما مع أنها مع ضخامتها

كانت لينة كما فى حديث أنس قال وأما قول الاصمعى الشثن غلظ الكف فى خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذى فسر به الخليل أولى قال وعلى تسليم مافسر به الاصمعى الشثن يحتمل أن يكون أنس وصف حالتى كف النبى صلى الله عليه وسلم فكان اذا عمل بكفه فى الجهاد أو فى مطة أهله صار كفه خشنا للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى أصل جبلته من النعومة وقال القاضى عياض فسر أبو عبيدة الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بأنه ثبت فى وصفه عليه الصلاة والسلام أنه كان سائل الاطراف ويؤيد كونها كانت لينة قوله فى رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فانه موافق لوصفها باللين والتحقيق فى الشثن أنه الغلظ من غير قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه أن الاصمعى لما فسر الشثن بما مضى قيل له انه ورد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم أنه لين الكفين فآلى على نفسه أن لا يفسر شيأ فى الحديث انتهى وفى حديث معاذ عند الطبرانى والبزار أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفر فما مسست شيأ قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو فى وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبى صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثر يده صلى الله عليه وسلم الى منتهى مامسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وابن عساكر وأخرج البخارى فى تاريخه والبغوى وابن منده فى الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن أبيه عن جده بشر بن معاوية أنه قدم مع أبيه معاوية بن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه ودعا له بالبركة فكانت فى وجهه مسحة النبى صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان لا يمسح شيأ الا برئ ومسح صلى الله عليه وسلم رأس مملوك أبى سفيان فكان مامرت يده عليه أسود وشاب ماسوى ذلك رواه البخارى فى تاريخه والبيهقى وكذا وقع له عليه الصلاة والسلام فى رأس السائب رواه البغوى والبيهقى وابن منده وأخرج البيهقى وصححه والترمذى وحسنه عن أبى زيد الانصارى قال مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسى ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما فى لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتي مات ومسح عليه الصلاة والسلام رأس حنظلة بن جذيم بيده وقال له بورك فيك فكان يؤتى بالشام الوارم ضرعها والبعير والانسان به الورم فيتفل فى يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على أثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم رواه أحمد والبخارى فى التاريخ وأبو يعلى وغيرهم وقد جاء فى عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة بياض أبطيه فعن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يده فى الدعاء حتى رأيت بياض ابطيه وقال الطبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الابط من جميع الناس متغير اللون غيره أى الا هو صلى الله عليه وسلم ومثله للقرطبي وزاد وانه لا شعر عليه لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه قال والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لا يكون له شعر وقد قال عبد الله بن أقرم الخزاعى وقد صلى معه صلى الله عليه وسلم كنت أنظر الى عفرة ابطه حسنه الترمذى والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله الهروى وغيره وسيأتى مزيد لذلك فى الخصائص ان شاء الله تعالى وعن

رجل من بني حريش قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على من عرق ابطيه مثل ريح المسك رواه البزار ووصف على فقال ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة وقال ابن أبي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن على طويل المسربة وعند البيهقي له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره ووصفت بطنه أم هانئ فقالت مارأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض رواه الطيالسي والطبراني وقال أبو هريرة كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين وتقدم أن المشاش رؤس العظام كالركبتين ومفاض أى واسع البطن وقيل مستوى البطن مع الصدر وخرج الامام احمد عن محرش الكعبي قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وكان صلى الله عليه وسلم بعيد مابين المنكبين رواه البخارى أى عريض الصدر ووقع عند ابن سعد من حديث أبي هريرة رحب الصدر وأما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فاعلم أن القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو أخص من الفؤاد قاله الواحدى وسمى به لتقلبه بالخواطر والعزوم قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا أنه يتقلب

وقال الزمخشرى مشتق من التقلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه ألا ترى الى ماروى أبوموسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر قال والفرق بينه وبين الفؤاد ان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفؤده أى توقده وفسر الجوهرى القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب قال الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وأرق أفئدة وهو أولى من قول بعضهم انه كرر لاختلاف اللفظ وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به كالعلم والشجاعة وقيل حيث ماذكر الله القلب فاشارة الى العقل والعلم كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال بعض العلماء وقد خلق الله تعالى الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو أصل وجوده اذا صلح قلبه صلح سائره واذا فسد قلبه فسد سائره وجعل سبحانه القلوب محل السر والاخلاص الذى هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول خلق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو أولهم وآخرهم وقد جعل الله سبحانه وتعالى أخلاق القلوب للنفوس أعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله ولذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون علامات اختصاص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون علامات عظيم اخلاقه آيات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كما ورد فى الخبر كان هو الاولى بان يكون هو قلب العبد الذى يقول فيه الله تعالى ماوسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ولما كان كما له قبل

الاسراء بمنزلة سائر النبيين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وقد صح أن جبريل عليه الصلاة والسلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده فى مكانه قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره رواه مسلم وانما خلقت هذه العلقة فى ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد منها ونزعها أمر ربانى طرأ بعد ذلك قاله السبكى وعند أحمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما ائتنى بماء وثلج فغسلا به جوفى ثم قال ائتنى بماء بارد فغسلا به قلبي ثم قال ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة وفى رواية البيهقى أن ملكين جاآني فى صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح أحدهما صدرى ومج الآخر بمنقاره فيه وعن أبى هريرة قال يارسول الله ماأول ماابتدئت به من أمر النبوة قال انى لفى صحراء أمشى ابن عشر حجج اذ أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه أهوهو قال نعم فأخذانى فالصقانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه أفلق صدره فاذا صدرى فيماأرى مفلوق لاأجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال أخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال أدخل الرأفة والرحمة قلبه فادخل شيأ كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه فذر عليه ثم نقرابهامى ثم قال اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ورقتي على الكبير رواه عبد الله ابن الامام أحمد في زوائد المسند وأبو نعيم وقال تفرد به معاذ عن أبيه وتفرد بذكر السن وعند أبى نعيم فى حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفى فغسلها ثم ذر عليه ذرورا ثم قال قلب وكيع يعى ماوقع فيه عينان تبصران وأذنان تسمعان وأنت رسول الله المقفى الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وأنت قثم وهذا الشق روى أنه وقع له عليه الصلاة والسلام مرات فى حال طفوليته ارهاصا وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص ومثل هذا فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام كثير وبه يجاب عن اشكال وقوع ذلك فى زمان طفوليته لانه من المعجزات ولايجوز أن تتقدم على النبوة قاله الرازى والذى عليه أكثر أهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت عليه فى أوائل الكتاب ويأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى فى المقصد الرابع وهو المراد بقوله ألم نشرح لك صدرك وقد قيل المراد بالشرح فى الآية مايرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا فى ذلك وجوها منها أنه لما بعث الى الاحمر والاسود من جنى وانسى أخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو فى حالتى البؤس والفرج منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف *فان قلت لم قال ألم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك* أجيب بأن محل الوسوسة الصدر كما قال تعالى يوسوس فى صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعى الخير هى الشرح لاجرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقد قال محمد بن على الترمذى القلب محل العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان يجئ الى الصدر الذى هو حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وأنزل جنده فيه وبث فيه الهموم

والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو فى الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية (وهاهنا دقيقة) قال الله تعالى حكاية عن موسى رب اشرح لى صدرى وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك صدرك أعطى بلا سؤال ثم انه تعالى نعته عليه السلام فقال وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر هو ان يصير قابلا للنور والسراج المنير هو الذى يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح قال الدقاق كان موسى عليه الصلاة والسلام مريدا اذ قال رب أشرح لى صدرى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم مراد اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله أعلم * وأما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال الراوى قلت لانس أو كان يطيقه قال كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين رواه البخارى وعند الاسماعيلى عن معاذ قوة أربعين زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال أهل الجنة عن أنس مرفوعا يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع قلت يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة قال الترمذى صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا أربعين فى مائة بلغت أربعة آلاف فبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم أوتى قوة أربعين فقط وسليمان عليه الصلاة والسلام قوة مائة رجل أو ألف على ماورد وذكر ابن العربى أنه كان له صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق فى الوطء وكان له فى الاكل القناعة ليجمع الله له الفضيلتين فى الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين فى الامور الشرعية حتى يكون حاله كاملا فى الدارين انتهى وطاف عليه الصلاة والسلام على نسائه التسع فى ليلة رواه ابن سعد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل بقدر فأكلت منها فاعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع رواه ابن سعد حدثنا عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن صفوان ابن سليم مرسلا وروى من حديث أبى هريرة شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثنايا جبريل فقال له أين أنت من أكل الهريسة فان فيه قوة أربعين رجلا ومن حديث حذيفة باطعمنى أطعمنى جبريل الهريسة أشد بها ظهرى وأتقوى بها على الصلاة رواه الدارقطنى ومن حديث جابر بن سمرة وابن عباس وغيرهم ولكنها واهية بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين فى جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة بأنه موضوع وروى أنه عليه السلام أعطى قوة بضع وأربعين رجلا كل رجل من أهل الجنة رواه الحارث بن أبى أسامة * وقد حفظه الله من الاحتلام فعن ابن عباس قال ما احتلم نبى قط وانما الاحتلام من الشيطان رواه الطبرانى * وأما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن القدمين أى غليظ أصابعهما رواه الترمذى وغيره وعن ميمونة بنت كردم قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه أحمد والطبرانى وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة رواه البيهقى وقد اشتهر على الالسنة أن سبابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت أطول من الوسطى قال الحافظ ابن حجر وهو غلط

ممن قاله وانما ذلك في أصابع رجليه انتهى و قال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلف جمهورهم الكمال الدميري وهو خطأ نشأ عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته كما رواه ابن هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم أنها سمعت ميمونة ابنة كردم تخبر أنها رأت أصابع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فضم ماوقع فيها من اطلاق الاصابع الى كون الوسطى من كل أطول من السبابة وعين اليد منه صلى الله عليه وسلم لذلك بناء على ان القصد ذكر وصف اختص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث في مسند الامام أحمد من حديث يزيد بن هارون المذكور مقيد بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه وهو عند البيهقي أيضا في الدلائل من طريق يزيد بن هارون ولفظها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقته وأنا مع أبي فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص رواه البيهقي وعن ابي أمامة الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لأخمص له يطأ على قدمه كلها رواه ابن عساكر وقال ابن ابي هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين وقال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع الذى لايلصق بالارض منها عند الوطء والخمصان البالغ منه اى ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافي عن الارض وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لايرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون واذا استوى اوارتفع جدا فهو ذم فيكون بمعنى أن أخمصه معتدل الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث أبي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وقوله مسيح القدمين أى ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق فاذا أصابهما الماء نبا عنهما كما قال ابن أبي هالة ينبو عنهما الماء وهو معنى حديث أبي هريرة وعن عبد الله بن بريدة قال كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد * وأما طوله صلى الله عليه وسلم فقال علي كان صلى الله عليه وسلم لاقصير ولا طويل وهو الى الطول أقرب رواه البيهقي وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم غمرهم رواه عبدالله ابن الامام أحمد وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول أقرب رواه البزار وقوله ربعة أى مربوعا والتأنيث باعتبار النفس وقد فسر في الحديث الآتى بأنه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة وقال ابن أبي هالة أطول من المربوع وأقصر من المشذب وهو بمعجمتين مفتوحتين ثانيهما مشدد أى البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم الثانية المتناهي الطول وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل اذا مددته وأصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وأدغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه وعن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي وزاد ابن سبع في الخصائص

أنه كان اذاجلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ووصفه ابن أبي هالة بأنه بادن متماسك أي معتدل الخلق كان أعضاءه يمسك بعضها بعضا * وأماشعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سألت أنسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لارجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين أذنيه وعاتقه وفى رواية قال كان رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه وفى أخرى الى أنصاف أذنيه رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وعن عائشة قالت كنت اغتسل أنا والنبى صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذى وأبو داود والوفرة الشعر الواصل الى شحمة الأذن وقال ابن أبي هالة أيضا كان رجل الشعر وهو بفتح الراء وكسر الجيم أي يتكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه اذا هو وفره والعقيقة بالقافين شعر رأسه الشريف يعنى ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى ان انفرقت عقيصته بالصاد المهملة وهى الشعر المعقوص وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه رواه الترمذى فى الشمائل وفى صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله على الجبين واتخاذه كالقصة وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض قال العلماء والفرق سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل لكن الفرق أفضل وعن عائشة كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذى وفى حديث أنس كان الى أذنيه وفى حديث البراء يضرب الى منكبيه وفى حديث أبى رمثة يبلغ الى كتفيه أو منكبيه وفى رواية مارأيت من ذى لمة أحسن منه والجمة هى الشعر الذى نزل الى المنكبين والوفرة مانزل الى شحمة الاذنين واللمة التي لمت بين المنكبين قال القاضى عياض والجمع بين هذه الروايات أن مايلى الاذن هو الذى يبلغ شحمة أذنيه وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى أنصاف الاذنين فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك وعن أم هانئ بنت أبى طالب قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا مكة قدمة وله أربع غدائر رواه الترمذى فى الشمائل والغدائر بالغين المعجمة والدال المهملة هى الذوائب واحدتها غديرة وفى مسلم عن أنس كان فى لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفى رواية عنده لم ير من الشيب الا قليلا وفى أخرى له أيضا لو شئت أن اعد شمطات كن فى رأسه ولم يخضب وعنده أيضا لم يخضب عليه السلام انما كان البياض فى عنفقته وفى الصدغين وفى الرأس نبذ بضم النون وفتح الباء الموحدة وبفتح النون واسكان الموحدة أي شعرات متفرقة وفى رواية أخرى ما شانه الله ببيضاء قال الشيخ عبد الجليل فى شعب الايمان فيما حكاه عنه الفاكهانى انما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبى صلى الله عليه وسلم شيأ كفر وقال فى النهاية قد تكرر فى الحديث جعل الشيب ههنا عيبا وليس بعيب فانه قد جاء فى الحديث أنه وقار وأنه نور والشيب ممدوح وذلك عجيب منه لاسيما فى حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يجمع بينهما ووجه الجمع أنه عليه

الصلاة والسلام لما رأى أبا قحافة ورأسه كالثغامة أمرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم أنس ذلك من عادته قال ماشانه الله ببيضاء بناء على هذا القول وحملا له على هـذا الرأى ولم يسمع الحديث الآخر ولعل أحدهما ناسخ للآخر انتهى وفى رواية أبى جحيفة عنده رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضاء ووضع الراوى بعض أصابعه على عنفقته وفى حديث أنس عند البيهقى ماشانه الله بالشيب ما كان فى رأسه ولحيته الا سبع عشرة أو ثمان عشرة يعنى شعرة بيضاء وعن أبى جحيفة كان أبيض قدشمط رواه البخارى وفى الصحيحين أن ابن عمر رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وعن ابن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء رواه الترمذى وروى أيضا عن ابن عباس قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفى حديث جابر عنده لم يكن فى رأسه عليه السلام شيب الا شعرات فى مفرق رأسه اذا ادهن واراهن الدهن وفى رواية البيهقى كان أسود اللحية حسن الشعر واختلف العلماء هل خضب عليه الصلاة والسلام أم لا قال القاضى عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك وقال النووى المختار انه صبغ فى وقت وترك فى معظم الاوقات فأخبر كل بما رأى وهو صادق قال وهـذا التأويل كالمتعين لحديث ابن عمر فى الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويل له واما اختلاف الرواية فى قدر شيبه فالجمع بينهما انه رأى شيبا يسيرا فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه أراد لم يكثر فيه كما قال فى الرواية الاخرى لم ير من الشيب الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة قال كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا دهن لم يتبين فاذا شعث رأسه تبين وكان كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائى وعن أنس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته رواه البغوى فى شرح السنة وقد وصفه عليه السلام ابن أبى هالة بأنه كان موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر وعن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل رواه مسلم وسيأتى ان شاء الله تعالى قصة حلق رأسه الشريف فى حجة الوداع ولم يرو أنه عليه الصلاة والسلام حلق رأسه الشريف فى غير نسك حج أو عمرة فيما علمته فتبقية الشعر فى الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية فيباح له ازالته وقد رأيت بمكة المشرفة فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وثمانمائة شعرة عند الشيخ أبى حامد المرشدى شاع وذاع أنها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها صحبة المقام المقرى خليل العباسى والى الله احسانه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس قال لأن تكون عندى شعرة منه أحب الى من الدنيا وما فيها رواه البخارى وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذى وقال حديث غريب وأخرج الترمذى عن ابن عباس وحسنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده من حديث زيد بن أرقم قال صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ من شاربه فليس منا وفى

الصحيحين حديث خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب واختلف فى قص الشارب وحلقه أيهما أفضل ففي الموطأ يؤخذ من الشارب حتي يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفى الشارب ويعفى اللحى وليس احفاء الشارب حلقه وأرى تأديب من حلق شاربه وعن أشهب أن حلقه بدعة قال وأرى أن يوجع ضربا من فعله وقال النووى المختار فى قص الشارب أنه يقصه حتي يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله وقال الطحاوى لم نجد عن الشافعي شيأ منصوصا فى هذا وكان المزني والربيع يحفيان شاربهما وأما أبوحنيفة وصاحباه فمذهبهم فى شعر الرأس والشارب ان الاحفاء أفضل من التقصير وأما أحمد فقال الاثرم رأيته يحفى شاربه شديدا وقد اختلفوا فى كيفية قص الشارب هل يقص طرفاه أيضا وهما المسميان بالسبالين أم تترك السبالان كما يفعله كثير من الناس قال الغزالى فى الاحياء لا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضى الله عنه وغيره لان ذلك لايستر الفم ولا يبقى فيه غمرة الطعام اذ لايصل اليه انتهى وروى أبو داود عن جابر قال كنا نحفى السبال الا فى حج أو عمرة وكره بعضهم ابقاءه لما فيه من التشبيه بالاعاجم بل بالمجوس وأهل الكتاب وهذا أولى بالصواب لما رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم نخالفوهم فكان يجز سباله كما يجز الشاة أو العنز وروى أحمد فى مسنده فى أثناء حديث لابى امامة فقلنا يا رسول الله فان أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة والثاء المثلثة وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية قاله فى شرح تقريب الاسانيد * وأما العانة ففي حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لايتنور وكان اذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف وروى ابن ماجه والبيهقى ورجاله ثقات ولكن أعل بالارسال وأنكر أحمد صحته من حديث أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا طلا بدأ بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده أهله وأما الحديث الذى يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن كثير بل ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد موته عليه السلام وأخرج البيهقى من مرسل أبى جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث أبى هريرة لكن سنده ضعيف أخرجه البيهقى أيضا فى الشعب وسئل عنه أحمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر وهذا هو المعتمد أنه يستحب كيفما احتاج اليه قال ولم يثبت فى استحباب قص الظفر يوم الخميس حديث وكذا لم يثبت فى كيفيته شئ ولا فى تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه وسلم وما يعزى من النظم فى ذلك لعلى رضى الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة مايزيد على مايلابس رأس الاصبع من الظفر لان الوسخ يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهى الى حد يمنع من وصول الماء الى مايجب غسله فى الطهارة وقد حكى أصحاب الشافعي فيه وجهين فقطع المتولى بأن الوضوء حينئذ لايصح وقطع الغزالى فى الاحياء بأنه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبرانى فى الاوسط عن عائشة كان النبي صلى

الله عليه وسلم لايفارق سواكه ومشطه وكان ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة فى هذه وثلاثة فى هذه رواه ابن ماجه والترمذى وأحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل أن ينام وكان يكتحل فى كل عين ثلاثة أميال وروى النسائي والبخارى فى تاريخه عن محمد بن على قال سألت عائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكاة الطيب المسك والعنبر * وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفيا كأنما ينحط من صبب رواه الترمذي وصححه البيهقى والتكفؤ الميل الى سنن المشى وعند البزار من حديث أبى هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذى فى الشمائل من حديثه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وعن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه رواه ابن سعد ويروى أنه كان اذا مشى مشى مجتمعا أى قوى الاعضاء غير مسترخ فى المشى وقال على رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن أبى هالة اذا زال زال تقلعا يخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب وفى رواية اذا زال زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل أى لا يزول قالعا لرجله من الارض وهو بالضم اما مصدر أو اسم وهو بمعنى الفتح وقال الهروى قرأت هذا الحرف فى كتاب غريب الحديث لابن الانبارى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قرأته بخط الازهرى وهو كما جاء فى حديث آخر كأنما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من الارض قريب بعضه من بعض أراد أنه كان يستعمل التثبت ولايتبين منه فى هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة وذريع المشية أى واسع الخطوة قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط فى الصبب وهى مشية أولى العزم والهمة والشجاعة وهى أعدل المشيات وأروحها للاعضاء فكثير من الناس يمشى قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهى مذمومة واما أن يمشى بانزعاج مشى الجمل الاهوج وهى مشية مذمومة وهى علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما ان أكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفى بعض المسانيد أن المشاة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشى فى حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو العدو الخفيف الذى لا يزعج الماشى * وأما مشيه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهرى للملائكة وهو معنى قول القائل وكان يسوق أصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة ومشى عليه الصلاة والسلام فى بعض غزواته مرة فجرحت أصبعه وسال منها الدم فقال هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت رواه أبو داود ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل فى شمس ولا قمر رواه الترمذى الحكيم عن ذكوان وقال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى فى الشمس أو القمر لايظهر له ظل قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعلنى نورا * وأما لونه الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه السلام جمهور أصحابه بالبياض منهم أبو بكر وعمر وعلى وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبى هالة والحسن بن على وأبو الطفيل ومحرش

الكعبي وابن مسعود والبراء وعائشة وأنس في احدى الروايتين عنه فأما أبو جحيفة فقال كان أبيض رواه البخاري وأما أبو الطفيل فقال كان أبيض مليحا رواه الترمذي في الشمائل وفي رواية مسلم أبيض مليح الوجه وفي رواية عنه للطبراني ماأنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر أبي طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقال على أبيض مشرب والمشرب هو الذي في بياضه حمرة كما قال في الرواية الاخرى أبيض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول أنس في صحيح مسلم أزهر اللون وفي النسائي من حديث أبي هريرة بينا النبي صلي الله عليه وسلم جالس بين أصحابه جاء رجل فقال أيكم ابن عبدالمطلب فقالوا هذا الامغر المرتفق (والامغر) المشرب بحمرة والمرتفق المتكئ على مرفقه وفي البخاري من حديث أنس ليس بأبيض أمهق قال الحافظ ابن حجر و وقع عند الداودي تبعا لرواية المروزي أمهق ليس بأبيض وفي رواية عند أبي حاتم وغيره اسمر واستشكله بعضهم وقال ان غالب هذه الروايات متدافع وبعضها ممكن الجمع كالابيض مع رواية مشرب بالحمرة والازهر وبعضها غير ممكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر واعترض الداودي رواية أمهق ليس بأبيض وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي وقال القاضي عياض انها وهم قال وكذلك رواية من روى أنه ليس بالابيض ولاالآدم ليس بصواب قال الحافظ ابن حجر هذا ليس بجيد لان المراد أنه ليس بالابيض الشديد البياض ولابالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه الحمرة والعرب قدتطلق على كل من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد والبزار وابن منده باسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسمر وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أنس فذكر الصفة النبوية فقال كان صلى الله عليه وسلم أبيض بياضه الى السمرة وفي حديث ابن عباس في صفته صلى الله عليه وسلم رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض أخرجه احمد وقد تبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض وان المراد بالبياض المثبت ماتخالطه الحمرة والمنفي مالاتخالطه وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق ولهذا تبين أن رواية المروزي أمهق ليس بأبيض مقلوبة على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالامهق الاخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولاسمرته ولاحمرته فقد نقل عن رؤبة أن المهق خضرة الماء فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث أبي جحيفة اطلاق كونه كان ابيض وكذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي وفي حديث سراقة عند ابن اسحاق فجعلت أنظر الى ساقه كأنها جمارة ولاحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وعن سعيد ابن المسيب انه سمع ابا هريرة يصفه صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوي ويجمع بينهما بما تقدم وقال البيهقي يقال ان المشرب منه بحمرة والى السمرة منه ماضحا للشمس والريح اى كالوجه والعنق واما ماتحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهى وهذا ذكره ابن أبي خيثمة عقب حديث عائشة في صفته صلى الله عليه وسلم بأبسط من هذا وزاد ولونه الذي لايشك فيه الابيض الازهر انتهى والله أعلم وقد ضعف بعضهم قول من قال انما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه بأن أنسا لايخفى عليه أمره حتي يصفه بغير صفته الملازمة له لقربه منه ولم يكن عليه الصلاة

والسلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه فى وقت غيرته الشمس لامكن فالاولى حمل السمرة فى رواية أنس على الحمرة التي تخالط البياض كما قدمناه ﴿ تنبيه ﴾ فى الشفاء حكاية عن أحمد بن أبى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل انتهى وهذا يقتضى أن مجرد الكذب عليه فى صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لابد من ضميمة مايشعر بنقص فى ذلك كما فى مسئلتنا هذه فان الإسود لون مفضول * وأماطيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن أنس قال ماشممت ريحا قط ولامسكا ولاعنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه الامام أحمد وفى رواية البخارى ولاشممت مسكة ولاعنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم وفى رواية الترمذى ولا شممت مسكا قط ولاعطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وعن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمى قالت كنا عند عتبة أربع نسوة فما منا امرأة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب الا أن يمس دهنا يمسح به لحيته وهو أطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى الناس قالوا ماشممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد فى الطيب ولانت أطيب ريحا منا فم ذلك فقال أخذنى الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فشكوت ذلك اليه فأمرنى أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبى على فرجى فنفث فى يده ثم مسح ظهرى وبطني بيده فعبق بى هذا الطيب من يومئذ رواه الطبرانى فى معجمه الصغير وروى أبو يعلى والطبرانى قصة الذى استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شئ فاستدعاه بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وقال جابر بن عبد الله كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن فى طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقى وأبو نعيم ولله در القائل

فلو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه أبو يعلى والبزار باسناد صحيح وما أحسن قول القائل

يروح على غير الطريق التى غدا * عليها فلا ينهى علاه نهاته
تنفسه فى الوقت أنفاس عطره * فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت * لها سحرا من حيه نسماته

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الاذفر رواه أبو نعيم وعن أنس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمى بقارورة

فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال ياأم سليم ماهذا الذى تصنعين قالت هـذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب رواه مسلم وفى رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت فقيل لها هـذا النبي نائم فى بيتك على فراشـك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعـة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ماتصنعين ياأم سليم فقالت يارسول الله نرجوا بركته لصبياننا قال أصبت (والعتيدة) كالصندوق الصغير الذى تترك فيه المرأة مايعز عليها من متاعها وأما ماروى أن الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم أو من عرق البراق فقال شيخنا فى الاحاديث المشتهرة قال النووى لايصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو فى مسـند الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكى بن بندار الزنجانى حدثنا الحسن بن على بن عبد الواحد القرشى حـدثنا هشام بن عمار عن الزهرى عن أنس به مرفوعا ثم قال قال أبو مسعود حدث به أبو عبد الله الحاكم عن رجـل عن مكى ومكى تفرد به انتهى ورواه أبو الحسين بن فارس اللغوى فى الريحان والراح له عن مكى به ومكى ممن اتهمه الدار قطنى بالوضع وله طريق اخرى رواه أبو الفرج النهروانى فى الخامس والتسعين من الجليس الصالح له من طريق محمد بن عنبسة بن حماد حـدثنا أبى عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن أنس رفعه لما عرج بى الى السماء بكت الارض من بعـدى فنبت اللصف من نباتها فلما أن رجعت قطر من عرقى على الارض فنبت ورد أحمر ألا من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر ثم قال أبو الفرج (اللصف الكبر) وقال وما أتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير مما أكرم الله به نبيه ودل على فضـله ورفيع منزلته انتهى وانما ذكرته ليعلم وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها (وجونة العطار) بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها واوا سليلة مستديرة مغشاة أدما وقـد ورد ممـا عزاه القاضى عياض للاخبار يين ومن ألف فى الشمائل الكريمة أنه صلى الله عليه وسـلم كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة قال غيره ولم يطلع على مايخرج منه بشر قط وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدى كما هو فى بعض نسخ الشفاء وقالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشى أصل ابن جبير بل من حواشى غيره عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي صـلى الله عليه وسلم انك تأتى الخـلاء فلا نرى منك شيأ من الاذى فقال ياعائشة أو ماعلمت أن الارض تبتلع مايخرج من الانبياء فـلا يرى منه شئ انتهى وفى الشفاء لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته صلى الله عليه وسلم فى سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته فـدخلت الموضع الذى خرج منه فـلم أر له أثر غائط ولا بول ورايت فى ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخـذتهن فوجـدت لهن رائحة طيبة وعطرا قلت وقـد سئل الحافظ

عبد الغني المقدسي هل روى أنه صلى الله عليه وسلم كان مايخرج منه تبتلعه الارض فقال قد روى ذلك من وجه غريب والظاهر يؤيده فإنه لم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه ولا ذكره واما البول فقد شاهده غير واحد وشربته أم أيمن والله أعلم انتهى لكن قال البيهقي وأما الحديث الذي أخبرنابه ابو الحسين بن بشر أنبأنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن اسماعيل الصائغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الغائط دخلت فى أثره فلا أرى شيأ الا أني كنت أشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال ياعائشة أما علمت أن أجسادنا نبتت على أرواح أهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا من موضوعات الحسين بن علوان لاينبغي ذكره ففي الاحاديث الصحيحة المشهورة فى معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان فعند الدار قطني فى الافراد حدثنا محمد بن سليمان الباهلي حدثنا محمد بن حسان الاموي أنبأنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت يارسول الله اني أراك تدخل الخلاء ثم يأتي الذي بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثرا فقال ياعائشة أما علمت أن الله امر الارض أن يبتلع مايخرج من الانبياء ومحمد بن حسان بغدادي ثقة من رجال الصحيح وله طريق اخرى عند ابن سعد واخرى عند الحاكم فى مستدركه وروى أنه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر فى وجهه فقال ويحك ماصنعت بالدم قال غيبته من وراء الحائط قال أين غيبته قلت يارسول الله نفست على دمك أن أهريقه فى الارض فهو فى بطني فقال اذهب فقد احرزت نفسك من النار وفى سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب أنه بلغه ان مالكا والد ابى سعيد الخدرى لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى أنقاه ولاح ابيض فقيل مجه فقال لا والله لاامجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد أن ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم فى الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني الدم فقال اذهب فغيبه فذهبت فشربته فأتيته صلى الله عليه وسلم فقال ماصنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته وفى رواية قلت جعلته فى اخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال لعلك شربته فقال شربته فقال ويل لك من الناس وويل للناس منك وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حملك على ذلك قال علمت ان دمك لاتصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال ويل لك من الناس وعند الدارقطني من حديث اسماء بنت ابى بكر نحوه وفيه ولا تمسك النار وفى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون انه لما شرب اى عبد الله بن الزبير دمه تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته موجودة فى فمه الى ان صلب رضى الله عنه واخرج الحسن بن سفيان فى مسنده والحاكم والدار قطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابى مالك النخعي عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب

البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت مافيها وأنا لاأشعر فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال ياأم أيمن قومى فأهريقى مافى تلك الفخارة فقلت قد والله شربت مافيها قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال أما والله لايبجعن بطنك أبدا وعن ابن جريج قال أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة ياأم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه ورواه أبوداود عن ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية أنهما قصتان وقعتا لامرأتين وقد وضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن وهو الذى ذهب اليه شيخ الاسلام البلقينى وفى هذه الاحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم .قال النووى فى شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين أن أبا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه وأن امرأة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها وحديث أبى طيبة ضعيف وحديث شرب البول صحيح رواه الدار قطنى وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف فى الاحتجاج لكل الفضلات قياسا ثم قال ان القاضى حسينا قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى ولهذا قال أبو حنيفة كما قاله العينى وأبو طيبة بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة تحت وبالموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها هو أبو مسعود الانصارى وقال شيخ الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الائمة ذلك فى خصائصه انتهى قال بعضهم وكان السر فى ذلك ماروى من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله أعلم * وأماسيرته صلى الله عليه وسلم فى البراز ففى حديث عائشة عند أبى عوانة فى صحيحة والحاكم مابال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن وفى حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسائى وابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقالوا انظروا اليه يبول كما تبول المرأة وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه أنه قال كان من شأن العرب البول قائما ويؤيده مافى حديث عبد الرحمن هذا وفيه دلالة على أنه كان يخالفهم فى ذلك فيقعد لكونه أستر وأبعد من مماسة البول وقال حذيفة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ رواه البخارى وفى رواية غيره بال قائما ففحج رجليه أى فرقها وباعد مابينهما (والسباطة) بضم المهملة وبعدها موحدة هى المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها وتكون فى الغالب سهلة لايرتد فيها البول على البائل واضافتها الى القوم اضافة اختصاص لاملك لانها لاتخلو عن النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهى الجدار ففيه اضرار أو نقول انما بال فوق السباطة لافى أصل الجدار وهو صريح فى رواية أبى عوانة فى صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم فى ذلك بالتصريح أو غيره او لكونه مما يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك أو لكونه يجوز له التصرف فى مال امته دون غيره لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم وأموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ ابن حجر وأما مخالفته صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن أعين النظار فقد قيل فيه أنه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول فلو أبعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو فى البول أخف من الغائط لاحتياجه الى زيادة تكشف والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر وروى الطبرانى من حديث عصمة بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال ياحذيفة استرنى فذكر الحديث وظهر منه الحكمة فى ادنائه حذيفة فى تلك الحالة وقيل انما بال قائما لانها يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار ويؤيده ماروا عبد الرزاق عن عمر رضى الله عنه قال البول قائما أحصن للدبر وقيل السبب فى ذلك ماروى عن الشافعى وأحمد أن العرب كانت تستشفى لوجع الصلب بذلك فلعله كان به وروى الحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه (والمأبض) بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لاجله من القعود ولوصح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ماتقدم ولكن ضعفه الدار قطنى والبيهقى والاظهر أنه فعل ذلك لبيان الجواز وكان أكثر أحواله البول من قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عائشة المتقدم والصواب أنه غير منسوخ والجواب عن حديث عائشة أنه مستند الى علمها فيحمل على ماوقع منه فى البيوت وأما غير البيوت فلم تطلع هى عليه وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو جائز من غير كراهة اذا أمن الرشاش وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث رواه البخارى من حديث أنس والخبث بضم المعجمة والموحدة ومراده ذكر ان الشياطين واناثهم وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية المعدة لذلك لكونه حضرة الشياطين أو يعم الاصح الثانى ويقول ذلك قبيل الدخول فى الامكنة وأما فى غيرها فيقول فى أول الشروع كتشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور فلو نسى يستعيذ بقلبه لابلسانه وعن أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذى وأبو داود والدارمى وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذى وابن ماجه وعن أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذى أذهب عنى الاذى وعافانى رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يوليها ظهره شرقوا أو غربوا رواه البخارى من حديث أبى أيوب الانصارى وهذا فى الصحراء اما فى البنيان فلا لما روى عن ابن عمر ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام رواه الشيخان واما حديث جابر عند ابى داود وابن خزيمة ولفظه عند احمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها بفروجنا اذا اهرقنا الماء قال ثم رأيته قبل موته بعام

مستقبل القبلة فقال فى فتح البارى الحق أنه ليس بناسخ لحديث النهى خلافا لمن زعمه بل هو محمول على أنه رآه فى بناء أونحوه لان ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته فى التستر ودعوى خصوصية ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم لادليل عليها اذ الخصائص لاتثبت بالاحتمال ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعى واسحاق التفريق بين البنيان والصحراء وهذا أعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن أبى حنيفة وأحمد ورجحه من المالكية ابن العربى وحجتهم أن النهى مقدم على الاباحة ولم يصححوا حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بأن الاحاديث تعارضت فلنرجع الى أصل الاباحة وفى البخارى عن أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته أجئ أنا وغلام معنا اداوة من ماء يعنى ليستنجى به وفى رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء وعن أبى هريرة قال اتبعت النبى صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته فقال ابغنى أحجارا أستنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا روث فأتيته بأحجار بطرف ثيابى فوضعتها الى جنبه فلما قضى حاجته أتبعه بهن وعن عبدالله بن مسعود قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم الغائط فأمرنى أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى الروثة رواه البخارى وفى حديث سلمان عند مسلم مرفوعا لايستنج أحدكم بأقل من ثلاثة أحجار وقد أخذ الشافعى وأحمد وأصحاب الحديث بهذا فاشترطوا أن لاينقص عن الثلاثة مع مراعاة الانقاء اذا لم يحصل بها فنزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الايتار لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة فى أبى داود حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابى لوكان القصد الانقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقاء فيه معنى دل على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقراء فان العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد وقال الطحاوى لوكان العدد مشترطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا وغفل رحمه الله عما أخرجه أحمد فى مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود فى هذا الحديث فان فيه فألقى الروثة وقال انها ركس ائتنى بحجر ورجاله ثقات أثبات واستدلال الطحاوى فيه نظر لاحتمال أن يكون اكتفى بطرف أحدها عن الثالث لان المقصود بالثلاثة أن يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من فتح البارى

﴿ الفصل الثانى فيما أكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكيه وشرفه به من الاوصاف المرضيه ﴾

اعلم أن الاخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق بالفتح وبالضم فى الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذى بالفتح بالهيآت والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذى بضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم الحديث رواه البخارى وقد قال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع فى حديث الأشج أنه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فى أو حديثا قال

قديمـا قال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله رواه أحمد والنسائى وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن فى الخلق ماهو جبلى وما هو مكتسب وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى أخرجه أحمد وصححه ابن حبان وعند مسلم فى حديث دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها الا أنت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال مالايحيط به حد ولا يحصره عد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على أنه مستعل على هذه الاخلاق ومستول عليها والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بهـا الاتيان بالافعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسـلم بما يرجع الى قوته العلمية بأنه عظيم فقال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ووصف مايرجع الى قوته العملية بأنه عظيم فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيمابين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة قال الحليمى وانما وصف خلقه بالعظم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسـلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شـديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم أولى ليشمـل الانعام والانتقام وقال الجنيد وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه الصـلاة والسـلام عاشر الخلق بخلقـه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليـه السـلام فيما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند فيه عمر بن ابراهيم المقدسى وهو ضعيف عن جابر أن الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية مالك فى الموطأ بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه أدب بالقرآن كما قالت عائشـة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال بعض العارفين وقد علم أن القرآن فيه المتشابه الذى لايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به أى أقررناه فى نصابه وأقررنا به من خلف حجابه وتقلدنا سيف الحجة به ولكن فى قرابه

وما كونه مما تحصل مقلة * ولا حده مما تحس الانامل

وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا باخـلاق الله تعـالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسـترا للحال بالطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى فكما أن معانى القرآن لاتتناهى فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لاتتناهى اذ فى كل حالة من أحواله يتجدد له من مكارم الاخـلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه مالا يعلمه الا الله تعالى فاذ التعرض لحصر جزئيات أخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته قال الحرالى وهو كما فى القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة بالبربر اسمه على بن أحمد بن الحسن ذو التصانيف المشهورة ولما كان عرفان قلبه

عليه السلام بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربى عرفت كل شئ كانت أخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما أن الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين انتهى وهذا مصير منه الى أنه صلى الله عليه وسلم قد أرسل الى الملائكة أيضا وسيأتى الكلام فى ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى وهو المستعان وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى أصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود المهى ولهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف فى قلبه حتي وصل الى الغاية العليا والمقام الاسني وأصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان قال بعضهم لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر * واما ماروى أن الله لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أشرف منك فبك آخذ وبك أعطى فقال ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى وفى زوائد عبد الله ابن الامام أحمد على الزهد لابيه عن على بن مسلم عن سيار بن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد وكان جماعا للرقائق وقال القواريرى انه لم يكن له عقل قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصرى مرسلا لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال ماخلقت خلقا أحب الى منك بك آخذ وبك أعطى وأخرجه داود بن المحبر فى كتاب العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ أبو الفضل بن حجر والوارد فى أول ماخلق الله حديث أول ماخلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل ولابى الشيخ عن قرة بن اياس المزنى رفعه الناس يعملون الخير وانما يعطون أجورهم على قدر عقولهم وقد اختلف فى هية العقل اختلافا طويلا يطول استقصاؤه وفى القاموس ومن خط مؤلفه نقلت العقل العلم أو بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعانى مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات يستتب بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلماته والحق أنه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصائصه جسيمة حارت العقول فى بعض فيض ماأفاضه من غيبه لديه وكلت الافكار فى معرفة بعض ماألهمه الله عليه وكيف لايعطى ذلك وقد امتلأ قلبه وباطنه وفاض على جسمه المكرم ماوهبه من أسرار الهيته ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته قال وهب بن منبه قرأت فى احدى وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا رواه أبو نعيم فى الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو فى عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبي صلى الله

عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد والطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق أنه أعقل العالمين ولما كان عقله عليه السلام أوسع العقول لاجرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لايضيق عن شئ فمن ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه السلام على مايكره وحسبك صبره وعفوه عليه السلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له فى أشد مانالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى أو اهد قومى فانهم لايعلمون قال ابن حبان أى اغفر لهم ذنبهم فى شج وجهى لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو أجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله وقد روى عن عمر أنه قال فى بعض كلامه بأبي أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين الآية ولو دعوت علينا مثله لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون (وههنا دقيقة) وهى أنه عليه السلام لما شج وجهه عفا وقال اللهم اهد قومى وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا فاحتمل الشجة الحاصلة فى وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة فى وجه دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه واعلم أن الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس على التألم بما يفعل بها ولهذا شق عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور فى القسمة لكنه عليه السلام حلم على القائل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابر وأن الله يأجره بغير حساب وصبره عليه السلام على الاذى انما هو فيما كان من حق نفسه وأما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد وقع له عليه السلام أنه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الى أن ذلك كان فى أمر الله وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد فى الزجر فصبره وعفوه انما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد روى الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده به عبد الغنى وذكره الدارقطنى وبالمثناة التحتية ثبت فى الشفاء وصحح عليه مؤلفه بخطه وهو الذى ذكره ابن اسحاق وهو كما قاله النووى أجل أحبار اليهود الذين أسلموا أنه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضينى يامحمد حقى فوالله انكم يابنى عبد المطلب مطل فقال عمر أى ع و الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماأسمع

فوالله لولا ماأحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك ياعمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة اذهب به ياعمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان مارعته ففعل فقلت ياعمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فقد خبرتهما فاشهدك أني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وعن أبي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى أعرابي قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابي احملني على بعيري هذين فانك لاتحملني من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لاأحملك حتي تقيدني من جذبتك التي جذبتني فكل ذلك يقول له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الاخر شعيرا رواه أبو داود ورواه البخارى من حديث أنس بلفظ كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يامحمد مرلي من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء وفى هذا بيان حلمه عليه السلام وصبره على الاذى فى النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وعن عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذى أى لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا وروى البخارى من حديث ابن عمر ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفاحشا وفى روايته أيضا من حديث أنس بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فاحشا ولا لعانا والفحش كل ماخرج عن مقداره حتي يستقبح ويدخل فى القول والفعل والصفة لكن استعماله فى القول أكثر والمتفحش بالتشديد الذى يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عائشة أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس أخو العشيرة أو بئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم فى وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت فى وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة متي عهدتيني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره رواه البخارى قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وكان يقال له الاحمق المطاع وكذا فسره به القاضى عياض والقرطبي والنووى وأخرج عبد الغني من طريق أبى عامر الخزاعي عن عائشة قالت جاء مخرمة بن نوفل يستأذن فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته قال بئس أخو العشيرة الحديث والمراد بالعشيرة الجماعة أو القبيلة وانما تطلق صلى الله عليه وسلم فى وجهه تألفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم وقد جمع هذا الحديث كما قال الخطابى علما وأدبا وليس قوله عليه الصلاة والسلام فى امته بالامور التي يسمهم بها ويضيفها اليهم من المكروه غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم فى بعض بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمرهم فان ذلك من باب

النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه ليقتدى به أمته فى اتقاء شر من هذا سبيله وفى مداراته ليسلموا من شره وغائلته وقال القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق أوالفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم مالم يؤد ذلك الى المداهنة فى دين الله ثم قال تبعا للقاضى حسين والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أوهما معا وهى مباحة وربما استحسنت والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق فى مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله فان قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا التقدير الاشكال ولله الحمد وقال القاضى عياض لم يكن عيينة والله أعلم حينئذ اسلم فلم يكن القول فيه غيبة أوكان أسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين ذلك لئلا يغتر من لم يعرف باطنه وقد كانت منه فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده أمور تدل على ضعف ايمانه فيكون ماوصفه به عليه الصلاة والسلام من علامات النبوة وأما الانة القول بعد أن دخل فعلى سبيل الائتلاف وفى فتح البارى أن عيينة ارتد فى زمن الصديق وحارب ثم رجع وأسلم وحضر بعض الفتوح فى عهد عمر انتهى * وماانتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه رواه البخارى فان قلت قد صح أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافى قوله وما انتقم لنفسه فالجواب أنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل أراد أنه لاينتقم اذا أوذى فى غير السب الذى يخرج الى الكفر كما عفا عن الاعرابى الذى جفانى رفع صوته عليه وعن الآخر الذى جبذ بردائه حتى اثر فى كتفه وحمل الداودى عدم الانتقام على مايختص بالمال وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهرى مطولا وأوله مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر أى بصريح اسمه وماضرب بيده شيأ قط الا أن يضرب فى سبيل الله ولاسئل شيأ قط فمنعه الا أن يسأل مأثما ولا انتقم لنفسه من شئ الا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث ومما روى من اتساع خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للطائفة المنافقين الذين كانوا يؤذونه اذا غاب ويتملقون له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية وكان عليه السلام كلما أذن له فى التشديد عليهم فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله عليه استغفر لهم أولا تستغفر لهم فقال عليه السلام خيرنى ربى فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وأمر ولدا لذى تولى كبر النفاق والاذى منهم ببر أبيه ولما مات كفنه فى ثوبه خامعه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجذبه بثوبه ويقول يارسول الله أتصلى على رأس المنافقين فنتر ثوبه من عمر وقال اليك عنى ياعمر فخالف مؤمنا وليافى حق منافق عدو وكل ذلك رحمة منه لامته أشار اليه الحرالى وقال النووى قيل انما أعطاه قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه اليه وقيل مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصا وفى ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاق

النبى صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى فألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك أنه عليه السلام لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفا عن اليهودية التي سمته فى الشاة على الصحيح من الرواية والله تعالى يرحم القائل

وما الفضل الا خاتم أنت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذرى

ومن ذلك اشفاقه صلى الله عليه وسلم على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر فقال من بلى بهذه القاذورات يعنى المحرمات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم فى رجل كان كثيرا مايؤتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه مرة فقال لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله فأظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا * ومن ذلك ماروا الدار قطنى من حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصغى الى الهرة الاناء حتي تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن ذلك اتساع خلقه فى شريف تواضعه وآدابه وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه وقال بعضهم اعلم أن العبد لايبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم فى أوطان القرب وحسبك من تواضعه صلى الله عليه وسلم أن خيره ربه تعالى بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار الثانى فأعطاه الله تعالى بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع فلم يأ كل متكئا بعد ذلك حتي فارق الدنيا وقد قال عليه الصلاة والسلام لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذى * ومن تواضعه عليه السلام أنه لاينهر خادما روينا فى كتاب الترمذى عن أنس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ماضرب منهم أحدا قط وهذا أمر لاتتسع له الطباع البشرية لولا التأييدات الربانية وفى رواية مسلم مارأيت أحدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة ماضرب صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا أن يجاهد فى سبيل الله وما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وسئلت عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا فى بيته قالت ألين الناس بساما ضاحكا لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه وعنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وعند أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفى رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنه أيضا يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على أوقات فانه ثبت أنه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتاره بالمشاركة وكان يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة

على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذى وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد ياقيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما أن تركب واما أن تنصرف وفى رواية أخرى اركب أمامى فصاحب الدابة أولى بمقدمها رواه أبو داود وغيره وفى البخارى من حديث أنس بن مالك أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وانى لرديف أبى طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة فقلت المرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها أمكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث والمرأة صفية والردف والرديف الراكب خلف الراكب باذنه وقال معاذ بن جبل بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه الا آخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف عليه قطيفة فدكية أردف أسامة وراءه ولما قدم عليه السلام مكة استقبله أغيلمة بنى عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وقال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه رواه البخارى وذكر المحب الطبرى فى مختصر السيرة النبوية له أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة معه قال ياأبا هريرة أأحملك فقال ماشئت يارسول الله فقال اركب فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال ياأبا هريرة أأحملك فقال ماشئت يارسول الله فقال اركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال ياأبا هريرة أأحملك فقال لا والذى بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر المحب الطبرى أيضا أنه عليه السلام كان فى سفر وامر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقال آخر يارسول الله على سلخها وقال آخر يارسول الله على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكنى كره ان أتميز عنكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه انتهى ولم أر هذا لغير الطبرى بعد التتبع نعم رايت فى جزء تمثال النعل الشريف لابى اليمن بن عساكر بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف فانقطعت شسعه فقلت يارسول الله ناولنى اصلحه فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة (والاثرة) بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يؤثر اذا اعطى والاثرة الاستئثار وهو الانفراد بالشئ قال وكأنه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد باصلاح نعله فيحوز فضيلة الخدم فيكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم على خادمه كره ذلك صلى الله عليه وسلم لتواضعه وعدم ترفعه على من يصحبه ويؤيده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم اراد ان يمتهن نفسه فى شئ فقالوا نحن نكفيك يارسول الله قال قد علمت أنكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه انتهى ثم رأيت شيخنا فى الاحاديث المشتهرة حكى ذلك والله الموفق وعن أبى قتادة وفد وفد النجاشى فقام النبى صلى الله عليه

وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك قال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أ كافئهم ذ كره فى الشفاء وفى البخارى عن أنس كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير وان أهلى أمرونى أن آتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كانوا أعطوه أو بعضه وكان صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى تقول كلا والذى لااله غيره لايعطيكم وقد أعطانيها أو كما قال والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا والله حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو كما قال وانما فعلت هذا أم أيمن لانها ظنت انها كانت هبة مؤبدة وتمليكا لاصل الرقبة وأراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة قلبها فى استرداد ذلك فلاطفها وما زال يزيدها فى العوض حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم وا كرام لها لمالها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى مافى هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره صلى الله عليه وسلم وجاءته صلى الله عليه وسلم امرأة كان فى عقلها شئ فقالت ان لى اليك حاجة فقال اجلسى فى أى سكك المدينة شئت اجلس اليك وفى رواية مسلم حتى أقضى حاجتك فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ولا ريب أن هذا كله من كثرة تواضعه صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن أبي الحمساء بالحاء المهملة المفتوحة والميم الساكنة والسين المهملة وفى آخره همزة ممدودة بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه فنسيت فذ كرت بعد ثلاث فاذا هو فى مكانه فقال لقد شققت على أ ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود وقال ابن أبى أوفى كان عليه السلام لايأنف أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة رواه النسائى وفى رواية البخارى ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفى رواية أحمد فتنطلق به فى حاجتها وعنده أيضا ان كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجئ فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل على أنواع من المبالغة فى التواضع لذ كره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء أى أى أمة كانت وبقوله حيث شاءت أى من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها فى تلك الحالة لساعدها على ذلك وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل الحسن وهو يصلى قد سجد فركب على ظهره فابطأ فى سجوده حتى نزل الحسن فلمافرغ قال له بعض أصحابه يارسول الله قد أطلت سجودك قال ان ابني ارتحلنى فكرهت أن أعجله اى جعلني كالراحلة فركب على ظهرى وكان عليه الصلاة والسلام يعود المرضى ويشهد الجنازة أخرجه الترمذى فى الشمائل وحج عليه الصلاة والسلام على رحل رث وعليه قطيفة لاتساوى اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم والترمذى وكان عليه الصلاة والسلام حسن العشرة مع ازواجه وكان عليه الصلاة والسلام ينام مع ازواجه قال النووى وهو ظاهر فعله الذى واظب عليه مع مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن

فاذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا أن اجتماع الزوج مع زوجته فى فراش واحد أفضل لاسيما اذا عرف من حالها حرصها على هذا ولا يلزم من نومه معها الجماع والله أعلم وقد كان عليه الصلاة والسلام يسرب الى عائشة بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت من الاناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت عرقا وهو العظم الذى عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها رواه مسلم أيضا وكان يتكئ فى حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وكان يريها الحبشة وهم يلعبون فى المسجد وهى متكئة على منكبه رواه البخارى ورواه الترمذى بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشة تزفن والصبيان حولها فقال ياعائشة تعالى فانظرى فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر اليها ما بين المنكب الى رأسه فقال لى أما شبعت أما شبعت قالت فجعلت أقول لالا وقال حسن صحيح غريب وروى انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها قال هذه بتلك رواه أبوداود بلفظ سابقته فى سفر فسبقته على رجلى قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقنى فقال هذه بتلك السبقة وعن أنس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنها اذ أتى بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة فوضعت بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا أيديكم فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة تصنع طعاما عجلته قد رأت الصحفة التى أتى بها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله غارت أمكم ثم أعطى صحفتها امسلمة فقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء رواه الطبرانى فى الصغير وهو عند البخارى بلفظ كان عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التى النبي فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة وانفلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت وعند أحمد وأبى داود والنسائى قالت عائشة مارأيت صانعة طعاما مثل صفية أهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسى ان كسرته فقلت يارسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم فأخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله عليه وسلم يلتقط اللحم والطعام وهو يقول غارت أمكم فلم يثرب عليها فوسع خلقه الكريم آثار طفحات آثار غيرتها ولم يتأثر وقضى عليها بحكم الله فى التقاص وهكذا كانت أحواله عليه الصلاة والسلام مع أزواجه لايأخذ عليهن ويعذرهن وان أقام عليهن قسطاس عدل اقامه بغير قلق ولاغضب بل رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه مايعنتهم قيل وفى هذا الحديث اشارة الى عدم مؤاخذة الغيرى فيما يصدر منها لانها فى تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذى أثارته الغيرة وقد أخرج أبو يعلى بسند لابأس به عن عائشة مرفوعا ان الغيرى لاتبصر أسفل الوادى من أعلاه انتهى وعن عائشة رضى الله عنها أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها

وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لها لتأكلين أولا لطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا في سيرته (والخزيرة) لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لامرمى وراءها لمخلوق وانه كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه بما يولج حبه في القلوب كان له رجل من البادية يسمى زهيرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما الى السوق فوجده قائما فجاء من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت امسح ظهري في صدره رجاء بركته وفي رواية الترمذي في الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال أرسلني من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لايألو ماألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال له زهير يارسول الله اذا تجدني كاسدا فقال صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال وفي رواية للترمذي أيضا لكن عند الله لست بكاسد أوقال أنت عند الله غال وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم أن رجلا كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل فاذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط هذا حق متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتبسم ويأمر به فيعطي ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان لايدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يارسول الله هذا هدية لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه * وكان عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول الاحقا كما روى ابو هريرة وقد قال له رجل كان فيه بله يارسول الله احملني فباسطه عليه الصلاة والسلام من القول بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال احملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ماتصدق عليه البنوة فقال يارسول الله ماعسى يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة روى حديثه الترمذي وابو داود وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها ان الجنة لاتدخلها عجوز فلما جزعت قال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة وفي رواية الترمذي عن الحسن أتته صلى الله عليه وسلم عجوز فقالت يارسول الله ادع الله لي ان يدخلني الجنة فقال ياأم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وذكره رزين وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجالسهم في حجره

ومع ذلك سره فى الملكوت يجول حيث أراد الله به (والدعابة) بضم الدال وتخفيف العين المهملتين وبعد الالف موحدة هى الملاطفة فى القول بالمزاح وغيره وقد أخرج الترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة قالوا يارسول الله انك تداعبنا قال اني لاأقول الاحقا * وماورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهى عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله والفكر فى مهمات الدين وغير ذلك والذى يسلم من ذلك هو المباح فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه الصلاة والسلام فهو مستحب وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزينا فقال ماشأنه قالوا مات نغره فقال ياأبا عمير مافعل النغير رواه البخارى ومسلم وفى رواية الترمذى قال أنس ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتي يقول لاخ لى صغير ياأبا عمير مافعل النغير قال الجوهرى (النغير) تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران مثل صرد وصردان وكان قد ألقى عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك ولا جبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال ياأيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لايبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا فسكن عليه الصلاة والسلام روعه شفقة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم وسلب عنه وصف الملوكية بقوله فانى لست بملك لما يلزمها من الجبروتية وقال انما أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعا لان القديد مفضول وهو مأكول المتمسكنة ولما رأته عليه الصلاة والسلام قيلة بنت مخرمة فى المسجد وهو قاعد القرفصاء ارتعدت من الفرق رواه أبوداود وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه لما قدرت أو كما قال واذا كان هذا قوله وهو من أجلة الصحابة فلو أنه عليه الصلاة والسلام كان يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر أحد منهم أن يقعد معه ولا أن يسمع كلامه عليه الصلاة والسلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة يبين ذلك ويوضحه ماروى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك الى الصلاة وما ذاك الا أنه عليه الصلاة والسلام لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتدانى فى مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التى يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر ان يلقاه ولا يباشره فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة او يضطجع بالارض حتى يحصل التأنيس بجنسهم وهو التأنيس مع عائشة او جنس اصل الخلقة التى هى الارض ثم يخرج اليهم وما ذلك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رحيما قاله ابن الحاج فى المدخل وقد جاء فى الحديث انه لما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية فلما كان تواضعه عليه الصلاة والسلام الى الارض حيث أشار جبريل

أورثه الله تعالى رفعته الى السماء ثم الى الرفرف الاعلى الى حضرة قاب قوسين أوأدنى ووقف بين يديه محمود بن الربيع وهو صغير ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام فى وجهه مجة من ماء من دلو يمازحه بها فكان فى ذلك من البركة أنه لما كبر لم يبق فى ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الاتلك المجة فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور فى البخارى ودخلت عليه ربيبته زينب بنت أم سلمة وهو فى مغتسله فنضح الماء فى وجهها فكان فى ذلك من البركة فى وجهها أنه لم يتغير فكان ماء الشباب ثابتا فى وجهها ظاهرا فى رونقها وهى عجوز كبيرة وحديثها مذكور فى البخارى فقد علمت أنه صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه وأهله ومع الغريب والقريب من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعى ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم اليه وهذا الميدان لاتجد فيه الاواجبا أو مستحبا أو مباحافكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيئوا بنور هدايته فى ظلمات دياجى الجهل ويقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم وقد كانت مجالسه عليه الصلاة والسلام مع اصحابه رضى الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب امابتلاوة القرآن أوبما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ماينفع فى الدين كما أمره الله تعالى أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة كما ذكره أبو هريرة فيما رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه قال قلنا يارسول الله مالنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا فى الدنيا وكنا من أهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا أهلنا وشممنا أولادنا وأنكرنا أنفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لوأنكم اذاخرجتم من عندى كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة فى بيوتكم الحديث وقوله (عافسنا) بالعين المهملة بعد الالف فاء فسين مهملة ساكنة أى عالجنا أهلنا ولاعبناهم * ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه ماعاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والاتركه رواه الشيخان وهذا اذا كان الطعام مباحا أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى أن العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة الله تعالى لاتعاب وصنعة الآدميين تعاب قال فى فتح البارى والذى يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع * قال النووى ومن آداب الطعام المتأكدة أن لايعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك * ومن تواضعه أن هذه الدنيا شاع سبها فى العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الدنيا ثم مدحها فقال نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وقال لاتسبوا الدهر رواه البخارى من حديث أبى هريرة بلفظ ولاتقولوا خيبة الدهر فان الدهر هو الله وفى لفظ له يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار وعند مسلم فى حديث بلفظ لايسب احدكم الدهر (ومحصل ماقيل فى تأويله) ثلاثة أوجه احدها ان المراد بقوله ان الله هو الدهر اى المدبر للامور ثانيها انه على حذف مضاف اى صاحب الدهر ثالثها التقدير مقلب الدهر ولذلك عقبه بقوله فى رواية البخارى بيدى الليل والنهار وقال المحققون من نسب شيأ من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد

لذلك فليس بكافر لكن يكره ذلك لتشبهه بأهل الكفر فى الاطلاق وماخير صلى الله عليه وسلم بين امرين الااختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه رواه البخارى أى بين أمرين من أمور الدنيا لااثم فيهما وأبهم فاعل خير ليكون أعم من قبل الله أو من قبل المخلوقين وقوله الااختار أيسرهما وقوله مالم يكن اثما أى مالم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد وفى حديث أنس عند الطبرانى فى الاوسط الااختار أيسرهما ـ لم يكن لله فيه سخط ووقوع التخيير بين مافيه اثم ومالااثم فيه من قبل المخلوقين واضح * ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن أنس أنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهى تبكى عند قبر فقال اتقى الله واصبرى قالت اليك عنى فانك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال لها ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماعرفته قال انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخارى لكن فى حديث أبى موسى انه كان بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف وجمع بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن فى شغل من أهله ولاانفراد من أمره أنه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه وفى حديث عمر حين استأذن له الاسود فى قصة حلفه أن لايدخل على نسائه شهرا ففيه أنه كان فى وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا ولولا ذلك لاستأذن عمر بنفسه ولم يحتج الى قوله يارباح استأذن لى لكن يحتمل ان يكون سبب استئذان عمر أنه خشى ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فأراد ان يختبر ذلك باستئذانه عليه فلما اذن له اطمأن وقد اختلف فى مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعى وجماعة ينبغى للحاكم أن لايتخذ حاجبا وذهب آخرون الى جوازه وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم وقال آخرون بل يستحب ذلك حينئذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير والله اعلم * وأما ماروى من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك مافى البخارى من حديث ابى سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها (والعذراء) هى البكر (والخدر) بكسر الخاء المعجمة اى فى سترها وهو من باب التتميم لان العذراء فى الخدر يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر أن المراد تقييده اذا دخل عليها فى خدرها لاحيث تكون منفردة فيه والحياء بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب حياة القلب تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب حيا كان الحياء اتم وهو فى اللغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف مايعاب به وقد يطلق على مجرد ترك الشئ بسبب والترك انما هو من لوازمه وفى الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة مايسبق منك الى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال يحيى بن معاذ من استحيا من الله مطيعا استحيا منه وهو مذنب وهذا الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى فى حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحى خجل فانه اذا وقع منه ذنب استحيا الله من نظره اليه فى تلك الحالة لكرامته عليه فيستحيي ان يرى من وليه مايشينه عنده وفى الشاهد شاهد بذلك فان

الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من صاحب او ولد أو من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من الاطلاع عليه حياء عجيب حتى كأنه هو الجانى وهذا غاية الكرم وللحياء أقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه عليه الصلاة والسلام من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيا أن يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه وأحس به فى وجهه فلا يدرى ماسببه ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بين محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وان قدره أعلى وأجلى منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لامحالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعه من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيي باحداهما من الاخري وهذا أكمل مايكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر والحياء كما قال عليه الصلاة والسلام لا يأتى الا بخير وهو من الايمان كما رواهما البخارى قال القاضى عياض وغيره وانما جعل الحياء من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وقال القرطبى الحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزى غير أن من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان فى الغريزى اشد حياء من العذراء فى خدرها وقال القاضى عياض وروى عنه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لايثبت بصره فى وجه أحد * وأما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا فاعلم أن الخوف والوجل والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجارى الانفاس وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام وهذا سبب الخوف لاأنه نفسه وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره والخشية أخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهو خوف مقرون بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم أنا أتقاكم لله وأشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذى يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احداهما حركة للهرب منه وهى حالة الخوف والثانية سكونه وقراره فى مكان لايصل اليه وهى الخشية وأما الرهبة فهى الامعان فى الهرب من المكروه وهى ضد الرغبة التى هى سفر القلب فى طلب المرغوب فيه وأما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته وأما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والاجلال وأكثر مايكون مع المعرفة والمحبة والاجلال تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاعلمكم بالله وأشدكم له خشية رواه البخارى وقال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخارى من حديث أبى هريرة وفيه دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى عليها غيره من المخلصين من أمته لكن بطريق الاجمال وأما تفصيلها فاختص

بها صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال والذى نفس محمد بيده لو رأيتم مارأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رأيت يارسول الله قال رأيت الجنة والنار فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره ولذا قال ان أتقاكم واعلمكم بالله أنا وهو فى الصحيح من حديث عائشة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه بلفظ كأزيز الرحا أى خنين من الخوف بالخاء المعجمة وهو صوت البكاء وقيل هو أن يجيش جوفه ويغلى بالبكاء * واما ماروى من شجاعته عليه الصلاة والسلام ونجدته وقوته فى الله وشدته فعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا وفى رواية كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبي طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال مارأينا من شئ وان وجدناه لبحرا او انه لبحر قال وكان فرسا يبطأ رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وللبخارى ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لايجارى وفى اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم (قوله لن تراعوا) أى روعا مستقرا أو روعا يضربكم وفى الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته فى الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته فى انقلاب الفرس سريعا بعد أن كان يبطأ وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام وجدناه بحرا أى واسع الجرى وكان فيه قطاف (يقال قطف الفرس فى مشيه) اذا تضايق خطوه وأسرع مشيه قال القاضى عياض وقد كان فى أفراسه صلى الله عليه وسلم فرس يقال له مندوب فلعله صار اليه بعد أبى طلحة وقال النووى يحتمل أنهما فرسان اتفقا فى الاسم وقال ابن عمر مارأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر ابن اسحاق فى كتابه وغيره أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينا هو ذات يوم فى شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ياركانة ألا تتق الله وتقبل ماأدعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ركانة يامحمد هل من شاهد يدل على صدقك قال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يامحمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل ذلك به ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه أبو داود والترمذى وكذا البيهقى من رواية سعيد بن جبير (وقد صارع صلى الله عليه وسلم جماعة غير ركانة) منهم أبو الاسود الجمحى كما قاله السهيلى ورواه البيهقى وكان شديدا بلغ من

شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن وفي قصته طول وفي البخاري من حديث البراء وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وهذا في غاية مايكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب ومع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به * وقمنا خلفه وأما ماذكر من سخائه وجوده وكرمه فاعلم أن السخاء صفة غريزية وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح لمن وقي الشح وحكم بالفلاح أيضا لمن أنفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الآدمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخاء في الغريزة والسخاء أتم وأكمل من الجود وفي مقابلته البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الرياء ويأتي به الانسان متطلعا لغرض من الخلق أو الحق بمقابلة من الثناء أو غير ذلك من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق الرياء الى السخاء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض أشار اليه في عوارف المعارف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وأجود أفعل تفضيل من الجود وهو اعطاء ماينبغي لمن ينبغي ومعناه هو أسخى الناس ولما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة لا بد أن يكون فعله أحسن الافعال وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق فلا شك يكون أجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات واقتصار أنس على هذه الاوصاف الثلاثة من جوامع الكلم لانها أمهات الاخلاق فان في كل انسان ثلاث قوى احداها الغضب وكمالها الشجاعة وثانيها الشهوانية وكمالها الجود وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة وفي رواية لمسلم عنه ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لايخاف الفقر وعنده أيضا عن صفوان بن أمية قال أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأعطاني وانه لمن أبغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم

مائة ثم مائة وفى مغازى الواقدى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذ واديا مملوأ ابلا ونعما فقال صفوان أشهد ماطابت بهذا الا نفس نبي ويرحم الله ابن جابر حيث قال

هـذا الذى لايتقى فقرا اذا * يعطى ولو كثر الانام وداموا

واد من الانعام أعطى آملا * فتحيرت لعطائه الاوهام

وانما أعطاه ذلك لانه عليه الصلاة والسلام علم أن داءه لايزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فعالجه حتي برئ من داء الكفر وأسلم وهذا من كمال شفقته ورحمته ورأفته عليه الصلاة والسلام اذ عامله بكمال الاحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان على اذا وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة وخرج ابن عدى باسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعا أنا أجود بنى آدم فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بنى آدم على الاطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم ولقد أحسن ابن جابر حيث قال

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومنسجم

من وجه أحمد لى بدر ومن يده * بحر ومن فمه در لمنتظم

يمم نبيا تبارى الريح أنمله * والمزن من كل هام الودق مرتكم

لو عامت الفلك فيما فاض من يده * لم تلق أعظم بحر منه ان تعم

تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ * به ودع كل طام موج ملتطم

لو لم تحط كفه بالبحر ماشملت * كل الانام وروت قلب كل ظم

فسبحان من اطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السحاب من غمائم يمينه روى البخارى من حديث جابر ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ قط فقال لا وكذا عند مسلم أى ماطلب منه شئ من أمر الدنيا فمنعه قال الفرزدق

ماقال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم

لكن قال شيخ مشايخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر ليس المراد انه يعطى مايطلب منه جزما بل المراد انه لاينطق بالرد بل ان كان عنده أعطاه ان كان الاعطاء سائغا والا سكت قال وقد ورد بيان ذلك فى حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد أن يفعل قال نعم وان لم يرد أن يفعل سكت وهو قريب من حديث أبي هريرة ماعاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لامنعا للعطاء ولا يلزم من ذلك أن لايقولها اعتذارا كما فى قوله قلت لاأجد ماأحملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قوله لاأجد ماأحملكم وبين لاأحملكم انتهى وهو نظير مافى حديث أبي موسى الاشعرى لما سأله الاشعريون الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ماعندى ماأحملكم لكن يشكل عليه أنه صلى الله عليه وسلم حلف لايحملهم فقال والله لاأحملكم فيمكن أن يخص من

عموم حديث جابر ماذا سئل ماليس عنده والسائل يتحقق انه ليس عنده ذلك أو حيث كان المقام لايقتضى الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة أو من حال السائل كان لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر فى جوابه على السكوت مع حاجة السائل لتمادى على السؤال مثلا ويكون القسم على ذلك تأكيدا لقطع طمع السائل والسر فى الجمع بين قوله لا أجد ما أحملكم وقوله والله لاأحملكم ان الاول لبيان ان الذى سئله لم يكن موجودا عنده والثانى أنه لايتكلف الاجابة الى ماسئل بالقرض مثلا أو بالاستيهاب اذ لااضطرار حينئذ وروى الترمذى أنه حمل اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ماعندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءناشئ قضيناه قال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر فكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يارسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا أمرت وانما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كاستئلاف ونحوه وذكر ابن فارس فى كتابه فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى يوم حنين جاءته امرأة فانشدت شعرا تذكره أيام رضاعته فى هوازن فرد عليهم ماأخذ وأعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ماأعطاهم ذلك اليوم مكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله فى الوجود وفى البخارى من حديث انس انه أتى بمال من البحرين فقال انثروه يعنى صبوه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد ولم يلتفت فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء لعباس فقال أعطنى فانى اديت نفسى وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه الى قال لا قال فارفعه أنت على قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه على قال لا قال فارفعه أنت قال لا ثم نثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما زال النبى صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه فما قام عليه الصلاة والسلام وثم منها درهم وفى رواية ابن أبى شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان مائة ألف وأنه أرسل به العلاء بن الحضرمى من خراج البحرين وهو أول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم وسايره جابر على جمل له فقال له عليه الصلاة والسلام بعنى جملك فقال هو لك يارسول الله بابى أنت وأمى فقال بل بعنيه فباعه اياه وأمر بلالا أن ينقده ثمنه فنقده ثم قال له صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما مجازاة لقوله هو لك فاعطاه الثمن ورد الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما وحديثه فى البخارى ومسلم وغيرهما وقد كان جوده عليه الصلاة والسلام كله لله وفى ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال تارة لفقير أو محتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامه وكان يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء فيأتى عليه الشهر والشهر ان لايوقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبى فشكت اليه فاطمة ماتلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لااعطيك وأدع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واتته امرأة ببردة فقالت

يارسول الله أكسوك هذه فاخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يارسول الله ماأحسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه قالوا ماأحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لايسئل شيأ فيمنعه رواه البخاري من حديث سهل بن سعد وفى رواية ابن ماجه والطبراني قال نعم فلما دخل طواها وأرسل بها اليه وأفاد الطبراني فى رواية زمعة بن صالح أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها وفى هذا الحديث من الفوائد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده واستنبط منه السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث أنه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد خميصة سوداء ذات علم لكن قال شيخنا مايذكرونه من أن الحسن البصري لبسها من على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس فى شئ من طرقها مايثبت ولم يرد فى خبر صحيح ولاحسن ولا ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من أصحابه ولا أمر أحدا من اصحابه بفعلها وكل ما يروى صريحا فى ذلك فباطل قال ثم ان من الكذب المفترى قول من قال ان عليا ألبس الخرقة الحسن البصرى فان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من على سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة وكذا قال الدمياطي والذهبي والعلاء ومغلطاى والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم من كون جماعة منهم لبسوها وألبسوها تشبها بالقوم نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة له المتصلة الى كميل بن زياد وهو صحب على بن أبي طالب رضى الله عنه من غير خلف فى صحبته له بين أئمة الجرح والتعديل وفى بعض الطرق اتصالها بأويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما وهذه صحبة لامطعن فيها وكثير من السادة يكتفى بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا أبي اسحاق المتبولي وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهد واللبس وله فى ذلك رسالة ريحان القلوب قرأتها على ولد ولده العارف المسلك سيدى على مع الباسه لى الخرقة والتلقين والعهد وللشيخ قطب الدين القسطلاني ارتقاء الرتبة فى اللباس والصحبة والله تعالى يهدينا الى سواء السبيل

﴿ الفصل الثالث فيما تدعو ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذائه وملبسه ومنكحه ومايلحق بذلك ﴾

وفيه أربعة أنواع النوع الاول فى عيشه صلى الله عليه وسلم فى المأكل والمشرب اعلم ان تناول الطعام أصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوان يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين قال الغزالي ولا طريق الى الوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا

صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغى أن يترك نفسه سدى يسترسل فى الاكل استرسال البهائم فى المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغى أن تظهر أنوار الدين وانما نور الدين عليه وآدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقى بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر واعلم أن الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النسائى وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدى كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب الآدمى لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الآدمى نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس قال القرطبي فى شرح الأسما كما نقله شيخ الاسلام والحفاظ ابن حجر لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها أسباب حياة الحيوان ولأنه لايدخل البطن سواها وهل المراد بالثلث التساوى على ظاهر الخبر أو التقسيم على ثلاثة أقسام متقاربة محل احتمال وقد صح المؤمن يأكل فى معى واحد وهى بكسر الميم مقصور المصارين والكافر يأكل فى سبعة امعاء وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة فى التكثير والمعنى ان المؤمن من شأنه التقلل من الاكل لاشتغاله بأسباب العبادة ولعلمه بأن مقصود الشرع من الاكل ماسد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته أيضا من حساب مازاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند أهل التشريح ان أمعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها البواب ثم الصائم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقى فى قوله

سبعة أمعاء لكل آدمى * معدة بوابها مع صائم
ثم الرقيق أعور قولون مع * المستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى أن الكافر لكونه يأكل بشرهه لايشبعه الا ملء أمعائه السبعة والمؤمن يشبعه ملء معى واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراده فى حق كل مؤمن وكافر فقد يكون فى المؤمنين من يأكل كثيرا اما بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن أو لغير ذلك ويكون فى الكفار من يأكل قليلا اما لمراعاة الصحة على رأى الاطباء واما للرياضة على رأى الرهبان واما لعارض كضعف المعدة * ومحصل القول ان من شأن المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد أن المؤمن يسمى الله عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمؤمن فى هذا الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه من استيفاء شهوته كما ورد فى حديث لابى أمامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا لاتدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه وقلبه ومن تملا من الطعام ساء

غذاء بدنه وأشرت نفسه وقسا قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الشبع فى الدنيا
هم أهل الجوع غدا فى الآخرة رواه الطبرانى وعن سلمان وأبى جحيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط وانه كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما
سقوه شرب وقولها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذى يثقل المعدة
ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضى الى البطر والاشر والنوم والكسل وقد تنتهى كراهته الى
التحريم بحسب مايترتب عليه من المفسدة وليس المراد الشبع النسبي المعتاد فى الجملة ففى صحيح مسلم
خروجه صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصارى وذبحه الشاة وفيه فلما
أن شبعوا ورووا قال النووى فيه جواز الشبع وما جاء فى كراهته محمول على المداومة عليه وعن أبى
هريرة قال ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن
ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما
كان خبزهم الشعير رواه الترمذى وصححه وفى حديث مسعر عند مسلم ماشبع آل محمد يومين من
خبز البر الا وأحدهما تمر وأخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدنى حدثنى والدى قال دخلنا
على عائشة فقالت خرج تعنى النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملأ بطنه فى يوم من طعامين كان
اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر وليس فى هذا مايدل
على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثاء بالرطب كما سيأتى ان شاء الله تعالى وعن
الحسن قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ماأمسى فى آل محمد صاع من طعام وانها
لتسعة أبيات والله ماقالها استقلالا لرزق الله ولكن أراد أن تتأسى به أمته رواه الدمياطى فى السيرة له
وعن عائشة قالت كان يعجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة أشياء الطيب والنساء والطعام
فأصاب اثنين ولم يصب واحدة أصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطى أيضا وفى الشمائل
للترمذي عن النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل وفى رواية مسلم يظل اليوم يلتوى
مايجد من الدقل مايملأ بطنه وقالت عائشة ان كنا آل محمد نمكث شهرا مانستوقد بنار ان هو الا الماء
والتمر وقال عتبة بن غزوان لقد رأيتنى وانى لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام
الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا وفى البخارى ومسلم كانت عائشة تقول لعروة والله ياابن أختى
ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى
الله عليه وسلم نار قال قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ألبانها فيسقيناه ولمسلم أيضا قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وماشبع من خبز وزيت
فى يوم واحد مرتين وقال أنس ماأعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق
بالله ولا رأى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله رواه البخارى (والمرقق) الملين المحسن كخبز الحوارى

وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي عياض وجزم به ابن الاثير فقال وهو السميد وما يصنع من كعك وغيره وقال ابن الجوزى هوالخفيف كأنه أخذه من الرقاق وهى الخشبة التى يرقق بها (والحوارى) بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الخالص الذى ينخل مرة بعد أخرى وقوله (ولا شاة سميطا) هو الذى أزيل شعره بالماء السخن وشوى بجلده وانما يصنع ذلك فى الصغير السن وهو من فعل المسرفين من وجهين أحدهما المبادرة الى ذبح مالو بقى لازداد ثمنه وثانيهما أن المسلوخ ينتفع بجلده فى اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على أن المسموط هو المشوى لكن الثانى ذكر ان أصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك فى الغالب ليشوى ولعله يعنى انه لم ير السميط فى مأكوله والا فان لم يكن معهودا فلا تمدح وعن أبى حازم أنه سال سهلا هل رأيتم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم النقى قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكن كنا تنفخه رواه البخارى وفى رواية له هل كانت لكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال مارأى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله قال شيخ الاسلام ابن حجر أظنه احترازا عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر فى تلك المدة الى الشام تاجرا وكان الشام اذ ذاك مع الروم والخبز النقى عندهم كثير وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه ولا ريب أنه رأى ذلك عندهم وأما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطائف والمدينة ووصل الى تبوك وهى من أطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد تتبعت هل كانت أقراص خبزه صغارا أم كبارا فلم أجد فى ذلك شيأ بعد التفتيش نعم روى أمره بتصغيرها فى حديث عند الديلمى عن عائشة رفعته بلفظ صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ان المتهم به جابر بن سليم وروى عن ابن عمر مرفوعا البركة فى صغر القرص ونقل عن النسائى أنه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن أبى الدرداء مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قال فى النهاية وحكى عن الاوزاعى أنه تصغير الارغفة كذا حكى البزار عن ابراهيم ابن عبدالله بن الجنيد عن بعض أهل العلم أنه تصغير الارغفة أشار الى ذلك شيخنا فى المقاصد الحسنة ولعل هذا سند شيخي وقدوتى وانسان بصيرتى العارف الربانى برهان العارفين أبي اسحاق ابراهيم المتبولى فى تصغير أرغفة سماطه كالشيخ أبى العباس أحمد البدوى والسادات اكسير صارف السعادات أولى المواهب العلية والحقائق المحمديه بنى الوفاء أعاد الله من بركاتهم علينا وواصل امداداتهم الينا وعن عائشة قالت توفى صلى الله عليه وسلم وليس عندى شئ يأكله ذوكبد الاشطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى رواه البخارى ومسلم وعندهما أيضا قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير وقال ابن عباس ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله رواه الترمذى وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابى بكر وعمر فقال ماأخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى أخرجكما فاتى رجلا من الانصا فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا

وأهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيمة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السؤال سؤال تشريف وانعام وتعديد فضل واكرام وعن طلحة بن نافع أنه سمع جابر بن عبد الله يقول أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلق من خبز فقال مامن أدم فقالوا لاالاشئ من خل قال نعم الأدم الخل قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال طلحة فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروى عن ابن بجير قال أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال ألا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو مهين لها ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن أبى الدنيا وعن أنس عن أبى طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذى هذا حديث غريب من حديث أبى طلحة لانعرفه الا من هذا الوجه (ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر) قال كان أحدهم يشد فى بطنه الحجر من الجهد والضعف الذى به من الجوع وقصة جابر يوم الخندق حين رأى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وتقدمت وما أحسن قول الأبوصيرى

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

(والكشح) كما ذكرته فى شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة وأقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض ألم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهى اذا امتلأت من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتألم الانسان بتلك الحرارة فتتعلق بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما تألم بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لايظن ان به جوعا لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى أشد نضارة من أجسام المترفهين بالنعم فى الدنيا وهذا المعنى هو الذى قصده الناظم بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر أنه شد من سغب خاف أن يتوهم أن جسمه الشريف حينئذ يظهر فيه أثر الجوع فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وقد أنكر أبو حاتم بن حبان أحاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم انى أطعم وأسقى قال وانما معناه الحجز بالزاى وهو طرف الازار لان الله

تعالى قد كان يطعم رسوله صلى الله عليه وسلم ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على
بطنه وما يغنى الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز أن يكون عصب الحجر لعادة العرب أوأهل
المدينة أنهم يفعلون ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه
وسلم ذلك ليعلم أصحابه أنه ليس عنده مايستأثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وأنه صلى الله عليه وسلم
فعل ذلك اختيارا للثواب وقد استشكل كونه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يطوون الايام جوعا
مع ماثبت أنه كان يرفع لاهله قوت سنة وأنه قسم بين أربعة أنفس من أصحابه ألف بعير مما أفاء الله عليه
وأنه ساق فى عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين وأنه أمر لاعرابى بقطيع من الغنم وغير ذلك
مع من كان معه من أصحاب الاموال كابى بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم وأموالهم
بين يديه وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة
فجهزهم عثمان بألف بعير الى غيرذلك وأجاب عنه الطبرى كما حكاه فى فتح البارى أن ذلك كان منهم فى
حالة دون حالة لالعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهة الشبع وكثرة الاكل انتهى وتعقب بأن مانفاه
مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن عائشة من حدثكم انا كنا
نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة أصبنا شيأ من التمر والودك الى غيرذلك قال الحافظ
ابن حجر والحق أن الكثير منهم كانوا فى حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى
المدينة كان أكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنائح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا
عليهم منائحهم كما تقدم وقد قال عليه الصلاة والسلام لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد اوذيت فى
الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من يوم وليلة مالى ولبلال طعام يأكله أحد الا شئ يواريه
ابط بلال رواه الترمذى وصححه نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع
والتبسط فى الدنيا له كما اخرج الترمذى من حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب
والا فالله تعالى عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل والذى بعثك بالحق ماأمسى لال
محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن الله أمر اسرافيل فنزل اليك
حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ماذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح خزائن الارض
وأمرنى أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا
ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل أن تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا رواه الطبرانى باسناد
حسن فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأباها ومعلوم أنه لو أخذها
لانفقها فى طاعة ربه فأبى ذلك واختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ماأسناها ونفس زكية

كريمة ماأبهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لاتعدو على العصم

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

أي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهي وما فيها انما برزت لاجله فكيف يضطر اليها لكن في كلامه شيء فانه في مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم أن لايوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وأنكر بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدرعن محمد بن واسع أنه قيل له فلان زاهد قال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ونقله عن الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس أفتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه أثناء مناظرته باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لاكلها انتهى وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين أنه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولاحاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله قد كفى أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أحيني مسكينا أن المراد به استكانة القلب لاالمسكنة التي هي ان لايجد مايقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى وأما مايروى أنه عليه الصلاة والسلام قال الفقر فخري وبه أفتخر فقال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر هو باطل موضوع واعلم أنه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الاغذية لايتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو أنه أفضل الاغذية بل كان صلى الله عليه وسلم يأكل مما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سيأتي فأكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي (والحلوى) بالقصر والمد كل حلو وقال الخطابي اسم الحلوى لايقع الا على مادخلته الصنعة وقال ابن سيده ماعولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي ولم يكن حبه عليه الصلاة والسلام لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال منها اذا أحضرت اليه نيلا صالحا فيعلم بذلك أنها تعجبه ووقع في كتاب فقه اللغة للثعالبي أن حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم بوزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري ولم يصح ورود أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب السكر ولا أنه تصدق به ولا أنه رآه لكن أخرج أبو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث لمازة عن ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فأمسك القوم أيديهم فقال عليه الصلاة والسلام ألا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال أما العرسان فلا قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم

يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوى على أن النثار غير مكروه كما ذهب اليه أبو حنيفة وقضى به على الاحاديث الصحيحة التى فيها النهى عن النهبة لكن قال البيهقى بعد رواية الحديث وهذا لايثبت ثم قال وروى من حديث عائشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يثبت فى هذا المعنى شئ وشنع على الطحاوى القول فى ذلك جدا فى كتاب المعرفة وقال الحديث انما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لايحتج به وشيخهما لمازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتان هذا وخالد بن معدان منقطع ولا حجة فى منقطع فهذه علل ثلاث يضعف الحديث بدونها وقد أفرد الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفى والله أعلم وعن ليث بن أبى سالم قال أول من خبص فى الاسلام عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل فاستطابه قال الطبرى فى الرياض رواه خيثمة فى فضائل عثمان وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حوارى وسمن وعسل فأتى بها النبى صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج أو كاد ينضج ثم أنزل فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شئ تسميه فارس الخبيص قال الطبرى خرجه تمام فى فوائده والطبرانى فى معجمه ورجاله ثقات وأكل عليه الصلاة والسلام لحم الضأن وهذه الثلاثة أعنى الحلوى والعسل واللحم من أفضل الاغذية وأنفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة وآفة واللحم سيد طعام أهل الجنة وفى رواية هو سيد الطعام لاهل الدنيا والآخرة رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا من حديث أبى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف وله شواهد منها عن على رفعه سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى وأكل اللحم يزيد سبعين قوة قاله الزهرى وعن على أنه يصفى اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه ولابى الشيخ ابن حيان من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وقال الامام الشافعى ان أكله يزيد فى العقل وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه وعن أبى رافع أنه أهديت له شاة فجعلها فى قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا ياأبا رافع فقال شاة أهديت لنا يارسول الله فطبختها فى القدر قال ناولنى الذراع ياأبارافع فناولته الذراع ثم قال ناولنى الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر فقال ناولنى الذراع الآخر فقال يارسول الله انما للشاة ذراعان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو سكت لناولتنى ذراعا فذراعا ماسكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى الحديث رواه أحمد ورواه الدارمى والترمذى عن أبى عبيد بلفظ طبخت له صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولنى الذراع فقلت يارسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذى نفسى بيده لو سكت لناولتنى الذراع مادعوت وقالت عائشة وكان الذراع أحب اليه وكان لايأكل اللحم الاغبا وكان يعجل اليها لانها أعجل نضجا رواه الترمذى وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت فى بيتها شاة فأرسل

اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت مابقى عندنا الا الرقبة واني لاستحى أن أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فأخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلى بها فانها هادية الشاة وأقرب الشاة الى الخير وأبعدها من الاذى ولا ريب أن أخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو أخف على المعدة وأسرع انهضاما وفى هذا أنه ينبغى مراعاة الاغذية التى تجمع ثلاث خواص أحدها كثرة نفعها وتأثيرها فى القوى الثانى خفتها على المعدة وسرعة انحدارها عنها الثالث سرعة هضمها وهذا أفضل مايكون من الغذاء وقال عليه الصلاة والسلام أطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذى * وأما حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يكره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ العراقى رويناه فى جزء من حديث أبى بكر محمد بن عبد الله بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد فيه ضعف انتهى * وكان عليه الصلاة والسلام ينهش اللحم أى يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم أو غيره وينتشله أى يقتلعه من المرق والنهش بعد الانتشال وفى البخارى أنه عليه الصلاة والسلام احتز من كتف شاة فى يده فدعى الى الصلاة فألقاها والسكين التى يحتز بها ثم قام الى الصلاة ولم يتوضأ قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث أبى معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته لاتقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوا فانه أهنأ وأمرأ قال أبو داود وهو حديث ليس بالقوى قال الحافظ أبو الفضل العسقلانى رحمه الله له شاهد من حديث صفوان بن أمية فهو حسن لكن ليس فيه مازاده أبو معشر من التصريح بالنهى عن قطع اللحم بالسكين وأكثر مافى حديث صفوان أن النهش أولى انتهى ويمكن الجمع بأن النهش مما على العظم الصغير والاحتزاز مما على الكبير وأكل صلى الله عليه وسلم الشواء فعن أم سلمة أنها قربت الى النبى صلى الله عليه وسلم جنبا مشويا فأكل منه ثم قام الى الصلاة وما توضأ قال الترمذى حسن صحيح وأكل عليه الصلاة والسلام القديد كما فى حديث فى السنن عن رجل قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال أصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه الى المدينة وأكل عليه الصلاة والسلام من الكبد المشوية وأكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذى وغيرهم وأكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان وأكل لحم الجمل سفرا وحضرا وأكل لحم الارنب رواه الشيخان وأكل من دواب البحر رواه مسلم وأكل الثريد وهو بفتح المثلثة ان يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين وروى أبو داود من حديث ابن عباس قال أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وأكله عليه الصلاة والسلام بالسمن وأكل الخبز بالزيت وعن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جبريل اطعمنى الهريسة يشد بها ظهرى لقيام الليل رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه محمد بن الحجاج اللخمى وهو الذى وضع هذا الحديث وأكل عليه الصلاة والسلام الدباء وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالى القصعة قال أنس فلم أزل أحب الدباء من يومئذ رواه مسلم قال النووى فيه أنه يستحب أن تحب الدباء وكذلك كل شئ كان يحبه صلى الله عليه وسلم وكذلك أكل عليه الصلاة والسلام الساق مطبوخا بالشعير قال الترمذى حديث حسن غريب وأتى الحسن بن على وابن عباس وابن جعفر الى

سلمى فقالوا اصنعى لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله فقالت يابنى لاتشتهيه اليوم فقال بلى اصنعيه لنا فقامت فأخذت شيأ من الشعير فطحنته ثم جعلته فى قدر وصبت عليه شيأ من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله رواه الترمذى وأكل عليه الصلاة والسلام الخزيرة وهى بخاء معجمة مفتوحة ثم زاى مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء مايتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكن أرق منها قاله الطبرى وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم وقال القتبى وتبعه الجوهرى ان يؤخذ اللحم فيقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهى عصيدة وقيل مرقة تصفى من بلالة النخالة ثم تطبخ وقيل الخزيرة بالاعجام من النخالة والحريرة يعنى بالاهمال من اللبن وقال عتبان غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار وحبسناه على خزير صنعناه وأكل عليه الصلاة والسلام الاقط كما قاله ابن عباس فيما رواه وهو جبن اللبن المستخرج زبده أكلته وهو كثيرا بمكة والمدينة زادهما الله شرفا وهو أشبه شئ بالكشك وأكل عليه الصلاة والسلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذى وغيرهما وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الالف مثلثة النضيج من ثمر الاراك وقيل ورق الاراك وتعقبه الاسماعيلى فقال انما هو ثمر الاراك وهو البرير بموحدة بوزن الحرير فاذا اسود فهو الكباث وفى النهاية لابن الاثير أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين أى الجمار وهو شحم النخل واحدتها جذبة وأما الجبن ففى السنن من حديث ابن عمر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة فى تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع رواه أبو داود وكان عليه الصلاة والسلام يراعى صفات الاطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب فاذا كان فى أحد الطعامين مايحتاج الى كسر وتعديل كسره وعدله بضده ان أمكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا أصل كبير فى المركبات من الادوية وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير اسراف وروى أبو داود من حديث أبى أسامة عن هشام أنه صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطبيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا ورواه يزيد بن رومان عن الزهرى عن عروة بتقديم الطاء كما للتوقانى وبتأخيرها كما للنسائى فى الوليمة فكأنه عند هشام باللفظين وكذا رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام أحمد بن حنبل عن وهب ابن جرير بن حازم حدثنا أبى سمعت حميدا يحدث عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطبيخ أو البطيخ بالرطب وقال عقبة الشك من أحمد وتقديم الطاء لغة حكاها صاحب المحكم وقد كان محمد بن أسلم لايأكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رأيت فى يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة وفى سنده ضعف وأخرج فيه وفى الطب لابى نعيم من حديث أنس كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة اليه وسنده ضعيف أيضا وأخرج النسائى بسند صحيح عن حميد عن أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع

بين الرطب والخربز وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاى نوع من البطيخ الاصفر وفى هذا تعقب على من زعم أن المراد بالبطيخ فى الحديث الأخضر وا تلوا بان الاصفر فيه حرارة كما فى الرطب وقد و د التعليل بان أحدهما يطفئ حرارة الآخر والجواب عن ذلك بان فى الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة والله أعلم وفى رواية النسائي أيضا بسند صحيح عن عائشة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ والرطب جميعا وأخرج ابن ماجه عن عائشة أرادت أمى معالجتى لسمنة لتدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن سمنة ورواه النسائى وقال بالتمر مكان الرطب (وأما فضائل البطيخ) فاحاديثه باطلة وان أفرده النوقانى فى جزء كما قاله الحفاظ والله أعلم وقد كان عليه الصلاة والسلام ياكل التمر بالزبد ويعجبه فمن عبد الله وعطية ابنى بسر قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر رواه أبو داود وابن ماجه وسمى النبي صلى الله عليه وسلم اللبن والتمر الاطيبين رواه أحمد وكان يأكل الخبز مأدوما ماوجد له اداما فتارة يأكله باللحم ويقول هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذه ادام هذه رواه أبو داود والترمذى بسند حسن من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ فذكره قال ابن القيم وهذا من تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على أصح القولين فادام خبز الشعير به من أحسن التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادم الخل رواه مسلم وتقدم قال الخطابى والقاضى معناه مدح الاقتصاد فى المأكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة تقديره ائتدموا بالخل وما فى معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تنافسوا فى الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه النووى فقال الذى ينبغى أن يجزم به انه مدح للخل نفسه وأما الاقتصاد فى المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخر انتهى وقال ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيله على غيره كما ظنه بعضهم قال وسبب الحديث انه دخل على أهله يوما فقدموا له خبزا فقال مامن أدم فقالوا ماعندنا الا خل فقال نعم الادام الخل والمقصود أن أكل الخبز مع الادم من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما وسمى الادم ادما لصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة وليس فى هذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق ولو حضر لحم أو لبن لكان أولى بالمدح منه فقال هذا جبرا وتطييبا لقلب من قدمه له لا تفضيلا له على سائر أنواع الادم وكان عليه الصلاة والسلام يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمى عنها وهذا من أكبر أسباب الصحة فان الله سبحانه بحكمته جعل فى كل بلد من الفاكهة ماينتفع به أهلها فى وقته فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ويغنى عن كثير من الادوية وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا وهو من أسقم الناس جسما وأبعدهم من الصحة والقوة فمن أكل منها ماينبغى فى الوقت الذى ينبغى على الوجه الذى ينبغى كان له دواء نافعا وقد روى ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خرطا رويناه فى الغيلانيات لكن قال أبو جعفر العقيلى كما حكاه فى الهدى لا أصل لهذا الحديث

قال ابن الاثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه فى فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه قال وجاء فى بعض الروايات حرصا بالصاد بدل الطاء وأما البصل فروى أبو داود فى سننه عن عائشة انها سئلت عن البصل فقالت ان آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل وثبت عنه فى الصحيحين انه منع أكله مع دخول المسجد وكان عليه الصلاة والسلام يترك الثوم دائما لانه يتوقع مجيء الملائكة والوحى كل ساعة قال النووى واختلف أصحابنا فى حكم الثوم فى حقه عليه الصلاة والسلام وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال بعض أصحابنا هى محرمة عليه والاصح عندهم أنها مكروهة كراهة تنزيه وليست محرمة لعموم قوله عليه الصلاة والسلام لا فى جواب قوله أحرام هى ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام فى حقكم انتهى فينبغى لمحبه موافقته عليه الصلاة والسلام فى ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه عليه الصلاة والسلام فان من أوصاف المحب الصادق أن يحب ماأحب محبوبه ويكره مايكرهه وكان عليه الصلاة والسلا. يأكل بأصابعه الثلاث رواه الترمذى فى الشمائل وهذا كما فى الهدى أنفع مايكون من الاكلات فان الاكل بأصبع أكل المتكبر ولا يستلذ به الآكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها فى كل أكلة فيأخذها على اغماض كما يأخذ الرجل حقه حبة حبة أو نحو ذلك فلا يلتذ بأخذه والاكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الآلة وعلى المعدة وربما استدت الآلات فمات وتغصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له لذة ولا استمراء فأنفع الاكل أكله عليه الصلاة والسلام وأكل من اقتدى به بالاصابع الثلاثة وكان عليه الصلاة والسلام يلعق أصابعه اذا فرغ ثلاثا رواه الترمذى فى الشمائل وفى رواية مسلم ويلعق يده قبل أن يمسحها وفى رواية انه أمر بلعق الاصابع والصحفة وقد روى الترمذى عن أم عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن نأكل فى قصعة فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل فى قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وكذا أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن شاهين والدارمى وغيرهم وقال الترمذى انه حديث غريب وأورده بعضهم بلفظ تستغفر الصحفة للاحسها وفى حديث جابر مرفوعا عن أبى الشيخ فى الثواب من أكل مايسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وللديلمى من طريق الرشيد عن آبائه عن ابن عباس رفعه من أكل مايسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه ونفى عنه الفقر وأورده الغزالى فى الاحياء بلفظ عاش فى سعة وعوفى فى ولده وكلها مناكير لكن فى مسلم عن جابر وأنس مرفوعا اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لانه لايدرى فى أى طعامه البركة وفى حديث كعب بن عجرة عند الطبرانى فى الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث بالابهام والتى تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلويثا لانها أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها ولانها لطولها أول ماينزل الطعام وقد وقع فى مرسل ابن شهاب عند سعيد بن منصور أن النبى صلى الله عليه

وسلم كان اذا أكل أكل بخمس فيجمع بينه وبين ماتقدم باختلاف الحال وقد جاءت علة اللعق مبينة فى بعض الروايات أنه لايدرى أحدكم فى أى طعامه البركة وفى الحديث رد على من كره لعق الاصابع استقذارا من ينسب للرياسة والامرة فى الدنيا نعم يحصل ذلك لو فعله فى أثناء الاكل لانه يعيد أصابعه فى الطعام وعليها أثر ريقه قال الخطابى عاب قوم أفسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا أنه مستقبح كانهم لم يعلموا أن الطعام الذى علق بالاصابع والصحفة جزء من أجزاء ماأكلوه واذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرا وليس فى ذلك أكثر من مصه أصابعه بباطن شفتيه ولا يشك عاقل أن لابأس بذلك فقد يتمضمض الانسان فيدخل أصبعه فى فيه فيدلك أسنانه وباطن فمه ثم لم يقل أحد ان ذلك قذارة وسوء أدب انتهى ولا ريب أن من استقذر مانسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سئ الادب يخشى عليه أمر عظيم فنسأل الله بوجاهة وجهه الكريم أن لايسلك بنا غير حلاوة سبيل سنته وأن يديم لنا محبته وقد كان صلى الله عليه وسلم لايأكل متكئا لما صح أنه قال لا آكل متكئا رواه البخارى وقال انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد وروى ابن ماجه والطبرانى باسناد حسن قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابى ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلنى كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا قال ابن بطال انما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم تواضعا لله ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهرى قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين أن تكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فنظر الى جبريل كالمستشير له فأومأ اليه أن تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما أكل متكئا وهذا مرسل أو معضل وقد وصله النسائى من طريق الزبيدى عن الزهرى عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال مارؤى النبى صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا قط وأخرج ابن أبى شيبة عن مجاهد قال ماأكل النبي صلى الله عليه وسلم متكئا الامرة واحدة ويمكن الجمع بأن تلك المرة التى فى اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو فقد أخرج ابن شاهين فى ناسخه من مرسل عطاء بن يسار أن جبريل رأى النبى صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا فنهاه وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه وقد فسر القاضى عياض فى الشفاء الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعدد للجلوس له كالتربيع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ماتحته قال والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا قال وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين انتهى والاقعاء أن يلصق أليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره وهو المنهى عنه فى الصلاة وتفسير القاضى عياض الاتكاء بما فسر به حكاه فى الافكار عن الخطابي وقال ان الخطابى خالف فى هذا التأويل أكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على أنه الميل على أحد الجانبين انتهى والذى رأيته يعزى للخطابى تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل على أحد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذى تحته انتهى وقد فسر أيضا بالميل على أحد الشقين وبه فسر ابن الجوزى وقيل هو الاعتماد على الشئ وقيل أن يعتمد على

يده اليسرى من الارض وقد أخرج ابن عدى بسند ضعيف زجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال الامام مالك هو نوع من الاتكاء قال الحافظ أبو الفضل العسقلانى وفى هذا اشارة من مالك الى كراهة كل مايعد الآكل فيه متكئا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير فى النهاية أن من فسر الاتكاء بالميل على أحد الشقين فأوله على مذهب الطب وقال ابن القيم انه يضر بالآكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعى عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء وأما الاعتماد على الشئ فهو من جلوس الجبابرة المنافى للعبودية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام آكل كما يأكل العبد وان كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذى تحت الجالس كما ذكرته عن الخطابى فيكون المعنى أنى اذا أكلت لم أقعد متكئا على الاوطئة والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكنى آكل بلغة من الزاد فلذلك أقعد مستوفزا وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم أكل تمرا وهو مقع وفى رواية وهو محتفز والمراد الجلوس على وركيه غير متمكن واختلف السلف فى حكم الاكل متكئا فزعم ابن القاص أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وتعقبه السهيلى فقال قد يكره لغيره أيضا لانه من فعل المتعظمين وأصله مأخوذ من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع لايتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن فى ذلك كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف أنهم أكلوا كذلك وأشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة قال فى فتح البارى وفى الحمل نظر وقد أخرج ابن أبى شيبة عن ابن عباس وخالد بن الوليد ومحمد بن سيرين وعطاء بن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها أو خلاف الاولى فالمستحب فى صفة الجلوس للاكل أن يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا لله عز وجل وأدبا بين يديه قال وهذه الهيئة أنفع هيآت الاكل وأفضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعى الذى خلقها الله تعالى عليه انتهى وأخرج ابن أبى شيبة من طريق ابراهيم النخعى قال كانوا يكرهون أن يأكلوا تكأة مخافة أن تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده فى الطعام يسمى الله تعالى وأما قول النووى فى آداب الاكل من الاذكار والافضل أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة فقال فى فتح البارى لم أر لما ادعاه من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه الصلاة والسلام يحمد الله فى آخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذى وقوله (غير مودع) بفتح الدال الثقيلة أى غير متروك (ولا مستغنى) بفتح النون (وربنا) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو ربنا ويجوز النصب على المدح أو الاختصاص أو اضمار أعنى وقال ابن الجوزى بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء وفى رواية الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وللنسائى من طريق عبد الرحمن بن جبير المصرى أنه حدثه رجل خدم النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه كان يسمع النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم أطعمت

وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ماأعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه الصلاة والسلام يحب التيامن فى شأنه كله وقال عليه الصلاة والسلام ياغلام سم الله وكل بيمينك ومما يليك قال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى حمله أكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالى ثم النووى لكن نص الشافعي فى الرسالة وفى موضع آخر من الام على الوجوب كذا ذكر عنه الصيرفى فى شرح الرسالة ونقل البويطى فى مختصره أن الاكل من رأس الثريد والتعريس على الطريق والقران فى التمر حرام ومثل البيضاوى فى منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك وتعقبه الشيخ تاج الدين ابن السبكي فى شرحه بأن الشافعى نص فى غير هذا الموضع على أن من أكل مما لايليه عالما بالنهى كان عاصيا آثما قال وقد جمع والدى نظائر هذه المسئلة فى كتاب له سماه كشف اللبس عن المسائل الخمس ونصر القول بأن الامر فيها للوجوب قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد أن ذكر ذلك ويدل على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال ففى صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لاأستطيع قال لااستطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه صلى الله عليه وسلم كان يتتبع الدباء من حوالى القصعة وهو يعارض الاكل مما يلى فالجواب أنه يحمل الجواز على ما اذا علم رضا من يأكل معه فاذا علم كراهة من يأكل معه لذلك لم يأكل الا مما يليه قال ابن بطال وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطعام لانه علم أن أحدا لايكره ذلك منه ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه بيده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال غيره انما فعل ذلك لانه كان يأكل وحده وهو غير مسلم لان أنسا أكل معه صلى الله عليه وسلم وحديث عكراش عند الترمذى الذى فيه التفصيل بين ما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى مايليه أو أكثر من لون فيجوز ضعيف والله أعلم وقرب اليه صلى الله عليه وسلم طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء قال انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة رواه الترمذى وفى رواية له أنه عليه الصلاة والسلام قال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده فيحمل الوضوء الاول على الشرعى والثانى على اللغوى وروى أبو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من أكل من هذه اللحوم شيأ فليغسل يده من ريح وضره ولا يؤذى من حذاءه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يأكل طعاما حارا فروى الطبرانى فى الصغير والاوسط من حديث بلال بن أبى هريرة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا قال وبلال قليل الرواية عن أبيه انتهى وعند أبى نعيم فى الحلية من حديث أنس مرفوعا كان يكره الكى والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة ألاوان الحار لابركة له الحديث ولاحمد وأبى نعيم من حديث أسماء أنها كانت اذا ثردت غطته بشئ حتي يذهب فوره ثم تقول انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو أعظم بركة لكن عند البيهقى بسند صحيح عن أبى هريرة قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فقال مادخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان له عليه الصلاة والسلام قدح من خشب مضبب بحديد قال أنس لقد سقيته عليه الصلاة والسلام بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل وفى البخارى عن سهل بن سعد قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتي جلس

فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ثم قال اسقنا ياسهل فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد العزيز قد ولى حينئذ امرة المدينة وعند البخارى من حديث عاصم الاحول قال رأيت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار وقال قال أنس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا القدح أكثر من كذا قال وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد فأراد انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال ابو طلحة لاتغيرن شيأ صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه وعنده فى فرض الخمس من طريق أبى حمزة السكرى عن عاصم قال رأيت القدح وشربت منه وأخرجه أبو نعيم من طريق على بن الحسن ابن شقيق عن أبى حمزة ثم قال قال على بن الحسن وأنا رأيت القدح وشربت منه وذكر القرطبى فى مختصر البخارى أنه رأى فى بعض النسخ القديمة من البخارى قال أبو عبد الله البخارى رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشترى من ميراث النضر بن انس بثمانمائة ألف ووقع عند احمد من طريق شريك عن عاصم رأيت عند أنس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة وقوله (من نضار) بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من العود ومن كل شئ ويقال أصله من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه يميل الى الصفرة ولم يأكل صلى الله عليه وسلم على خوان ولا أكل خبزا مرققا رواه الترمذى (والخوان) بكسر المعجمة ويجوز ضمها المائدة مالم يكن عليها طعام (وأما السفرة) فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم على الاكل ويذكر أنه يقسى القلب ذكره أبو نعيم ولذا قال الاطباء كما فى الهدى من أراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه يضر جدا والصلاة بعد الاكل تسهل هضمه * وأما شربه صلى الله عليه وسلم فقد كان يستعذب له الماء أى يطلب له الماء الحلو قالت عائشة كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا رواه أبو داود وهى بضم المهملة وبالقاف وهى عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لاينافى الزهد ولا يدخل فى الترفه المذموم بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف وأما شرب الماء الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون وليس فى شرب الماء المالح فضيلة وقد كان عليه الصلاة والسلام يشرب العسل الممزوج بالماء البارد قال ابن القيم وفى هذا من حفظ الصحة مالا يهتدى الى معرفته الا أفاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن وقالت عائشة كان أحب الشراب اليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد رواه الترمذى ويحتمل أن يريد به الماء الممزوج بالعسل أو الذى نقع فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له أول الليل ويشربه اذا أصبح يومه ذلك والليلة التي تجئ والغد الى العصر فان بقى شئ سقاه الخادم أو أمر به فصب رواه مسلم وهذا النبيذ هو ماء يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم فى زيادة القوة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار وكان عليه الصلاة والسلام يشرب اللبن خالصا تارة وتارة مشوبا بالماء البارد لان اللبن عند

الحلب يكون حارا وتلك البلاد فى الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء فى حائطه فقال صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ماء بات فى شنة والا كرعنا فقال عنـدى ماء بات فى شن فانطلق الى العريش فسكب فى قدح ثم حلب عليه من لبن داجن فشرب عليه الصلاة والسلام الحديث رواه البخارى وكان عليه الصلاة والسلام يقول ليس يجزئ من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذى حديث حسن وللترمذى أيضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لاترد اللبن والوسادة والدهن وأنشد بعضهم

قد كان من سيرة خير الورى * صلى عليه الله طول الزمن
أن لايرد الطيب والمتـكا * واللحم أيضا ياأخى واللبن

قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما ان كان الماء حارا أو باردا فانه ردىء جـدا انتهى وكان عليه الصلاة والسـلام يشرب قاعدا وكان ذلك عادته رواه مسلم وفى رواية له أيضا انه نهى عن الشرب قائما وفى رواية له أيضا عن أبى هريرة لايشربن أحدكم قائما فمن نسى فليستقئ وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قائم وفى حـديث على عند البخارى أنه شرب وهو قائم ثم قال ان أناسا يكرهون الشرب قائما وان النبى صلى الله عليه وسلم صنع مثل ماصنعت وكل هـذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم أن فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب أن النهى محمول على كراهة التنزيه وأما شربه عليه الصلاة والسلام قائما فلبيان الجواز * فان قلت كيف يكون الشرب قائما مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم * فالجواب أن فعله صلى الله عليه وسلم اذا كان بيانا للجواز لايكون مكروها بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم وأما قوله عليه الصلاة والسلام فمن نسى فليستقئ فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب لمن شرب قائما أن يتقايأ لهـذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسيا أولا قاله النووى وقال المـالكية لابأس بالشرب قائما واسـتدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رأيت أبا بكر الصديق يشرب قائما ويقول مالك انه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلى أنهم كانوا يشربون قياما وأجابوا عن حديث أبى هريرة لايشربن أحـدكم قائما فمن نسى فليستقئ بأن عبدالحق قال فى اسناده عمر بن حمزة العمرى وهو ضعيف انتهى وقال المازرى قال بعض شيوخنا لعل النهى ينصرف لمن أتى أصحابه بماء فبادر لشربه قائما قبلهـم استبدادا به وخروجا عن كون ساقى القوم آخرهم شربا وقال بعض الشـيوخ الاظهر انه موقوف على أبى هريرة قال والاظهر لى ان أحاديث شربه قائما تدل على الجواز وأحاديث النهى تدل على الاستحباب والحث على ماهو أولى وأكمل لان فى الشرب قائما ضررا ما فكره من أجله وفعله هو لامته منه قال وعلى هـذا الثانى يحمل قوله فمن شرب فليستقئ على أن ذلك يحرك خلطا يكون القئ دواءه ويؤيده قول النخعى انما نهى عن ذلك لداء البطن انتهى وقال ابن القيم للشرب قائما آفات عديدة منها انه لايحصل به الرى التام ولا يستقر فى المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعـة الى المعدة فيخشى منه أن تبرد حرارتها ويسرع النفوذ

الى أسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قائما فاذا فعله نادرا لم يضره وعنـد أحمد عن أبى هريرة أنه رأى رجلا يشرب قائما فقال له قئه فقال لم قال أيسرك أن يشرب معـك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو شر منه الشيطان وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس فى الشراب ثلاثا ويقول انه أروى وأمرأ وأبرأ رواه مسـلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشراب وأخرج الطبرانى فى الاوسط بسند حسن عن أبى هريرة أن النبى صـلى الله عليـه وسلم كان يشرب فى ثلاثة أنفاس اذا أدنى الاناء الى فيه سمى فاذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وفى هذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة نبه عليـه الصـلاة والسـلام على مجامعها بقوله انه أروى وأمرأ وابرأ فأروى من الرى بكسر الراء من غير همز أشـد ريا وأبلغه وأنفعه وابرأ أفعل من البرء بالهمز وهو الشفاء أى يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات تسكن الدفعة الثانية ماعجزت الاولى عن تسكينه والثالثة ماعجزت عنه الثانية وأيضا فانه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة فانه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع مايروى دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفئ الحرارة الغريزية لشـدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدى ذلك الى فساد المعـدة والكبد والى أمراض رديئة خصوصا فى سكان البلاد الحارة وفى الازمنة الحارة فان الشرب فيهما وهلة واحدة مخوف عليهم جدا وقوله (وأمرأ) بالهمز أفعل من مرؤ الطعام والشراب فى بدنه اذا داخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع انتهى وقال بعضهم والمعنى أنه يصير هنيأ مريئا أى سالما أو مبرئا من مرض أو عطش أو أذى ويؤخذ من ذلك أنه أقمع للعطش وأقوى على الهضم ومن آفات الشرب نهلة واحـدة أنه يخاف منـه الشرق بأن ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب أمن من ذلك وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقى وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه يورث الكباد (والكباد) بضم الكاف وتخفيف الباء وجع الكبد ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهى عن التنفس فى الاناء الوارد فى الحديث لان المنهى عنه التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير الفم لمأكول مثـلا أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة أو لان النفس يصعد ببخار المعدة وهنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان عليه الصلاة والسلام اذا دعى لطعام وتبعه أحد أعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت رجع وكان يكرر على أضيافه ويعرض عليهـم الاكل مرارا وفى حديث أبى هريرة فى قصة شرب اللبن وقوله مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا رواه البخارى وكان عليه الصلاة والسـلام اذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلا رواه البيهقى فى الشعب عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا وفى حديث ابن عمر ومرفوعا عند ابن ماجه والبيهقى اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجـل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى أن يكون له فى الطعام حاجة وكان عليه الصلاة والسلام اذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم فدعا فى منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم ودعا فى منزل سعد

فقال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه أبو داود وسقاه آخر بنا فقال اللهم أمتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابن السنى

﴿ النوع الثانى فى لباسه عليه الصلاة والسلام وفراشه ﴾

قال البخارى باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه أولا يضيق بطلب النفيس الغالى بل يستعمل ماتيسر وقال القاضى عياض كان عليه الصلاة والسلام قد اقتصر منه على ماتدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ماوجده فيلبس فى غالب أحواله الشملة والكساء الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة فى الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهى من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه انتهى وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر مرفوعا أن من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاوة ثوبه ورضاه باليسير وله أيضا من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخة ثيابه فقال أماوجدهذا شيأينقى به ثيابه فقدكانت سيرته صلى الله عليه وسلم فى ملبسه أتم وأنفع للبدن وأخفه عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التى يؤذى حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال أصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فانها تقى العنق من الحر والبرد وهو أثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر أخف على البدن من غيرها وقد أطنب ابن الحاج فى المدخل فى الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما ليس جديدا وامتثال السنة فى صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير العمامة يعنى سبعة أذرع أو نحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد فى العمامة قليلا لاجل حر أو بردفيسامح فيه ثم قال بعد أن ذكر قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بأن تتسرول قاعدا وتتعمم قائما انتهى ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول أكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لايجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولايقصره صلى الله عليه وسلم عن هذا فتبرز الى الحر والبرد وقد روى عن أسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذى وكان ذيل قميصه وردائه الى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذى الماشى ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فيتأذى بالحر والبرد أشار اليه فى زاد المعاد وأخرج الترمذى عن الاشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا أنا أمشي بالمدينة اذا انسان خلفى يقول ارفع ازارك فانه أتقى وأبقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انما هى بردة قال أمالك فى أسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه وأخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآنى النبي صلى الله عليه وسلم أسبلت ازارى فقال يا ابن عمر كل شئ لمس الارض من الثياب فهو فى النار وفى البخارى من حديث

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماأسفل من الكعبين من الازار في النار قال الخطابي يريد أن الموضع الذي يناله الازار من أسفل الكعبين في النار فكني بالثوب عن بدن لابسه ومعناه أن الذي دون الكعبين من القدم يعذب بالنار عقوبة وحاصله أنه من باب تسمية الشيء باسم ماجاوره أو حل فيه وتكون من بيانية وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة المؤمن الى أنصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار (والازرة) بالكسر الحالة وهيئة الائتزار مثل الركبة والجلسة واعلم طهر الله ثوبي وثوبك ونزه سري وسرك أن هذا الاطلاق محمول على ماورد من قيد الخيلاء فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق وقد أخرج أصحاب السنن الا الترمذي واستغربه وابن أبي شيبة من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيأ خيلاء الحديث فبين في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جاء في أكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار قال الطبري انما ورد الخبر بلفظ الازار لان أكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الازار في النهي انتهى قال ابن بطال هذا قياس صحيح لو لم يأت النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك وفي تصوير جر العمامة نظر الا أن يكون المراد ماجرت به عادة العرب من ارخاء العذبات فهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل أكمام القميص ونحوه محل نظر والذي يظهر أن من أطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك قال ابن القيم ﴿ وأماهذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج وعمائم كالابراج فلم يلبسها عليه الصلاة والسلام هو ولا أحد من أصحابه ﴾ وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلاء انتهى وقال في المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة أن كم من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوب لغيره انتهى لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه مالم يصل الى جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيامة وفي الطبراني وأبي داود أن رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فأمر الارض فأخذته وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك أم سلمة رضي الله عنها فأخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر فقالت أم سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين شبرا فقالت اذا تنكشف أقدامهن قال فيرخينه ذراعا لايزدن عليه * وحاصل ماذكر في ذلك أن للرجال حالين حال استحباب وهو أن يقتصر بالازار الى نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو مايزيد على ماهو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وأن الاسبال يكون في الازار والقميص

والعمامة وأنه لايجوز إسباله تحت الكعبين ان كان للخيلاء وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه قال النووى وظواهر الاحاديث فى تقييدها بالخيلاء يدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء قال وهذا نص الشافعى على الفرق كما ذكرناه انتهى ﴿ تنبيه ﴾ قال العراقى فى شرح الترمذى الذراع الذى رخص للنساء فيه هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين أو من الحد المستحب وهو انصاف الساقين أو حده من أول مايمس الارض الظاهر أن المراد الثالث بدليل حديث أم سلمة الذى رواه أبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر المرأة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال فذراع لا تزيد على ذلك فظاهره أن لها أن تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر أن المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران لما فى سنن ابن ماجه عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهات المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على أن الذراع المأذون فيه شبران وهو هذا الذراع الذى يقاس به الحصر اليوم انتهى وانما جاز ذلك للنساء لاجل الستر لان المرأة كلها عورة الا مااستثنى وقد كان له عليه الصلاة والسلام عمامة تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطئة ﴿ والقلانس ﴾ جمع قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل ياء تحتية وقد تبدل ألفا وتفتح السين يقال قلنساة وقد تحذف النون من هذه بعدها هاء تأنيث غشاء مبطن يستر به الرأس قاله الفراء فى شرح الفصيح وقال ابن هشام هى التى يقول لها العامة الشاشية وفى المحكم هى ملابس الرؤس معروفة وقال أبو هلال العسكرى هى التى تغطى بها العمائم وتستر من الشمس والمطر كأنها عنده رأس البرنس انتهى وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفى رواية لانس عند البخارى دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ويجمع بينهما بأن العمامة السوداء كانت فوق المغفر وجمع بينهما القاضى عياض بأن أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم بعد ذلك كان على رأسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله فى حديث عمرو بن حريث عن أبيه خطب الناس وعليه عمامة سوداء لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة قال الولى ابن العراقى وهو اولى وأظهر فى الجمع من الاول وقد تقدم نحو ذلك فى غزوة فتح مكة وعن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل رواه الترمذى فى الشمائل زاد مسلم وقد أرخى طرفها بين كتفيه وروى أبو محمد بن حيان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور عمامته و يغرسها من ورائه ويرخى لها ذؤابة بين كتفيه وروى مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه وعنده أيضا عن جابر قال دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذؤابة فدل على أنه لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه لكن قال قد يقال ان دخوله مكة كان وعليه أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس فى كل موطن مايناسبه وقال ابن القيم فى الهدى النبوى وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر فى سبب الذؤابة شيأ بديعا وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذى رآه

بالمدينة لما رأى رب العزة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لاأدرى فوضع كفه بين كتفى فعلمت مابين السماء والارض الحديث وهو فى الترمذى وسئل عنه البخارى فقال صحيح قال فمن تلك الغداة أرخى الذؤابة بين كتفيه قال وهذا من العلم الذى تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم قال ولم أر هذه الفائدة فى شأن الذؤابة لغيره انتهى وعبارة غير الهدى وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربه واضعا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة انتهى لكن قال العراقى بعد أن ذكره لم نجد لذلك أصلا وروى ابن أبي شيبة عن على قال عممنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله أمدنى يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمة وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين وبين المشركين قال عبد الحق الاشبيلى وسنة العمامة بعد فعلها أن يرخي طرفها ويتحنك به فان كانت بغير طرف ولاتحنيك فذلك يكره عند العلماء واختلف فى وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة فيها وقيل لانها كذلك كانت عمائم الشياطين وجاءت الاحاديث فى ارسال طرفها على أنواع منها ماتقدم أنه أرسل طرفها على منكب على ومنها أن عبد الرحمن بن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدى ومن خلفى ذكره أبو داود وعن ابن عباس أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسماء أى سوداء رواه الترمذى وفى حديث ركانة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس رواه الترمذى أيضا وعن أبى كبشة الانمارى قال كانت كمام أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بطحا رواه الترمذى أيضا وفى رواية أكمة وهما جمع كثرة وقلة للكمة القلنسوة يعنى انها كانت منبطحة غير منتصبة وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضاء رواه الدمياطى وكان أحب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم القميص كما فى الشمائل للترمذى من حديث أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق الازرار أو قال زر قميصه مطلق قال فأدخلت يدى فى جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذى وعن أنس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين رواه الدمياطى وعن أنس بن مالك قال كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة رواه الترمذى ﴿والحبرة﴾ ضرب من البرود فيه حمرة وعن أبى رمثة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان اخضران رواه الترمذى وعن عطاء عن أبى يعلى عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعا ببرد أخضر رواه أبو داود وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذى وعن أبى ذر أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض رواه البخارى وعن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط شعر أسود رواه الترمذى وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد رواه الشيخان * فان قلت قد علم من هذا ومن سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس فمابال الشاذلية من الصوفية يجملون هيآتهم

وملابسهم وطريقهم الاقتداء بالسنة الشريفة والسلف الصالح * أجاب العارف الرباني سيدى على الوفائي
أذاقنا الله حلاوة مشربه ومن خطه الكريم نقلت بما لفظه ذلك لانهم نظروا الى المعالى والحكم
فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا أهل الغفلة والشغل بدنياهم منهمكين على الزينة الظاهرة تفاخرا
بدنياهم واطمأنانا اليها واشعارا بانهم من أهلها خالفوهم اظهارا لحقارة ماحقره الحق مما عظمه الغافلون
وتنويها بالفناء عما اطمأن اليه الغافلون فكأن أطمارهم يومئذ تقول الحمد لله الذى أغنانا به عما أفقر نفسه اليه
من همه دنياه فلما طال الامد وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيآت
حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار مخالفة هؤلاء فى ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال
وقد أرشد الاستاذ أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من أنكر عليه جمال
هيئته من أصحاب الرثاثة ياهذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول أعطونى شيأ من دنيا كم
والقوم أفعالهم دائرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضات ربهم انتهى ماقاله سيدى على وقد ورد فى
الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال وفى الحديث الآخر ان الله نظيف
يحب النظافة وفى السنن عن ابن الاحوص الجشمى عن أبيه قال رآنى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى
أطمار وفى رواية النسائى وعلى ثوب دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من أى المال قلت من كل
ما آتى الله من الابل والشاء قال فكثر نعمته وكرامته عليك وفى رواية النسائى قال فاذا آتاك الله مالا
فلير أثر نعمته عليك وكرامته وفى حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا شعثا قد تفرق شعره
فقال ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا ما يغسل
به ثوبه رواه أحمد وفى السنن ان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور أثر
نعمته على عبده فانه من الجمال الذى يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيجب أن يرى
على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ولاجل محبته تعالى للجمال أنزل على عباده
لباسا يجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم فقال تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم
وريشا ولباس التقوى ذلك خير وقال فى أهل الجنة ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة
وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير وهو سبحانه كما يحب الجمال فى
الاقوال والافعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض القبيح وأهله
ويحب الجمال وأهله ولكن ضل فى هذا الموضع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه الله تعالى جميل فهو يحب
كل ما خلقه ونحن نحب جميع ماخلقه فلا نبغض منها شيأ قالوا ومن رأى الكائنات منه رآها كلها جميلة
واحتجوا بقوله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه وهؤلاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم والبغض فى الله
والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود والفريق الثانى قالوا قد ذم الله جمال الصور وتمام القامة
والخلقة فقال عن المنافقين واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وفى صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر الى
صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم قالوا وقد حرم الله علينا لباس الحرير والذهب وآنية
الذهب والفضة وذلك من أعظم جمال الدنيا وقال تعالى لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة

الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وفى الحديث البذاذة من الايمان وقد ذم الله المسرفين والسرف كما يكون فى الطعام والشراب يكون فى اللباس وفصل النزاع أن يقال الجمال فى الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير فى الحرب والخيلاء فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه فان كثيرا من النفوس ليس لها همة فى سوى ذلك وأما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث أن الله تعالى يحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه باظهار نعمه عليه فى لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور المكروهة والختان وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت به السنة والله أعلم وعن جابر بن سمرة قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة أضحيان فجعلت أنظر اليه والى القمر وعليه حلة حمراء فاذا هو أحسن عندى من القمر رواه الدارمى والترمذى وعن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كأنى أنظر الى بريق ساقيه قال سفيان أراه حبرة وعن البراء بن عازب قال ما رأيت أحدا من الناس أحسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذى وفى رواية البخارى ومسلم رأيته فى حلة حمراء لم أر شيأ قط أحسن منه وفى رواية لابى داود ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ﴿من ذى لمة﴾ بكسر اللام أى شعر الرأس دون الجمة سميت بذلك لانها ألمت بالمنكبين فاذا زادت فهى الجمة وفى رواية النسائى ما رأيت رجلا أحسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء برد أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة قال ابن القيم وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا ولا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمانية وهى معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت ينهى عنه أشد النهى وفى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفى مسلم عن ابن عمر قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذا لباس الكفار فلا تلبسهما ومعلوم أن ذلك انما يصبغ صباغا أحمر قال وفى جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرهما نظر وأما كراهته فشديدة فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه لبس الاحمر القانى كلا لقد أعاذه الله منه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم انتهى وقال النووى اختلف العلماء فى الثياب المعصفرة وهى المصبوغة بعصفر فأباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الشافعى وأبو حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها أفضل منها وفى رواية عنه أنه اجاز لباسها فى البيوت وافنية الدور وكرهه فى المحافل والاسواق وغيرهما وقال جماعة من العلماء هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهى على هذا لانه ثبت أنه عليه الصلاة والسلام لبس حلة حمراء وفى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة وحمل بعضهم النهى على المحرم

الحج والعمرة وقد أتقن البيهقي المسئلة في معرفة السنن فقال نهى الشافعي الرجل عن المزعفر وأباح له المعصفر قال الشافعي وانما رخصت في المعصفر لأني لم أجد أحدا يحكي عنه صلى الله عليه وسلم النهي الا ماقال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نهاني ولا أقول نها كم قال البيهقي وقد جاءت أحاديث تدل على العموم ثم ذكر حديث مسلم ان هذا من لباس الكفار وأحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعي لقال بها ان شاء الله تعالى ثم ذكر باسناده ماصح عن الشافعي أنه قال اذا صح الحديث بخلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي قال البيهقي قال الشافعي وانهى الرجل الحلال بكل حال أن يتزعفر قال وآمره اذا تزعفر أن يغسله قال البيهقي فتبع السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر أولى به انتهى ورأيت في فتاوى شيخنا العلامة قاسم أحد أئمة الحنفية ومحققيها كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل بما ذكرته وبما في حديث طاوس عند الحاكم وقال على شرطهما عن عمرو بن العاصي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر قال من أين لك هذا قال صنعته لي أهلي فقال عليه الصلاة والسلام أحرقه انتهى وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده الاحمر في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه وعمامته رواهما الدمياطي وهو عند أبي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته وكذا رواه من حديث زيد بن أسلم وأم سلمة وابن عمر لكن يعارضه مافي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله أعلم

﴿ وأما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم ﴾

فعن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري قال أخرجت الينا عائشة كساء وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري وفي رواية ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة وفي رواية كساء ملبدا قال ابن الاثير أي مرقعا يقال لبدت القميص ألبده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم من حديث عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود (والمرط) بكسر الميم واسكان الراء كساء من صوف أو خز يؤتزر به (والمرحل) بتشديد الحاء المهملة المفتوحة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال في القاموس في مادة رحل وكمعظم برد فيه تصاوير رحل قال وتصوير الجوهري اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال في مادة رجل يعني بالجيم وبرد مرجل كمعظم فيه صور الرجال انتهى وقال النووي والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اى عليه صور رحال الابل ولا بأس بهذه الصورة وانما يحرم تصوير الحيوان وقال الخطابي المرحل الذي فيه خطوط والله أعلم وعن عروة أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن عروة أيضا أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفد رداء أخضر في طول أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال قال رأيت على هشام بن عبد الملك

برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان وعن ابن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن يزيد بن أبي حبيب أنه صلى الله عليه وسلم كان يرخى الازار بين يديه ويرفعه من ورائه وعن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو سرته ورأيت عمر يأتزر فوق سرته رواها كلها الدمياطي

﴿ فصل ﴾ وعن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها رواه مسلم وقوله (جبة طيالسة) باضافة جبة الى طيالسة (وكسروانية) بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس (ولبنة) بكسر اللام واسكان الباء رقعة فى جيب القميص وفيه جواز لبس ماله فرجان وأنه لا كراهة فيه وأن المراد بالنهى عن الحرير المتمحض منه أو ما أكثره منه وأنه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منهما قاله النووى (لطيفة) قيل لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايبدو منه الا طيب كان آية ذلك فى بدنه الشريف انه لايتسخ له ثوب فما اتسخ له ثوب قط قيل ولم يقمل ثوبه قط وقال ابن سبع فى الشفاء والسبتى فى أعذب الموارد وأطيب الموالد لم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه مارواه أحمد والترمذى فى الشمائل عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفلى ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلى وجود شئ يؤذى فى الجملة اما قملا واما برغوثا أو نحو ذلك ويمكن أن يجاب بأن التفلى لاستقذار وجود ماعلق بثوبه الشريف من غيره ولو لم يحصل منه أذى فى حقه صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان أذى القمل هو غذاؤه من البدن على ماأجرى الله العادة واذا امتنع الغذاء لايعيش الحيوان عادة ونقل الفخر الرازى ان الذباب لايقع على ثيابه قط وأنه لايمتص دمه البعوض (وأما الطيلسان) وهو بفتح اللام واحدة الطيالسة والهاء فى الجمع للعجمة لانه فارسى معرب وهو الساج أيضا وقال ابن خالويه فى شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفى المجمل لابن فارس الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل ثبت فى صحيح مسلم من حديث النواس ابن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة ورأى أنس جماعة عليهم الطيالسة فقال ماأشبههم بيهود خيبر قال ومن هاهنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى أبو داود والحاكم أنه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفى الترمذى ليس منا من تشبه بغيرنا وأما ماجاء فى حديث الهجرة أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى أبي بكر رضى الله عنه متقنعا بالهاجرة فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفى بذلك للحاجة ولم يكن عادته التقنع وقد ذكر أنس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله للحاجة من الحر ونحوه قال شيخ الاسلام الولى بن العراقى فى شرح تقريب الاسانيد التقنيع معروف وهو تغطية الرأس بطرف العمامة لبرد أو نحو ذلك انتهى وقال ابن الحاج فى المدخل وأما قناع الرجل فهو أن يغطى رأسه

برداثه ويرد طرفه على أحد كتفيه انتهى وأما قول ابن القيم انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقى فى الشعب والترمذى وللبيهقى فى الشعب أيضا وابن سعد فى طبقاته من حديث أنس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما أشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه انه صلى الله عليه وسلم لبسه وأما قوله ولا أحد من أصحابه فيرده ما أخرجه الحاكم فى المستدرك بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل متقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت فاذا هو عثمان ابن عفان رضى الله عنه وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن أبى العلاء قال رأيت الحسن بن على وهو مقنع رأسه وأخرج ابن سعد عن سليمان بن المغيرة قال رأيت الحسن يلبس الطيالسة وأخرج عن عمارة بن زاذان قال رأيت على الحسن طيلسانا أندقيا وأما ما ذكره ابن القيم فى قصة اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح الاستدلال به فى الوقت الذى تكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك فى هذه الازمنة فصار ذلك داخلا فى عموم المباح وقد ذكره ابن عبد السلام فى أمثلة المباح وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروءة وقيل انما أنكر أنس ألوان الطيالسة لانها كانت صفراء والله أعلم * وأما الخاتم ففى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق فكان فى يده ثم كان فى يد أبى بكر ثم كان فى يد عمر ثم كان فى يد عثمان حتى وقع فى بئر أريس وفيهما أيضا عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشى وكان يجعل فصه مما يلى كفه وأخرج أحمد والنسائى والترمذى والبزار فى مسنده عن بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى يد رجل خاتما من حديد فقال مالى أجد منك ريح الاصنام ثم قال له اتخذه من فضة ولا تزد على مثقال وقد اختلف العلماء فى لبسه فى الجملة فأباحه كثير من أهل العلم من غير كراهة ومنهم من كرهه اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا لذى سلطان لحديث أبى داود والنسائى عن أبى ريحانة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الخاتم الا لذى سلطان ولانه عليه الصلاة والسلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب التى يبعثها الى الملوك كما فى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشى فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بختم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه أبو بكر رضى الله عنه لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان صلى الله عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلماء كراهة لبسه مطلقا احتجاجا بحديث أنس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفى الشمائل للترمذى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفى الصحيحين من حديث أنس أنه رأى فى يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم والصواب القول الاول فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم انما كان فى الاصل لاجل المصلحة لختم الكتب التى يرسلها الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه أصحابه معه ولم ينكره عليهم بل أقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة وأما حديث النهى عن الخاتم الا لذى سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض أصحابنا ان أحمد ضعفه وأما ما جاء فى

حديث الزهري عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم لبسه يوماواحدا ثم ألقاه فقدأجيب عنه بثلاثة أجوبة أحدها أنه وهم من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما الذي لبسه يوماواحدا ثم ألقاه كان من ذهب كاثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وأنس أيضا الثاني ان الخاتم الذي رمى به عليه الصلاة والسلام لم يكن كله فضة وانما كان حديدا عليه فضة وروى أبو داود عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة فلعل هذا هو الذي كان لبسه يوما واحدا ثم طرحه ولعل هو الذي كان يختم به ولا يلبسه الثالث أن طرحه انما كان لئلا يظن أنه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتيم لما رأوه قد لبسه فتبين بطرحه أنه ليس بمشروع ولا سنة ثم ان الخاتم قديكون تارة من ذهب وتارة من فضة وتارة يكون من حديد وتارة من صفرأو رصاص أونحوها وتارةمن عقيق فاما الذهب ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وآنية الفضة وفيهما عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن خاتم الذهب وفيهما أيضا عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه ممايلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم من الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فألقاه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الأئمة الاربعةمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأكثر العلماء ورخصت فيه طائفة منهم اسحاق بن راهويه وقال مات خمسة من أصحابه عليه الصلاة والسلام خواتيمهم من ذهب قال مصعب بن سعد رأيت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب وعن حمزة بن أبي أسيد والزبير بن المنذر بن أبي أسيد انهما نزعا من يد أبي أسيد خاتما من ذهب حين مات وكان بدريا رواهما البخاري في تاريخه وروى النسائي عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب مالي أرى عليك خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك فلم يعبه قال من هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم *وأماخاتم الفضة فأباحه كثير من العلماء ولبسه صلى الله عليه وسلم وجماعة من أصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا قال النووي في الروضة وغيرها وكتب أصحابنا طافحة بجوازه وروى أبو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للابس خاتم الحديد مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه وقال يارسول الله من أي شئ أتخذه قال من ورق ولاتتمه مثقالا وأخرجه أيضا النسائي والترمذي وقال غريب وأخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والضياء في المختارة مما ليس في الصحيحين ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المعروف بابي طيبة وهو محدث مشهور وتصحيح ابن حبان لحديثه دال على قبوله فأقل أحواله أن يكون من درجة الحسن والاصل في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم الا مارخص فيه فاذا حد فيه حد وجب الوقوف عنده وبقي ماعداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة في باب مايكره لبسه من الكفاية وينبغي أن ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وساق الحديث وقوله ينبغي يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه أولى لانه ساق الحديث مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا ينصرف النهي عن حقيقته الا بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي يقتضيه

فانه قال فى زكاة النقد فرع فى أبى داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل فذكر الحديث فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيها بين الاصحاب وظاهر ذلك تحريم المثقال وفى القوت للاذرعى لم يتعرض أصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا فى الخلخال للمرأة ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه فى الحديث وليس فى كلامهم ما يخالفه هذا لفظه وهو يشير الى هذا الحديث وكذا مشى عليه ابن العماد فى التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فشرطه أن لا يبلغ به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ العراقى فى شرح الترمذى ان النهى فى قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه فيكره أن يبلغ به وزن مثقال قال وفى رواية لابى داود فى رواية صاحب المعالم ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست هذه الزيادة فى رواية اللؤلؤى ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة فى صنعته الى أن يكون قيمة مثقال فهو داخل فى النهى أيضا انتهى وقد أفتى العلامة السراج العبادى بانه يجوز أن يبلغ به مثقالا وأن ما زاد عليه حرام * وأما خاتم الحديد فأخرج أبو داود فى الخاتم من سننه والبيهقى فى شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه من طريقه والنسائي فى الزينة من سننه وابن حبان فى صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمى بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال مالى أجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالى أجد عليك حلية أهل النار فطرحه وأخرجه الترمذى لكنه قال من صفر بدل من شبه وهو بمعنى قال النووى فى شرح المهذب قال صاحب الابانة يكره الخاتم من حديد أو شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد أو نحاس أو رصاص لحديث بريدة وقال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد أو رصاص لحديث الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذى خطب الواهبة نفسها أطلب ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم يأذن فيه وفى سنن أبى داود باسناد جيد عن معيقيب الصحابى كان خاتمه عليه الصلاة والسلام من حديد ملوى عليه فضة والمختار أنه لا يكره لهذين الحديثين وقال فى شرح مسلم فى الكلام على حديث المرأة الواهبة نفسها وفى هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف للسلف حكاه القاضى ولاصحابنا فى كراهته وجهان أصحهما لا يكره لان الحديث فى النهى عنه ضعيف انتهى ولعل تضعيف النووى للحديث انما هو بالنسبة الى مقاومة حديث سهل بن سعد فى الصحيحين وغيره فى قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف وله فى ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن * وأما خاتم العقيق فعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمين أحق بالزينة وفى سنده مجهول وروى بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفى الفقر وروى يعقوب بن ابراهيم عن عائشة مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب متروك وروى أبو بكر بن شعيب عن فاطمة رضى الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا أيضا لا يثبت وكذا ورد فيه أحاديث غير هذه وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وقال العقيلى لا يصح فى التختم بالعقيق عن النبي صلى الله عليه وسلم شئ وروى ابن فتحويه فى كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن على مرفوعا من تختم بالياقوت

الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف * وأما فص خاتمه عليه الصلاة والسلام فروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه أخرجه البخاري وغيره وفي صحيح مسلم أن خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا قال النووي قال العلماء يعني حجرا حبشيا أي فصا من جزع أو عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى فان صح أنهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان أحدهما فصه عقيق والآخر فصه فضة وفي شرح مسلم للنووي حكاية أنه صلى الله عليه وسلم كان له في وقت خاتم فصه منه قال وفي حديث آخر فصه من عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه الصلاة والسلام أنه لبس خاتما كله عقيقا * وأما نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صنع خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه قال الترمذي معنى قوله لاتنقشوا عليه نهى أن ينقش أحد على خاتمه محمد رسول الله وفي رواية للنسائي اتخذ خاتما من ورق فصه حبشي ونقش فيه محمد رسول الله وفي رواية البخاري والترمذي وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر قال في فتح الباري ظاهره أنه لم يكن فيه زيادة على ذلك وأنه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب العادي فان ضرورة الاحتياج الى أن يختم به تقتضي أن تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا وأما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق يعني الجلالة أعلى الاسطر الثلاثة ومحمد أسفلها فلم أر التصريح بذلك في شئ من الاحاديث بل رواية الاسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في يد أبي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور بالكذب وفي لفظه مايدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بئر أريس قبل يوم الدار وقد عاش عثمان بعده مدة واتخذ له خاتما عوضه وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص انتهى ﴿تنبيه﴾ قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وتحصل السنة بلبس الخاتم مطلقا ولو مستعارا أو مستأجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك ويجوز تعداد الخواتيم اتخاذا وأما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز وبه صرح المحب الطبري فقال المتجه انه لايجوز للرجل أن يلبس خاتمين من فضة في يديه أو في احداهما لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي في الكافي أنه يجوز له أن يلبس زوجا في يد أو فردا في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا فقال الصيدلاني في الفتاوى لايجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم الحرمة واذا تقرر ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب الطبري فان تسامحنا اعتمدنا على ما أفتى به الصيدلاني انتهى ويجوز التختم في اليمين واليسار واختلف الناس في أفضلها فقيل اليسار وهو نص الامام أحمد في رواية صالح قال التختم في اليسار أحب الى وهو مذهب الامام مالك ويروى أنه كان يلبسه في يساره وكذلك الامام الشافعي وفي صحيح مسلم عن

أنس قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار الى الخنصر من يده اليسرى وفي سنن أبي داود عن ابن عمر أنه كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يساره وروى اسماعيل بن مسلم عن السليطي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة قمراء وكأني أنظر الى عكن بطنه وكأنها القباطي والى وبيص خاتمه في يساره واسماعيل هذا قال البخاري تركه ابن المبارك وربما روى عنه وقد ذكر بعض الحفاظ كما أفاده الحافظ ابن رجب أن التختم في اليسار مروي عن عامة الصحابة والتابعين ورجحت طائفة التختم في اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروى حماد بن سلمة قال رأيت ابن أبي رافع يتختم في يمينه فسألته عن ذلك فقال رأيت عبد الله بن جعفر يتختم في يمينه وقال كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال قال محمد يعني البخاري هذا أصح شيء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وفي الشمائل للترمذي عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون ويروى من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه وعباد بن صهيب متروك أيضا وروى البزار في مسنده من حديث عبيد بن القاسم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه وعبيد هذا كذاب قال الحافظ ابن رجب وقد جاء التصريح بأن تختمه عليه الصلاة والسلام في يساره كان آخر الامرين في حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله بن عطاء عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم انه حوله الى يساره وقال وكيع التختم في اليمين ليس بسنة ونص أحمد أنه يكره التختم في السبابة والوسطى وروى عن علي أنه قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتختم في هذا أو في هذه وأومأ الى السبابة والوسطى والله أعلم وفي الباب وكان عليه الصلاة والسلام يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء ورواه ابن عدي بسند ضعيف من حديث واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا أراد حاجة أوثق في خاتمه خيطا وروى أبو يعلى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو في رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الله الأعلى أبو الفيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه أبو حاتم بهذا الحديث * وأما السراويل فاختلف هل لبسها النبي صلى الله عليه وسلم أم لا فجزم بعض العلماء بأنه عليه الصلاة والسلام لم يلبسه ويستأنس له بما جزم به النووي في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتاب تهذيب الاسماء واللغات أنه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله فانهم كانوا أحرص شيء على اتباعه صلى الله عليه وسلم لكن قد ورد في حديث عند أبي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جدا عن أبي هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وأرجح فقال الوزان ان هذه الكلمة ما سمعتها من أحد فقال أبو هريرة فقلت له كفى بك من الوهن والجفاء في دينك ألا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقبلها فجذب يده

صلى الله عليه وسلم منه وقال ياهذا انما تفعل هذا الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم فوزن فأرجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل قال أبو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم قال قلت يارسول الله وانك لتلبس السراويل قال أجل فى السفر والحضر وبالليل والنهار فانى أمرت بالستر فلم أجد شيأ أستر منه وكذا أخرجه ابن حبان فى الضعفاء عن أبى يعلى ورواه الطبرانى فى الاوسط والدارقطنى فى الافراد والعقيلى فى الضعفاء ومداره على يوسف بن زياد الواسطى لكن قد صح شراء النبي صلى الله عليه وسلم له وفى الهدى والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه ليلبسه وقد روى أنه لبس السراويل وكانوا يلبسونه فى زمانه وباذنه قال أبو عبد الله الحجازى فى حاشيته على الشفاء وما قاله فى الهدى من أنه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل قالوا سبق قلم والله أعلم وقد أورد أبو سعيد النيسابورى ذكر الحديث فى تجارته صلى الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم البخارى فى اللباس من صحيحه باب السراويل وأورد فيه حديث المحرم لكونه لم يرد فيه شئ على شرطه * وأما الخف فروى الترمذى عن بريدة أن النجاشى أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما وعن المغيرة بن شعبة قال أهدى دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وقال اسرائيل عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لايدرى النبي صلى الله عليه وسلم أمذكيان هما أم لا رواه الطبراني * أما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل كما قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففى البخارى عن قتادة عن أنس أن نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبالان تثنية القبال وهو زمام النعل وهو السير الذى يكون بين الاصبعين وعن ابن عباس قال كان لنعل النبي صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه الترمذى فى الشمائل وفيها أيضا عن ابى هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان وعن عيسى بن طهمان قال أخرج الينا أنس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثنى ثابت بعد أنس أنهما كانتا نعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعن عبيد بن جريج أنه قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية قال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فانا أحب أن ألبسها وعن عمرو بن حريث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعلين مخصوفتين وعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن مااستطاع فى ترجله وتنعله وطهوره رواه الترمذى وعن أبى هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين فاذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل وآخرهما تنزع وكان عليه الصلاة والسلام ينهى أن ينتعل الرجل قائما رواه أبو داود والترمذى وقد ذكر أبو اليمن بن عساكر تمثال نعله الكريمة عليه أفضل الصلاة والسلام فى جزء مفرد رويته قراءة وسماعا وكذا أفرده بالتأليف أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمى المشهور بابن الحاج من أهل المرية بالاندلس وكذا غيرهما ولم أثبتها هنا اتكالا على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها الاعلى حاذق ومن بعض ماذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ماذكره أبو جعفر أحمد ابن عبد المجيد وكان شيخا صالحا وربما قال حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال لى رأيت

البارحة من بركة هذا النعل عجبا أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين وقال أبو اسحاق قال أبو القاسم بن محمد ومما جرب من بركته أن من أمسكه عنده متبركا به كان له أمانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته ولله در أبي اليمن بن عساكر حيث قال

يامنشدا فى رسم ربع خال * ومناشد الدوارس الاطلال
دع ندب آثار وذكر مآثر * لأحبة بانوا وعصر خال
والثم ثرى الأثر الكريم فحبذا * ان فزت منه بلثم ذا التمثال
أثر له بقلوبنا أثر لها * شغل الخلى بحب ذات الخال
قبل لك الاقبال نعلى أخمص * حل الهلال بها محل قبال
ألصق بها قلبا يقلبه الهوى * وجلا على الاوصاب والاوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة * فى تربها وجدا وفرط فعال
سيبلى حرجوى ثوى بجوانح * فى الحب ماجنحت الى الابلال
ياشبه نعل المصطفى روحى الفدا * لمحلك الاسمى الشريف العال
هملت لمرآك العيون وقد نأى * مرمى العيان بغير ماامهال
وتذكرت عهد العقيق فناثرت * شوقا عقيق المدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين الى الذى * مازال بالى منه فى بلبال
أذكرتنى قدما لها قدم العلا * والجود والمعروف والافضال
أذكرتنى من لم يزل ذكرى له * يمتاد فى الابكار والآصال
ولها المفاخر والمآثر فى الدنا * والدين والأقوال والأفعال
لو أن خدى يحتذى نعلا لها * لبلغت من نيل المنى آمال
أو أن أجفانى لوطء نعالها * أرض سمت عزا بذا الاذلال

﴿ وما أحسن قول أبي الحكم بن المرحل فى قصيدة ذكرها أبو اسحاق بن الحاج ﴾

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه * ونمم خد الطرس بالنقش راقمه
رؤف عطوف أوسع الناس رحمة * وجادت عليهم بالنوال غمائمه
له الحسن والاحسان فى كل مذهب * فآثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم * وكل فعال صالح فهو خاتمه
أحب رسول الله حبا لو انه * تقاسمه قومى كفتهم قسائمه
كأن فؤادى كلما مر ذكره * من الورق خفاف أصيبت قوادمه
أهيم اذا هبت نواسم أرضه * ومن لفؤادى أن تهب نواسمه

فأنشق مسكا طيبا فكأنما * نوافجه جاءت به ولواطمه
ومما دعاني والدعاوى كثيرة * الى الشوق أن الشوق مما أكاتمه
مثال لنعلي من أحب هويته * فها أنا فى يومى وليلى ألاثمه
أجر على رأسى ووجهى أديمه * وألثمه طورا وطورا ألازمه
أمثله فى وجل أكرم من مشى * فتبصره عينى وما أنا حالمه
أحرك خدى ثم أحسب وقعه * على وجنتى خطوا هناك يداومه
ومن لى بوقع النعل فى حر وجنتى * لماش علت فوق النجوم براجمه
سأجعله فوق الترائب عوذة * لقلبي لعل القلب يبرد حاجمه
واربطه فوق الشؤن تميمة * لجفنى لعل الجفن يرقاء ساجمه
ألا بأبى تمثال نعل محمد * لطاب لحاذيه وقدس خادمه
يود هلال الافق لو أنه هوى * يزاحمنا فى لثمه ونزاحمه
وما ذاك الا أن حب نبينا * يقوم بأجسام الخليقة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا * وغنت بأغصان الاراك حمائمه

﴿ ولابى بكر احمد ابن الامام أبى محمد عبد الله بن الحسين القرطبي رحمه الله تعالى ﴾

ونعل خضعنا هيبة لبهائها * وانا متى نخضع لها أبدا نعلو
فضعها على أعلى المفارق انها * حليقتها تاج وصورتها نعل
بأخمص خير الخلق حازت مزية * على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر * وان بحار الجود من فيضها حلو
سلونا ولكن عن سواها وانما * نهيم بمغناها الغريب ولا نسل
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها * حميم ولا مال كريم ولا نسل
شفاء لذى سقم رجاء لبائس * أمان لذى خوف كذا يحسب الفضل

* وأما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم آخذا من ذلك بما تدعو ضرورته اليه وترك ماسوى ذلك وفى صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلماء معناه مازاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف للشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل وأما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا بأس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عائشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما حشوه الليف رواه الشيخان وروى البيهقى من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الى بفراش حشوه الصوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا ياعائشة

قلت يارسول الله فلانة الانصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت الى بهذا فقال رديه ياعائشة فوالله لوشئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح والطبرانى ولفظه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى غرفة كأنها بيت حمام وهو نائم على حصير وقد أثر فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك ياعبد الله قلت يارسول الله كسرى وقيصر يطؤون على الخز والديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر بجنبك فقال فلا تبك ياعبد الله فان لهم الدنيا ولنا الآخرة وقوله (كأنها بيت حمام) بتشديد الميم أى ان فيها من الحر والكرب كما فى بيت الحمام وعن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد أثر فى جنبه واذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناى فقال مايبكيك ياابن الخطاب فقال يانبي الله ومالى لاأبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك وهذه خزائنك لاأرى فيها الا ماأرى وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والانهار وأنت نبى الله وصفوته وهذه خزائنك قال ياابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا رواه ابن ماجه باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر رضى الله عنه استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فى مشربة وانه لمضطجع على خصفة وان بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وان فوق رأسه لاهاب عطين وفى ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه وجلست فقلت أنت نبى الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال أولئك عجلت لهم طيباتهم وهى وشيكة الانقطاع وانا قوم أخرت لنا طيباتنا فى آخرتنا وعن عائشة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردى عليه كساء أسود وقد حشوناه بالبردى فدخل أبو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم عليه فلما رآهما استوى جالسا فنظرا فاذا أثر السرير فى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ماتؤذيك خشونة مانرى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال عليه الصلاة والسلام لاتقولا هذا فان فراشى كسرى وقيصر فى النار وان فراشى وسريرى هذا عاقبته الى الجنة رواه ابن حبان فى صحيحه ويروى أنه عليه الصلاة والسلام ماعاب مضجعا قط ان فرش له اضطجع والا اضطجع على الارض وتغطى صلى الله عليه وسلم باللحاف قال عليه الصلاة والسلام ماأتانى جبريل وأنا فى لحاف امرأة منكن غير عائشة

﴿ النوع الثالث فى سيرته عليه الصلاة والسلام فى نكاحه ﴾

قد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ من الجماع بالأكمل مما تحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس وتحصل به مقاصده التى وضع لاجلها فان الجماع فى الاصل وضع لثلاثة أشياء هى مقاصده الاصلية * أحدها حفظ النفس ودوام النوع الانسانى الى أن تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم * الثانى قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هى الفائدة التى فى الجنة اذ لاتناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال وفضلاء الاطباء يرون ان الجماع من أسباب حفظ الصحة لكن لاينبغى

اخراج المنى الا فى طلب النسل واخراج مااحتقن منه فانه اذا دام احتقانه أحدث أمراضاردية منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب أمراضا رديئة قال محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعضائه واستدت مجاريها وتقلص ذكره قال ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم أشار اليه فى زاد المعاد ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه فى دنياه وآخرته وينفع المرأة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما فى حديث أنس عند الطبرانى فى الاوسط والنسائى فى سننه حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة أى لمناجاته فيها ربه زاد الامام أحمد فى الزهد وأصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن فمحبة النساء والنكاح من كمال الانسان هذا خليل الله ابراهيم امام الحنفاء كان عنده سارة أجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال كان الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يزورها جر فى كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها وهذا داود عليه الصلاة والسلام كان عنده تسع وتسعون امرأة فأحب تلك المرأة وتزوج بها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه كان يطوف فى الليلة على تسعين امرأة ﴿ تنبيه ﴾ قد وقع فى الاحياء للغزالى وتفسير آل عمران من الكشاف وكثير من كتب الفقهاء حبب الى من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه الصلاة والسلام قال ثلاث ولم يذكر الا اثنتين الطيب والنساء قالوا ومنه قول الشاعر

ان الا حامزة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح وأطلى * بالزعفران فلا أزال مولعا

وذكرها ابن فورك فى جزء مفرد ووجهها وأطنب فى ذلك وهذا عندهم يسمى طيا وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم وأنشد الزمخشرى عليه

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

وفائدة الطى عندهم تكثير ذلك الشئ لكن قال ابن القيم وغيره من رواه حبب الى من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست من أمور الدنيا التى تضاف اليها انتهى نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهى عبادة محضة وقال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر فى تاريخ الكشاف ان لفظ ثلاث لم تقع فى شئ من طرقه وزيادته مفسدة للمعنى وكذا قال شيخ الاسلام الولى ابن العراقى فى أماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهى ثلاث فى شئ من كتب الحديث وهى مفسدة للمعنى فان الصلاة ليست من أمور الدنيا وكذا صرح به الزركشى وغيره كما حكاه شيخنا فى المقاصد الحسنة وأقره وقال ابن الحاج فى المدخل أنظر الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل أحببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على أن حبه كان خاصا

بمولاه تعالى وجعلت قرة عينه فى الصلاة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى لظاهر ملكوتى الباطن وكان عليه السلام لايأتى الى شئ من أحوال البشرية الا تأنيسا لامته وتشريعا لها لاأنه محتاج الى شئ من ذلك ألا ترى الى قوله تعالى قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولاأقول لكم انى ملك فقال لكم ولم يقل انى ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام لا فى ذاته الكريمة اذ أنه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته مايلحق البشر ولهذا قال سيدى أبو الحسن الشاذلى فى صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالأبشار كما أن الياقوت حجر ليس كالأحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب للفهوم فدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك نفسه انتهى * وههنا لطيفة روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال أبو بكر وأنا يارسول الله حبب الى من الدنيا النظر الى وجهك وجمع المال للانفاق عليك والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وأنا يارسول الله حبب الى من الدنيا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بأمر الله وقال عثمان وأنا يارسول الله حبب الى من الدنيا اشباع الجائع وارواء الظمآن وكسوة العارى وقال على بن أبى طالب وأنا يارسول الله حبب الى من الدنيا الصوم فى الصيف واقراء الضيف والضرب بين يديك بالسيف قال الطبرى خرجه الجندى كذا قال والعهدة عليه وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش رواه الطبرانى وقال أنس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل وهن احدى عشرة قلت أوكان يطيقه قال كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين رواه البخارى من طريق قتادة قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن ابيه ورواه سعيد بن أبى عروبة وغيره عن قتادة فقال تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخارى من طريق سعيد بن أبى عروبة أيضا بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما ابن حبان فى صحيحه بأن حمل ذلك على حالتين لكنه وهم فى قوله ان الاولى كانت فى اول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية فى آخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة امرأة وموضع هذا الوهم منه أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة فى السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش فى الخامسة ثم جويرية فى السادسة ثم صفية وأم حبيبة وميمونة فى السابعة هؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور لكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة اليهن وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا فان قلت وطء المرأة فى يوم الاخرى ممنوع والقسم وان لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم لكنه التزمه تطييبا لنفوسهن أجيب باحتمال اذن صاحبة اليوم له أو انه فى يوم لم يثبت فيه قسم بعد كيوم قدومه من سفر أو اليوم الذى بعد كمال الدورة لانه يستأنف القسم فيما بعد أو أنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد اختص فى باب النساء بأشياء كما سيأتى ان شاء الله تعالى وعن طاوس ومجاهد أعطى صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا فى الجماع رواه ابن سعد وفى رواية عن مجاهد قوة بضع وأربعين رجلا كل رجل من أهل الجنة رواه الحارث بن أبى أسامة وعند أحمد والنسائى وصححه

الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة فى الا كل والشرب والجماع والشهوة وعن صفوان بن سليم مرفوعا أتانى جبريل بقدر فأكلت منها فاعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع رواه بن سعد ولما كان عليه الصلاة والسلام ممن أقدر على القوة فى الجماع وأعطى الكثير منه أبيح له من عدد الحرائر مالم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان أفضل هذه الامة أكثرها نساء يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقيد بهذه الامة ليخرج مثل سليمان صلى الله عليه وسلم فانه كان أكثر نساء ووقع عند الطبرانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا أكثرنا نساء قيل المعنى خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من كان أكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل قال الحافظ أبو الفضل العسقلانى والذى يظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبى صلى الله عليه وسلم وبالامة أخصاء أصحابه وكأنه اشار الى أن ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا ما آثر النبى صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه أخشى الناس لله واعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام التى لايطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة لكونه كان لايجد مايستمتع به من القوت غالبا وان وجد فكان يؤثر بأكثره ويصوم كثيرا ويواصل ومع ذلك فكان يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب وهى عنده عليه الصلاة والسلام نادرة أو معدومة وقال بعض العلماء لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النساء أكثر مما يستبيح العبد وجب أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الامة يستبيح من النساء أكثر مما تستبيحه الامة قالوا ومن فوائد ذلك زيادة التكليف فى القيام بهن مع تحمل أعباء الرسالة فيكون ذلك أعظم لمشاقه وأكثر لاجره ومنها أن النكاح فى حقه عبادة ومنها نقل محاسنه الباطنة وقد تزوج عليه الصلاة والسلام أم حبيبة وكان أبوها فى ذلك الوقت عدوه وصفية وقد قتل أباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن أحواله على أنه أكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضى ميلهن الى آبائهن وقرابتهن فكان فى كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطنا كما عرف منه الرجال الظاهر وقد رغب عليه الصلاة والسلام فى النكاح فروى أبو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم وفى ابن ماجه عن أبى هريرة رفعه انكحوا فانى مكاثر بكم الامم وهو معنى مااشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الامم ولم أقف عليه بهذا اللفظ وأرشد عليه الصلاة والسلام من لم يستطع الباءة الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف مايجده المرء من الحرارة القوية التى تبعثه على النكاح وخص الشباب فى قوله يامعشر الشباب لان للشباب من شهوة النكاح ماليس لغيرهم وقد ظهر لك أن النكاح أعظم فى الاجر والثواب من الصيام فانه عليه الصلاة والسلام لم يأمر أولا بالصوم انما أمر به عند عدم الطول الى النكاح واذا كان النكاح ينوى به التناسل لتكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك أفضل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لأطأ النساء ومالى اليهن حاجة رجاء أن يخرج الله من ظهرى من يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة ذكره ابن أبى جمرة وانظر كون نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع أعبد الناس مع ماطبعت عليه بشريته من حب الجماع

وكيف ولم يخل بعبادته شيأ لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يأتيها الا على مشروعيتها وهذا هو غاية الكمال فى البشرية لانه يرجع ماطبع عليه تبعا لما أمر به وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لارهبانية فى الاسلام وهى ترك النساء ولو كان تركهن أفضل لشرع ذلك فى ديننا اذ هو خير الاديان وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة الحديث رواه البخارى وهذا فيه معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام اذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امرأة فى ليلة واحدة فأظهر الله تعالى قدرته بأن أعطى لسليمان عليه الصلاة والسلام القوة على ذلك فكان فيها معجزة واظهار قدرة وابداء حكمة ردا على من ربط الاشياء بالعوائد فيقول لايكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا فألقى الله تعالى فى صلب سليمان ماءمائة رجل وكان له ثلاثمائة زوجة وألف سرية وهذا لايعطى تفضيل سليمان عليه الصلاة والسلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا ماء أربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة لان مرتبة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الافضلية لايساويه فيها أحد وسليمان تمنى أن يكون ملكا فأعطى ذلك وأعطى هذه القوة فى الجماع لكى يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكان نساؤه من جنس ملكه الذى لاينبغى لاحد من بعده كما طلب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون نبيا ملكا أبى ذلك واختار أن يكون نبيا عبدا فأعطى من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه الصلاة والسلام اختار الفقر والعبودية فأعطى الزائد لخرق العادة فى النوع الذى اختار وهو الفقر والعبودية فكان عليه الصلاة والسلام يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله فى الجماع لم ينقصه شيأ والناس أبدا اذا أخذهم الجوع والمجاهدة لايستطيعون ذلك فهو أبلغ فى المعجزة قاله فى بهجة النفوس والله أعلم

﴿ النوع الرابع فى نومه عليه الصلاة والسلام ﴾

كان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ويستيقظ فى أول النصف الثانى فيقوم فيستاك ويتوضأ ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه وكان ينام على جانبه الايمن ذاكرا لله حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن فى شأنه كله وليرشد أمته لان فى الاضطجاع على الشق الايمن سرا وهو ان القلب معلق فى الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل نوما لانه يكون فى دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق ولا يستغرق فى النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم على الجانب الايسر وان كان اهنأ مضر بالقلب بسبب ميل الاعضاء اليه فتنصب المواد فيه وأما قول القاضى عياض فى الشفاء وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم الخ ففيه شئ لانه عليه الصلاة والسلام لاينام قلبه فسواء كان نومه على الجانب الايمن أو الأيسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم فى حق من ينام قلبه وحينئذ فالاحسن تعليله بحب التيامن أو بقصده التعليم كما مر وأردأ النوم النوم على الظهر ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم وأردأ منه أن ينام منبطحا على وجهه وفى سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه

برجله وقال قم أو اقعد فانها نومة جهنمية وكان عليه الصلاة والسلام ينام على النطع تارة وعلى الفراش تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وكان فراشه أدما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك وفى رواية يوم تجمع عبادك وقال أبو قتادة كان عليه الصلاة والسلام اذا عرس بليل اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع راسه على كفه وقال ابن عباس كان عليه الصلاة والسلام اذا نام نفخ وعن حذيفة كان عليه الصلاة والسلام اذا أوى الى فراشه قال باسمك اللهم أموت وأحيا وقالت عائشة كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرأ قل هو الله احد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا وكم ممن لا كافى له ولا مؤوى روى ذلك الترمذى وكان عليه الصلاة والسلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخارى من حديث عائشة قاله لها عليه الصلاة والسلام لما قالت له أتنام قبل أن توتر وانما كان عليه الصلاة والسلام لا ينام قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحياة لا ينام اذا نام البدن وكمال هذه الحالة كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن أحيا الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك جزء بحسب نصيبه منها فستيقظ القلب وغافله كمستيقظ البدن و نائمه والى هذا الذى ذكرته أشار صاحب المعارف العلية والحقائق السنية سيدى على ابن سيدى محمد وفا

عينى تنام لكن قلبى والله ما ينام * وكيف ينام عاشق
مسبي فى الحب مستهام * ناظر الى وجه الحبيب * شاخص على الدوام
أتاه فى المعنى مرسوم * أن يحى الرسوم * فقال بالحى القيوم
* ياسعد من يقوم *

وقد جمع العلماء بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم فى الوادى عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتي أيقظه عمر رضى الله عنه بالتكبير فقال النووى له جوابان أحدهما أن القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوها ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نائمة والقلب يقظان والثانى انه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الاغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا أى قضية النوم عن الصلاة قال والصحيح المعتمد هو الاول والثانى ضعيف قال فى فتح البارى وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظانا مرور الوقت الطويل فان من ابتداء طلوع الفجر الى أن حميت الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول يحتمل أن يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحى ولا يلزم من ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة القاء الوحى فى اليقظة وتكون الحكمة فى ذلك بيان التشريع بالفعل لانه أوقع فى النفس كما فى قصة سهوه فى الصلاة وقريب من هذا جواب ابن المنير أن القلب يحصل له السهو فى اليقظة لمصلحة التشريع ففى النوم بطريق الاولى أو على

السواء وقال ابن العربي فى القبس النبي صلى الله عليه وسلم كيفما اختلف حاله من نوم أو يقظة فى حق وتحقيق ومع الملائكة فى كل طريق ان نسى فبآكد من المنسى اشتغل وان نام فبقلبه ونفسه على الله أقبل ولهذا قالت الصحابة كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لانوقظه حتي يستيقظ لانا لاندرى ماهو فيه فنومه عن الصلاة أونسيانه لشئ منها لم يكن عن آفة وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة مثلها لتكون لنا سنة انتهى وأجيب عن أصل الاشكال باجوبة أخرى ضعيفة منها ان معنى قوله لاينام قلبي أى لا يخفى عليه حالة انتقاض وضوئه ومنها انه لايستغرقه النوم حتي يوجد منه الحدث وهذا قريب من الذى قبله قال ابن دقيق العيد كأن قائل هذا أراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض وذلك بعيد وذلك أن قوله صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى خرج جوابا عن قول عائشة أتنام قبل أن توتر وهذا كلام لاتعلق له بانتقاض الطهارة الذى تكلموا فيه وبما هو جواب يتعلق بأمر الوتر فتحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع فى النوم مطمئن القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال وعلى هذا فلا تعارض ولا اشكال فى حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحتمل أنه اطمأن فى نومه لما أوجبه تعب السير مجتمعا معتمدا على من وكله بكلاءة الفجر انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي بادراكه وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وأن نومه فى حديث الباب كان نوما مستغرقا ويؤيده قول بلال أخذ بنفسى الذي أخذ بنفسك كما فى حديث أبي هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه ومعلوم أن نوم بلال كان مستغرقا وقد اعترض عليه بأن ماقاله يقتضى اعتبار خصوص السبب وأجاب بأنه يعتبر اذا قامت عليه قرينة وأرشد اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة أيضا قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن ترك اعلامهم بذلك لمصلحة التشريع والله أعلم انتهى

﴿المقصد الرابع فى معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص آياته وبدائع كراماته وفيه فصلان * الاول فى معجزاته﴾

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك الله بى وبك مناهج سنته وأماتنا على محبته بمنه ورحمته أن المعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها فعلم أن لها شروطا أحدها أن تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء من بين الاصابع وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة واعدام جبل فخرج غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم الثانى أن تكون مقرونة بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهرى يقال تحديت فلانا اذا باريته فى فعل ونازعته للغلبة وفى القاموس نحوه وفى الاساس حدا يحدو وهو حادى الابل واحتدى بها حداء اذا غنى ومن المجاز تحدى أقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة وأصله الحداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد منهما صاحبه أى يطلب حداءه كما يقال توفاه بمعنى استوفاه وفى بعض الحواشى الموثوق بها كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره

يتحدى كل واحد منهما صاحبه بمعنى يستحديه أي يطلب منه حداءه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبي على الكشاف وقال المحققون التحدي الدعوة للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزة أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة مع أمن المعارضة وهو أحسن من التعبير بعدم المعارضة لانه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل دعوى الرسالة وكلام عيسى في المهد وماشابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة فانها ليست معجزات انما هي كرامات ظهورها على الاولياء جائز والانبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضا وحينئذ يسمى ارهاصا أي تأسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو مذهب جمهور أئمة الاصول وغيرهم وخرج أيضا بقيد المقارنة المتأخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية نحو ماروى بعد وفاته من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار وخرج أيضا بأمن المعارضة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم واختلف هل السحر قلب الاعيان واحالة الطبائع أم لا فقال بالاول قائلون حتى جوزوا للساحر أن يقلب الانسان حمارا وذهب آخرون الى أن أحدا لا يقدر على قلب عين ولا احالة طبيعة الا الله تعالى لانبيائه وأن الساحر والصالح لا يقلبان عينا عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز على النبي فأي فرق عندكم بينهما فان لجأتم الى ما ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني من الفرق بالتحدي فقط قيل لكم هذا باطل من وجوه * أحدها أن اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما تعرى من البرهان فهو باطل * الثاني أن أكثر آياته صلى الله عليه وسلم وأعمها وأبلغها كانت بلا تحد كنطق الحصي ونبع الماء ونطق الجذع واطعامه المئين من صاع وتفله في العين وتكليم الذراع وشكوى البعير وكذا سائر معجزاته العظام ولعله لم يتحد بسوى القرآن وتمني الموت قالوا فأف لقول لا يبقى من الآيات ما يسمى معجزة الا هذين الشيئين ويلغي معجزات كالبحر المتقاذف بالامواج ومن قال هذه ليست بمعجزات ولا آيات فهو الى الكفر أقرب منه الى البدعة قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود آية من هذه الآيات أشهد أني رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم مصداق قوله في الاخبار عن الذي أنكى في المشركين قتلا في المعركة انه من أهل النار فقتل نفسه بمحضر ذلك الذي اتبعه من المسلمين قالوا * والوجه الثالث وهو الدامغ لهذا القول قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وقال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون فسمى الله تلك المعجزات المطلوبات من الانبياء آيات ولم يشترط تحديا من غيره فصح أن اشتراط التحدي باطل محض انتهى ملخصا من تفسير الشيخ أبي أمامة بن النقاش وأجيب بأنه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الاصلي للتحدي بل يكفي للتحدي دعوى الرسالة والله اعلم * الرابع من

شروط المعجزة ان تقع على وفق دعوى المتحدى بها فلو قال مدعى الرسالة آية نبوتى أن تنطق يدى أو هذه الدابة فنطقت يده أو الدابة بكذبه فقالت كذب وليس بنبي فان الكلام الذى خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعى لان مافعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما يروى أن مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب مافيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة ولا يقال قضية ماقلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا يظهر الا على أيدى الصادقين وليس كذلك لان الدجال يظهر على يديه من الآيات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار الصحيحة لان ماذكر فيمن يدعى الرسالة وهذا فيمن يدعى الربوبية وقد قام الدليل العقلى على أن بعث بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد أن يقيم الله الادلة على صدق مخلوق أتى عنه بالشرع والملة ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي لا تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب البريات ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * فان قلت أى الاسمين أحق وأولى بما أتت به الانبياء هل لفظ المعجزة أو لفظ الآية أو الدليل * فالجواب أن كبار الائمة يسمون معجزات الانبياء دلائل النبوة وآيات النبوة ولم يرد أيضا فى القرآن لفظ المعجزة بل ولا فى السنة أيضا وانما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان كما فى قصة موسى فذانك برهانان من ربك فى العصا واليد وفى حق نبينا عليه الصلاة والسلام قد جاءكم برهان من ربكم وأما لفظ الآيات فكثير بل هو أكثر من أن نسرده هنا كقوله تعالى واذا جاءتهم آية وان فى ذلك لآيات وأما لفظ المعجز اذا أطلق فانه لا يدل على كون ذلك آية الا اذا فسر المراد به وذكرت شرائطه وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن أثبت للاولياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام أحمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبى فان هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من تبعه ذلك الولى فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فلذلك كان آية وبرهانا انتهى واذا علمت هذا فاعلم أن دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار بظهور معجزاته شهيرة فمن دلائل نبوته ما وجد فى التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدى أيام مولده ومبعثه من الامور العجيبة الغريبة القادحة فى سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب المنوهة لذكرهم كقصة الفيل وما أحل الله تعالى بأصحابه من العقوبات والنكال وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان وماسمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجهها من غير دافع لها من أمكنتها الى سائر ماروى ومانقل فى الاخبار المشهورة من ظهور العجائب فى ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبيا ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الرأى الذى أظهره والدين الذى دعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية والتعادى والتباغى وسفك الدماء وشن الغارة ولا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولائمة

فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وترادفت الأيدى فصاروا ألبا واحدا فى نصرته وعنقا واحدا الى طلعته وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم فى محبته وبذلوا مهجهم وأرواحهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف فى اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا عوض فى العاجل أطمعهم فى نيله يرجونه أوملك أوشرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الغنى فقيرا والشريف أسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبل الاختيار العقلى والتدبير الفكرى لا والذى بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل فى شئ من ذلك وانما هو أمر الهى وشئ غالب سماوى ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين * ومن دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام أنه كان أميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد فى قوم أميين ونشأ بين أظهرهم فى بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج فى سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه فجاءهم بأخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كان ذهب معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة صحيحها وسقيمها الا القليل ثم حاج كل فريق من أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيأ له نقض ذلك وهذا أدل شئ على أنه أمر جاء من عند الله تعالى ومن ذلك القرآن العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشئ منه قال بعض العلماء ان الذى أورده عليه الصلاة والسلام على العرب من الكلام الذى أعجزهم عن الاتيان بمثله أعجب فى الآية وأوضح فى الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين فى اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وقال أبو سليمان الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه تعالى بانهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه أن ذلك من عند الله علام الغيوب وأنه لا يقع فيما أخبر عنه خلف والا لم يأذن له عقله أن يقطع القول فى شئ بأنه لا يكون وهو يكون انتهى وهذا من أحسن ما يقال فى هذا المجال وابدعه واكمله وأبينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض فى المناقضة صارخا بهم على رؤس الأشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعى وتظاهر الاجتهاد فقال وكان بما ألقى اليهم من الاخبار عليما خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فرضيت هممهم السرية وأنفسهم الشريفة الأبية بسفك الدماء وهتك الحريم وقد ورد من الاخبار فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ماروى عن محمد بن كعب

قال حدثت أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش ألا أقوم الى هذا فأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى ياأبا الوليد فقام عتبة حتي جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرغت ياأبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال أفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قرآنا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت ياأبا الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياأبا الوليد قال والله انى قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش أطيعونى خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ قال فاجابنى بشئ والله ماهو بسحر ولا بشعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب رواه البيهقى وغيره وفى حديث اسلام أبى ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ماسمعت بأشعر من أخى أنيس وقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق وجاء الى أبى ذر بخبر النبى صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون رواه مسلم والبيهقى وعن عكرمة فى قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الى آخر الآية قال أعد فأعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله مافيكم رجل أعلم بالاشعار منى ولا أعلم برجزه ولا باشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شئ من هذا والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى وفى خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضورهم الموسم وقال ان وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لايكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول هو كاهن قال والله ماهو بكاهن ماهو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ماهو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ماهو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما تقول قال ماأنتم قائلون من هذا شيأ الا وأنا أعرف انه باطل رواه ابن اسحاق والبيهقى وأخرج أبو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثنى اسحاق بن يسار عن رجل من بنى سلمة قال لما أسلم فتيان بنى سلمة قال عمرو ابن الجموح لابنه أخبرنى ماسمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط

المستقيم فقال ماأحسن هذا وأجمله أو كل كلامه مثل هـذا قال ياأبت وأحسن من هـذا وقال بعض العلماء ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وأن البشر لاقدرة لهم على تأليف مثل ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك انتهى واعلم ان وجوه اعجاز القرآن لاتنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء فى اعجازه على ستة أوجه أحدها ان وجه اعجاز القرآن هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم فى القصاص حياة فجمع فى كلمتين عـدد حروفها عشرة أحرف معانى كلام كثير وحكى أبو عبيـد أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال اشهد أن مخلوقا لايقدر على مثل هـذا الكلام وحكى الاصمعى انه رأى جارية خماسية أو سداسية وهى تقول أستغفر الله من ذنوبى كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

أستغفر الله لذنبي كله * قتلت انسانا بغير حله

مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصل له

فقلت لها قاتلك الله ماأفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قوله وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليـه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليـك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا هو برجل قائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فأعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ماأنزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهى قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وقد رام قوم من أهل الزيغ والالحاد أو تواطرقا من البلاغة وحظا من البيان أن يضعوا شيأ يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والعصر وأشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان العجز انما يقع فى التأليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب فى التشبث بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال

ياضفدع نقى كم تنقين * أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين

لا الماء تكدرين * ولا الشراب تمنعين

فلما سمع أبو بكر رضى الله عنه هذا قال انه لكلام لم يخرج من ال قال ابن الانير أى من ربوبية (والال) بالكسر هو الله تعالى وقيل الال الاصل الجيد أى لم يجىء من الاصل الذى جاء منه القرآن ولما سمع مسيلمة الكذاب لعنه الله والنازعات قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان مما ذكرت فى الوفود من المقصد الثانى بعضه والله أعلم (وقال آخر) الفيل ماالفيل

وما أدراك ماالفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل وقال آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شرا سيف وأحشى ففى هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة مالا خفاء به على من لايعلم فضلا عمن يعلم والثانى ان اعجازه هو الوصف الذى صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر و الرجز والسجع فلا يدخل فى شئ منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة فى نظمهم ونثرهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى حسن كلامه فلا ريب أنه فى فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفى بلاغته قد أصاب المعانى بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر مارام معارضته شقى الا تهافت تهافت الفراش فى الشهاب وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكى عن غير واحد ممن عارضه أنه اعترته روعة وهيبة كفته عن ذلك وحكى أيضا ان ابن المقفع وكان أفصح أهل زمانه طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبى يقرأ فى مكتب يقرأ قوله تعالى ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر الاية فرجع ومحى ماعمل وقال اشهد أن هذا لايعارض أبدا وما هو من كلام البشر كما حكى عن يحيى بن حكيم الغزال بتخفيف الزاى وقد تشدد وكان بليغ الاندلس فى زمانه أنه قد رام شيأ من هذا فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته خشية ورقة وحملته على التوبة والانابة ولله در امام العارفين سيدى محمد وفا حيث قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم

له آية الفرقان فى عين جمعه * جوامع آيات بها اتضح الرشد
حديث نزيه عن حدوث منزه * قديم صفات الذات ليس له ضد
بلاغ بليغ للبلاغة معجز * له معجزات لايعد لها عد
تحلت بروح الوحى حلة نسجه * عقود اعتقاد لايحل لها عقد
وغاية أرباب البلاغة عجزهم * لديه وان كانوا هم الالسن اللد
فأفاكهم بالإفك أعياه غيه * تصدى وللاسماع عن غيه صد
فلى الله أقوالا بهاجر هجرها * هوانا بها الورهاء والبهم البلد
تلاها فقل الفحش فى القبح وجهها * وعن ريبها الالباب نزهها الزهد
لقد فرق الفرقان شمل فريقه * بجمع رسول الله واستعلن الرشد
أتى بالهدى صلى عليه الهه * ولم يله بالأهواء اذ جاءه الجحد

والثالث أن وجه اعجازه هو أن قارئه لايمله وسامعه لايمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لايزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مابلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات ويؤنس بتلاوته فى الازمات وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لايخلق على كثرة الرد ولاتنقضى عبره ولا تفنى عجائبه

هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به أشار اليه القاضى عياض * والرابع أن وجه اعجازه هو مافيه من الاخبار بما كان مما علموه ومالم يعلموه فاذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذى حكاه من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وحال ذى القرنين وقصص الانبياء مع أممها والقرون الماضية فى دهرها * والخامس أن وجه اعجازه هو مافيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم فما تمناه أحد منهم ومثل قوله تعالى لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا وتعقب بأن الغيوب التي اشتمل عليها القرآن وقع بعضها فى زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لنازعوا وقع المتوقع وبأن الاخبار عن الغيب وقع فى بعض سور القرآن واكتفى منهم بمعارضة سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر أقصر سورة لاغيب فيها * والسادس أن وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم تتعاط العرب فيها الكلام ولا يحيط بها من علماء الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الاولين والآخرين وحكم المتخلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة أوجه يصح أن يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزا بأولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فلم يقدر أحد أن يأتى بمثل هذا القرآن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتأليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التى دلت على البعث وآياته والانباء بما كان وبما يكون وبما فيه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء والفهماء من قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم فى مدة ماعرفوه قبل نبوته وأداء رسالته أربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وشهد له فى كتابه بذلك فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون * وأما ماعدا القرآن من معجزاته عليه الصلاة والسلام كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ماوقع التحدى به ومنه ماوقع دالا على صدقه من غير سبق تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شئ كثير كما يقطع بجود حاتم وشجاعة على وان كان افراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير

والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيد للقطع النظرى لما كان مستبعدا وذلك أنه لامرية أن رواة الاخبار فى كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار فى الجملة ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الراوى فيما حكاه من ذلك ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ عن الاغضاء على الباطل وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم انكار أوطعن على بعض من روى شيأ من ذلك فانما هو من جهة توقف فى صدق الراوى أو تهمته بكذب أو توقف فى ضبطه أو نسبته الى سوء الحفظ أو جواز الغلط ولا يوجد أحد منهم طعن فى المروى كما وجد منهم فى غير هذا الفن من الاحكام وحروف القرا آت ونحو ذلك والله أعلم وأنت اذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والسلام وجدتها شاملة للعلوى والسفلى والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل الى غير ذلك مما لو عد لطال كالرمى بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع فى الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه فى الميضأة والتور والمزادة وانشقاق القمر ورد العين من العور ونطق البعير والذئب والجمل وكالنور المتوارث من آدم الى جبهة أبيه من الازل وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الحملة ونقلتها عن الالسنة الاول النقلة مما لو أعملنا أنفسنا فى حصرها لفنى المداد فى ذكرها ولو بالغ الاولون والآخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ماحباه الكريم من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض نحرها ولقد صح لبعض محبيه أن ينشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه لنعته * يفنى الزمان وفيه مالا يوصف

(وانه لخليق بمن ينشد)

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الاوالذى نال أطول

ولا بلغ المهدون فى القول مدحه * ولوحذقوا الاالذى فيه أفضل

(ولله در امام العارفين سيدى محمد وفا فلقد كفى وشفى بقوله)

ماشئت قل فيه فأنت مصدق * فالحب يقضى والمحاسن تشهد

(ولقد أبدع الامام الاديب شرف الدين البوصيرى حيث قال)

دع ماادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعنى أن المداح وان انتهوا الى أقصى الغايات والنهايات لايصلون الى شأوه اذ لاحد له ويحكى أنه رؤى الشيخ عمر بن الفارض فى المنام فقيل له لم لامدحت النبى صلى الله عليه وسلم فقال

أرى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه وأكثرا

اذا الله أثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار مايمدح الورى

قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من أصعب مايحاولونه فان المعاني دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال النظم وعند التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بالنسبة الى من فرضت له وجدتها صادقة في حق النبي صلى الله عليه وسلم حتى كأن الشعراء على صفاته يعتمدون والى أمداحه كانوا يقصدون وقد أشار البوصيري بقوله

دع ماادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

الى ماأطرت النصارى به عيسى بن مريم من اتخاذه الها قال النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي وأنا ولدته فحرفوا الاول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكافرين * فان قلت هل ادعى أحد في نبينا عليه الصلاة والسلام ماادعى في عيسى * أجيب بأنهم قد كادوا أن يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له عليه الصلاة والسلام أفلا نسجد لك قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لبشر لامرت المرأة أن تسجد لزوجها فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة وقد جاء في صفته من حديث ابن أبي هالة ولا يقبل الثناء الا من مكافئ أي مقارب في مدحه غير مفرط فيه قال ابن قتيبة معناه الا أن يكون ممن له عليه منة فيكافئه الآخر وغلطه ابن الأنباري بأنه لاينفك أحد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله بعثه رحمة للعالمين فالثناء عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به قال وانما المعنى لايقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه * ثم ان حاصل معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والسلام كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع الى ثلاثة أقسام ماض وقد وجد قبل كونه فقضى بمجده ومستقبل وقع بعد مواراته في لحده وكائن معه من حين حمله ووضعه الى أن نقله الله الى محل فصله وموضع جمعه * فأما القسم الاول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره الى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الاول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته قال الامام فخر الدين الرازي ومذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزة تأسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله يعني في سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لايجوز أن تكون المعجزة قبل الارسال انتهى وقد تقدم أول هذا المقصد أن الذي عليه جمهور أئمة الاصول وغيرهم أن هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لايسمى معجزة بل تأسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه الصلاة والسلام * وأما القسم الثاني وهو ماوقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم مالا يحصى كالاستغاثة به وغير ذلك مما يأتي في المقصد الاخير في أثناء الكلام على زيارة قبره الشريف المنير * وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته فكالنور الذي خرج معه أضاء له قصور الشأم وأسواقها حتى رؤيت أعناق الابل ببصرى ومسح الطائر على فؤاد أمه حتى لم تجد ألما لولادته والطواف به في الآفاق الى غير ذلك وكانشقاق القمر عند اقتراحه عليه وانضمام الشجرتين لما دعاهما اليه وكاطعام الجيش الكثير من الزاد اليسير في عدة من المواضع واستيلاء الفجائع وغير ذلك مما أمده الله تعالى به من المعجزات وأكرمه به من خوارق العادة تأييدا لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته

وتأييدا لسيادته فى كل أمة وتسديدا لمن ادكر بعد أمة مما تتبعه يخرج عن مقصود الاختصار اذ هو باب فسيح المجال منيع المنال لكنى انبه من ذلك على نبذة يسيرة وأنوه فى أثنائها بجملة خطيرة فأقول وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب * وأما معجزة انشقاق القمر فقد قال تعالى فى كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر الآية والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر فى أن قوله انشق القمر وقع انشقاقه لأن الكفار لايقولون ذلك يوم القيامة واذا تبين أن قولهم ذلك انما هو فى الدنيا تبين وقوع الانشقاق وأنه المراد بالآية التى زعموا أنها سحر وسيأتى ذلك صريحا فى حديث ابن مسعود وغيره واعلم أن القمر لم ينشق لاحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته عليه الصلاة والسلام وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه فى دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التى لاقدرة لبشر على ايجادها دلالة على صدقه عليه الصلاة والسلام فى دعواه الوحدانية لله تعالى وأنه منفرد بالربوبية وأن هذه الآلهة التى يعبدونها باطلة لاتنفع ولا تضر وأن العبادة لاتكون الا لله وحده لاشريك له قال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لايكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء وذلك أنه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع مافى هذا العالم المركب من الطبائع فليس فيما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر انتهى وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعنى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى أن انتهى الينا وتأيد بالآية الكريمة انتهى وقال العلامة ابن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن ابراهيم عن أبى معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق شتى بحيث لايمترى فى تواتره انتهى وقد جاءت أحاديث الانشقاق فى رواية صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وابن عباس وعلى وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم فأما أنس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لانه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد وأما أنس فكان ابن أربع سنين أو خمس بالمدينة وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك ففى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة أى نصفين ومن حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى الترمذى من حديث ابن عمر فى قوله اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعن الامام أحمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لايستطيع أن يسحر

الناس وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فاخبروهم بذلك رواه أبو داود الطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فاسئلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان لم يكونوا أوا مارفهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه وعند أبي نعيم في الدلائل من حديث ضعيف عن ابن عباس قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق وعند البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس وان كان لم يشاهد القصة كما قدمته فني بعض طرقه أنه حمل الحديث عن ابن مسعود وعند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فأراهم انشقاق القمر مرتين وكذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين أيضا واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عند أحمد وفي حديث ابن عمر فلقتين باللام كما قدمته وفي لفظ من حديث جبير فرقا نشق باثنتين وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي وانشق مرتين بالاجماع قال الحافظ ابن حجر وأظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فاني لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم ولعل قائل مرتين أراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول أنس ان ذلك كان بمكة لانه لم يصرح بأنه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة فالمراد أن الانشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة والله أعلم وقد أنكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك وجواب هؤلاء ان كانوا كفارا أن يناظروا أولا على ثبوت الاسلام فاذا تمت اشتركوا مع غيرهم ممن أنكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك ورد بعض لزم التناقض وايضا لا سبيل الى انكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة واذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أجاب القدماء عن ذلك فقال أبو اسحاق الزجاج في معاني القرآن أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه انتهى وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لانه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك أصل لخلد في كتب التسيير والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره فأجاب عنه الخطابي وغيره بأن هذه القصة خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شئ طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان

له بالنهار ومن شأن الليل أن يكون الناس فيه نياما ومستكنين فى الابنية و البارز منهم بالصحراء اذا كان يقظانا يحتمل أن يتفق انه كان فى ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد أن يقصدوا الى مراكز القمر ناظرين اليه ولا يغفلوا عنه فقد يجوز لانه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وانما رآه من قصد الرؤية ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عند قوم وربما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد آخر وقد أبدى الخطابى حكمة بالغة فى كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شئ منها مبلغ التواتر الذى لانزاع فيه كالقرآن بما حاصله أن معجزة كل نبى كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب من قومه والنبى صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين فكانت معجزته التى تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذى بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادرا كا عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا أجاب ابن عبد البر بنحوه ﴿تنبيه﴾ مايذكره بعض القصاص أن القمر دخل فى جيب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشى عن شيخه العماد بن كثير وأما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم فروى عن أسماء بنت عميس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على رضى الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت ياعلى فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ماغربت ووقعت على الجبال والارض وذلك فى الصهباء فى خيبر رواه الطحاوى فى مشكل الحديث كما حكاه القاضى عياض فى الشفاء وقال قال الطحاوى ان أحمد بن صالح كان يقول لاينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة انتهى قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وان أوهم تخريج القاضى عياض له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال انه موضوع بلاشك وفى سنده أحمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قال الدارقطنى وقال ابن حبان كان يضع الحديث قال ابن الجوزى وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال وهذا حديث باطل قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يلح له عدم الفائدة فيها فان صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء ورجوع الشمس لايعيدها أداء انتهى وقد أفرد ابن تيمية تصنيفا مفردا فى الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وأنه موضوع والعجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته ناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وقال شيخنا قال أحمد لاأصل له وتبعه ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه انتهى ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام ابن العراقى فى شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه

وسلم رأسه فى حجر على ونام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتي وقعت على الجبال وعلى الارض وقام على فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء وفى لفظ آخر كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل الوحى يغشى عليه فأنزل الله عليه يوما وهو فى حجر على فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر ياعلى فقال لا يارسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت أسماء فرأيت الشمس طلعت بعد ماغابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبراني أيضا فى معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى عن ابن اسحاق مما ذكره القاضى عياض لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى وهذا يعارضه قوله فى الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على أحد الاليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل عليه السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتي فرغ من قتالهم قال الحافظ ابن كثير فيه ان هذا كان من خصائص يوشع فيدل على ضعف الحديث الذى رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبى طالب وقد صححه أحمد بن صالح المصرى ولكنه منكر ليس فى شيء من الصحاح والحسان وهو مما تتوفر الدواعى على نقله وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها انتهى ويحتمل الجمع بأن المعنى لم تحبس الشمس على أحد من الانبياء غيرى الا ليوشع والله اعلم وكذا روى حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم أيضا يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبيوشع كما ذكره القاضى عياض فى الاكمال وعزاه لمشكل الآثار ونقله النووى فى شرح مسلم فى باب حل الغنائم عن عياض وكذا الحافظ ابن حجر فى باب الاذان من تخريج أحاديث الرافعى ومغلطاى فى الزهر الباسم واقروه وتعقب بان الثابت فى الصحيح وغيره أنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر فى وقعة الخندق بعد ماغربت الشمس كما سبق فى غزوتها وذكر البغوى فى تفسيره أنها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام أيضا لقوله ردوها على ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس فى الآية فالمراد الصافنات الجياد والله أعلم قال القاضى عياض واختلف فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت على أدراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطؤ حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى وأما ماروى من طاعات الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الاخبار فمنها تسبيح الحصا والطعام فى كفه الشريف صلى الله عليه وسلم فخرج محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات قال أخبرنا أبو اليمان قال حدثنا شعيب عن الزهرى قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بنى سليم كبير السن كان ممن أدرك أباذر بالربذة عن أبى ذر قال هجرت يوما من الايام فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فاخبرنى أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكأنى حينئذ أرى أنه فى

وحى فسلمت عليه فرد السلام ثم قال ماجاء بك قلت الله ورسوله فأمرني أن أجلس فجلست الى جنبه لاأسأله عن شئ ولايذكره فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشى مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ماجاء بك قال جاءبى الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبى بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس الى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ماقرب من ذلك فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبحن فى كف أبى بكر ثم أخذهن منه فوضعهن فى الارض فخرسن وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن وقال الحافظ ابن حجر قد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصى ففى حديث أبى ذر قال تناول النبى صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن فى يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن ثم وضعهن فى يد عثمان فسبحن أخرجه البزار والطبرانى فى الاوسط وفى رواية الطبرانى فسمع تسبيحهن من فى الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع أحد منا قال البيهقى فى الدلائل كذا رواه صالح بن الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهرى عن سويد بن أبى يزيد السلمى عن أبى ذر والمحفوظ مارواه شعيب عن أبى حمزة عن الزهرى قال وذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بنى سليم كان كبير السن انتهى وليس لحديث تسبيح الحصى الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس وما أحسن قول سيدى محمد وفا رحمه الله تعالى حيث قال

لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصا * ومن سح سحب الكف قد سبح الرعد

﴿ وقوله الآخر ﴾

ياحبذا لو لثمت كفا * قد سبحت وسطها الحصاه

وقد أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبى صلى الله عليه وسلم فسبح رواه القاضى عياض فى الشفاء ونقله عنه الحافظ أبو الفضل فى فتح البارى واعلم أن التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون فى غير من قام به مجازا فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفى قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لاعرفه الآن وقد اختلف فى هذا الحجر فقيل هو الحجر الاسود وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذى كان يسلم

على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز به وقد ذكر الامام أبو عبد الله محمد بن رشيد بضم الراء فى رحلته مما ذكره فى شفاء الغرام عن علم الدين أحمد بن ابى بكر بن خليل قال أخبرنى عمى سليمان قال أخبرنى محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف قال أخبرني أبو حفص الميانشى قال أخبرنى من لقيته بمكة أن هذا الحجر يعني المذكور هو الذى كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والدارمى والحاكم وصححه عن على ابن ابي طالب قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله رواه البزار وأبو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له * ومن ذلك تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه عليه الصلاة والسلام عن أبى أسيد الساعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب يا أبا الفضل لا ترم منزلك أنت وبنوك غدا حتي آتيكم فان لى فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير بحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتي اذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين رواه البيهقى فى الدلائل وابن ماجه مختصرا * ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن أنس قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان رواه أحمد والبخارى والترمذي وأبو حاتم قال ابن المنير قيل الحكمة فى ذلك انه لما رجف أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التى توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك فاستقر انتهى (وأحد) جبل بالمدينة وهو الذى قال فيه أحد جبل يحبنا ونحبه رواه البخارى ومسلم واختلف فى المراد بذلك فقيل أراد به أهل المدينة كما قال تعالى واسئل القرية أى أهلها قاله الخطابى وقال البغوى فيما حكاه الحافظ المنذرى الاولى اجراؤه على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى أن سكنها وكما أخبر أن حجرا كان يسلم عليه قبل الوحى فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حالة مفارقته اياها انتهى وقال الحافظ المنذرى هذا الذى قاله البغوى جيد وعن ثمامة عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان خرجه النسائى والترمذى والدارقطنى (والحضيض) القرار من الارض عند منقطع الجبل (وركضه) برجله أى ضربه بها وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وفى رواية وسعد بن أبى وقاص ولم يذكر عليا خرجهما مسلم وانفرد بذلك وخرجه الترمذى فى مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ مكان اسكن وقال حديث صحيح وخرجه الترمذى أيضا عن سعيد بن زيد وذكر أنه كان عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال اثبت حراء وكذا رواه الخلعى عنه بنحوه ولم يذكر أبا عبيدة بن الجراح ورواه أيضا اسحاق البغدادى فيما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الابناء ولله در القائل

ومال حراء من تحته فرحا به * لولا مقال اسكن تضعضع وانقضا

(وحراء وثبير) جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات تحمل على أنها قضايا تكررت قاله الطبرى وغيره لكن صحح الحافظ ابن حجر انه أحد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لى ان الاختلاف فيه من سعيد فانى وجدته فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن روح بن عبادة فقال فيه أحد أو حراء بالشك وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ حراء واسناده صحيح وأخرجه أبو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ أحد واسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصة وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة مايؤيد تعدد القصة فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته عليه الصلاة والسلام قريش قال له ثبير اهبط يارسول الله فانى أخاف أن يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله فقال له حراء الى يارسول الله رواه فى الشفاء وهو حديث مروى فى الهجرة من السيرة وحراء مقابل لثبير والوادى بينهما وهو على يسار السالك الى منى وحراء قبل ثبير مما يلى شمال الشمس وهذه الواقعة غير واقعة ثور فى خبر الهجرة هذا هو الظاهر والله أعلم قال السهيلى فى حديث الهجرة وأحسب فى الحديث أن ثورا ناداه أيضا لما قال له ثبير اهبط عنى * ومن ذلك كلام الشجرة له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله عليه وسلم أخرج البزار وأبو نعيم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحى الى جعلت لاأمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وأخرج الامام أحمد عن أبى سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء فضربه بعض أهل مكة فقال له مالك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب أن أريك آية قال نعم قال فنظر الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتي قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه الدارمي من حديث أنس وعن على قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب وخرج الحاكم فى مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأقبل أعرابى فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تريد قال الى أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال هل لك

من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمي أيضا بنحوه وقوله (تخد) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة أي تشق الارض وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي أن أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه في الشفاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فأسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي فأذن لها الحديث رواه البغوي في شرح السنة وفي حديث جابر ابن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا الحديث رواه مسلم (والمنصف) بفتح الميم الموضع الوسط بين الموضعين (والتلاؤم) الاجتماع ولله در البوصيري حيث قال

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

كانما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

فشبه آثار مشي الشجر لما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب أوقعها على نسبة معلومة في أسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال أمره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن أولى بالمبادرة لامتثال مادعا اليه زاده الله شرفا لديه وتأمل قول الاعرابي ائذن لي أن أسجد لك لما رأى من سجود الشجرة فرأى انه أحرى بذلك حتى أعلمه عليه الصلاة والسلام أن ذلك لايكون الا لله فحق على كل مؤمن أن يلازم السجود للحق المعبود ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجر ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه صلى الله عليه وسلم (اعلم) أن الحنين مصدر مضاف الى الفاعل والمراد شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي في الاحاديث المسوقة هنا انه صوت

ولعل المراد منه الدلالة على الشوق أى الصوت الدال على شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والجذع) واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج ابن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندى أن حنين الجذع متواتر رواه البخارى عن نافع عن ابن عمر ورواه أحمد من رواية أبى جناب عن أبيه عن ابن عمرو رواه ابن ماجة وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وأسناده على شرط مسلم ورواه الترمذى وصححه وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى وصححه وقال على شرط مسلم يلزمه أخراجه من رواية اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس ورواه الطبرانى من رواية الحسن عن أنس ورواه أحمد وابن منيع والطبرانى وغيرهم من رواية حماد ابن سلمة عن عمار بن أبى عامر عن ابن عباس ورواه أحمد والدارمى وأبو يعلى وابن ماجه وغيرهم من رواية الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه ورواه الدارمى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد ورواه أبو محمد الجوهرى من رواية عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن تميم الدارى ثم قال ولست أدعى أن التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها وانما ذكرت فى المشاهد منها أو فى بعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين انتهى وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم مما لا ممارسة له فى ذلك والله أعلم انتهى وقال البيهقى قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الشافعى فيما نقله ابن أبى حاتم عنه فى مناقبه ما أعطى الله نبيا ما أعطى نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام فقيل له أعطى عيسى احياء الموتى قال أعطى محمد حنين الجذع حتى سمع صوته فهو أكبر من ذلك وقال القاضى عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر ابن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبردة وأم سلمة والمطلب بن ابي وداعة انتهى فأما حديث أبى فرواه الشافعى من حديث الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هى التى على المنبر فلما صنع وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب عليه تجاوز الجذع الذى كان يخطب عليه خار حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث وأما حديث جابر فرواه البخارى من طرق وفى لفظ له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الانصار أو رجل من الانصار ألا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع

الى المنبر فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذى يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي لفظ قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت (العشار) وهو بكسر العين النوق الحوامل وفي حديث أبي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج انتهى (والخلوج) بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها (والحنين) صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويتأسف على مفارقته أعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على أن الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حن وأن فان قيل مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعرى ان الاصوات لايستلزم خلقها في المحل خلق الحياة ولا العقل أجيب بأنه كذلك ونحن لم نجعل الحياة لازمته الا أن الشوق الى الحق شوقا معنويا عقليا لاطبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ أبي الحسن أن الذكر المعنوى والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها وقد بينا أن هذه المعاني وجدت في الجذع وأطلق الحاضرون حينئذ على صوته انه حنين وفهموا أنه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب عنده وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد غليل شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ماتعودا

وأما حديث أنس فرواه أبو يعلى الموصلي بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس فجاءه رومي فقال ألا أصنع لك شيأ تقعد عليه كأنك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر جأر الجذع كجؤار الثور حتى ارتج المسجد لجؤاره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يجأر فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه الترمذى وقال صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجه والامام أحمد من طريق الحسن عن أنس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لى منبرا أراد أن يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر قال فأخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها فسكتت ورواه أبو القاسم البغوى وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه ولله در القائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدا

وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن حنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع ياقوم هكذا * أما نحن أولى أن نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا

وأما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق وأما حديث ابن عباس فعند الامام أحمد باسناد على شرط مسلم ورواه ابن ماجه وأما حديث ابن عمر ففي البخارى وأما حديث أبي سعيد الخدرى فعند عبد بن حميد وأما حديث عائشة فعند البيهقي وفى آخره أنه خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الآخره وأما حديث بريده فعند الدارمى وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شئت أردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبى صلى الله عليه وسلم ليسمع مايقول فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء وأما حديث أم سلمة فعند أبى نعيم فى الدلائل والقصة واحدة وما فى ألفاظها مما ظاهره التغاير هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله أعلم * وأما كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسنى عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يارسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل فقال له أصحابه يارسول الله هذه بهيمة لاتعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه أحمد والنسائى (والحائط) هو البستان وقوله (نسنى عليه) بالنون والسين المهملة أى نستقى عليه وفى حديث يعلى بن مرة الثقفى بينا نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت مالهم معيشة غيره فقال أما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا اليه رواه البغوى فى شرح السنة (والجران) بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره وروى الامام أحمد قصة أخرى نحو ما تقدم من حديث جابر ضعيفة السند والبيهقى باسناد جيد وكذا روى الطبرانى قصة أخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف والامام

أحمد أيضا من حديث يعلى بن مرة وأخرج ابن شاهين فى الدلائل عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر الى حديثا لاأحدث به أحدا من الناس قال وكان أحب مااستتر به النبى صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه وفى رواية فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذالى يارسول الله فقال ألا تتق الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه قال فى المصابيح وهو حديث صحيح قال ورواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن مهدى بن ميمون (والحائش) بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدوداهو جماعة النخل لاواحدله من لفظه وقوله (ذفراه) تثنية ذفرا بكسر الذال المعجمة مقصور وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه * ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر يارسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغى لأحد أن يسجد الا لله رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتاب دلائل النبوة باسناد ضعيف وذكره القاضى عياض فى الشفاء وذكر أيضا عن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعى لهم فقال يارسول الله كيف لى بالغنم قال أحصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها الى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها * ومنها قصة كلام الذئب وشهادته له صلى الله عليه وسلم بالرسالة اعلم أنه قد جاء حديث قصة كلام الذئب فى عدة طرق من حديث ابى هريرة وأنس وابن عمر وأبى سعيد الخدرى فأما حديث أبى سعيد فرواه الامام أحمد باسناد جيد ولفظه قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فقال الراعى ياعجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ماقد سبق قال فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل الى المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم فأخبرهم وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعد المالينى والبيهقى وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم فى الدلائل وأما حديث أبى هريرة فرواه سعيد بن منصور فى سننه قال جاء الذئب فأقعى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيأ قالوا والله لانفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به فأدبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وروى البغوى فى شرح السنة وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبى هريرة أيضا قال جاء ذئب الى راعى غنم فاخذ منه شاة فطلبه الراعى فانتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى

واستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله ان رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم ولا تتبعونه قال وكان الرجل يهوديا فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم انها أمارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده قال القاضى عياض وفى بعض الطرق عن أبى هريرة فقال الذئب أنت أعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدرا وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها (واستثفر) بالسين والمثناة ثم المثلثة والفاء آخره راء كاستعفل اى جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لابى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب تعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة أى فاسدة متغيرة بمعنى يقع الفساد والتغير فى أهلها * ومن ذلك حديث الحمار أخرج ابن عساكر عن ابن منظور قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كلهم لا يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبنى لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابى الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وفى معجزاته صلى الله عليه وسلم ماهو أعظم من كلام الحمار وغيره *ومن ذلك حديث الضب وهو مشهور على الالسنة ورواه البيهقى فى أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزى لا يصح اسنادا ولا متنا وذكره القاضى عياض فى الشفاء وقد روى من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه اذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا جعله فى كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال من هذا قالوا نبي الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم

جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابى الحديث بطوله وهو مطعون فيه وقيل انه موضوع لكن معجزاته عليه الصلاة والسلام فيها ماهو أبلغ من هذا وليس فيه ماينكر شرعا خصوصا وقدرواه الأئمة فنهايته الضعف لاالوضع والله أعلم * ومن ذلك حديث الغزالة روى حديثها البيهقى من طرق وضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وذكره القاضى عياض فى الشفاء ورواه أبو نعيم فى الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة رضى الله عنها قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى منجدل فى شملة نائم فى الشمس فقال ماحاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين فقالت عذبنى الله عذاب العشار ان لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساق الحافظ المنذرى حديثه فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة ونقل شيخنا الحافظ أبو الخير السخاوى عن ابن كثير انه لا أصل له وأن من نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا لكن ورد فى الجملة فى عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض اوردها شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فى المجلس الحادى والستين من تخريج احاديث المختصر والله أعلم انتهى وفى شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكى وتسبيح الحصا رواه الطبرانى وابن أبى عاصم من حديث أبى ذر وتسليم الغزالة رواه أبو نعيم الاصبهانى والبيهقى فى دلائل النبوة ونحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما استغنى عنهما بنقل غيرهما أو لعلهما تواترا اذذاك انتهى * ومن ذلك داجن البيوت وهو ماألفها من الحيوان كالطير والشاة وغيرهما روى قاسم بن ثابت عن عائشة رضى الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وذكره القاضى عياض بسنده * وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المياه فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر عن المزني انه قال نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى وقد روي حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود فاما حديث أنس فى الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة

العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فامر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وفى لفظ للبخارى كانوا ثمانين رجلا وفى لفظ له فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلاثمائة (قوله) حتى توضؤا من عند آخرهم قال الكرمانى حتى للتدريج ومن للبيان أى توضأ الناس حتى توضأ الذين هم عند آخرهم وهو كناية عن جميعهم وعند بمعنى فى لان عند وان كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضى أن تكون لمطلق الظرفية فكأنه قال الذين هم فى آخرهم وقال التيمى المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة الى الآخر وقال النووى من هنا بمعنى الى وهى لغة وتعقبه الكرمانى بأنها شاذة قال ثم ان الى لايجوز أن تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ماقاله التيمى ان لايدخل الاخير لكن ماقاله الكرمانى من ان الى لاتدخل على عند لايلزم مثله فى من اذا وقعت بمعنى الى وعلى توجيه النووى يمكن أن يقال عند زائدة قاله فى فتح البارى وروى هذا الحديث أيضا عن أنس بن شاهين ولفظه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقال المسلمون يارسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل فى شن بشئ فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته فى الماء قال فرأيتها تخلل عيونا بين أصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا فقال أكتفيتم فقالوا نعم أكتفينا يانبي الله فرفع يده فارتفع الماء وأخرج البيهقى عن أنس ايضا قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل أصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال أنس بصر عينى ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر ففي الصحيحين قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال مالكم فقالوا يا رسول الله ماعندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب به الا مابين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وقوله ﴿يفور﴾ أى يغلى ويظهر متدفقا وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الاقطرة فى عزلاء شجب فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشئ لاأدرى ماهو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق أصابعه وصب عليه جابر فقال بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتي رووا فقلت هل بقى من أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملاى وروى حديث جابر أيضا الامام أحمد فى مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيأ من الماء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه وفى لفظ له أيضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه فى الاناء ثم

قال بسم الله ثم قال أسبغوا الوضوء قال جابر فو الذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها حتى توضؤا أجمعون ورواه أيضا عنه البيهقى فى الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده فى تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال ألفا وخمسمائة وأخرجه ابن شاهين من حديث جابر أيضا وقال أصابنا عطش بالحديبية فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وأخرجه أيضا عن جابر أحمد من طريق نبيح العنزى عنه وفيه فجاء رجل باداوة فيها شئ من ماء ليس فى القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه فى القدح ثم قال أسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه وأما حديث ابن مسعود ففى الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر هذا أن الماء ينبع من بين أصابعه بالنسبة الى رؤية الرائى وهو فى نفس الامر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم فى الاناء فيراه الرائى نابعا من بين أصابعه وظاهر كلام القرطبي أنه نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وبه صرح النووى فى شرح مسلم ويؤيده قول جابر فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه وفى رواية فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه وهذا هو الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولاوضع اناء تأدبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير أصل وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال لاوالله ماوجدت الماء قال فهل من شن فأتاه بشن فبسط كفه فيه فانبعث تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ رواه الدارمى وأبو نعيم وكذا رواه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى ليلى الانصارى وأبو نعيم من طريق القاسم بن عبد الله بن ابي رافع عن أبيه عن جده * ومن ذلك تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه و عوته وروى مسلم فى صحيحه عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم ستأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاء فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشئ من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيأ قالا نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شئ ثم غسل عليه الصلاة والسلام به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال عليه الصلاة والسلام يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماههنا قد ملئ جنانا أى بساتين وعمرانا وهذا أيضا من معجزاته عليه الصلاة والسلام ورواه القاضى عياض فى الشفاء بنحوه من طريق مالك فى الموطأ وزاد فقال قال فى حديث ابن

اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وفى البخارى فى غزوة الحديبية من حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم انهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ﴿ والثمد ﴾ بالمثلثة والتحريك الماء القليل وقوله ﴿ يتبرضه الناس تبرضا ﴾ بالضاد المعجمة أى ياخذونه قليلا قليلا والبرض الشئ القليل وقوله ﴿ فمازال يجيش ﴾ بفتح المثناة التحتية وبالجيم آخره شين أى يفور ماؤه ويرتفع وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فتمضمض ومج فى بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك وفى مغازى ابى الاسود عن عروة انه توضا فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه فى البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الامرين وكذا رواه الواقدى من طريق أوس بن خولى وهذه القصة غير القصة السابقة فى ذكر نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخارى فى المغازى من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع فى وقتين انتهى فحديث جابر فى نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث البراء كان لارادة ماهو أعم من ذلك ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من أصابعه ويده فى الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذى بقى فى الركوة فى البئر فتكاثر الماء فيها انتهى وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع مما روا البخارى فى قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروى خمسين شاة فنزحناها لم تترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وأتى بدلو منها بصق ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا أنفسهم وركابهم وقال فى رواية البراء ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قوله ﴿ على جباها ﴾ بفتح الجيم والموحدة والقصر ماحول البئر وبالكسر ماجمعت فيها من الماء وقوله ﴿ وركابهم ﴾ أى الابل التى يسار عليها وفى الصحيحين عن عمران بن الحصين قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف ودعا عليا وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أوسطيحتين من ماء فجاآ بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبى صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالى ونودى فى الناس أسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهى قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وأيم الله لقد أقلع عنها وانه ليخيل الينا انها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين مارزأنا من مائك شيأ ولكن الله هو الذى سقانا فأتت أهلها فقالت العجب لقينى رجلان فذهبا بى الى هذا الرجل الذى يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر الناس كلهم أو انه لرسول

الله حقا فقالت لقومها ماأرى أن هؤلاء يدعونكم عمدا فهل لكم فى الاسلام الحديث وعن أبى قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء غدا ان شاء الله فانطلق الناس لايلوى أحد على أحد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل أى ابيض فمال عن الطريق فوضع رأسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس فى ظهره ثم قال اركبوا فركبنا وسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها وضوأ قال وبقى شئ من ماء ثم قال احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين اشتد النهار وحمى كل شئ وهم يقولون يارسول الله هلكنا وعطشنا فقال لاهلك عليكم ودعا بالميضأة فجعل يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماء فى الميضأة تكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملاء كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى مابقى غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لى اشرب فقلت لاأشرب حتى تشرب يارسول الله فقال ان ساقى القوم آخرهم قال فشربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن أنس قال أصاب الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابى فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى فى السماء قزعة فو الذى نفسى بيده ماوضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابى أو غيره وقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادى قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود وفى رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس رواه البخارى ومسلم (والجوبة) بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة أى حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة (والجود) بفتح الجيم واسكان الواو المطر الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا عطش حتى ظننا ان رقابنا ستقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده فقال أبو بكر يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا مامعهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر قال الحافظ المنذرى أخرجه البيهقى فى الدلائل وشيخه ابن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة أحد الأئمة ويونس احتج به مسلم فى صحيحه وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخارى ومسلم

وعتبة فيه مقال انتهى وقد رواه القاضي عياض في الشفاء مختصرا وروى ابن اسحاق في مغاريه نحوه وروى صاحب كتاب مصباح الظلام عن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال كنت مع ابن أخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز فأدركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وماقلت ذلك وأنا أعلم أن عنده شيأ الا الجذع فثنى وركه ثم نزل وقال ياعم أعطشت فقلت نعم فأهوى بعقبه الى الارض فاذا بالماء فقال اشرب ياعم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر * ومن ذلك تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم عن جابر في غزوة الخندق قال فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شئ فاني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم ياأهل الخندق ان جابرا صنع سؤرا فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم لاتنزلن برمتكم ولاتخبزن عجينكم حتى أجئ فجئت فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولاتنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو رواه البخاري ومسلم وقوله (فانكفأت) أي انقلبت * وقوله داجن يعني سمينة *وقوله فذبحتها بسكون الحاء وطحنت بسكون التاء يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امرأته سهيلة بنت معوذ الانصارية * وقوله سورا بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير أي طعاما يدعو اليه الناس قال اللفظة فارسية وقوله فحي هلا بكم كلمة استدعاء فيه حث أي هلموا مسرعين* وقوله واقدحي أي اغرفي وقوله ان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء المهملة أي تغلي ويسمع غطيطها وعن أنس قال قال أبو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شئ فقالت نعم فاخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه أي أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمائم ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة فقلت نعم قال طعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فاخبرته فقال أبو طلحة ياأم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا مانطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ماعندك فأتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ماشاء أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب

للمدينة فى غزوة الخندق وفى رواية لمسلم أنه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وترك سؤرا أى بقية وهو بالهمز وفى رواية للبخارى قال أدخل على عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر هل نقص منها شئ وفى رواية يعقوب أدخل على ثمانية ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون ثم دعانى ودعا أمى وأبا طلحة فأكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل على تعدد القصة فان أكثر الروايات فيها انه أدخلهم عشرة عشرة سوى هذه قاله الحافظ ابن حجر قال وظاهره أنه عليه الصلاة والسلام دخل لمنزل أبى طلحة وحده وصرح بذلك فى رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب قال لهم اقعدوا ودخل وفى رواية يعقوب عن أنس فقال أبو طلحة يارسول الله انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا مايشبع من أرى وفى رواية عمرو بن عبدالله عن أنس فقال أبوطلحة انما هو قرص فقال ان الله سيبارك فيه قال العلماء وانما أدخلهم عشرة عشرة والله أعلم لانها كانت قصعة واحدة لايمكن الجماعة الكثيرة أن يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة عشرة لينالوا من الاكل ولا يزدحموا وأما قوله عليه الصلاة والسلام أرسلك أبوطلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا لظاهره أن النبى صلى الله عليه وسلم فهم أن أباطلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا وأول الكلام يقتضى ان أم سليم وأباطلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بأنهما أرادا بارسال الخبز مع أنس أن ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل أن يكون ذلك عن راى من ارسله عهد اليه انه اذا راى كثرة الناس ان يستدعى النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ان لايكفى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وقد عرفوا ايثاره عليه الصلاة والسلام وانه لايأكل وحده ووقع فى رواية يعقوب بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال لى ابو طلحة ياانس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة بابه فقل له ان ابى يدعوك وفيه فقال ابوطلحة يارسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا مايشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفى رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان فى العكة شئ فجاء بها فجعلا يعصر انها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت القرص فى الجفنة يتفخ وفى رواية النضر بن انس فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله فقال فيها ماشاء الله ان يقول وفى رواية انس عند احمد ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا وعند ابى يعلى من طريق محمد بن سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فآجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به الحديث وفى رواية عمرو ابن عبد الله بن ابى طلحة عند مسلم وابى يعلى قال رأى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

مضطجعا يتقلب ظهر البطن وفى رواية يعقوب بن عبد الله بن ابى طلحة عند مسلم أيضا عن أنس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع فذهبت الى أبى طلحة فاخبرته فدخل على أم سليم فقال هل من شئ وفى رواية محمد بن كعب عن أنس عند أبى نعيم قال جاء أبو طلحة الى أم سليم فقال أعندك شئ فانى مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وعن أبى هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يارسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجئ بكف ذرة ويجئ الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فاخذوا فى أوعيتهم حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الاملؤه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واشهد انى رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة رواه مسلم وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أمى أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور فقالت ياأنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس عددكم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده فى تلك الحيسة وتكلم بماشاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة بعد طائفة حتى أكلوا كلهم قال لى ياأنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضع كان أكثر أم حين رفعت رواه البخارى ومسلم وعن جابر قال ان أم مالك كانت تهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألونها الأدم وليس عندهم شئ فتعمد الى التى كانت تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيها سمنا فما زال يقيم فيها أدم بنيها حتى عصرته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها مازال قائما رواه مسلم وعنه ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لولم تكله لأكلتم منه ولقام لكم رواه مسلم أيضا والحكمة فى ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة واعدام بركة الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووى وعن أبى الصلاء سمرة بن جندب قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من أى شئ تعجب ما كانت تمد الا من هاهنا وأشار بيده الى السماء رواه الترمذى والدارمى وعنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال ما كانت تمد

الا من هاهنا وأشار بيده الى السماء رواه الدارمى وابن أبى شيبة والترمذى والبيهقى والحاكم وصححوه وأبو نعيم وفى حديث عبد الرحمن بن أبى بكر كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر الحديث أنه عجن صاع وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وأيم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل فى القصعتين فحملته على البعير رواه البخارى وعن أبى هريرة قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت الا أن فيها أثر الاصابع رواه ابن أبي شيبة والطبرانى وأبو نعيم وعن على بن أبى طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى كأنه لم يشرب منه رواه فى الشفاء * ومن ذلك ابراء ذوى العاهات واحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة روى البيهقى فى الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فأراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعين الى الدنيا فقالت لا والله يارسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ورأيت الآخرة خيرا من الدنيا وروى الطبرانى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربى عز وجل فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها وكذا روى من حديث عائشة أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به أورده السهيلى وكذا الخطيب فى السابق واللاحق لكن قال السهيلى ان فى اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه منكر جدا وتقدم البحث فى ذلك فى أوائل المقصد الاول وعن أنس أن شابا من الانصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم أنى هاجرت اليك والى نبيك رجاء أن تعيننى على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا رواه ابن عدى وابن أبى الدنيا والبيهقى وأبو نعيم وعن النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة من سروات الانصار فبينا هو يمشى فى طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفى فأعلمت به الانصار فأتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه كساء وبردين وفى البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى اذا كان بين المغرب والعشاء الآخرة سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فاذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله النبي الامى خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته رواه أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت وعن سعيد بن المسيب أن رجلا من الانصار توفى فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد فى جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام

ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها كذا رواه والله أعلم وعن معرض بن معيقيب اليمانى قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياغلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقى من حديث معرض بالضاد المعجمة وعن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا قال أنت رسول الله رواه البيهقى وعن ابن عباس قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعي رواه الدارمى وقوله (ثع) بمعنى قاء وأصيب يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة أحبها اخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال بسم الله اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فساله عمر من أنت فقال

أبونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ماعين ويا حسن ماخد

فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلى ورواه محمد بن أبي عثمان عن عمار بن ناصر عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطنى عن ابراهيم الحربى عن عمار بن نصر وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا وفى البخارى فى غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال أين على بن أبي طالب فقال انه يارسول الله يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وعند الطبرانى من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن أبيه قال فأرسلنى النبي صلى الله عليه وسلم الى على فجئت به أقوده أرمد فبصق فى عينيه فبرأ وعند الحاكم من حديث على قال فوضع صلى الله عليه وسلم رأسى فى حجره فبصق فى راحته فدلك بها عيني وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة ودعا لى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومى هذا وأصيب سلمة يوم خيبر أيضا

بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخارى ونفث فى عيني فديك وكانتا مبيضتين لايبصر بهما شيأ وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم

﴿ الفصل الثانى فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الانبياء من الكرامات والآيات البينات ﴾

اعلم نور الله قلبى وقلبك وقدس سرى وسرك ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم بأشياء لم يعطها لنبي قبله وما خص نبي بشئ الا وكان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فانه أوتى جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا فى حال نبوته وزمان رسالته ولما أعطى هذه المنزلة علمنا انه صلى الله عليه وسلم الممد لكل انسان كامل مبعوث ويرحم الله الاديب شرف الدين البوصيرى فلقد أحسن حيث قال

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

قال العلامة ابن مرزوق يعنى أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما أحسن قوله * فانما اتصلت من نوره بهم * فانه يعطى أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هى من نوره لتوهم أنه وزع عليهم وقد لايبقى له منه شئ وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أى تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس فى الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله فجميع ماظهر على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام سواه من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شئ وأول ماظهر ذلك فى آدم عليه الصلاة والسلام حيث جعله الله خليفة وأمده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلائف فى الارض الى أن وصل الى زمان وجود صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف لاظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فآدم عليه الصلاة والسلام أعطى أن الله تعالى خلقه بيده فأعطى سيدى محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره وتولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى فتولى من آدم الخلق الوجودى ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى مع أن المقصود كما مر مستخلف آدم خلق نبينا فى صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة

لآدم فقال الفخر الرازى فى تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لاجل أن نور محمد صلى الله عليه وسلم كان فى جبهته ولله در القائل

تجليت جل الله فى وجه آدم * فصلى له الاملاك حين توسلوا

وعن أبى عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني قال سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذى شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لانه لايجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة انتهى قال بعضهم وأما تعليم آدم أسماء كل شيء فأخرج الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لى أمتى فى الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها فكما أن آدم علم أسماء العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد عليه واصل الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها ولله در البوصيرى حيث قال

لك ذات العلوم من عالم الغيب * ومنها لآدم الاسماء

ولا ريب ان المسميات أعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات واليه الايماء بقوله ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها فهى دونها ففضل العالم بحسب فضل معلومه وأما ادريس عليه السلام فرفعه الله مكانا عليا فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله تعالى ومن آمن معه من الغرق ونجاه من الخسف فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما قول الفخر الرازى فى تفسيره أكرم الله تعالى نوحا بأن أمسك سفينته على الماء وفعل بمحمد صلى الله عليه وسلم أعظم منه روى أنه صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء وقعد عكرمة بن أبى جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فاشار اليه عليه الصلاة والسلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتي صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتي يرجع الى مكانه فلم أرهلغيره والله أعلم بحاله وأما ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمروذ بردا وسلاما فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أرادوا أن يطفؤا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وأن يخمد شرورهم ويحمد لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره ويذكر أنه عليه الصلاة والسلام مر ليلة المعراج على بحر النار الذى دون سماء الدنيا مع سلامته منه كما روى مما رأيته فى بعض الكتب وروى النسائي أن محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصب القدر على واحترق جلدى كله فحملنى أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام فى جلدى ومسح بيده على المحترق وقال

أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لابأس بي وأما ماأعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة وقد روى فى حديث الشفاعة أن الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيرى الى أن تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها وهذا يدل على أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطاء ولو كان خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه تنبيه ظاهر على أنه عليه الصلاة والسلام فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطاء حتى رأى الحق بعيني رأسه كما سيأتى البحث فى ذلك ان شاء الله تعالى فى المقصد الخامس والملخص من هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم نال درجة الخلة التى اشتهرت لابراهيم عليه الصلاة والسلام على وجه نطق ابراهيم بأن نصيب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام منه الاعلى بمفهوم قوله عن نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع ففيه دليل على انه انما يشفع من كان خليلا لامن وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان وذلك مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده فى أهل الارض بعبادة الله وحده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها بأسرها بمحضر من أولى نصرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقدرة ربانية ومادة الهية اجتزأ فيها بالانفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض فى القول ولا تعرض فى الصول بل قال جهرا بغير سر وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومما أعطيه الخليل عليه الصلاة والسلام بناء البيت الحرام ولا خفاء أن البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما تستلم الايمان عند عقد العهود والايمان وقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن قريشا لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم والمجد الفخم ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل فاتفق دخول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقالوا هذا الامين فحكموه فى ذلك فأمر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال يرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم أخذه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوضعه فى موضعه فادخر الله تعالى له ذلك المقام ليكون منقبة له على مدى الايام وأما ماأعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته وحكى الامام الرازى وغيره أنه لما أراد أبو جهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا وأما ماأعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا من اليد البيضاء وكان بياضها يغشى البصر فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى عبد الله أبيه وأعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه شيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه

أبو نعيم وأخرج البيهقي وصححه والحاكم عن أنس قال كنا عباد بن بشير وأسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهم الطرق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه ورواه البخاري بنحوه في الصحيح وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان أصابعي لتنير ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر له أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مر فموسى تصرف في عالم الارض وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح قاله ابن المنير وذكر ابن حبيب أن بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني ليلة الاسراء وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام ومما أعطيه موسى اجابة دعائه أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك مالا يحصى ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم ويرحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشي أحجار
ولا انفجار عين الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جار

ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام الكلام أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو وأيضا كان مقام المناجاة في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه الصلاة والسلام طور سيناء وأما ماأعطيه هارون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لايجهل ولقد قال له بعض أصحابه مارأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقد كانت فصاحة هارون غايتها في العبرانية والعربية أفصح منها وهل كانت فصاحة هارون معجزة أم لا قال ابن المنير الظاهر أنها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد نبي من الانبياء بالفصاحة الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لاتكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه الصلاة والسلام في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة ولكنها معدودة من السنة هل تحدى بها أم لا فظاهر قوله عليه الصلاة والسلام أوتيت جوامع الكلم أنه من التحدث بنعمة الله عليه وخصائصه ولا خلاف أنها باعتبار ماأشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة وأما ماأعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم

الحسن كله وسيأتى الاشارة الى ذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد الاسراء ومن تأمل مانقلته فى صفته تبين له من ذلك التفصيل التفضيل على كل مشهور بالحسن فى كل جيل وأما ماأعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذى نقل عنه من ذلك ثلاث منامات أحدها حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر والثانى منام صاحبى السجن والثالث منام الملك وقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك مالا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وسيأتى نبذة من ذلك ان شاء الله تعالى وأما ماأعطيه داود عليه الصلاة والسلام من تليين الحديد له فكان اذا مسح الحديد لان فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر فى يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء فبرأت ودرت وأما ماأعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذى لم يعطه أحد من بعده فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح فى كفه الحصا وهو جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم فى غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبى وشكا اليه البعير كما مر وروى أن طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ويكلمه فيقول أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنافقال أردد ولده ذكره الرازى ورواه أبو داود بلفظ كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش أى تدنو من الارض فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث وقصة كلام الذئب مشهورة وأما الريح التى كانت غدوها شهر ورواحها شهر تحمله أين أراد من أقطار الارض فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذى هو اسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعه آلاف سنة وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك مالايعلمه الا الله تعالى وأيضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله الى نواحى الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض أى جمعت حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض وبين من تسعى له الارض وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى أن أبا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية من سوارى المسجد وخير مما أوتيه سليمان من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمان استخدم ومحمد استسلم وأما عد الجن من جنود سليمان فى قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه من جملة أجناده عليه الصلاة والسلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد على طريقة الاجناد وأما عد الطير من جملة أجناده فاعجب منه حمامة الغار وتوكيرها فى الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من أعظم شئ بايسر شئ وأما ماأعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله در القائل

* ياخير عبد على كل الملوك ولى *

واما ماأعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعد ماسقطت فعادت احسن ماكانت وفى دلائل النبوة للبيهقى قصة الرجل الذى قال للنبي صلى الله عليه وسلم لاأومن بك حتي تحيي لى ابنتي وفيه انه صلى الله عليه وسلم أتى قبرها فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك يارسول الله الحديث وقد مر وروى ان امراة معاذ بن عفراء وكانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فاذهب الله البرص منها ذكره الرازى وايضا قد سبح الحصا فى كفه صلى الله عليه وسلم وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس مالا يتكلم واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه كان يعرف ما تخفيه الناس فى بيوتهم فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك مالا يحصى وسيأتى من ذلك ان شاء الله تعالى مايكفى ويشفى وأما ماأعطيه عيسى أيضا عليه الصلاة والسلام من رفعه الى السماء فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد فى الترقى لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة فى الحضرة المقدسة بالمشاهدات وبالجملة فقد خص الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم بمالم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والتسليم وقد روى جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أعطيت خمسالم يعطهن احد قبلى كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجداوطهورا فايمارجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة رواه البخارى وفى رواية وبعثت الى الناس كافة وزاد البخارى فى روايته فى الصلاة عن محمد بن سنان من الانبياء وعند الامام أحمد أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلى ولا أقوله فخرا وفيه وأعطيت الشفاعة فاخترتها لأمتي فهى لمن لايشرك بالله شيأ واسناده كما قال ابن كثير جيد وليس المراد حصر خصائصه عليه الصلاة والسلام فى هذه الخمس المذكورة فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون فذكر الخمسة المذكورة فى حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما أعطيت جوامع الكلم وختم بى النبيون فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال ولمسلم أيضا من حديث حذيفة فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة أخرى وهذه الخصلة المبهمة قد بينها ابن خزيمة والنسائي وهي وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش يشير الى ماحطه الله تعالى عن أمته من الاصر وتحميل مالا طاقة لهم به ورفع الخطا والنسيان فصارت الخصال تسعا ولاحمد من حديث على أعطيت أربعا لم يعطهن أحد من أنبياء الله تعالى اعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعلت امتي خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال ثنتي عشرة خصلة وعند البزار من وجه آخر عن ابى هريرة رفعه فضلت على الانبياء غفر لى ماتقدم من ذنبي وما تأخر وجعلت امتى خير الامم وأعطيت الكوثر وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبياء بخصلتين كان شيطانى كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم منها سبع عشرة خصلة ويمكن ان

يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعد النيسابورى فى كتاب شرف المصطفى انعدد الذى خص به صلى الله عليه وسلم ستون خصلة وطريق الجمع ان يقال لعله عليه الصلاة والسلام اطلع أولا على بعض مااختص به ثم اطلع على الباقى ومن لايرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من أصله وقد ذكر بعض العلماء انه صلى الله عليه وسلم اوتى ثلاثة آلاف معجزة وخصيصية وقد اختلف فى العلم بخصائصه عليه الصلاة والسلام فقال الصيمرى من الشافعية منع ابو على بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين قال المحققون ذكر الاختلاف فى مسائل الخصائص خبط غير مفيد فانه لايتعلق به حكم ناجز تمس اليه حاجة وانما يجرى الخلاف فيما لايوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة لامجال لها والاحكام الخاصة يتبع فيها النصوص ومالا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة وقال النووى فى الروضة والتهذيب بعد أن نقل هذين الكلامين وقال سائر الاصحاب لابأس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيد الانه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتا فى الحديث الصحيح فعمل به أخذا بأصل التأسى فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها فأى فائدة أهم من هذه الفائدة وأما مايقع فى ضمن الخصائص مما لافائدة فيه اليوم فقليل لاتخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشئ على ماهو عليه انتهى كلام النووى وقد تتبعت ماشرف الله تعالى به نبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص والآيات وأكرمه به من الفضائل والكرامات من كتب العلماء كالخصائص لابن سبع وخصائص الروضة للنووى ومختصرها للحجازى وشرح الحاوى لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا الانصارى واللفظ المكرم فى خصائص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضرى واستفدت منه كثيرا فى فصل المعجزات مع مارأيته أثناء مطالعتى لفتح البارى وشرح مسلم للنووى وشرح تقريب الاسانيد للعراقى وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل لى من ذلك جملة وقد قسمها غير واحد من الأئمة أربعة أقسام الاول مااختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة فى ذلك زيادة الزلفى والدرجات فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل أداء ماافترض عليهم قال بعضهم خص الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بواجبات عليه لعله بأنه أقوم بهامنه وقيل ليجعل اجره بها أعظم فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى على المذهب لكن قول عائشة فى الصحيح مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ ابن حجر ولم يثبت ذلك فى خبر صحيح انتهى وسيأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام وهل كان الواجب عليه أقل الضحى أو أكثرها أو أدنى الكمال قال الحجازى لانقل فيه لكن فى مسند أحمد أمرت بركعتى الضحى ولم تؤمروا بهما ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم فى المستدرك وغيره ولفظ أحمد والطبرانى ثلاث على فريضة وهن لكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى قال بعضهم وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام صلى الوتر على الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله على الراحلة وتعقب بأن فعله على الراحلة من الخصائص أيضا كما سيأتى فيما

اختص به عليه الصلاة والسلام من المباحات ان شاء الله تعالى وأجيب بأنه يحتاج الى دليل وهل كان الواجب عليه أقل الوتر أم أكثره أم أدنى الكمال قال الحجازى لم أرفيه نقلا ومنها صلاة الليل قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى فريضه زائدة لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك وهذا ماصححه الرافعى ونقله النووى عن الجمهور ثم قال وحكى الشيخ أبو حامد أن الشافعى نص على أنه نسخ وجوبه فى حقه كما نسخ فى حق غيره * ومنها السواك واستدلوا له بما رواه أبو داود من حديث عبد الله بن أبى حنظلة بن أبي عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا أو غير طاهر فلما شق عليه ذلك أمر بالسواك لكل صلاة وفى أسناده محمد بن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس وحجة من لم يجعله واجبا عليه ما رواه ابن ماجه فى سننه من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماجاءنى جبريل الا أوصانى بالسواك حتي خشيت أن يفرض على وعلى أمتي واسناده ضعيف وروى أحمد فى مسنده من حديث واثلة ابن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب على واسناده حسن والخصائص لاتثبت الا بدليل صحيح قاله فى شرح تقريب الاسانيد ومنها الاضحية قال الله تعالى فصل لربك وانحر وروى الدار قطنى والحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فرائض وهن لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر ومنها المشاورة قال الله تعالى وشاورهم فى الامر فظاهره الايجاب ويقال انه استحباب استمالة للقلوب ومعناه استخراج آرائهم ونقل البيهقى فى معرفة السنن والآثار عن النص أن المشورة غير واجبة عليه كما نبه عليه الحجازى وغيره واختلف فى المعنى الذي لاجله أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه وتتابع الوحى عليه ووجوب طاعته على أمته فقال بعضهم هو خاص فى المعنى وان كان عاما فى اللفظ أى شاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم فى بعض الامر وقال الكلبى يعنى ناظرهم فى لقاء العدو ومكائد الحرب عند الغزو وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب اذا لم تشاور فى الامر شق عليهم فأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يشاورهم فان ذلك أعطف لهم وأذهب لأضغانهم وأطيب لنفوسهم وقال الحسن قد علم الله أن مابه اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وحكى القاضى أبو يعلى فى الذى أمر بالمشاورة فيه قولين أحدهما فى أمر الدنيا خاصة والثانى فى الدين والدنيا وهو الاصح قاله المعافا بن زكريا فى تفسيره والحكمة فى المشاورة فى الدين التنبيه لهم على علل الاحكام وطريق الاجتهاد وأخرج ابن عدى والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم فى الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتى وعند الترمذى الحكيم من حديث عائشة رفعته ان الله أمرنى بمداراة الناس كما أمرنى باقامة الفرائض ومنها مصابرة العدو وان كثر عددهم ومنها تغيير المنكر اذا رآه لكن قد يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه فيقال المراد انه لايسقط عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف بخلاف غيره * ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا روى مسلم حديث أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك

مالاً فلورثته قال النووى كان هذا القضاء واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لاصحابنا وغيرهم قال ومعنى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال أنا قائم بمصالحكم فى حياة أحدكم أو موته أنا وليه فى الحالين فان كان عليه دين قضيته من عندى ان لم يخلف وفاء وان كان له مال فلورثته لا آخذ منه شيأ وان خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا الى فعلى نفقتهم ومؤنتهم انتهى وفى وجوب قضائه على الامام من مال المصالح وجهان لكن قال الامام من استدان وبقى معسرا الى أن مات لم يقض دينه من بيت المال فان كان ظلم بالمطل ففيه احتمال والاولى لا والله أعلم* ومنها تخيير نسائه صلى الله عليه وسلم فى فراقه وامساكهن بعد أن اخترنه فى احد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه الصلاة والسلام عليهن قال الله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الآية واختلف فى تخييره لهن على قولين أحدهما أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن واختيار الآخرة فيمسكهن ولم يخيرهن فى الطلاق وهذا قول الحسن وقتادة والثانى انه خيرهن بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبى ومقاتل واختلفوا فى السبب الذى لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساءه على أقوال أحدها أن الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة وقال اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخييرهن ليكن على مثل اختياره حكاه أبو القاسم النميرى الثانى لانهن تغايرن عليه والثالث لان أزواجه طالبته وكان غير مستطيع فكان أولهن أم سلمة سألته سترا معلما وسألته ميمونة حلة يمانية وسألته زينب ثوبا مخططا وهو البرد اليمانى وسألته أم حبيبة ثوبا سحوليا وسألته كل واحدة شيأ الا عائشة حكاه النقاش والرابع أن أزواجه عليه الصلاة والسلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما تريد النساء من الحلى فانزل الله تعالى آية التخيير حكاه النقاش أيضا وذلك أنه لما نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر فى الحلى والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملن بما يعامل به الملوك والاكابر أزواجهم فامره الله أن يتلو عليهن مانزل فى أمرهن لئلا يكون لاحد منهن عليه منة فى الصبر على ما اختاره من خشونة العيش فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بامرين أحدهما أن جعلهن أمهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على سائر النساء بقوله لستن كاحد من النساء والثانى أن حرم الله عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية فكان تحريم طلاقهن مستداما وأما تحريم التزوج عليهن فنسخ قالت عائشة مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء يعنى اللاتى حرمن عليه وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى انا أحللنا لك أزواجك الآية وقال النووى فى الروضة لما خيرهن فاخترنه كافأهن الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما انتهى وانما اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التى هى من أعظم الآلام وهو ايذاء يكاد ينفر القلب

ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن على الصبر والفقر يؤذيهن ومهما ألقى زمام الامر اليهن خرج عن أن يكون ضرارا فتنزه عن ذلك منصبه العالى وقيل له ياأيها النبي قل لأزواجك ومنها اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه فى الروضة وأصلها قال النووى وهو ضعيف وفرعه بعض الاصحاب على أنه كان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره فى تهذيب الاسماء واللغات ومنها نه كان يلزمه صلى الله عليه وسلم أداء فرض الصلاة بلا خلل قاله الماوردى قال العراقى فى شرح المهذب انه كان معصوما عن نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة وقال بعضهم كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا رأى مايعجبه أن يقول لبيك ان العيش عيش الآخرة ثم قال هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم فى أنعم حاله وهو يوم حجه بعرفة وفى أشد حاله وهو يوم الخندق انتهى ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحى ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الاحكام كما ذكره فى زوائد الروضة عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع* ومنها أنه كان صلى الله عليه وسلم يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره ابن القاص ونقله ابن الملقن فى الخصائص ورواه مسلم وأبو داود من حديث الاغر المزنى بلفظ انه ليغان على قلبي وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة هذا لفظ مسلم وقال أبو داود فى كل يوم قال الشيخ ولى الدين بن العراقى والظاهر أن الجملة الثانية مرتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك قوله فى رواية النسائى فى عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله كل يوم مائة مرة وفى رواية له أيضا فأستغفر الله وألفاظ الحديث المختلفة يفسر بعضها بعضا ويحتمل من حيث اللفظ أن تكون الجملة الثانية كلاما برأسه غير متعلق بما قبله فيكون عليه الصلاة والسلام أخبر بأنه يغان على قلبه وبأنه يستغفر الله فى اليوم مائة مرة انتهى وقال أبو عبيد أصل الغين فى هذا مايغشى القلب ويغطيه وأصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شئ يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضى عياض بعد حكايته ذلك فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولى والعدو ومصلحة النفس وما كلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل هذا فى طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا أولى وجوه الحديث وأشهرها والى معنى ماأشرنا اليه مال كثير من الناس فحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى على جواز الفترة والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بأنه لا ترضى نسبته صلى الله عليه وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة ولقوله عليه الصلاة والسلام لست أسى ولكن أسى لأسن فهذه ليست

فترة وانما هى لحكمة مقصودة يثبت لها حكم شرعى فالاولى أن يحمل على ماجعله علة فيه وهو مادفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل أعباء النبوة وحمل أثقالها انتهى وقيل الغين شئ يعترى القلب مما يقع من حديث النفس قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وهذا أشار اليه الرافعى فى أماليه وقال ان والده كان يقرره وقيل كانت حالة يطلع فيها على أحوال أمته فيستغفر لهم وقيل هو السكينة التى تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله تعالى والشكر لما أولاه قال شيخ الاسلام بن العراقى أيضا هذه الجملة حالية أخبر عليه الصلاة والسلام أنه يغان على قلبه مع أن حاله الاستغفار فى اليوم مائة مرة وهى حال مقدرة لان الغين ليس موجودا فى حال الاستغفار بل اذا جاء الاستغفار أذهب ذلك الغين قال وعلى تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى وأن الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل أن يكون هذا الغين تغطية للقلب عن أمور الدنيا وحجابا بينه وبينها فينجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية قال وهذا معنى ماقاله القاضى عياض انتهى ومراده قوله فى الشفاء وقد يحتمل أن تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته الى آخر كلامه قال الشيخ ابن العراقى وهو عندى كلام حسن جدا وتكون الجملة الثانية مسببة عن الأولى لابمعنى انه يسعى بالاستغفار فى ازالة الغين بل بمعنى أن الغين أصل محمود وهو الذى تسبب عنه الاستغفار وترتب عليه وهذا أنزه الاقوال وأحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذى نشأ عنه الاستغفار وعلى الاول يكون الغين مما يسعى فى ازالته بالاستغفار وما ترتب الاشكال وجاء السؤال الا على تفسير الغين بذلك وأهل اللغة انما فسروا الغين بالغشاء فنحمله على غشاء يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشاء الذى يصرف القلب ويحجبه عن أمور الدنيا لاسيما وقد رتب على الغشاء أمرا محمودا وهو الاستغفار فما نشأ هذا الامر الحسن الا عن أمر حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فسألته عن هذا الحديث انه ليغان على قلبي فقال لى يامبارك ذلك غين الانوار لاغين الاغيار

﴿القسم الثانى مااختص به صلى الله عليه وسلم مما حرم عليه﴾

فمنها تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه الصلاة والسلام انا لانأكل الصدقة رواه مسلم ومن قال باباحتها له يقول لايلزم من امتناعه من أكلها تحريمها فلعله ترك ذلك تنزها مع اباحتها له وهذا خلاف ظاهر الحديث قال شيخ الاسلام ابن العراقى فى شرح التقريب وعلى كل حال ففيه ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من أكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها انتهى والحكمة فى ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس ومنها تحريم الزكاة على آله صلى الله عليه وسلم وتحريم كون آله عمالا على الزكاة فى الاصح وكذا يحرم صرف النذر والكفارة اليهم وأما صدقة التطوع فتحل لهم فى الاصح خلافا للمالكية وهو وجه عندنا* ومنها أنه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم أكل ماله رائحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجىء الملائكة والوحى فى كل ساعة والاكل

متكئا فى أحد الوجهين فيهما والاصح فى الروضة كراهتهما وتعقب السهيلى الاتكاء فقال قد يكره لغيره أيضا لانه من فعل المتعظمين وقد تقدم مزيد لذلك * ومنها تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما والاصح انه كان لايحسنهما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له أى ماهو فى طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا يصلح له وأجيب بأن المراد تحريم التوصل اليهما وهل عدم الشعر خاص به عليه الصلاة والسلام أو بنوع الانبياء قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له لانه لايظهر فيه للخصوص نكتة وتقدم فى قصة الحديبية البحث فى كونه عليه الصلاة والسلام هل كان يحسن الكتابة أم لا * ومنها نزع لامته اذا لبسها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه * ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعى قال الله تعالى ولاتمنن تستكثر أى لاتعط شيأ لتعطى أكثر منه بل أعط لربك واقصد به وجهه فأدبه بأشرف الآداب قاله أكثر المفسرين وقال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة وليس على أحد من أمته وقال قتادة لاتعط شيأ لمجازات الدنيا أى اعط لربك وعن الحسن لاتمنن على الله بعملك فتستكثره وقيل لاتمنن على الناس بالنبوة فتأخذ عليها أجرا وعرضا من الدنيا ومنها مد العين الى مامتع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أى استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله أزواجا منهم أى أشكالا وأشباها من الكفار وهى المزاوجة بين الاشياء والمشاكلة وعن ابن عباس أصنافا منهم فانه مستحقر بالاضافة الى ماأوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات ومنها خائنة الاعين وهى الايماء الى مباح من قتل أو ضرب على خلاف مايشعر به الحال كما قيل له عليه الصلاة والسلام فى قصة رجل أراد قتله هلا أومأت الينا بقتله فقال ماكان ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الاعين ولا يحرم ذلك على غيره الا فى محظور قاله الرافعى فيما نقله الحجازى فى مختصر الروضة * ومنها نكاح من لم تهاجر فى أحد الوجهين قال الله تعالى ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت اجورهن اى مهورهن سمى المهر أجرا لان المهر أجر على البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة لايتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية فى قوله وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعنى من نساء بنى زهرة اللاتى هاجرن معك أى الى المدينة قالوا والمراد هاجرن كما هاجرت وان لم تكن هجرتها فى حال هجرته عليه الصلاة والسلام وظاهره يدل على أن الهجرة شرط فى التحليل وأن من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها وقالت أم هانئ خطبنى صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر فعذرنى ثم أنزل الله تعالى ياأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى قوله اللاتى هاجرن معك فلم أكن لاحل له فانى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وعن بعض المفسرين أن شرط الهجرة فى التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه وعن الماوردى قولان أحدهما ان الهجرة شرط فى احلال كل النساء له عليه الصلاة والسلام من غريبة وقريبة والثانى انها شرط فى احلال بنات عمه وبنات عماته المذكورات فى الآية وليس شرطا فى احلال الاجنبيات وعنه أيضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات * ومنها تحريم امساك من كرهته قاله الحجازى وغيره * ومنها نكاح

الكتابية لان أزواجه أمهات المؤمنين وزوجات له فى الآخرة ومعه فى درجته فى الجنة ولانه صلى الله عليه وسلم أشرف من أن يضع ماءه فى رحم كافرة قالوا ولو نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حرا ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضى حسين وقال أبو عاصم تلزم نقله الحجازى ولا يشترط فى حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول وأما التسرى بالامة فالاصح الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بأمته ريحانة قبل أن تسلم وعلى هذا فهل عليه تخييرها بين أن تسلم فيمسكها أو تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان أحدهما نعم لتكون من زوجاته فى الآخرة والثانى لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام فأبت لم يزلها عن ملكه وأقام على الاستمتاع وقد أسلمت بعد ومنها تحريم الاغارة اذا سمع التكبير كما ذكره ابن سبع فى الخصائص

﴿ القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات ﴾

اختص عليه الصلاة والسلام باباحة المكث فى المسجد جنبا قاله صاحب التلخيص ومنعه القفال قال النووى وما قاله فى التلخيص قد يحتج له بقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث أبى سعيد الخدرى يا على لا يحل لاحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك قال الترمذى حسن غريب وقد اعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بأن الترمذى حكم بأنه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن اذا شاركه عليه الصلاة والسلام على فى ذلك لم يكن من الخصائص وقد غلط امام الحرمين وغيره صاحب التلخيص فى الاباحة *واعلم أن معظم الاباحات لم يفعلها صلى الله عليه وسلم ومما اختص به ايضا انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفى اللمس وجهان قال النووى والمذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون بالاول بنحو حديث عائشة عند أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض أزواجه ثم يصلى ولا يتوضأ ورواه النسائى أيضا وقال أبو داود هو مرسل ابراهيم التيمى لم يسمع من عائشة وقال النسائى ليس فى هذا الباب حديث أحسن من هذا الحديث وان كان مرسلا واختص أيضا باباحة الصلاة بعد العصر فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما ذكره الحجازى وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره فى شرح المهذب وعبارته كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة وبالصلاة على الغائب عند أبى حنيفة ومالك وبالقبلة فى الصوم مع قوة الشهوة روى البخارى من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض نسائه وهو صائم وكان أملككم لاربه قال الحافظ ابن حجر فأشارت بذلك الى أن الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يأمن الوقوع فيما يحرم قال وفى رواية حماد عند النسائى قال الاسود قلت لعائشة أيباشر الصائم قالت لا قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت انه كان أملككم لأربه قال وظاهر هذا أنها اعتقدت خصوصية النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قاله القرطبى قال وهو اجتهاد منها ويدل على أنها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصائص ما رواه مالك فى الموطأ أن عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر فقالت له عائشة ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتلاعبها وتقبلها قال أقبلها

وأنا صائم قالت نعم واختص أيضا بإباحة الوصال في الصوم كما سيأتي وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه الصلاة والسلام وأن يأخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولو قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه صلى الله عليه وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم أحد وبإباحة النظر الى الاجنبيات وسيأتي ان شاء الله تعالى في القسم الرابع حكم غيره عليه الصلاة والسلام وبجواز الخلوة بهن قال في فتح الباري الذي وضح لنا بالادلة القوية أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها ويدل له قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله صلى الله عليه وسلم عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية انتهى * ومنها نكاح أكثر من أربع نسوة وكذلك الانبياء وفي الزيادة لنبينا صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المرأة قال الله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وأما من جهته عليه الصلاة والسلام فلا بد من لفظ الانكاح أو التزويج على الاصح في أصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ أبي حامد لظاهر قوله تعالى ان أراد النبي ان يستنكحها خالصة قال البيضاوي في قوله وامرأة مؤمنة الآية أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في ذلك والقائل به ذكر أنها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرئ أن بالفتح أي لان وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا قال وقوله ان أراد النبي أن يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له الا بإرادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله انتهى وقال المعافا وفي معنى خالصة ثلاثة أقوال أحدها ان المرأة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله أنس بن مالك وابن المسيب والثاني أن له أن ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك أن تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي وأحمد وعن أبي حنيفة ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم أيضا وكذا يجوز له عليه الصلاة والسلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء كما تقدم ان المرأة اذا وهبت نفسها له عليه الصلاة والسلام لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت المرأة نفسها له عليه الصلاة والسلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغير ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما المسمى وأما مهر المثل والله أعلم وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام قال النووي في شرح مسلم قال جماعة من أصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له أن يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا أصح الوجهين عند أصحابنا وكذا يجوز له صلى الله عليه وسلم النكاح بغير رضا المرأة فلو رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها أو متزوجة وجب على زوجها طلاقها قال الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف النزول عن أهله فانه صلى الله

عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وأهله وولده والناس اجمعين ويدل لهذه
الخصيصية قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب المنصوص عليها
بقوله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بنعمة الاسلام وهى أجل النعم وأنعمت عليه أى بالاعتاق
بتوفيق الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبى الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل البعثة وأعتقه وتبناه وخطب له زينب فأبت هى وأخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية وكان الرجل فى الجاهلية وصدر الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس
به ويرث ميراثه وتحرم عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبنى بقوله تعالى ادعوهم لآبائهم وبهذه القصة يثبت
الحكم بالقول والفعل فأوحى الله اليه أن زيدا سيطلقها وأنه صلى الله عليه وسلم يتزوجها وألقى فى قلب
زيد كراهتها فأراد فراقها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى قال مالك
أرابك منها شئ قال لا والله يارسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى
بلسانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله أى فى أمرها فلا تطلقها
ضرارا أو تعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال
تعالى زوجناكها والمعنى أنه أمره بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت
تقول لسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحى وأنتن زوجكن آباؤكن وقيل ان زيدا
كان السفير للتزويج وفى ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه وقد علل تعالى تزويجه
اياها بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم أى فى أن يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه
اذا فارقهن وان هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم فى قوله وحلائل أبنائكم وأما قوله وتخفى فى
نفسك فمعناه علمك أنه سيطلقها وتتزوجها فعاتبه الله تعالى على هذا القدر فى شئ أباحه له بأن قال أمسك
عليك زوجك مع علمه أنه سيطلق وهذا مروى عن على بن الحسين وعليه أهل التحقيق من المفسرين
كالزهرى وبكر بن العلاء والقاضى أبى بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو فى
ارجاف المنافقين فى تزويج نساء الابناء والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم فى الحركات والسكنات ولبعض
المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة وقيل قوله واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى
أو من الرسول عليه الصلاة والسلام لزيد فانه أخفى الميل اليها وأظهر الرغبة عنها لما توهم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد أن تكون من نسائه قال جار الله وكم من شئ مباح يتحفظ الانسان منه ويستحى
من اطلاع الناس عليه فطموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح
فى العقل ولا فى الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها
من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرها عندهم أن ينزل الرجل منهم عن امرأته
لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها أن ينكحها آخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة واستهم الانصار
بكل شئ حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وأنكحها المهاجرى فاذا كان الامر
مباحا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح انتهى وكذا يجوز له عليه الصلاة والسلام

النكاح بلا ولى وبلا شهود وقال النووي المشهور الصحيح عند أصحابنا صحة نكاحه عليه الصلاة والسلام بلا ولى ولا شهود لعدم الحاجة الى ذلك فى حقه عليه الصلاة والسلام وهذا الخلاف فى غير زينب أما زينب فنصوص عليها والله أعلم قال العلماء انما اعتبروا الولى للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الاكفاء وانما اعتبر الشهود لأمن الجحود وهو عليه الصلاة والسلام لايجحدولو جحدت هى لم يرجع الى قولها بل قال العراقى فى شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه وكان له صلى الله عليه وسلم تزويج المرأة ممن شاء بغير اذنها واذن وليها وله اجبار الصغيرة من غير بناته وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس فيقدم على الاب وزوجه الله تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله من غير عقد من نفسه وعبر فى الروضة عن هذا بقوله وكانت المرأة تحل له بتحليل الله تعالى وأعتق أمته صفية وجعل عتقها صداقها وقد اختلف فى معناه فقيل أعتقها بشرط أن يتزوجها فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها بها ويؤيده قوله فى رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت أنسا قال سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فأعتقها وتزوجها فقال ثابت لانس ماأصدقها قال نفسها فأعتقها هكذا أخرجه البخارى فى المغازى وفى رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس فى حديثه قال وصارت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت ياأبا محمد أنت سألت أنسا ماأمهرها قال أمهرها نفسها فتبسم فهوظاهر جدا فى أن المجعول مهراهو نفس العتق والتأويل الاول لابأس به فانه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فان فى صحة العقد بالشرط المذكور وجها عند الشافعية وقال آخرون بل جعل نفس العتق المهر ولكنه من خصائصه وممن جزم بذلك الماوردى وقال آخرون قوله أعتقها وتزوجها معناه أعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم انه ساق لها صداقا قال أصدقها نفسها ولم يصدقها شيأ فيما أعلم ولم ينف أصل الصداق ومن ثم قال أبو الطيب الطبرى من الشافعية وابن المرابط من المالكية ومن تبعهم انه قول أنس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه ويعارضه ماأخرجه الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت اعتقنى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل عتقى صداقى وهذا موافق لحديث انس وفيه رد على من قال ان انسا قال ذلك بناء على ظنه ويحتمل ان يكون اعتقها بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم دون غيره ويحتمل انه اعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر فى الحال ولا فى المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل الصداق وان لم يكن صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لازاد له قال وهذا الوجه أصح الاوجه وأقربها الى لفظ الحديث وتبعه فى الروضة وممن جزم بأن ذلك كان من الخصائص يحيى بن أكثم فيما أخرجه البيهقى قال وكذا نقله المزنى عن الشافعى قال وموضع الخصوصية انه أعتقها مطلقا وتزوجها بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره انتهى وقال النووى فى شرح مسلم الصحيح الذى اختاره المحققون انه أعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها من غير صداق والله أعلم قاله الحافظ ابن حجر واختلف فى انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم فى الثلاث وعلى الحصر قيل تحل من غير محلل وقيل لاتحل له أبدا وكان له نكاح المعتدة فى أحد الوجهين قال النووى الصواب القطع بامتناع نكاح

الممتدة من غيره والله أعلم وفى وجوب نفقة زوجاته وجهان قال النووى الصحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من أهل العلم وبه جزم الاصطخرى من الشافعية والمشهور عندهم وعند الاكثرين الوجوب وفى حل الجمع له بين المرأة وخالتها وعمتها وجهان لا أختها وبنتها وأمها قالوا ومرجع غالب هذه الخصائص الى أن النكاح فى حقه كالتسرى فى حقنا وكان له عليه الصلاة والسلام أن يصطفى ماشاء من المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها *وأبيح له القتال بمكة والقتل بها وجواز دخول مكة بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدلوا له بحديث أنس عند السنة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر وذلك من كونه عليه الصلاة والسلام كان مستور الرأس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف رأسه ومن تصريح جابر والزهرى ومالك بأنه لم يكن محرما وأبدى ابن دقيق العيد لستر الرأس احتمالا فقال يحتمل أن يكون لعذر انتهى وتعقبه الشيخ ولى الدين ابن العراقى فقال هذا يرده تصريح جابر وغيره قال وهذا الاستدلال فى غير موضع الخلاف المشهور لانه عليه الصلاة والسلام كان خائفا من القتال متأهبا ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا عند أحمد نعلمه وقد استشكل النووى فى شرح المهذب ذلك لان مذهب الشافعى ان مكة فتحت له صلحا خلافا لابى حنيفة فى قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف ثم أجاب عنه بأنه عليه الصلاة والسلام صالح أبا سفيان وكان لا يأمن غدر مكة فدخلها صلحا وهو متأهب للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت مافى فتح مكة من المباحث فى قصة فتحها من المقصد الاول ثم ان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال أصحابنا ان لم يكن فمن يتكرر دخوله ففى وجوب الاحرام عليه قولان أصحهما عند أكثرهم انه لا يجب وقطع به بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه خلاف مرتب وأولى بعدم الوجوب وهو المذهب وقال الحنابلة بوجوب الاحرام الا على الخائف وأصحاب الحاجات وأوجبه المالكية فى المشهور عندهم على غير ذوى الحاجات المتكررة والحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد تحرر أن المشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب ومن مذاهب الأئمة الثلاثة الوجوب الا فيما استثنى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقضى بعلمه من غير خلاف وأن يقضى لنفسه ولولده وأن يشهد لنفسه ولولده ولا تكره له الفتوى والقضاء فى حال الغضب كما ذكره النووى فى شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد أن أغضبه خصم الزبير لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول فى الغضب الا كما يقول فى الرضا وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلى الا على نبي أو ملك وكان له أن يقتل بعد الأمان وأن يلعن من شاء بغير سبب واستبعد ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون لدعائه عليه الصلاة والسلام قاله ابن القاص وردوه عليه حكاه الحجازى فى مختصر الروضة عن نقل الرافعى وكان يقطع الاراضى قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها وافتى الغزالى بكفر من عارض أولاد تميم الدارى فيما أقطعه وقال انه صلى الله عليه وسلم كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا اولى

﴿ القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات ﴾

منها أنه أول النبيين خلقا كما تقرر فى أول هـذا الكتاب وأنه كان نبيا وآدم بين الروح والجسـد رواه الترمذى من حديث أبى هريرة *ومنها أنه أول من أخذ عليه الميثاق كما مر *ومنها أنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم رواه أبو سهل القطان فى جزء من أماليه* ومنها أن آدم وجميع المخلوقات خلقوا لاجله رواه البيهقى وغيره *ومنها أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار* ومنها ان الله تعالى أخـذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه قال الله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال على بن أبى طالب لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه* ومنها أنه وقع التبشير به فى الكتب السالفة كما سيأتى ان شاء الله تعالى ومنها أنه لم يقع فى نسبه من لدن آدم سفاح رواه البيهقى والطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الدلائل ومنها أنه نكست الاصنام لمولده رواه الخرائطى فى الهواتف وغيره ومنها أنه ولد مختونا مقطوع السرة رواه الطـبرانى وتقدم مافيـه من البحث فى أول الكتاب* ومنها أنه خرج نظيفا مابه قذر رواه ابن سعد * ومنها أنه وقع الى الارض ساجدا رافعا أصبعيه كالمتضرع المبتهل رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس ورأت أمه عنـد ولادته نورا خرج منها أضاء له قصور الشام وكذلك ترى أمهات الانبياء رواه الامام أحمد وكان مهده عليه الصـلاة والسـلام يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكره ابن سبع فى الخصائص وكان القمر يحدثه وهو فى مهده ويميـل حيث أشار اليه رواه ابن طغربك فى النطق المفهوم وغيره وتكلم فى المهد رواه الواقدى وابن سبع وظللته الغمامة فى الحر رواه أبو نعيم والبيهقى ومال اليه فئ الشجرة اذ سبق اليـه رواه البيهقى * ومنها شـق صـدره الشريف رواه مسلم وغيره وغطه جبريل عند ابتداء الوحى ثلاث غطات عد هذه بعضهم من خصائصه عليه الصلاة والسلام كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن أحد من الانبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحى* ومنها ان الله تعالى ذكره فى القرآن عضوا عضوا فقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وقوله فانما يسرناه بلسانك وبصره بقوله مازاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء ويده وعنقه بقوله ولا تجعـل يدك مغلولة الى عنقك وظهره وصـدره بقوله ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك واشتق اسمه من اسم الله المحمود ويشهد له ما أخرج البخارى فى تاريخـه الصـغير من طريق على بن يزيد قال كان أبو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وهو مشهور لحسان بن ثابت وسمى أحمد ولم يسم به أحد قبله رواه مسـلم ولاحمـد من حديث على أعطيت اربعا لم يعطهن أحد قبلى فذكر منها و سميت أحمد * ومنها أنه صلى الله عليه وسـلم كان يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة كما سيأتى البحث فيه ان شاء الله تعالى فى صيامه صلى الله عليه وسـلم من مقصـد عباداته وكان يرى من خلفه كما يرى أمامه رواه مسلم ويرى فى الليل وفى

الظلمة كما يرى بالنهار والضوء رواه البيهقي وكان ريقه يعذب الماء الملح رواه أبو نعيم ويجزي الرضيع رواه البيهقي * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في منظومهم والبلغاء في منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في آي التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم وهو البالغ تعيينه وانه أثر قدمه مبلغ التواتر القائل فيه أبو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل

وبما في البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا من معجزة تأثير ضرب موسى في الحجر ستا أو سبعا اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ماخص نبي بشيء من المعجزات والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثله كما نصوا عليه مع مايؤيد ذلك وهو وجود أثر حافر بغلته الشريفة على ماقيل في مسجد بطيبة حتى عرف المسجد بها بحيث يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره الساري فيها ليكون ذلك أقوى في الآية وأوضح في الدلالة على ايتائه عليه الصلاة والسلام هذه الآية التي أوتيها الخليل في حجر المقام على وجه أعلى منه بل قال الزبير بن بكار فيما نقله المجد الشيرازي في المغانم المطابه بعد ذكره لأثر البغلة ومسجدها وفي غربي هذا المسجد أثر كانه أثر مرفق يذكر أنه عليه الصلاة والسلام اتكأ عليه ووضع مرفقه عليه وعلى حجر آخر أثر الاصابع والناس يتبركون بهما وقال السيد نور الدين السمهودي في كتابه وفاء الوفا بعد ايراد ذلك قلت ولم أقف في ذلك على أصل الا أن ابن النجار قال في المساجد التي أدركها خرابا بالمدينة مالفظه ومسجدان قرب البقيع أحدهما يعرف بمسجد الاجابة والثاني يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد وهو خراب وحوله نشز من الحجارة فيه أثر يقولون انه أثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وكان ابطه عليه الصلاة والسلام لاشعر عليه قاله القرطبي وكان أبيض غير متغير اللون كما ذكره الطبري وعده في الخصائص وذكره بعض الشافعية لحديث انس المتفق عليه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال الشيخ جمال الدين الاسنوي في المهمات ان بياض الابط كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انتهى قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه من كون هذا من الخصائص فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك في شيء من الكتب المعتمدة والخصائص لاتثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لايكون له شعر فان الشعر اذا نتف بقي المكان أبيض وان بقي فيه آثار الشعر ولذلك ورد في حديث عبد الله ابن أقرم الخزاعي أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت أنظر الى عفرة ابطيه اذا سجد خرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وقد ذكر الهروي في الغريبين وابن الاثير في النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان آثار الشعر هو الذي جعل المكان أعفر والا فلو كان خاليا من منابت الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذي يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن لابطه رائحة كريهة بل كان نظيفا طيب الرائحة كما ثبت في الصحيح وكان عليه الصلاة والسلام يبلغ صوته وسمعه مالا يبلغه صوت غيره ولا سمعه وكان تنام عينه ولا ينام قلبه

رواه البخارى وما تثاءب قط رواه ابن أبي شيبة والبخارى فى تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ماتثاءب النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال ماتثاءب نبي قط ويؤيد ذلك ان التثاؤب من الشيطان رواه البخارى وما احتلم قط وكذلك الانبياء رواه الطبراني وكان عرقه أطيب من المسك رواه أبو نعيم وغيره واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي ولم يقع له ظل على الارض ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر ويشهد له أنه عليه الصلاة والسلام لما سأل الله تعالى أن يجعل فى جميع أعضائه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلنى نورا وكان صلى الله عليه وسلم لايقع على ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازى ولا يمتص دمه البعوض كذا نقله الحجازى وغيره وما آذاه القمل قاله ابن سبع فى الشفاء والسبتى فى أعذب الموارد * ومنها انقطاع الكهنة عند مبعثه وحراسة السماء من استراق السمع والرمى بالشهب قال ابن عباس كانت الشياطين لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرارى وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره أحد قبل زمانه وانما ظهر فى بدئ أمره وكان ذلك أساسا لنبوته وقال معمر قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن فى شدة الحراسة الا بعد مبعثه وقيل أن النجم كان ينقض ويرمى الشياطين ثم يعود الى مكانه ذكره البغوى * ومنها انه أتى بالبراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما قيل وكانت الانبياء انما تركبه عريانا * ومنها انه أسرى به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى وأراه من آيات ربه الكبرى وحفظه فى المعراج حتى مازاغ البصر وما طغى وأحضر الانبياء له وصلى بهم وبالملائكة اماما وأطلعه على الجنة والنار وعزيت هذه للبيهقى * ومنها انه رأى الله تعالى بعينيه كما يأتى فى مقصد الاسراء ان شاء الله تعالى وجمع الله تعالى له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى فى الرفيع الاعلى وكلم موسى بالجبل * ومنها أن الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه كما مر فى غزوة بدر وحنين * ومنها أنه يجب علينا أن نصلى ونسلم عليه لآية ان الله وملائكته الى آخرها ولم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم أن يصلوا على أنبيائهم * ومنها انه أوتى الكتاب العزيز وهو أمى لايقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة * ومنها حفظ كتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فى تغييره وتبديل محكمه فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه قال تعالى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وكتابه يشتمل على مااشتملت عليه جميع الكتب جامعا لاخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لايعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك ويسر الله حفظه

لمتعلميه وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لايحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم القرآن ميسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة * ومنها انه أنزل على سبعة أحرف تسهيلا علينا وتيسيرا وشرفا ورحمة وخصوصية لفضلنا * ومنها كونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا * ومنها أنه تعالى تكفل بحفظ فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أى من التحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى فى صفة القرآن لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان قلت هذه الآية تنفى الاختلاف فيه وحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف المروى فى البخارى عن عمر يثبته فأجاب الجعبرى فى أول شرحه للشاطبية بأن المثبت اختلاف تغاير والمنفى اختلاف تناقض فموردهما مختلف انتهى فان قلت فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن فى المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه فالجواب كما قال الرازى ان جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما أراد حفظه قيضهم لذلك قال وقال أصحابنا وفى هذه الآية دلالة قوية على ان البسملة آية من أول كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن والحفظ لامعنى له الا أن يبقى مصونا عن التغيير والا لما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم زادوا الواجب أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة واختلف فيه كيف يحفظ القرآن فقال بعضهم حفظه بأن يجعله معجزا مباينا لكلام البشر بعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه أو نقصوا منه تغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن وقال آخرون أعجز الخلق عن ابطاله وافساده بل قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق الى آخر بقاء التكليف وقال آخرون المراد بالحفظ هو أن أحد الوحاول أن يغيره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير فى حرف منه لقال الصبيان كلهم أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشئ من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف مع أن دواعى الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وقد انقضى الآن ثمانية وتسعون سنة وثمانمائة سنة وهو بحمد الله فى زيادة من الحفظ * ومنها أنه عليه الصلاة والسلام خص بآية الكرسى وبالمفصل وبالمثانى وبالسبع الطوال كما فى حديث ابن عباس بلفظ وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش وخصصت به دون الانبياء وأعطيت المثاني مكان التوراة والمئين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل رواه أبو نعيم فى الدلائل وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وفى البخارى من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم سائره واختلفوا لم سميت مثانى فعن الحسن وابن عباس وقتادة لانها تثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل صلاة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما فى حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة

وعن مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما أعطاها غيرهم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن السبع المثاني هي السبع الطوال أولها سورة البقرة وآخرها سورة الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال قال ابن عباس وانما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القرآن مثاني لان القصص ثنيت فيه والله أعلم * ومنها أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهي خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر مايطلبونه لذواتهم فكل ماظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لايعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو وأعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن * ومنها أنه أوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لاتنفد فالكلمة منه كلمات ولما لم جوامع الكلم أعطى الاعجاز بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله تعالى فوقع الاعجاز في الترجمة التي هي له فان المعاني المجردة عن المواد لايتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلام القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره * ومنها أنه بعث الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال الله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أي تضم الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها كذلك ضمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به أحد الالزمه الايمان به ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به الآية فضمت شريعته الانس والجن وعمت رحمته التي أرسل بها العالم قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وانما ذلك من جهة القابل فهو كنور الشمس أفاض شعاعه على الارض فمن استترعنه في كن أو ظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم يرجع الى الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى أهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الامن كان مؤمنا به وقد كان مرسلا اليه وقد جاء في حديث جابر وغيره وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وفي رواية الى الناس كافة أجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بأن هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم يكن في أصل بعثته وانما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك وأما قول أهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة انه أول رسول الى أهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات أولية ارساله وعلى تقدير أن يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة آيات على أن ارسال نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الارض فأهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في أثناء مدة نوح وعلم نوح بأنهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه وغيرهم فأجيب وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبيء في زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون

معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد أن يبعث نبي في زمانه أو بعده فينسخ بعض شريعته انتهى وأما قول بعض اليهود ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد والدليل عليه انهم أى اليهود سلموا أنه رسول صادق الى العرب فوجب أن يكون كلما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر أنه كان يدعى أنه رسول الى كل الناس فلو كذبوه فيه لزم التناقض أشار اليه صاحب المعالم *ومنها نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو أسرع قاطع لعموم رعبه فى قلوب أعدائه فلا يقبل الرعب الاعد ومقصود ليتميز السعيد من الشقي ومفهوم هذا أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب فى هذه المدة ولا فى أكثر منها اما مادونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر فالظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه الصلاة والسلام وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال *ومنها احلال الغنائم ولم تحل لأحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له فى الجهاد لم تكن له مغانم ومنهم من أذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيأ لم يحل لهم ان يأكلوه وجاءت نار فأحرقته قال بعضهم اعطى صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان يفوتها التنعم بها فى مقابلة ماقاسوه من الشدة والتعب *ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا والمراد موضع سجود اى لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجاز عن المكان المبنى للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة فى جميعها كان كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح فى الارض ويصلى حيث ادركته الصلاة قاله ابن التين ومن قبله الداودى وقيل انما ابيح لهم فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فأبيح لها فى جميع الارض الا فيما تيقنوا نجاسته والاظهر ماقاله الخطابى وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلاة فى اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلى انما كانوا يصلون فى كنائسهم وهذا نص فى موضع النزاع فيثبت الخصوصية ويؤيده مارواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه ولم يكن من الانبياء احد يصلى حتي يبلغ محرابه قاله فى فتح البارى ومنها ان معجزته عليه الصلاة والسلام مستمرة الى يوم القيامة ومعجزات سائر الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الاخبرها والقرآن العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة ومنها انه اكثر الانبياء معجزة قال القاضى عياض اما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل مايقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او آية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة وذهب آخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضى والحق ماذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ماتحداهم به مع ماينصر هذا القول من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففى

القرآن من الكلمات نحو سبع وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة انا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء وكل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز أخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة الاخبار عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الاعجاز الأخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا فى حق القرآن فلا يكاد يأخذ العدد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه انتهى* ومن ذلك انشاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت لواحد من الانبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدم مافيه من المباحث*ومنها أنه خاتم الانبياء والمرسلين قال عليه الصلاة والسلام مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاوضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين رواه البخارى ومسلم* ومنها انشرعه مؤيد الى يوم الدين وناسخ لجميع شرائع النبيين وانه أكثر الانبياء تابعا كما قال عليه الصلاة والسلام فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة رواه الشيخان من حديث أبى هريرة * ومنها انه لو أدركه الانبياء لوجب عليهم اتباعه كما سيأتى تقريره ان شاء الله تعالى* ومنها انه أرسل الى الجن اتفاقا والدليل على ذلك قبل الاجماع الكتاب والسنة قال تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقد أجمع المفسرون على دخول الجن فى هذه الآية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل ان الملائكة خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلماء والاصوليين ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال بأكثر الادلة وقال تعالى فى الاحقاف أجيبوا داعى الله فأمر بعضهم بعضا باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الى غير ذلك من الآيات وأما السنة ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست فذكر منها وأرسلت الى الخلق كافة فانه يشمل الانس والجن وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام فى آية الفرقان فان قلت ان قوله قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وما أرسلناك الا كافة للناس ظاهر فى اختصاص رسالته عليه الصلاة والسلام بالانس واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر فالجواب ان هذا انما يمشى على مذهب الدقاق القائل بأن مفهوم اللقب حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة فى الاصول بمفهوم اللقب لاتختص باللقب بل الاعلام كلها وأسماء الاجناس كلها كذلك مالم تكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فهذه الآية ليس فيها أصلا مايفهم منه انه ليس رسولا الى غيرهم الا على مذهب الدقاق بل ولايتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم أيضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر غرض آخر سواه فى تخصيص ذلك الاسم وحيث ظهر غرض لايقول بالمفهوم بل يحمل التخصيص على ذلك الغرض والغرض فى الآية التعميم فى جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفى الرسالة عن غيرهم لاعلى مذهب الدقاق

ولا على مذهب غيره وانما خاطب الناس لانهم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم فقصود الآية خطاب الناس والتعميم فيهم لاالنفى عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح والخلاف فيه مبنى على الخلاف فى اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة أو من الانس ضد الوحشة فان قلنا بالاول أطلق على الفريقين ولكن استعماله فى الانس أغلب فحيث أطلق فالمراد به ولد آدم واذا قلنا بالثانى فلالانا لا نبصر الجن ولا نأنس بهم فدخول الجن فى الآية اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه وبهذا يتبين ضعف الاستدلال بها لكنها لاتدل على خلافه وأما قول الضحاك ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فهو ظاهر الآية لكن لم يقل الضحاك ولاأحد غيره باستمرار ذلك فى هذه الملة وانما محل الخلاف فى ذلك فى الملل المتقدمة خاصة وأما فى هذه الملة فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل أحد عن الضحاك أن رسل الجن منهم مطلقا ولاينبغى أن ينسب اليه مايخالف الاجماع على أن الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن قط رسول لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بنى آدم اليهم لارسل الله لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله بعض العلماء * ومنها أنه أرسل الى الملائكة فى أحد القولين ورجحه السبكى قال تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ولا نزاع فى أن المراد بالعبد هنا محمد عليه الصلاة والسلام والعالم هو ماسوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة وبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الآية على أنه رسول الى جميع الخلق ولو قيل لمدعى خروج الملائكة من هذا العموم أقم الدليل عليه ربما عجز عنه فانه يحتمل أن يكون من الملائكة من أنذره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسراء واما غيرها لكن لا يلزم من الانذار والرسالة اليهم فى شئ خاص أن يكون بالشريعة كلها واذا قلنا ان الملائكة هم مؤمنو الجن السماوية فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذى قام الاجماع عليه لزم عموم الرسالة لهم لكن القول بأن الملائكة من الجن قول شاذ والجمهور على أن العالمين فى آية الفرقان عام مخصوص بالجن والانس كما فسرهما حديث وأرسلت الى الخلق كافة المروى فى مسلم وصرح الحليمى والبيهقى فى الباب الرابع من شعب الايمان بأنه عليه الصلاة والسلام لم يرسل الى الملائكة وفى الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه وفى تفسير الامام فخر الدين الرازى والبرهان النسفى حكاية الاجماع فى تفسير آية الفرقان على أنه لم يكن رسولا اليهم كما حكاه العلامة الجلال المحلى والله أعلم وعبارة النسفى ثم انهم قالوا هذه الآية تدل على أحكام أولها أن قوله ليكون للعالمين نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا أجمعنا على أنه عليه الصلاة و السلام لم يكن رسولا الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا وهو عبارة الامام فخر الدين أيضا وقد تعقب الجلال المحلى العلامة كمال الدين بن أبى شريف فقال اعلم ان البيهقى نقل ذلك عن الحليمى فانه قال هذا معنى كلام الحليمى وفى قوله هذا اشعار بالتبرى من عهدته

وبتقدير أن لا اشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضي عنده وأما الحليمي فانه وان كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة فى تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما نقله عنه موافق لقوله بافضلية الملائكة فلعله بناه عليه وأما ما ذكره من حكاية الرازى والنسفى الاجماع على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن مرسلا اليهم فقد وقع فى نسخ من تفسير الرازى لكنا بينا بدل أجمعنا على أن قوله أجمعنا ليس صريحا فى اجماع الامة لان مثل هذه العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل لو صرح به لمنع فقد قال الامام السبكى فى قوله ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم فى تفسيرها للجن والانس وقال بعضهم والملائكة انتهى وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازى والنسفى فى حكاية اجماع انفردا بحكايته أمر لاينتهض حجة على طريقة علماء النقل لان مدارك نقل الاجماع من كلام الأئمة وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما فى الاطلاع كالأئمة أصحاب المذاهب المتبوعة ومن يلحق بهم فى سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان لها من الشهرة عند علماء النقل مايغنى عن بسط الكلام فيها واللائق بهذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع فى شئ من الجانبين انتهى * ومنها أنه أرسل رحمة للعالمين كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال السمرقندى يعنى للجن والانس وقيل لجميع الخلق رحمة للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب أهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو القيامة وأما من صدقه فله الرحمة فى الدنيا والآخرة فذاته عليه الصلاة والسلام كما روى رحمة تعم المؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال عليه الصلاة والسلام انما أنا رحمة مهداة رواه الدارمى والبيهقى من حديث أبى هريرة وسيأتى فى المقصد السادس مزيد لذلك ان شاء الله تعالى والله الموفق * ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء بأسمائهم فى القرآن فقال ياآدم يانوح ياابراهيم ياداود يازكريا يايحيى ياعيسى ولم يخاطب هو فيه الا بيا أيها الرسول ياأيها النبى ياأيها المزمل ياأيها المدثر ومنها انه حرم على الامة نداءه باسمه قال تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات ولكن قولوا يارسول الله يانبى الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت وقيل لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة * ومنها انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى كان أبو بكر لايكلم النبى صلى الله عليه وسلم الا كأخى السرار وروى أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يسمع كلام عمر حتى يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس فى أذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد أنزلت عليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف أن يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب

مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل* ومنها انه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم أى لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب * ومنها انه حبيب الله وجمع له بين المحبة والخلة وسيأتى تحقيق ذلك وما فيه من المباحث فى آخر المقصد السابع ان شاء الله تعالى * ومنها انه تعالى أقسم على رسالته وبحياته وبلده وعصره كما سيأتى ذلك فى المقصد الثالث ان شاء الله تعالى * ومنها انه كلم بجميع أصناف الوحى كما نقل عن ابن عبد السلام وسبق تحقيقه فى المبعث من المقصد الاول * ومنها أن اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبى قبله أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ماهبط على نبي قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربك اليك أمرنى أن أخيرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومأ الى أن تواضع فلو أنى قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معى ذهبا * ومنها انه سيد ولد آدم رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وعند الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا أتبعه بقوله ولا فخر أى ان هذه الفضيلة التى نلتها كرامة من الله لم أنلها من قبل نفسى ولا بلغتها بقوتى فليس لى أن أفتخر بها * ومنها انه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه أخبر أحدا من الانبياء بمثل ذلك ويدل له قولهم فى الموقف نفسى نفسى وقال ابن كثير فى تفسير هذه الآية يعنى آية الفتح لم يشاركه فيها غيره وأخرج أبو يعلى والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الانبياء قالوا فما فضله على أهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقد كتب له براءة قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما أرسلناك الا كافة للناس فأرسل الى الانس والجن * ومنها انه أكرم الخلق على الله فهو أفضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين وسيأتى الجواب عن قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث ابن عباس عند مسلم ماينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ونحو ذلك فى المقصد السادس ان شاء الله تعالى * ومنها اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابن عباس * ومنها انه لايجوز عليه الخطأ كما ذكره ابن أبى هريرة والماوردى وقال قوم ولا النسيان حكاه النووى فى شرح مسلم * ومنها ان الميت يسئل عنه عليه الصلاة والسلام فى قبره فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأما فتنة القبر فبى يفتنون وعنى يسئلون فاذا كان الرجل

الصالح أجلس فيقال له ماهذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث رواه أحمد والبيهقي
* ومنها انه حرم نكاح أزواجه من بعده قال الله تعالى وأزواجه أمهاتهم أى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن أزواج له فى الآخره وهذا فى غير المخيرات فمن اختارت منهن
الدنيا ففى حلها للازواج طريقان أحدهما طرد الخلاف والثاني القطع بالحل واختاره الامام والغزالي
وأزواجه اللاتى توفى عنهن محرمات على غيره أبدا وفى جواز النظر اليهن وجهان أشهرهما المنع ويثبت
لهن حكم الامومة فى احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لافى جواز الخلوة بهن والنفقة عليهن والميراث
ولا يتعدي ذلك الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات المؤمنين على الاصح وقيل انما حرمن لانه عليه
الصلاة والسلام حى فى قبره ولهذا حكى الماوردى أنه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفى التي فارقها فى الحياة
كالمستعيذة والتي رأى بكشحها بياضا أوجه أحدها يحرمن أيضا وهو الذى نص عليه الشافعي وصححه
فى الروضة لعموم الآية وليس المراد بمن بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث وصححه
امام الحرمين والرافعي فى الصغير تحريم المدخول بها فقط لما روى أن الاشعث بن قيس نكح المستعيذة
فى زمن عمر فهم عمر برجمها فأخبر أنها لم تكن مدخولا بها فكنف وفى أمة فارقها بعد وطئها أوجه
ثالثها تحرم ان فارقها بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها فى الحياة انتهى * ومنها ماعده ابن عبد السلام أنه
يجوز أن يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي أن يكون مقصورا على
النبى صلى الله عليه وسلم لانه سيد ولد آدم وأن لايقسم على الله بغيره من الانبياء والملائكة والاولياء
لانهم ليسوا فى درجته وأن يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته انتهى * ومنها أنه يحرم رؤية
أشخاص أزواجه فى الازر وكذا يحرم كشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها كما صرح به القاضى
عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف فى الوجه والكفين فلا
يجوز لهن كشف ذلك فى شهادة ولا غيرها ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات الا مادعت اليه
ضرورة من براز ثم استدل بما فى الموطأ أن حفصة لما توفى عمر رضى الله عنه سترها النساء عن أن يرى
شخصها وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر شخصها انتهى قال الحافظ ابن حجر
وليس فيما ذكره دليل على ماادعاه من فرض ذلك عليهن فقد كن بعد النبى صلى الله عليه وسلم يحججن
ويطفن وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى
وأما حكم نظر غير أزواجه عليه الصلاة والسلام ففى الروضة وأصلها عن الاكثرين جواز النظر الى
وجه حرة كبيرة أجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين الرافعى والنووى
تقتضى رجحانه وصوبه فى المهمات لتصريح الرافعى فى الشرح بأن الاكثرين عليه لكن نقل ابن العراقى
أن شيخه البلقينى قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على مافى المنهاج وقد جزم به فى التدريب وقوة
كلام الشرح الصغير تقتضى رجحانه وعلله باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات ونقلا فى
الروضة وأصلها هذا الاتفاق وأقراه وعورض بنقل القاضى عياض عن العلماء مطلقا أنه لايجب على
المرأة ستر وجهها فى الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض البصر وحكاه عنه النووى فى شرح مسلم

وأقره قاله الشيخ نجم الدين ابن قاضى عجلون فى تصحيح المنهاج والله أعلم وكان النكاح فى حقه عليه الصلاة والسلام عبادة مطلقا كما قاله السبكى وهو فى حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات والعبادة عارضة له * ومنها أن أولاد بناته ينسبون اليه قال عليه الصلاة والسلام فى الحسن ان ابنى هذا سيد رواه أبو يعلى * ومنها أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببه ونسبه قال صلى الله عليه وسلم كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي والنسب بالولادة والسبب بالزواج قيل ومعناه أن أمته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيامة بخلاف أمة غيره * ومنها أنه لا يتزوج على بناته فعن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ان بنى هاشم بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها أخرجه الشيخان وصححه الترمذى وعنه أن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح ابنة أبى جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال أما بعد فانى انكحت أبا العاصى بن الربيع فحدثنى فصدقنى وان فاطمة بنت محمد بضعة منى وانما أكره أن يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدا قال فترك على الخطبة أخرجه الشيخان واسم بنت أبى جهل هذه جويرية أسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن أسيد ثم أبان بن سعيد ابن العاصى قال أبو داود وحرم الله تعالى على على أن ينكح على فاطمة فى حياتها بقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر الشيخ أبو على السنجى فى شرح التلخيص أنه يحرم التزوج على بنات النبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بفاطمة رضى الله عنها وقد علل عليه الصلاة والسلام بأن ذلك يؤذيه واذايته عليه الصلاة والسلام حرام بالاتفاق وفى هذا تحريم أذى من يتأذى النبى صلى الله عليه وسلم باذايته لان ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره وقد جزم عليه الصلاة والسلام بأنه يؤذيه ما آذى فاطمة فكل من وقع منه فى حق فاطمة شئ فتأذت به فهو يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك مع أن الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الى خشية الافتتان فى الدين ومع ذلك فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن الغيرة ومع ذلك ما راعى صلى الله عليه وسلم ذلك فى حقهن كما راعاه فى حق فاطمة وأجيب بأن فاطمة كانت اذ ذاك فاقدة من تركن اليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من أم أو أخت بخلاف أمهات المؤمنين فان كل واحدة منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله عليه وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث ان كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب * ومنها أنه لا يجتهد فى محراب صلى اليه يمنة ولا يسرة وأفتى شيخ الاسلام أبو زرعة بن العراقى فيمن امتنع من الصلاة الى محراب النبي صلى الله

عليه وسلم وقال أنا أجتهد وأصلي بأنه ان فعل ذلك مع الاعتراف بأنه على ماكان فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ردة وان ذكر تأويلا بأن قال ليس هو الآن على ما كان عليه فى زمنه عليه الصلاة والسلام بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهادى لم يحكم بردته وان لم يكن هذا التأويل صحيحا * ومنها ان من رآه فى المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لايتمثل به وفى رواية مسلم من رآني فى المنام فسيراني فى اليقظة أو فكأنما رآني فى اليقظة لايتمثل الشيطان بي قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الاسماعيلي فقد رآني فى اليقظة بدل قوله فسيراني ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود وفى رواية أبى قتادة عند مسلم أيضا من رآني فقد رأى الحق وله أيضا من حديث جابر من رآني فى المنام فقد رآني فانه لاينبغي للشيطان أن يتمثل فى صورتي وفى رواية من رآني فى المنام فقد رآني فانه لاينبغي للشيطان أن يتشبه بي وفى حديث أبي سعيد عند البخاري فان الشيطان لايتكونني أى لايتكون كوني فحذف المضاف ووصل المضاف اليه بالفعل وفى حديث أبي قتادة عند البخاري لايتراءى بي بالراء بوزن يتعاطى ومعناه لايستطيع أن يتمثل بي يعني أن الله تعالى وان أمكنه من التصور فى أى صورة أراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا فى الحديث ان محل ذلك اذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها ومنهم من ضيق الفرع حتى قال لابد أن يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعني ابن سيرين اذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف الذى رأيته فان وصف له صفة لايعرفها قال لم تره وسنده صحيح وقد أخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني أبى قال قلت لابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام قال صفه قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رأيته وسنده جيد لكن يعارضه ماأخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني فى المنام فقد رآني فانى أرى فى كل صورة وفى سنده ابن التوأمة وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط قال القاضي أبو بكر بن العربي رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال فان الصواب أن الانبياء لاتغيرهم الارض ويكون ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرؤية لاحقيقة لها أصلا قال وقوله فسيراني معناه فسيرى تفسير مارأى لانه حق وغيب وأما قوله فكأنما رآني فهو تشبيه ومعناه انه لو رآني فى اليقظة لطابق مارآه فى المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثانى حقا وتمثيلا قال وهذا كله اذا رآه على صورته المعروفة فان رآه على خلاف صفته فهى امثال فان رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلى العكس فبالعكس وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد بقوله فقد رآني أو فقد رأى الحق ان من رآه على صورته المعروفة فى حياته كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل انتهى وتعقبه النووى فقال هذا ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها انتهى وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لى من كلام القاضي عياض ماينافى ذلك بل ظاهر قوله انه يراه

حقيقة فى الحالين لكن فى الاولى تكون الرؤيا مما لايحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم معناه ان من رآه على صورته التى كان عليها ويلزم من قول من قال انه لاتكون رؤيته الا على صورته المعلومة ان من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من أضغاث الاحلام ومن المعلوم أنه يرى فى النوم على حالة بخلاف حالته فى الدنيا من الاحوال اللائقة ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشئ مما كان عليه أو ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لايتمثل بى فالاولى أن تنزه رؤياه وكذا رؤيا شئ منه أو مما ينسب اليه عن ذلك فانه أبلغ فى الحرمة وأليق فى العصمة كما عصم من الشيطان فى يقظته فالصحيح فى تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته فى كل حالة ليست باطلة ولا اضغاثا بل هى حق فى نفسها ولو رؤى على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضى أبى بكر بن الطيب ويؤيده قوله فقد رأى الحق أشار اليه القرطبي وقال ابن بطال قوله فسيرانى فى اليقظة يريد تصديق تلك الرؤية فى اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد أنه يراه فى الآخرة لانه سيراه يوم القيامة فى اليقظة جميع أمته من رآه فى النوم ومن لم يره وقال المازرى ان كان المحفوظ فكأنما رآنى فى اليقظة فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ فسيرانى فى اليقظة احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه فى المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك فى اليقظة وأوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه فسيرى تأويل تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها وأجاب القاضى عياض باحتمال أن يكون رؤياه له فى النوم على الصفة التى عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته فى الآخرة وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه أو الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين فى القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله ابن أبي جمرة على محمل آخر فذكر عن ابن عباس أو غيره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فبقى بعد اليقظة متفكرا فى هذا الحديث فدخل على بعض امهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه وقال الغزالى ليس معنى قوله فقد رآنى انه رأى جسمى وبدنى وانما المراد أنه مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذى فى نفسى اليه وكذلك قوله فسيرانى فى اليقظة ليس المراد أنه يرى جسمى وبدنى قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ويكون ذلك المثال آلة حقا فى كونه واسطة فى التعريف فيقول الرائى رأيت الله عز وجل فى المنام لايعنى انى رأيت ذات الله تعالى كما يقول فى حق غيره وقال الغزالى أيضا فى بعض فتاويه من رأى الرسول يعنى فى المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما رأى مثاله لاشخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل وقال الطيبي المعنى من رآنى فى المنام بأى صفة كنت فليبشر وليعلم أنه قد رآنى الرؤيا الحق أى رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد رآنى

فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية فى الكمال أى فقد رآنى رؤيا ليس بعدها شئ والحاصل من الاجوبة أنه على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكأنما رآنى في اليقظة ثانيها معناه سيرى فى اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة ثالثها أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه رابعها المراد أنه يراه فى المرآة التى كانت له ان أمكنه ذلك قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من أبعد المحامل خامسها أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لامطلق من رآه حينئذ ممن لم يره فى المنام والصواب كما قدمناه فى رؤيته عليه الصلاة والسلام التعميم على أى حالة رآه الرائي بشرط أن يكون على صورته الحقيقية فى وقت ما سواء كان فى شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائى كما قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب وقال أبو سعيد أحمد ابن محمد بن نصر من رآى نبيا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن رآه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال الرائى وقال العارف ابن أبى جمرة من رآه فى صورة حسنة فذاك حسن فى دين الرائى وان كان فى جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل فى الرائى من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل اولا لأنه عليه الصلاة والسلام نورانى مثل المرآة الصقيلة ما كان فى الناظر اليها من حسن أو غير تصور فيها وفى ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها وكذلك يقال فى كلامه عليه الصلاة والسلام فى النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل فى سمع الرائى فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو فى سمع الرائي له أو بصره قال وهذا خير ماسمعته فى ذلك انتهى وقال بعضهم ليست رؤيته عليه الصلاة والسلام رؤيا عين انما يرى بالبصائر وذلك لايستدعى حصر المرئى بل يرى من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش كما ترى الصورة فى المرآة المحاذية لها وليست الصورة منتقلة الى جرم المرآة وعين الناظر مقابلة جميع الكائنات كالمرآة واختلاف رؤيته صلى الله عليه وسلم بأن يراه بعضهم شيخا وآخر شابا وآخر ضاحكا وآخر باكيا يرجع الى حال الرائين كاختلاف الصورة الواحدة فى مرائى مختلفة الاشكال والمقادير ففى الكبيرة يرى وجهه كبيرا وفى الصغيرة صغيرا وفى المعوجة معوجا وفى الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف المرائى لاالى وجه الرائى كذلك الراؤن له عليه الصلاة والسلام أحوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن رآه متبسما اليه دل على ان الرائى متمسك بسنته والله أعلم وقد أجاب الشيخ بدر الدين الزركشى عن سؤال رؤية جماعة له عليه الصلاة والسلام فى آن واحد من أقطار متباعدة مع أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حق بأنه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس فى هذا العالم مثال نوره فى العوالم كلها وكما أن الشمس يراها كل من فى المشرق والمغرب فى ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولله در القائل

كالبدر من أى النواحى جئته * يهدى الى عينيك نورا ثاقبا

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام فقال شيخنا لم يصل الينا

ذلك عن أحـد من الصحابة ولا ممن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى
ماتت كمدا بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته فى المدة
التى تأخرتها عنـه وانما حكى عن بعض الصالحين حكايات عن أنفسهم كما هو فى توثيق عرى الايمان
للبا زى وبهجة النفوس لابى محمد عبد الله بن جمرة وروض الرياحين للعفيف اليافعى وغيره من تصانيفه
والشيخ صفى الدين بن المنصور فى رسالته وعبارة ابن أبى جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم
جرا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث يعنى من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أنهم رأوه صلى
الله عليه وسلم فى النوم فرأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها
ونص لهم على الوجوه التى بها يكون فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو
اما أن يكون ممن يصدق بكرامات الاولياء أولا فان كان الثانى فقد سقط البحث معه فانه مكذب ما أثبتته السنة
بالدلائل الواضحة وان كان الاول فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة فى أشياء فى العالمين العلوى
والسفلى عديدة مع التصديق بذلك وقال الشيخ ابن أبى المنصور فى رسالته ويقال ان الشيخ أبا العباس
القسطلانى دخل مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الله بيدك يا أحمد وعن
الشيخ أبى السعود قال كنت أزور شيخنا أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح
على لم يكن لى شيخ الا النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل صلاة وقال الشيخ أبو العباس الحرار
دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير الاولياء بالولاية قال وكتب لاخى محمد
معهم منشورا فقلت يا رسول الله ماتكتب لى كأخى قال أريد أن تكون قمايا وهذه لغة أندلسية يعنى
طرقيا وفهم عنه ان له مقاما غير هذا وقال حجة الاسلام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال وهم يعنى
أرباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم
فوائد انتهى ورأيت فى كتاب المنح الالهية فى مناقب السادات الوفائية عن سيدى على بن سيدى محمد وفا
انه قال فى بعض مشاهده كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته
يوما فرأيت انسانا يقرأ عليه سورة والضحى وصحبته رفيق له وهو يلوى شدقيه بالامالة ورفيقه يضحك
اعجابا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقظة لامناما وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص على فقال
لى اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح ثم غاب عنى فلما بلغت احدى وعشرين سنة أحرمت
بصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم قبالة وجهى فعانقنى فقال لى وأما بنعمة ربك
فحدث فأوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى واما ماحكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى لطائف المنن
عن الشيخ أبى العباس المرسى انه كان مع الشيخ ابى الحسن الشاذلى بالقير وان فى ليلة الجمعة سابع عشرين
فى رمضان فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال ورايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول
ياعلى طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس الخ فيحتمل أن يكون مناما وكذلك قول
الشيخ قطب الدين القسطلانى كنت اقرا على ابى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبى بالمدينة
الشريفة فجئته يوما فى وقت خلوة وانا يومئذ حديث السن فخرج الى وقال لى من ادبك بهذا الادب

وعاب على قال فذهبت وأنا منكسر الخاطر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينا أنا جالس على تلك الحال فاذا بالشيخ قدجاءنى وقال قم فقد جاء فيك شفيع لايرد ونحوه ماحكاه السهروردى فى عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر الكيلانى انه قال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وحكى عن السيد نور الدين الايجى والد السيد عفيف الدين انه فى بعض زياراته للنبى صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام ياولدى وقال البدر حسن بن الاهدل فى مسئلة الرؤية له ان وقوعها للاولياء قد تواترت بأجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك ومن تواترت عليه أخبارهم لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك فى بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حالة لاتكاد تضبطها العبارة ومراتبهم فى الرؤية متفاوتة وكثيرا مايغلط فيها رواتها فقل ماتجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به وأما من لايوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما أو فى غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا ونورا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز فى هذا الباب وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس فى اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه عليه الصلاة والسلام من قبره ومشيه فى الاسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شئ وبحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب أشار الى ذلك القرطبي فى الرد على القائل بأن الرائي له فى المنام راه حقيقته ثم يراه كذلك فى اليقظة قال وهذه جهالات لايقول بشئ منها من له أدنى مسكة من المعقول وملتزم شئ من ذلك مختل مخبول وقال القاضى أبو بكر بن العربى وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعينى الرأس حقيقة وقال فى فتح البارى بعد أن ذكر كلام ابن أبي جمرة وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولامكن بقاء الصحبة الى يوم القيامة وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية شعر

فمن يدعى فى هذه الدار أنه * يرى المصطفى حقا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة التى * يباشر هذا الامر مرتبة وسطا

وقد جعل القاضى أبو بكر بن العربى القول بأن الرؤية فى المنام بعينى الرأس غلو وحماقة ثم حكى مانسب لبعض المتكلمين وهو القول بأنها مدركة بعينين فى القلب وأنه ضرب من المجاز انتهى فلا يمتنع من الخواص أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحيث لايسكنون بشئ مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن التحدث بها لغير ضرورة مع السعى فى التخلص من الكدورات والاعراض عن الدنيا واهلها جملة وكون الواحد منهم يود لنه يخرج من أهله وماله وأنه يرى النبى صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلانى أن يتمثل صورته صلى الله عليه وسلم فى خاطره ويتصور فى عالم سره أن يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم اضطرابه فان تزلزل أو اضطرب كان لمة من الشيطان وليس ذلك خادشا فى علو مناصبهم لعدم عصمة غير الانبياء فقد قال العلامة التاج ابن السبكى فى جمع الجوامع تبعا لغيره وأن الالهام ليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوما بخواطره وحينئذ فمن قال ممن حكينا عنه أو غيرهم بأن

المرئي هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من أطلق عليه هو اللائق وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم انى رأيت الجنة والنار مع مزيد استبعاده هناك أن يكون المراد بالرؤية رؤية العلم ويحكى عن الشيخ أبي العباس المرسى أنه قال لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين وعلى هذا فيكون معنى فسيرانى فى اليقظة أى يتصور مشاهدتى وينزل نفسه حاضرا معى بحيث لايخرج عن آدابه وسنته صلى الله عليه وسلم بل يسلك منهاجه ويمشى على شريعته وطريقته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى الاحسان أن تعبد الله كانك تراه ويحمل العموم فى من رآنى على الموفقين واليه يشير قول بعض المتمدين أى من رآنى رؤية معظم لحرمتى ومشتاق لمشاهدتى وصل الى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه وقريب منه قول شارح المصابيح أو يراه فى الدنيا حالة الذوق والانسلاخ عن العوائق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض الصالحين انه رآه فى حالة الذوق والشوق وقد قال الاهدل عقب الحكاية عن الشيخ أبي العباس المرسى وهذا فيه تجوز يقع مثله فى كلام الشيوخ وذلك ان المراد أنه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضارها فى الاعمال والاقوال ولم يرد أنه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل والله أعلم انتهى * ومما اختص به صلى الله عليه وسلم أن التسمى باسمه ميمون ونافع فى الدنيا والآخرة روينا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدى الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فانى آليت على نفسى أن لايدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد وروى أبو نعيم عن نبط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاأعذب أحدا تسمى باسمك فى النار وعن على بن أبي طالب قال مامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه أبو منصور الديلمى وليس لاحد أن يتكنى بكنيته أبي القاسم سواء كان اسمه محمد أم لا ومنهم من كره الجمع وجوز الافراد ويشبه ان يكون هو الاصح قال النووى فى هذه المسئلة مذاهب الشافعى منع مطلقا وجوزه مالك والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمدا ومن جوز مطلقا خص النهى بحياته وهو الاقرب انتهى * ومنها أنه يستحب الغسل لقراءة حديثه والتطيب ولا ترفع عنده الاصوات بل تخفض كما فى حياته اذا تكلم فان كلامه المأثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وأن يقرأ على مكان مرتفع روينا عن مطرف قال كان الناس اذا أتوا مالكا رحمه الله خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم فى الوقت وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه (والساج) الطيلسان وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث قال ابن أبي أويس فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا على طهارة متمكنا ويقال انه أخذ ذلك عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة حتى كان الاعمش اذا كان

على غيرها تيم ولا شك ان حرمته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره بعد مماته وعند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان فى حياته والله أعلم * ومنها انه يكره لقارئ حديثه أن يقوم لاحد قال ابن الحاج فى المدخل لانه قلة أدب مع النبى صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لاجل غيره فكيف لبدعة وقد كان السلف لايقطعون حديثه ولا يتحركون وان أصابهم الضرر فى أبدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم اذ ذاك احتراما لحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وحسبك ماوقع لمالك رحمه الله فى لسع العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك وتحمله لاسمها توقيرا لجناب حديثه عليه الصلاة والسلام أن يكون يقرأ وهو يتحرك لضر أصابه مع أنه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة والقيام اذ ذاك لالضرورة بل للبدعة لاسيما اذا انضاف الى ذلك مالا ينبغى من الكلام المعتاد انتهى ملخصا * ومنها انه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعى مع الصحابى فلا تثبت الا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند أهل الاصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد مايقع بصره على الاعرابى الجلف ينطق بالحكمة * ومنها ان قراء حديثه لاتزال وجوههم نضرة وان قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ وأمراء المؤمنين من بين سائر العلماء * ومنها ان أصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدولا وقال عليه الصلاة والسلام لاتسبوا أصحابي فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فى آيات كثيرة وأحاديث تقتضى القول بتعديلهم ولذلك أجمع من يعتد به على ذلك سواء فى التعديل من لابس الفتنة منهم وغيره لوجوب حسن الظن بهم حملا للملابس على الاجتهاد ونظرا الى ماتمهد لهم من المآثر من امتثال أوامره عليه الصلاة والسلام وفتحهم الاقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس ومواظبتهم على الصلوات والزكوات وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والاخلاق الحميدة التي لم تكن فى أمة من الامم المتقدمة ولا تكون لاحد بعدهم مثلهم فى ذلك كل ذلك بحلول نظره عليه الصلاة والسلام * وأفضلهم عند أهل السنة اجماعا أبو بكر ثم عمر وأما بعدهما فالجمهور على أنه عثمان ثم على وسيأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى المقصد السابع * ومنها أن المصلى يخاطبه بقوله السلام عليك أيها النبى ولا يخاطب غيره * ومنها انه كان يجب على من دعاه وهو فى الصلاة أن يجيبه ويشهد له حديث أبى سعيد بن المعلى كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه الحديث وفيه ألم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فاجابته فرض يعصى المرء بتركها وهل تبطل صلاته أم لا صرح جماعة من أصحابنا الشافعية وغيرهم أنها لاتبطل وفيه بحث لاحتمال أن تكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان المخاطب مصليا أو غير مصل أما كونه يخرج بالاجابة من الصلاة أولا يخرج فليس فى الحديث مايستلزمه فيحتمل أن تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة والى ذلك جنح بعض الشافعية والله أعلم * ومنها ان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته أبدا وان تاب فيما ذكره جماعة من

المحدثين وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير وقال اذهبا فان أدركتماه فاقتلاه ولهذا حكى امام الحرمين عن أبيه ان من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر لكن لم يوافقه أحد من الأئمة على ذلك والحق أنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لايكفر بها الا ان استحله وقال النووى لم أر له فى أصل المسئلة دليلا ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فانه يصير شرعا مستمرا الى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة ثم قال وهذا الذى ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية والمختار القطع بصحة توبته وقبول روايته بعدها اذا صحت توبته بشروطها المعروفة قال فهذا هو الجارى على قواعد الشرع وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فأسلم قال وأجمعوا على قبول شهادته ولافرق بين الشهادة والرواية فى هذا قال شيخنا ويمكن أن يقال فيما اذا كان كذبه فى وضع حديث وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له أبدا فان من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرا وان وجد مجرد اسمها * ومنها أنه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدا وسهوا وكذلك الانبياء * ومنها أنه لايجوز عليه الجنون لانه نقص ولا الاغماء الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ أبو حامد فى تعليقه وجزم به البلقينى فى حواشى الروضة وكذلك الانبياء ونبه السبكى على أن اغماءهم يخالف اغماء غيرهم وانما هو غلبة الاوجاع للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد أنه انما تنام أعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذى هو أخف من الاغماء فى الاغماء بطريق الاولى قال السبكى ولا يجوز عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبى قط وأما ماذكر عن شعيب أنه كان ضريرا فلم يثبت وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهى وقال الرازى فى قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم لما قال ياأسفا على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء فى العين فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء وقوله وابيضت عيناه من الحزن كأنه من غلبة البكاء والدليل على صحة هذا القول ان تأثير الحزن فى غلبة البكاء لافى حصول العمى فلما حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ماذكرناه أولى ثم قال واختلفوا فقال بعضهم انه كان قد عمى بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا فى هذا الوقت وقال آخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا ضعيفا فلما ألقوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه فعند ذلك قوى بصره وزال النقصان عنه انتهى * ومنها أن من سبه صلى الله عليه وسلم أو انتقصه قتل واختلف هل يتحتم قتله فى الحال أو يوقف على استتابته وهل الاستتابة واجبة أم لا فمذهب المالكية يقتل حدا لاردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا أو غلطا وعبارة شيخهم العلامة خليل فى مختصره وان سب نبيا أو ملكا وان عرض أو لعنه أو عابه أو قذفه أو استخف بحقه أو غير صفته أو ألحق به نقصا وان فى دينه أو خصلته أو غض من مرتبته أو وفور علمه أو زهده أو أضاف

له مالا يجوز عليه أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أو قيل له بحق رسول الله فلعن وقال أردت العقرب قتل ولم يستتب حدا الا أن يسلم الكافر وان ظهر أنه لم يرد ذمه لجهل أو سكر أو تهور وهذا ذكره القاضي عياض فى الشفاء وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا واللعنة من الله هى إبعاد الملعون عن رحمته واحلاله فى وبيل عقوبته قال القاضي عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى هو الشر الخفيف فان زاد كان ضرارا كذا قاله الخطابي وغيره واطلاق الاذى فى حقه تعالى انما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه ويشهد لذلك الحديث الالهي ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى وهذا بخلاف جانب الرسول صلى الله عليه وسلم فالاذى فى حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه الآية لان العذاب المهين انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم وقال تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضي عياض قال أهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما السنة فروى أبو داود والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لنا بابن الاشرف وفى أخرى من لكعب بن الاشرف أى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وفى رواية فانه يؤذى الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل على أن قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وفى حديث مصعب بن سعد عند أبي داود لما كان يوم الفتح أمن صلى الله عليه وسلم الناس الا أربعة نفر فذكرهم ثم قال وأما ابن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك وهو يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال ما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدى عن بيعته فيقتله فقالوا ماندرى يارسول الله مافى نفسك ألا أومأت الينا هل انه لاينبغى لنبي أن تكون له خائنة الاعين وفيه انه أمر بقتل عبد الله بن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر جاريتيه أن تغنيا به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فقد ثبت أنه أمر بقتل من أذاه ومن تنقصه والحق له عليه الصلاة والسلام وهو مخير فيه فاختار القتل فى بعضهم والعفو عن بعضهم وبعد وفاته تعذرت المعرفة بالعفو فيبقى الحكم على عمومه فى القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس لامته بعده أن يسقطوا حقه صلى الله عليه وسلم فانه لم يرد عنه الاذن فى ذلك وأما الاجماع فقال القاضي عياض أجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه فقال ابن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد واسحاق وهو مذهب الشافعى وقال الخطابى لاأعلم أحدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما وقال محمد بن سحنون أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر . والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل فمن شك فى كفره وعذابه كفر انتهى ومذهب الشافعية أن ذلك ردة يخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد كافر قطعا لانزاع فى ذلك عند الجمهور من أئمتنا والمرتد

يستتاب فان تاب والا قتل وفى الاستتابة قولان أصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام وانما عرضت له شبهة فينبغي ازالتها وقيل تستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا بالاول فتجب فى الحال ولم يؤجل كغيره وفى الصحيح حديث من بدل دينه فاقتلوه وفى قول يمهل ثلاثة أيام فان لم يتب وأصر رجلا كان أو امرأة قتل وان أسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة الآية وعن ابن عباس قال أيما مسلم سب الله أوسب أحدا من الانبياء فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ردة يستتاب منها فان تاب والا قتل وأيما معاهد سب الله أو سب أحدا من أنبيائه فقد نقض العهد فاقتلوه وأجيب عما تقدم من أدلة المالكية فأما قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية فليس فيه الا كفر مؤذيه عليه الصلاة والسلام وأما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة فيه أصلا وأما ابن خطل فانما قتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل ولانه اتخذ الاذى ديدنا فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره بها وتاب ورجع الى الاسلام فالفرق واضح وكذلك قتل جاريتيه لانهما جعلتا ذلك ديدنا مع ماقام بهما من صفة الكفر وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبى معيط نادى يامعشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله فذكر له سببين فى تحتم قتله وهذا فى غاية الظهور وأما قول الخطابى وغيره لاأعلم أحدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما فمحمول على التقييد بعدم التوبة وأما سياق القاضى عياض لقصة الرجل الذى كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه فليس يفيد غرضا فى هذا المقام لان الظاهر ان هذا كذب فيه افساد وفتنة بين المؤمنين لاسيما ان كان كافرا فيكون من محاربى الله ورسوله مع السعى فى الارض بالفساد فيكون متحتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل وكذا سياقه حديث ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لى بها فقال رجل من قومها أنا يارسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاينتطح فيها عنزان أى لايجرى فيها خلف ولا نزاع فان فى هذه الحكاية ونظائرها نظرا واضحا لقيام الكفر بالمحكى عنهم والزيادة منهم وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه لاعصمة لاحد من الناس بعد دعواهم الى الاسلام الابالاسلام فكل منهم مهدر الدم الا من عصم الله منهم بالاسلام وانما النافع له فى مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين وصمة الارتداد بالسب على القول بكونه ردة فرجع الى الاسلام وتاب هذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال لكل من المتنازعين أما ذكر كافر أصلى بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع من اجابته وحاربه بيده ولسانه فلانزاع فى اهدار دمه قطعا لاسيما وقد نقل عن هذه المرأة الكافرة أنها كانت تعيب الاسلام وتؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات القتل اجماعا فقد تبين ماساقه القاضى عياض ان امره عليه الصلاة والسلام بقتل سابه انما نقل عن الكفرة ولم ينقل أنه عليه الصلاة والسلام قتل مسلما بسبه وانما كان ذلك فى أهل الكفر والعناد فلو نقل فلا يتعين كونه حدا لاحتمال أن يكون قتله كفرا وقد قال الله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فأعلمنا ان ما وراء الشرك فى حيز امكان المغفرة

وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا * فان قلت هذا بالنظر الى ظلم النفس وحقوق الله تعالى لابالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاحة وهذا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا أن نسقطه لانه لم يرد اذنه فى ذلك بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان له ذلك * فالجواب لابد لنا من نص على ذلك منه عليه الصلاة والسلام كأن يقول مثلا من سبنى فاقتلوه ولاتقبلوا له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه ثم انه من جهة النظر ينبغى الحاق حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقوق الله فكما ان حقوقه تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم فانه متخلق باخلاق الله تعالى * ومما عد من خصائصه انه اذا قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه حكاه النووى فى زيادة الروضة عن جماعة من الاصحاب * ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين روى أبوداود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع من أعرابي فرسا فاستتبعه ليقبضه ثمن الفرس فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشى وأبطأ الاعرابى فطفق رجال يعترضون الاعرابى يساومونه بالفرس ولا يشعرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث قال فطفق الاعرابى يقول هلم شهيدا يشهد أنى قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول الا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال أنا أشهد انك قد بايعته الحديث وفيه قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين وفى البخارى من حديث زيد بن ثابت قال فوجدتها مع خزيمة الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين وعند الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث النعمان ابن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من أعرابى فرسا فجحده الاعرابى فجاء خزيمة فقال ياأعرابى أنا أشهد عليك انك بعته فقال الاعرابي اذ شهد خزيمة فأعطني الثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخزيمة انا لم نشهدك كيف تشهد قال أنا أصدقك على خبر السماء ألا أصدقك على خبر ذا الاعرابى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شهادته بشهادة رجلين فلم يكن فى الاسلام من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابى هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله وتذرع به قوم من أهل البدع الى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شئ ادعاه وانما وجه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم حكم على الاعرابى بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه فصار فى التقدير بشهادة اثنين فى غيرها من القضايا انتهى * ومن ذلك ترخيصه فى النياحة لام عطية روى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الآية يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يعصينك فى معروف قالت كان منه النياحة فقلت يارسول الله الا آل فلان فانهم كانوا أسعدونى فى الجاهلية فلا بد لى من أن أسعدهم فقال الا آل فلان قال النووى هذا محمول على الترخيص لام عطية فى آل فلان خاصة وللشارع أن يخص من العموم ماشاء * ومن ذلك ترك الاحداد لاسماء بنت عميس أخرج ابن سعد عن أسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر بن أبى طالب قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبي ثلاثا ثم اصنعى

ماشئت * ومن ذلك الاضحية بالعناق لابى بردة بن نيار رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب السنة ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله لقد نسكت قبل أن أخرج الى الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت وأكلت وأطعمت أهلى وجيرانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم قال فان عندى عناقا جذعة هى خير من شاتى لحم فهل تجزى عنى قال نعم ولن تجزى عن أحد بعدك (ونيار) بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية وآخره راء وقوله (تجزى) بفتح أوله غير مهموز أى تقضى (والجذع) بالجيم والذال المعجمة وفى هذا الحديث تخصيص أبى بردة باجزاء الجذع من المعز فى الاضحية لكن وقع فى عدة أحاديث التصريح بنظير ذلك لغير أبى بردة ففى حديث عقبة بن عامر عند البيهقى ولا رخصة فيها لاحد بعدك قال البيهقى ان كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لابى بردة قال الحافظ ابن حجر وفى هذا الجمع نظر لان فى كل منهما صيغة عموم فأيهما تقدم على الآخر اقتضى انتفاء الوقوع للثانى ويحتمل أن تكون خصوصية الاول نسخت بثبوت الخصوصية للثانى ولامانع من ذلك لانه لم يقع فى السياق استمرار المنع لغيره صريحا وفى كلام بعضهم أن الذين ثبتت لهم الرخصة أربعة أو خمسة واستشكل الجمع وليس بمشكل فان الاحاديث التى وردت فى ذلك ليس فيها التصريح بالنفى الافى قصة أبى بردة فى الصحيح وفى قصة عقبة بن عامر عند البيهقى وأما ماعدا ذلك فأخرج أبو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع أفأضحى به قال ضح به وفى الاوسط للطبرانى من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أعطى سعد بن أبى وقاص جذعا من المعز فأمره أن يضحى به وأخرجه الحاكم من حديث عائشة وفى سنده ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثى أبى بردة وعقبة لاحتمال أن يكون ذلك فى ابتداء الامر ثم تقرر الشرع بأن الجذع من المعز لايجزى واختص أبو بردة وعقبة بالرخصة فى ذلك وان تعذر الجمع بين حديث أبى بردة وحديث عقبة فحديث أبى بردة أصح مخرجا وان كان حديث عقبة عند البيهقى من مخرج الصحيح والله أعلم ومن ذلك انكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فيما ذكره جماعة وورد به حديث مرسل أخرجه سعيد بن منصور عن أبى النعمان الازدى قال زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن وقال لايكون لاحد بعدك مهرا * ومنها أنه كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر * ومنها أن جبريل أرسل ثلاثة أيام فى مرضه يسأله عن حاله ذكره البيهقى وغيره * ومنها أنه صلى عليه الناس أفواجا أفواجا بغير امام وبغير دعاء الجنازة المعروف ذكره البيهقى وابن سعد وغيرهما وترك بلاد فن ثلاثة أيام كما سيأتى وفرش له فى لحده صلى الله عليه وسلم قطيفة والامران مكروهان فى حقنا وأظلمت الارض بعد موته كما سيأتى * ومنها أنه لايبلى جسده وكذلك الانبياء رواه أبو داود وابن ماجه * ومنها انه لايورث فقيل لبقائه على ملكه وقيل لمصيره صدقة وبه قطع الرويانى ثم حكى وجهين فى أنه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار وقفا هل هو الواقف وجهان قال النووى فى زيادات الروضة الصواب الجزم بزوال ملكه وان ماتركه صدقة على المسلمين لايختص به الورثة انتهى وقال فى الشرح الصغير المشهور انه صدقة وذكر الرافعى فى قسم الفئ أن الخمس كان له

صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى ورثته وقال في باب الخصائص انه ملكه ويجمع بينهما بأن لجهة الانفاق مادتين مملوكة وغير مملوكة والخلاف جار في احداهما انتهى والله أعلم وعلى هذا فيباح له أن يوصي بجميع ماله للفقراء ويمضي ذلك بعد موته بخلاف غيره فانه لا يمضي مما أوصى به الا الثلث بعد موته وكذلك الانبياء لا يورثون لما رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا انا معاشر الانبياء لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث سليمان دواد وقوله فهب لى من لدنك وليا يرثني بأن المراد ارث النبوة والعلم * ومنها انه حي في قبره ويصلي فيه بأذان واقامة وكذلك الانبياء ولهذا قيل لا عدة على أزواجه وقد حكى ابن زبالة وابن النجار ان الاذان ترك في أيام الحرة ثلاثة أيام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال سعيد فاستوحشت فدنوت الى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون فسمعت أذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت ان الانبياء يحجون ويلبون * فان قلت كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم أموات في الدار الآخرة وليست دار عمل * فالجواب انهم كالشهداء بل أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا ويصلون أو نقول ان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وأن المنقطع في الآخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ولهذا ورد أنهم يسبحون ويقرؤن القرآن ومن هذا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة وقد قال صاحب التلخيص ان ماله عليه الصلاة والسلام بعد موته قائم على نفقته وملكه وعده من خصائصه ونقل امام الحرمين عنه ان ماخلفه بقي على ما كان في حياته فكان ينفق منه أبو بكر على أهله وخدمه وكان يرى أنه باق على ملك النبي صلى الله عليه وسلم فان الانبياء أحياء وهذا يقتضي اثبات الحياة في أحكام الدنيا وذلك زائد على حياة الشهيد والذي صرح به النووي زوال ملكه عليه الصلاة والسلام وان ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا يختص به ورثته * فان قلت القرآن ناطق بموته عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال عليه الصلاة والسلام اني امرؤ مقبوض وقال الصديق فان محمدا قد مات وأجمع المسلمون على اطلاق ذلك فأجاب الشيخ تقي الدين السبكي بأن ذلك الموت غير مستمر وأنه صلى الله عليه وسلم أحي بعد الموت ويكون نقل الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر والا فالحياة الثانية حياة أخروية ولا شك انها أعلى وأكمل من حياة الشهداء وهي ثابتة للروح بلا اشكال وقد ثبت ان أجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا كحالته في الدنيا أو حيا بدونها وهي حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الروح للحياة أمر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي

نشاهدها بل يكون لها حكم آخر فليس فى العقل مايمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك انذلك ثابت لهم بل ولسائر الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغى وقال انه مما يعزو جوده وفى مثله يتنافس المتنافسون * ومنها انه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه أحمد والنسائى والحاكم وصححه بلفظ ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام وعند الاصبهانى عن عمارة ان لله ملكا أعطاه الله سمع العباد كلهم فما من أحد يصلى على الا أبلغنيها وتعرض أعمال أمته عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا وتعرض على النبى صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشيا فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم * ومنها أن منبره صلى الله عليه وسلم على حوضه كما فى الحديث وفى رواية ومنبرى على ترعة من ترع الجنة وأصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فاذا كان فى المطمئن فهى روضة ولم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره وأنه حق محسوس موجود فان القدرة صالحة لاتعجز فيها وكل ما أخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام من أمور الغيب فالايمان به واجب * ومنها أن مابين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخارى بلفظ مابين بيتى ومنبرى وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز أما الحقيقة فبأن يكون ماأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه من الجنة مقتطعا منها كما أن الحجر الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة وكذلك الثمار الهندية من الورق التى هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فاقتضت الحكمة الالهية أن يكون فى هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل وأما المجاز فبأن يكون من اطلاق اسم المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب فى نيل الجنة قاله ابن أبى جمرة وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤل الى دخول العابد روضة الجنة وهذا فيه نظر اذ لااختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها وفى كتاب بهجة النفوس لابن أبى جمرة أيضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون من الجنة يعنى روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعنى احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة فى الجنة ويأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى فصل الزيارة من المقصد الأخير ان شاء الله تعالى * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر وفى رواية مسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وهو أول من يفيق من الصعقة قال عليه الصلاة والسلام أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور رواه البخارى والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن عنده علم بذلك حتى أعلمه الله تعالى فقد أخبر عن نفسه الكريمة أنه عليه الصلاة والسلام أول من ينشق عنه القبر وهو من أول من يجوز على الصراط رواه البخارى من حديث أبى هريرة وأنه يحشر فى سبعين الفا من الملائكة كما روى عن كعب الاحبار مامن فجر يطلع الانزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه الصلاة والسلام يضربون بأجنحتهم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن النجار فى تاريخ المدينة وأنه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفى كما ذكره الطبرى ويكسى فى الموقف أعظم الحلل من الجنة

رواه البيهقي بلفظ فأكسى حلة من الجنة لايقوم لها البشر ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني حلة خضراء رواه الطبراني وهو عند ابن أبي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل وأمتي على تل وعند الطبراني أيضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته على كوم فوق الناس وأنه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام وفيه لايقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون * ومنها أنه يعطى المقام المحمود قال مجاهد هو جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش وعند عبد الله بن سلام على الكرسي ذكرهما البغوي وسيأتي ماقيل في ذلك في ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود أن شاء الله تعالى *ومنها أنه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضاء بين أهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت الاحاديث به في التي قبل وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين * ومنها أنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة آدم فمن دونه تحته رواه البزار وأنه أول من يقرع باب الجنة روى مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة وعنده أيضا عن أنس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن بك أمرت أن لاأفتح لاحد قبلك ورواه الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول لاأفتح لاحد قبلك ولاأقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية أخرى له صلى الله عليه وسلم وهي أن خازن الجنة لايقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم فقيامه له عليه الصلاة والسلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد أقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة قال عليه الصلاة والسلام وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر رواه الترمذي * ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج * ومنها الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة

﴿وأما خصائص أمته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا﴾ فاعلم أنه لما أنشأ الله سبحانه وتعالى العالم على غاية من الاتقان وأبرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم للعيان وظهرت عنايته بأمته الانسانية بحضوره وظهوره فيها وان كان العالم الانساني والساري كله أمته ولكن لهؤلاء خصوص وصف فجعلهم خير أمة أخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبياء وأعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما أدى اليه اجتهادهم وكل من دخل في زمان هذه الامة من الانبياء بعد نبيها كعيسى صلى الله عليه وسلم أو قدر دخوله كالخضر فانه لايحكم في العالم الا بما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الامة فاذا نزل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام أو اطلاع على الروح المحمدي أو بما شاء الله تعالى فيأخذ عنه ماشرع الله له أن يحكم به في امته فلا يحكم في شيء من تحريم وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي أنزلت عليه في أوان رسالته ودولته فهو عليه الصلاة والسلام

تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم فى كتاب ختم الاولياء وأعرب عنه صاحب عنقاء مغرب وكذا الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح عقائد النسفى وصحح أنه يصلى بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهدى لانه أفضل منه فامامته أولى انتهى فهو عليه الصلاة والسلام وأن كان خليفة فى الامة المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتى واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته * فان قلت قد ورد فى صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وان الصواب فى معناه أنه لايقبل الجزية ولايقبل الا الاسلام أو القتل وهذا خلاف ماهو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه الصلاة والسلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم * فالجواب أنه لاخلاف أن عيسى عليه الصلاة والسلام انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية ولاينزل نبيا برسالة مستقرة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الامة وأما حكم الجزية ومايتعلق بها فليس حكما مستمرا الى يوم القيامة بل مقيد بما قبل نزول عيسى وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه الصلاة والسلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ فدل على أن الامتناع فى ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم أشار اليه النووى فى شرح مسلم * فان قلت ماالمعنى فى تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فى عدم قبول الجزية * فأجاب ابن بطال بأنا انما قبلنا هانحن لاحتياجنا الى المال وليس يحتاج عيسى عليه الصلاة والسلام عند خروجه الى مال لانه يفيض فى أيامه المال حتى لايقبله أحد فلايقبل الا القتل أوالايمان بالله وحده انتهى وأجاب الشيخ ولى الدين بن العراقى بأن قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة مابأيديهم من التوراة والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام زالت تلك الشبهة بحصول معاينته فصار كعبدة الاوثان فى انقطاع شبهتهم وانكشاف أمرهم فعوملوا معاملتهم فى أنه منهم لايقبل الا الاسلام والحكم يزول بزوال علته قال وهذا معنى حسن مناسب لم أر من تعرض له قال وهذا أولى مما ذكره ابن بطال انتهى وكذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر وأنه باق الى اليوم فانه تابع لاحكام هذه الملة وكذلك الياس على ماصححه أبو عبد الله القرطبي أنه حى ايضا وليس فى الرسل من يتبعه رسول له كتاب الا نبيا صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله شرفا فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة وأسبغ علينا هذه النعمه ومن علينا بما عمنا به من الفضائل المحمودة بنا فى كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة فتامل قوله كنتم أى فى اللوح المحفوظ وقيل كنتم فى علم الله فينبغى لمن هو من هذه الامة المحمدية أن يتخلق بالاخلاق الزكية ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة من الاوصاف المرضية ويتاهل لما لها من الخيرية قال مجاهد كنتم خير أمة أخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة أى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لان المسلمين منهم أكثر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم أفشى وقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة

والسلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على أن أول هذه الأمة خير ممن بعدهم والى هذا ذهب معظم العلماء وأن من صحبه صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة من عمره أفضل من كل من يأتي بعده وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور وذهب أبو عمر بن عبد البر الى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة وأن قوله عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه الصلاة والسلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان وأهل الكبائر الذين أقام عليهم أو على بعضهم الحدود وقد روى أبو أمامة أنه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي وفي مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون أي الخلق أفضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم افضل الخلق ايمانا وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبدالله أن اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال أبو عمر فهذه الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الامة وآخرها في فضل العمل لا لأهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتي فضله من يشاء انتهى واسناد حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى أحمد والدارمي والطبراني عن أبي عبيدة اي ابن الجراح يارسول الله أحد أفضل ايمانا منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ماعليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلائل على أفضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لانطيل بذكرها وسيأتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله تعالى وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم أبان بها فضلهم والاخبار والآثار ناطقة بذلك فخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها ظاهرا فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتي قال تلك أمة احمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يؤتون العلم الاول والعلم الآخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب فاجعلني من

أمة أحمد فأعطى عند ذلك خصلتين فقال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت يارب وروى ابن ظفر بك فى النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى يارب فهل فى الامم أكرم عليك من أمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال سبحانه وتعالى ياموسى أما علمت أن فضل أمة محمد على سائر الامم كفضلى على جميع خلقى قال يارب فأرنيهم قال لن تراهم ولكن أسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فأجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم فى أصلاب آبائهم وبطون أمهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتى عليكم ورحمتى سبقت غضبي وعفوى سبق عذابى انى أستجيب لكم قبل أن تسألونى فمن لقينى منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه قال صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يمن على بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا أى أمتك حتى أسمعنا موسى كلامهم ورواه قتادة وزاد فقال موسى يارب ماأحسن أصوات أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسمعنى مرة أخرى وفى الحلية لابى نعيم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى موسى نبي بنى اسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار قال يارب ومن أحمد قال ماخلقت خلقا أكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل أن أخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتي يدخلها هو وأمته قال ومن أمته قال الحامدون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لااله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلنى من أمة ذلك النبي قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال وعن وهب بن منبه قال أوحى الله تعالى الى شعياء اني باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار لايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ولليتيم فى حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشى على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا الى أن قال وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وتوحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى وتصديقا لما جاءت به رسلى وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والارواح التى أخلصت لى ألهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم ويصفون فى مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشى هم أوليائى وأنصارى أنتقم بهم من أعدائى عبدة الاوثان يصلون لى قياما وقعودا وركعا وسجودا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ألوفا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الاديان فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل فى دينهم وشريعتهم فليس منى وهو مني برىء واجعلهم أفضل الامم واجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس اذا غضبوا هللونى واذا تنازعوا سبحونى يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب الى الانصاف ويهللون على التلال والاشراف

قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم وذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم رواه أبو نعيم وقد ذكر الامام فخر الدين ان من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل قال السبكى الا هذه الامة فان معجزات نبيها أظهر وثوابها أكثر من سائر الامم * ومن خصائص هذه الامة احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها وجعلت لهم الارض مسجدا ولم تكن الامم تصلى الا فى البيع والكنائس وجعل لهم ترابها طهورا وهو التيمم وفى رواية أبى أمامة عند البخارى وجعلت الارض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا وفى رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الماء * ومن خصائص هذه الامة أيضا الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون أممهم ذكره الحليمى واستدل بحديث البخارى ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء لكن قال فى فتح البارى فيه نظر لانه ثبت فى البخارى قصة سارة عليها السلام مع الملك الذى أعطاها هاجر ان سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلى وفى قصة جريج الراهب أيضا انه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر ان الذى اختصت به هذه الامة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك فى رواية لمسلم عن أبى هريرة مرفوعا قال لكم سيما ليست لاحد غيركم أى علامة وغاية التحجيل استيعاب العضدين والساقين والغرة غسل مقدمات الرأس وصفحة العنق مع الوجه * ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم أخرج الطحاوى عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال ان آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدى اسحاق عند الظهر فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزيرا عند العصر فقيل له كم لبثت قال يوما فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام يصلى أربع ركعات فجهد فجلس فى الثالثة فصارت المغرب ثلاثا وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو داود فى سننه وابن أبى شيبة فى مصنفه والبيهقى فى سننه عن معاذ ابن جبل قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان انه قد صلى ثم خرج فقال أعتموا بهذه الصلاة فانكم فضلتم بها على سائر الامم ولم تصلها أمة قبلكم * ومنها الاذان والاقامة * ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبى النحوى فى تفسيره قال ولم ينزلها الله على أحد من الامم قبلنا الا على سليمان بن داود فهى مما اختصت به هذه الامة انتهى * ومنها التأمين روى الامام أحمد من حديث عائشة قالت بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انهم لم يحسدونا على شئ كما حسدونا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين قال الحافظ ابن حجر وهذا حديث غريب لا أعرفه بهذه الالفاظ الا من هذا الوجه لكن لبعضهم متابع حسن فى التأمين أخرجه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ماحسدتنا اليهود على شئ كما حسدتنا على السلام والتأمين * ومنها الاختصاص بالركوع عن على رضى الله عنه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يارسول الله ماهذا قال بهذا أمرت رواه البزار والطبرانى

فى الأوسط ووجه الاستدلال منه أنه صلى الله عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فيكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السابقة منه قاله بعض العلماء قال وذكر جماعة من المفسرين فى قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع فى الصلاة خاص بهذه الامة وأنه لا ركوع فى صلاة بنى اسرائيل ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يعارضه قوله تعالى يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين المفسر بأمرت بالصلاة فى جماعة بذكر أركانها مبالغة فى المحافظة عليها قالوا وقدم السجود قبل الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم أو للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لقوله وأدبار السجود وبالركوع الخضوع والاخبات * ومنها الصفوف فى الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة * ومنها تحية الاسلام لحديث عائشة السابق * ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخارى * ومنها ساعة الاجابة التى فى الجمعة واختلف فى تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين ذكرتها فى لوامع الانوار فى الادعية والاذكار * ومنها أنه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه أبدا وتزين الجنة فيه وخلوف أفواه الصائمين أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة فى كل يوم وليلة حتى يفطروا واذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا رواه البيهقى باسناد لا بأس به بلفظ أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا رواه البزار وتصفد فيه مردة الشياطين رواه أحمد والبزار * ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الاكل والشرب والجماع ليلا الى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان فى صدر الاسلام ثم نسخ * ومنها ليلة القدر كما قاله النووى فى شرح المهذب وهل صيام رمضان من خصائص هذه الامة أم لا ان قلنا ان التشبيه الذى دلت عليه كاف كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا وذكر ابن ابى حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم وفى اسناده مجهول وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم وهو قول الجمهور * ومنها أن لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير لقد أعطيت هذه الامة عند المصيبة مالم تعط الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله انا لله وانا اليه راجعون ولو أعطيت الانبياء لاعطيه يعقوب عليه الصلاة والسلام اذ قال يا أسفى على يوسف * ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر الذى كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم أى ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى الخطأ والعمد وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة وقد كان الرجل من بنى اسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته ان كفارته أن تنزع عينيك فينزعهما وأصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه من الحراك لثقله * ومنها ان الله تعالى أحل لهم كثيرا مما شدد على من كان

قبلهم ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج كما قال وما جعل عليكم فى الدين من حرج أى ضيق بتكليف
ما اشتد القيام به عليهم اشارة الى أنه لامانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه يعنى من لم يستطع أن يصلى
قائما فليصل قاعدا وأباح للصائم الفطر فى السفر والقصر فيه وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا
وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه تعالى والاروش والديات فى حقوق العباد قاله
البيضاوى وروى عن ابن عباس أنه قال الحرج ما كان على بنى اسرائيل من الاصر والشدائد وضعه الله
عن هذه الامة وعن كعب أعطى الله هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا الانبياء جعلهم شهداء على الناس وما
جعل عليهم فى الدين من حرج وقال ادعونى أستجب لكم * ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ
والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما أمروا به أو أخطؤا
عجلت لهم العقوبة فحرم الله عليهم شيأ من مطعمهم ومشربهم على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن
ماجه * ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لايشركهم فيه غيرهم الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله
تعالى هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن فى
الامتنان عليهم بذلك فائدة وقد يجاب بأن رضا الاسلام دينا لهم وتسمية ابراهيم أباهم بذلك لاينفى اتصاف
غيرهم به وفائدة ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما أنعم به على غيرهم من الفضائل وقيل لايختص بهم بل
يطلق على غيرهم أيضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما أجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى حكاية
عن وصية يعقوب فلا تموتن الا وأنتم مسلمون فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الى غير ذلك ولان الايمان
أخص من الاسلام كما هو مذهب كثير من العلماء وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل
فى شريعة مقرا بالله وبانبيائه كما قاله الراغب * ومنها أن شريعتهم أكمل من جميع شرائع الامم
المتقدمة وهذا مما لايحتاج الى بيانه لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فقد كانت
شريعة جلال وقهر أمروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات
وحرمت عليهم الغنائم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الآصار والاغلال مالم يحمله
غيرهم وكان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله هيبة ووقارا وأشدهم بأسا وغضبا لله وبطشا باعداء
الله فكان لايستطاع النظر اليه وعيسى عليه الصلاة والسلام كان فى مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة
فضل واحسان وكان لايقاتل ولا يحارب وليس فى شريعته قتال ألبتة والنصارى يحرم عليهم فى دينهم
القتال وهم به عصاة فان الانجيل يأمر فيه أن من لطمك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر ومن
نازعك ثوبك فأعطه رداءك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين ونحو هذا وليس فى شريعتهم مشقة ولا
اصر ولا اغلال وأما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل أنفسهم ولم تكتب عليهم وأما نبينا صلى
الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة فى الله واللين والرأفة والرحمة
فشريعته أكمل الشرائع وأمته أكمل الامم وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الاحوال والمقامات ولذلك
تأتى شريعته صلى الله عليه وسلم بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا اليه واستحبابا وبالشدة فى موضع

الشدة وباللين فى موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم ويحرمه والعدل ويأمر به والفضل ويندب اليه فى بعض آية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدل فمن عفى وأصلح فأجره على الله فهذا فضل انه لايحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به هـذا ايجاب للعـدل وتحريم للظلم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ندب الى الفضل وكذلك تحريم ماحرم على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث وضار وأباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما أشرت اليه قريبا وهـداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما سأذكره ان شاء الله تعالى فى مقصد عبادته عليه الصلاة والسلام وتقدم مايشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس وتمم لهـم من المحاسن مافرقه فى الامم كما كمل لنبيهم من المحاسن مافرقه فى الانبياء قبله وكمل فى كتابهم من المحاسن مافرقه فى الكتب قبله وكذلك فى شريعته فهذه الامة هم المجتبون كما قال الهم هو اجتباكم وما جعـل عليكم فى الدين من حرج وجعلهم شهداء على الناس فأقامهم فى ذلك مقام الرسل الشاهـدين على أممهم أشار اليه ابن القيم * ومنها أنهم لايجتمعون على ضلالة رواه أحمد فى مسنده والطبراني فى الكبير وابن أبى خيثمة فى تاريخه عن أبى بصرة الغفارى مرفوعا فى حديث سألت ربى أن لاتجتمع أمتى على ضلالة فأعطانيها ورواه ابن أبى عاصم والطبرانى أيضا من حديث أبى مالك الاشعرى رفعه ان الله أجاركم من ثلاث وذكر منها وأن لاتجتمعوا على ضلالة قال شيخنا وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وله شواهد متعددة فى المرفوع وغيره * ومنها أن اجماعهم حجة وان اختلافهم رحمـة وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقى فى المدخل فى حديث من رواية سليمان بن أبى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف أصحابى لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر حديث مشهور على الالسنة وقد أورده ابن الحاجب فى المختصر فى مباحث القياس بلفظ اختلاف أمتى رحمـة للناس قال وكثر السؤال عنـه وزعم كثير من الأئمة أنه لاأصل له لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن والآخر ملحد وهما اسحاق الموصلى وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل الخطابى برد هذا الكلام ولم يقع فى كلامه نص فى عزو الحديث ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال أهل العلم أهل توسعة ومابرح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلايعيب هذا على هذا أشار اليه شيخنا فى المقاصد الحسنة * ومنها أن الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الامم عذابا رواه أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث أبى عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجال أحمد ثقات ولفظه الطاعون شهادة لامتى ورحمة لهم ورجز على الكافرين * ومنها أنه اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنـة وكان الامم السالفة اذا شهد منهم مائة * ومنها أنهم أقل الامم عملا وأكثرهم أجرا وأقصرهم أعمارا وأوتوا العلم الاول والآخر وآخر الامم فافتضحت الامم عندهم ولم يفتضحوا * ومنها أنهم أوتوا الاسناد وهو خصيصة فاضلة

من خصائص هذه الامة وسنة بالغة من السنن المؤكدة وقد روينا من طريق أبي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان الله قد أكرم هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لأحد من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد انما هو صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس عندهم تمييز بين مانزل من التوراة والانجيل وبين ماألحقوه بكتبهم من الاخبار التي اتخذوها عن غير الثقات وهذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها انما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتي تتناهي أخبارهم ثم يبحثون أشد البحث حتي يعرفوا الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الامة فنستودع الله تعالى شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه وقال أبو حاتم الرازي لم يكن في أمة من الامم منذ خلق الله تعالى آدم أمناء يحفظون آثار الرسل الا في هذه الامة انتهى * ومنها انهم أوتوا الانساب والاعراب قال أبو بكر محمد بن أحمد بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب انتهى وهو مروى عن أبي على الجياني ايضا * ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان * ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وأبدالا عن انس مرفوعا الابدال اربعون رجلا واربعون امراة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امراة ابدل الله مكانها امراة رواه الخلال في كرامات الأولياء ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلاء اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وكذا يروى كما عند احمد في المسند والخلال من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا لايزال في هذه الامة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد ابدل الله تعالى مكانه رجلا وفي لفظ الطبراني في الكبير بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر رفعه خيار امتى في كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله مكانه آخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لايزال اربعون رجلا من امتى قلوبهم على قلب ابراهيم يدفع الله بهم عن أهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قال فبم أدركوها يارسول الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين وعن معروف الكرخي من قال اللهم ارحم أمة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في الحلية بلفظ من قال في كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد كتب من الابدال وعن غيره قال من علامات الابدال أن لايولد لهم ويروى في مرفوع معضل علامة أبدال أمتي انهم لايلعنون شيأ أبدا وقال يزيد بن هارون الابدال هم أهل العلم وقال الامام أحمد ان لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والاخيار

سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والاابتهل القطب الغوث فلا يتم مسئلته حتى تجاب دعوته انتهى * ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلاذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتى أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لاذنوب عليها تمحص عنهاباستغفار المؤمنين لها * ومنهاانهماختصوافىالآخرة بأنهم أول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ وأنا أول من تنشق الارض عني وعن أمتي ولا فخر * ومنها أنهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء رواه البخارى ﴿ والغرة ﴾ بياض فى وجه الفرس ﴿ والتحجيل ﴾ بياض فى قوائمه وذلك مما يكسبه حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذىيكون يوم القيامة فىاعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل ليفهمانهذا البياض فى اعضاء الانسان مما يزينه لامما يشينه يعنى أنهم اذادعوا على رؤس الاشهاد نودوا بهذا الوصفأوكانوا على هذه الصفة * ومنها انهم يكونونفى الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه منحديث جابر مرفوعا بلفظ أنا وأمتى على كوم مشرفين على الخلائق مامنالناس أحد الاودأنه منا ومامن نبي كذبه قومه الاونحن نشهد انهبلغ رسالةربه وعند ابنمردويه منحديث كعب قال أنا وأمتيعلى تل * ومنها ان سيماهم فىوجوههم من أثرالسجود قال تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وهل هذه العلامة فى الدنيا أوفى الآخرة قولان أحدهما انها فىالدنيا قال ابن عباس فى رواية ابن أبيطلحة السمت الحسن وقال فى رواية مجاهد ليست بالتى ترون هى سمت الاسلام وسيماه وخشوعه وقيل الصفرة فى الوجوه من أثر السهر فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثاني انه فى الآخرة يعنى ان موضع السجود من وجوههم يكون أشد بياضا يوم القيامة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا فى الدنيا رواه العوفى عن ابن عباس وعن شهر بن حوشب تكون مواضع السجود منوجوههم كالقمر ليلة البدر وقال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كلمن حافظ علىالصلوات الخمس * ومنها أنهم يؤتون كتبهم بايمانهم رواه أحمد والبزار * ومنهاان نورهم يسعى بين أيديهماخرجه احمد باسناد صحيح * ومنها ان لهم ماسعوا وما يسعى لهم وليس لمن قبلهم الا ماسعى قاله عكرمة واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى ففيها اجوبة احدها انها منسوخة روى ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم فجعل الولد الطفل فىميزان أبيه ويشفع الله الآباء فىالابناء والابناء فى الآباء بدليل قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا الثانى انها مخصوصة بالكافر وأما المؤمن فله ماسعى غيره قاله القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وأن المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم للذى حج عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عائشة انها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه

وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أفأتصدق عنها قال نعم قال فأى الصدقة أفضل قال سقى الماء وفى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قباء فماتت ولم تقضه فأفتى عبد الله بن عباس أنها تمشى عنها ومن المفسرين من قال ان الانسان فى الآية أبو جهل ومنهم من قال عقبة بن أبى معيط ومنهم من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال الخبار عن شرع من قبلنا وقد دل شرعنا ان الانسان له سعيه وما سعى له ومنهم من قال الانسان بسعيه فى الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب لاصحاب وأسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه ومنهم من قال الانسان فى الآية للحى دون الميت ومنهم من قال لم ينف فى الآية انتفاع الرجل بسعى غيره له وانما نفى ملكه لسعى غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشرى فى وأن ليس للانسان الا ماسعى * فان قلت أما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه * قلت فيه جوابان أحدهما أن سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا مصدقا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تبعا له وقائما مقامه والثانى ان سعى غيره لاينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو فى حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه والصحيح من الاجوبة ان قوله وأن ليس للانسان الا ماسعى عام مخصوص بما تقدم من الاجوبة وقد اختلف العلماء فى ثواب القراءة هل يصل للميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعى ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال أحمد بن حنبل رحمه الله بعد أن قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عن الامام أحمد يصل الى الميت كل شئ من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين القطان العسقلانى أن وصول ثواب القراءة الى الميت من قريب أو أجنبى هو الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع وقد أفتى القاضى حسين بأن الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر جائز كالاستئجار للاذان وتعليم القرآن لكن قال الرافعى وتبعه النووى عود المنفعة الى المستأجر شرط فى الاجارة فيجب عود المنفعة فى هذه الاجارة الى المستأجر أو لميته لكن المستأجر لاينتفع بأن يقرأ الغير له ومشهور ان الميت لايلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقين أحدهما أن يعقب القراءة بالدعاء للميت فان الدعاء يلحقه والدعاء بعد القراءة أقرب الى الاجابة وأكثر بركة والثانى ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوسى انه ان نوى القارئ بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قرأ ثم جعل ماحصل من الاجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت قال النووى فى زيادات الروضة ظاهر كلام القاضى حسين صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعى وتبعه النووى فى الوصية الذى يعتاد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا فى باب الاجارة طريقين فى عود فائدتها الى الميت وعن القاضى أبى الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحى الحاضر فترجى له الرحمة ووصول البركة اذا أهدى الثواب له القارئ وقال الشالوسى اذا نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن

الغـير وان قرا ثم جعل ماحصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يؤجر بدعاء الغير لكن اطلاق أن الدعاء ينفع الميت اعترض عليـه بعضهم بأنه موقوف على الاجابة ويمكن أن يقال الدعاء للميت مستحاب كما أطلقوا اعتمادا على فضـل الله وقال الرافعي وتبعـه النووى يستوى فى الصدقة والدعاء الوارث والاجنبي قال الشافعي وفيوسع الله أن يثيب المتصدق أيضا وقال الاصحاب يستحب ان ينوى المتصدق الصـدقة عن أبويه فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من أجره شيأ وذكر صاحب العدة انه لو أنبط عينا أو حفر بئرا أو غرس شجرا أو وقف مصحفا فيحال حياته أو فعـل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووى ان هذه الامور اذا صدرت من الحى فهى صدقات جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما وردفى الخبر ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلحق به كل وقف وهـذا القياس يقتضى جواز التضحية عن الميت فانها ضرب من الصـدقة لكن فيالتهذيب انه لاتجوز التضحية عن الغير بغير أمره وكذا عن الميت الا أن يكون أوصى به وقـد روى عن على أو غيره من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن أبي العباس محمد بن اسحاق السراج قال ضحيت عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين أضحية وأما اهداء القراءة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرف فيه خبر ولا أثر وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح لان الصحابة لم يفعله أحد منهم وحكى صاحب الروح ان من الفقهاء المتأخرين من استحبه ومنهم من رآه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غنى عن ذلك فان له أجر كل من عمل خيرا من أمته من غير أن ينقص من أجر العامل شئ قال الشافعي مامن خير يعمله أحد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صـلى الله عليه وسلم أصل فيه قال فيتحقيق النصرة فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة فى صحائف نبينا صـلى الله عليه وسـلم زيادة على ماله من الاجر مع مضاعفة لايحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيامة يحصل له أجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث أربعة وللرابع ثمانية وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر ألف وأربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادى عشر صار أجر النبي ألفين وثمانية وأربعين وهكذا كلما ازداد واحد يضاعف ما كان قبله أبدا كما قال بعض المحققين انتهى ولله در القائل

فلا حسن الا من محاسن حسنه * ولا محسن الا له حسناته

وبهذا يجاب عن استشكال دعاء القارئ له صلى الله عليه وسلم بزيادة التشريف مع العلم بكماله عليـه الصلاة والسـلام فيسائر أنواع الشرف فكأن الداعى لحظ أن قبول قراءته يتضمن لمعلمه نظير أجره وهكذا يكون للمعلم الاول وهو الشارع عليه الصلاة والسلام نظير جميع ذلك ومن ذلك ماشرع عنـد رؤية الكعبة من قولهم اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فثمرة الدعاء بذلك عائدة على الداعى لاشتماله على طلب قبول القراءة وهذا كما قالوا فىالصلاة عليه زاده شرفا لديه ان ثمرتها عائدة على المصلي أشار اليه بنحوه الحافظ ابن حجر * ومن خصائص هـذه الامة انهم يدخلون الجنـة قبـل سائر الامم رواه

الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا حرمت الجنة على الانبياء حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي * ومنها أنه يدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في الشعب ان ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لاحساب عليهم

واني سألت ربي المزيد فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا

وبالجملة فقد اختصت هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الامم

تكرمة لنبيها عليه الصلاة والسلام وزيادة في شرفه

وتفصيل فضلها وخصائص يستدعي سفرا

بل أسفارا وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء والله

ذو الفضل

العظيم

(تم الجزء الاول من كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية على صاحبها أفضل)

(الصلاة والسلام * ويتلوه الجزء الثاني وأوله المقصد الخامس في تخصيصه)

(عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والاسراء)